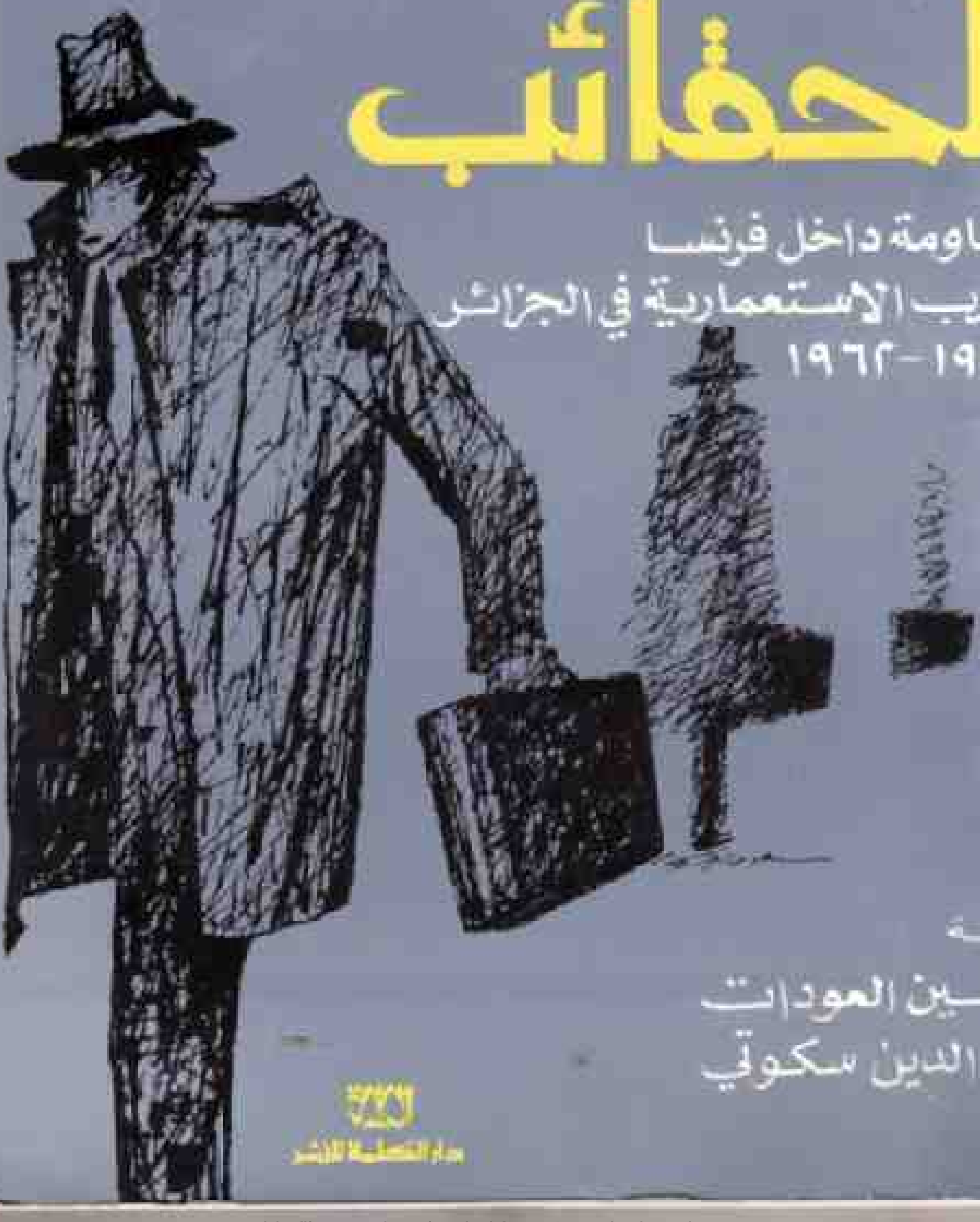
هيرفي هامون
باتريك روتمان

حملة الحقائب

المقاومة داخل فرنسا للحرب الاستعمارية في الجزائر ١٩٥٤-١٩٦٢



ترجمة
حسين العودات
نور الدين سكوتي

دار الطليعة للنشر

الترجمة العربية الكاملة لكتاب

Hervé Hamon
Patrick Rotman

LES PORTEURS DE VALISES

LA RÉSISTANCE FRANÇAISE À LA GUERRE D'ALGÉRIE

AM

Albin Michel

مقدمـــة

[illegible]

كانت فرنسا تتجنب نطق الكلمة . الا انها بالرغم من ذلك ، كانت تعيش حالة الحرب .

ذات صباح من عام ١٩٦٠ تصدرت الصفحات الاولى من الصحف اليومية ، صور نسوة ورجال اتهموا بدعم جبهة التحرير الوطني الجزائرية . وأطلق على هؤلاء تسمية « حملة الحقائب » . في ذلك الحين لم يكن العمل اليدوي يرفع من منزلة صاحبه ، ولهذا لم تكن هذه التسمية مديحا لمن يحملها . واعربت بعض الاقلام الساخرة ، عن استغرابها هبوط اوروبيين الى درجة تجعلهم ينقلون الاموال ، والمطبوعات والاسلحة احياناً ، إلى المستعمرين .

ماذا جرى قبل ذلك ؟

جنود استدعوا للخدمة الاحتياطية يتظاهرون ضد قرار ارسالهم الى شمال افريقيا ، ومدعوون للخدمة الالزامية يتمردون ، ومجندون يفرون من الخدمة العسكرية ، ومعنيون يؤلفون شبكات لدعم (المتمردين) . تلك هي الشخصيات التي قاومت حرب الجزائر داخل فرنسا . ان رسم الحرب سيبقى بلا مغزى ما لم تصف ـ على التوازي ـ المشهد الذي يجاوره هذا الدرب . فالعمل اللاقانوني لا يمكن فهمه الا مقارنا بعمل قانوني . ان هذه الصفحة من التاريخ ، لم تجتز البحر المتوسط الا قليلا . وانما لن نجد في هذا الكتاب بعضا من تاريخ حرب الجزائر ، بل سنطالع فيه تاريخا لم يعرف بعد ، تاريخ هؤلاء الذين عارضوا في فرنسا الحرب ضد الشعب الجزائري .

ان السرية ـ تحديدا ـ لا تترك وثائق مكتوبة ، الا ما تحتفظ به ملفات وزارة الداخلية . وقد تمكن مؤلفا الكتاب ـ احيانا ـ من الاطلاع على بعض تقارير الشرطة ، كما تفحصا الوثائق التي احتفظ بها بعض الشهود من ذوي الأهمية : محاضر اجتماعات ، تقارير عن النشاطات ، مراسلات ونشرات ممنوعة . الا أن المصدر الأساسي لهذا الكتاب هو المحادثات التي اجراها المؤلفان مع ابطال هذه القصة ، الذين تم استجوابهم طويلا ، والذين نجد قائمة باسمائهم في نهاية هذا الكتاب .

بالرغم من بحث وتمحيص دام اكثر من ثلاث سنوات ، وبالرغم من مئات المقابلات ، والبحث في العديد من « الحقائب » المحشوة بالأوراق ، فان المؤلفين يعيان تماما مدى اتساع موضوع بحثهما ، ولا يدعيان

« الجزء الأول »

التهرب

١٩٥٤ - ١٩٥٦

يها او ليد حقه . وهما بالرغم من انكبابهما على مقارنة الشهادات ، مخاطرين بفقد صبر الغير وتخيلاتهما ، علماً ، لينا بأمن من الخطأ او النسيان او السهو (فلنسا عنهما حملة المفاتيح المجهولون) عن هذه الوثائق .

لقد التقى احد المؤلفين في آيار عام ١٩٧٨ بهنري كوريل للمرة الثانية ، وكان كوريل موافقاً على هذا العمل ، وتم الاتفاق معه على مقابلة جديدة في الاسبوع التالي . وبعد يومين من هذا اللقاء اغتيل كوريل ، ولم يلق القبض بعد على القاتلين ويطمح هذا المؤلف بالمساهمة في اظهار الحقيقة حول مرحلة اساسية من حياته ومن عمله .

ان المؤلفين يتوجهان بالشكر العميق لكل من قبلوا تحمل استجواباتهما التي كانت لتدوم احياناً ساعات طوالاً . ويودان بصورة خاصة ان يعبرا عن امتنانهما للسيد فرانسيس جانسون ، الذي عرف كيف يتغلب على الاشمئزاز الذي توحي به قضية (المحارب القديم) لحاورها معهما ، كما انهما يشكران المؤرخين الاربعة : ميشيل ... بيريو ، وجاك جوليار ، والفريد سالفرز وبيير فيدال ناكيه ، الذين لم يوافقوا على سرد ذكرياتهم الخاصة فحسب ، بل واطلعوا على المخطوطة الخاصة بهذا الكتاب .

الدقات الثلاث

التوافد غير عادي قياسا لبعد ظهر عطلة نهاية الاسبوع ، ففي يوم الأحد الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥ ، كان مئات الجنود يرتدون لباس سلاح الطيران ، وينتظرون على مقربة من محطة ليون (في باريس) قطار الساعة الرابعة عشرة الذي سينقلهم الى مرسيليا ، ومن هناك يقودهم الى شمال افريقيا ، ولم يكن هؤلاء الجنود ممن يطلق عليهم أسم الاغرار ، بل كانوا ممن انهوا خدمتهم الالزامية ، وتم استدعاؤهم من جديد .

لقد وقع السيد ادغار فور رئيس الوزراء قبل خمسة عشر يوما من ذلك التاريخ قرارين : الأول يقضي بالاحتفاظ بالدورة ٥٤/ ١[1] ، وعلى ذلك فلن تنتهي خدمتها في تشرين الثاني (نوفمبر) كما كان مقررا . أما القرار الثاني فيقضي باستدعاء الدورة ٥٣/ ٢ .

كان الشباب الذين يتسكعون على أرصفة المحطة هم ضحايا التدابير الحكومية الاولى . فبعد ان اعيدوا الى الحياة المدنية منذ عشرة أشهر ، استدعوا الى الخدمة العسكرية منذ بضعة أيام ، وتم تجميعهم في قاعدة فيلاكوبليه ، وأعلمهم الضباط يوم السبت بأنهم سيغادرون يوم الغد الى شمال افريقيا ، دون ان يبينوا لهم فيما اذا كانت وجهتهم المغرب ام الجزائر . وبما انهم احتجزوا في القاعدة ، فانهم لم يتمكنوا من الاستمتاع بآخر أمسية لهم . وفي صباح الأحد وحوالي الساعة العاشرة صباحا كدسوا في الشاحنات .

هل كان هناك اهمال ، ام أنه احترام للتقليد العسكري الذي يريد ان تحين الساعة قبل وقتها المحدد ؟ مهما يكن من أمر فان الاحتياطيين وصلوا قبل الأوان بكثير إلى المحطة. وكان الأهل والأقارب والزوجات والخطيبات هناك بانتظارهم ، فتوزعت المجموعات في المقاهي المجاورة وعندما حان وقت السفر ، كان القطار فارغا ، فأخذ الضباط يركضون في كل اتجاه ، يثيرون حماسة الرجال للصعود الى العربات ، ولكن دون جدوى . وعلى الأرصفة اخذ التوتر يزداد ، وانتشرت كلمة (لا نريد ان نذهب ، والمدنيون معنا) .

تدخل درك الجو (وهم الشرطة العسكرية للقوات الجوية) الذين اثارهم هذا الرفض الجماعي ، فانفجر العراك ، وأصبح واضحا بأن السيادة لن تكون للقانون ، فاستدعيت قوات من الحرس الوطني لدعم

---

(١) الدفعة الاولى من مجموعة ١٩٥٤

قوات الأمن ، وطوقت المحطة ، وأخليت المدينة من المدنيين ، ومضت ساعات قبل أن يقبل الجنود الصعود الى العربات . الا انهم لا يريدون السفر ، وكان ذلك واضحاً ، فما كاد القطار يتحرك حتى امتدت عشرات الأيدي الى اشارات الانذار ، ولم يقطع القطار سوى ثلاثمائة متر خلال ساعات ، واخذ الشباب يتضاحكون قائلين : على هذه الوتيرة سنكون في مرسيليا في عيد رأس السنة . الا ان السلطات العسكرية لم تكن تقاسمهم هذا التفاؤل ، فعاد القطار الى المحطة ، ودعي الاحتياطيون الى النزول منه ، فاعتقدوا انهم حققوا النصر . الا ان هذا النصر لم يدم طويلاً ، حيث كان رجال الحرس الوطني ينتظرونهم عند المخارج على مقربة من السيارات الخاصة بنقل الموقوفين ، ونقل الجنود الى ثكنة روبي .

لقد كلف جنرال نفسه العناء لاستقبال « المتمردين » ، فتقدم منهم وهو يستعد لتوجيه الاسئلة لهذه الشرذمة التي لا تستحق ان يطلق عليها اسم كتيبة . الا انه لم يصر على ذلك : كانت هناك وجوه متجهمة وقبضات ترتفع وشتائم وحركات مختلفة . وكان واضحاً بأن ساعة العودة الى النظام لم تدق بعد . وحمل الجنود مرة اخرى في الشاحنات ، واعيدوا الى فيلا كوبليه في المساء ذاته تحت الحراسة المشددة . وأمضى الطيارون ليلتهم في المهاجع تحت الحراسة . وفي صباح اليوم التالي كدسوا في الطائرات التي اقلعت بهم حالاً الى وهران . وعند وصولهم كان الاستقبال محتفى به ، فقد كان رجال الشرطة الجوية بانتظارهم ، والهراوات بأيديهم ، والبنادق الرشاشة تتدلى على صدورهم . وهكذا انتهى اول نشاط مقاومة جماعية ضد حرب الجزائر .

مقاومة ؟ . ان هذا التثمين هو ضرب من التحزب ، وثمرة لاعادة تركيب منحاز ، بعد ربع قرن من وقوع الأحداث . الا ان (مؤرخي الساعة) أي الصحفيين بغرابتهم ، ولم يخطىء مراسل صحيفة لورور عندما قال :

(لقد ارتكب خطأ عند انتظار ساعة السفر ، بالسماح للجنود بالذهاب الى المقاهي المجاورة ، وربما كانت المشروبات غزيرة جداً ؟ الا ان الواقع يؤكد بأن العديدين عادوا وقد سخنت رؤوسهم) .[2]

ونجد فرقعة الزجاجات الفارغة نفسها في الباريزيان ليبيريه التي قالت :

(لقد انتشر بعض الاحتياطيين في المقاهي المجاورة ، حيث كان العديد من الزبائن من الافريقيين الشماليين . فشرب الرجال وسخنت رؤوسهم)[3] شهادتان متناسقتان : لم يعد هناك شك انها لم تكن حادثة تمرد ، انها قضية سكر وعربدة ، ويمكننا ان نلاحظ التعبير نفسه « سخنت » في كلتا الصحيفتين اليوميتين ، ونجده ايضاً في البلاغ الذي أصدرته وزارة الدفاع الوطني :

---

(٢) لورور ١٢ ايلول ١٩٥٥ .

(٣) الباريزيان ليبيريه ١٢ ايلول سبتمبر ١٩٥٥ .

(بعض الرؤوس التي سخنت)

ليس في هذه المقارنة اللغوية أي خبث ، بل انها بكل بساطة ملاحظة تسجل : فمن الصعب المحافظة على برودة الاعصاب عندما يكتب المرء عن موضوع ما زال يلتهب . اننا لم نعش احداث يوم الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥ في محطة ليون في باريس ، الا اننا ما زلنا نعتقد بأن تفسيرنا للاحداث هو الصحيح : لقد رفض الجنود الاحتياطيون الذهاب الى شمال افريقيا .

وإليكم حدثاً آخر : في يوم الخميس ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥ ، وفي كنيسة سان سيفران في باريس ، اقيمت صلاة شارك فيها جنود احتياطيون من اللواء (٤٠١) من المدفعية المضادة للطائرات ، للاجانة شاب على اهبة السفر الى افريقيا الشمالية ، يصلون من أجل السلام . وفي نهاية الصلاة وزع منشور غريب يقول . . . . . (ان ضميرنا يقول بأن هذه الحرب التي نقوم بها ضد اخواننا المسلمين ، الذين استشهد العديد منهم من أجل الدفاع عن وطننا ، هي حرب تتعارض مع جميع القيم المسيحية ، ومبادىء الدستور الفرنسي ، والقيم الحضارية التي نفاخر بها بلادنا وبحق)[٤] . وقد صيغ النص صياغة انيقة ، ولم يحرره متطرفون ، كما انه لم يدع الى التمرد فهو يقول : (اننا لا ندعو الجنود فرديا الى رفض الانصياع لاوامر الحكومة ، الا ان على الشعب الفرنسي ان يعرف باننا ان رضخنا فسنفعل ذلك والخجل يحز في نفوسنا) . الا أن هذا الاعتدال الكريم لم يجد أي صدى . وبما أن الصحافة لم تداهم هؤلاء الشباب بجرم السكر المشهود فقد تجاهلتهم .[٥]

ولم يكن ممكنا بالمقابل المحافظة على الصمت بالنسبة للاحداث التي جرت بعد اسبوع من ذلك ، والتي الهبت مدينة روان وادمتها . ففي يوم الجمعة ٧ تشرين الأول (اوكتوبر) رفض الجنود الاحتياطيون من اللواء ٤٠٧ من المدفعية المضادة للطيران ، الذين احتجزوا في المهاجع منذ الأمس ، مغادرة ثكنة ريشابير والصعود الى الشاحنات التي كانت ستقلهم الى القطار ، وأخذوا يشتمون الضباط الذين كانوا يحثونهم على الطاعة ، وتوافد المدنيون الى جوار الثكنة وهم ينشدون النشيد الاممي ، ويرد المجندون عليهم بالنشيد الوطني الفرنسي (لامارسييز) . ورئيس بلدية بيتي كيفياي الشيوعي يحمس الجماهير ، فتدخل الحرس الوطني ، كما توافد مئات العمال الذين استنفرهم منشور وزعه حزبيون شيوعيون عند ساعة الانصراف من المعامل[٦] . فاشتدت الصدامات العنيفة ، ولم يعد الهدوء الا عند منتصف الليل ، بعد أن طوقت اعداد هائلة من قوات الامن الثكنة . وانتهى الامر بصعود المجندين الى الشاحنات التي اقلتهم الى المحطة . واصيب نتيجة هذه الأحداث سبعة رجال من قوى الأمن ، وحكم بعد ظهر اليوم التالي على اثني

(٤) اعيد نشره في (الوثائق) في تشرين الثاني ١٩٥٥ .

(٥) ارسل ستة عشرة منهم الى افريقيا الشمالية احتاز لوائهم المتوسط في ٢ تشرين الاول اوكتوبر (جان بيير فيتوري ، بحث الفاعوص الى الجزائر ، ستوك ١٩٧٧) .

(٦) رولان لبروا ، فرانس نوفيل ١٩ تشرين الاول اوكتوبر ١٩٥٥ .

عشر رجلا من المتظاهرين بالسجن الفعلي لمدة عشرة أيام .

وفي الوقت ذاته الذي جرت فيه هذه الأحداث الخطيرة في مدينة روان ، كان يجري اجتماع خطابي في صالة ماغرام في باريس ، دعت اليه قيادة الحزب الاشتراكي الفرنسي ، ضد ارسال المجندين الى شمال افريقيا ، حيث هتف السيد مارسو بيفير قائلا (ان للمجندين الآن الحق بعدم اطاعة احد الا ضميرهم) وفي يوم السبت ٨ تشرين الأول (اكتوبر) ، وفي مدينة روان أيضا دعا الحزب الشيوعي الفرنسي إلى مظاهرة في حديقة شارترو (للاحتجاج على أرسال المجندين إلى افريقيا الشمالية وعلى تدخل الشرطة خلال احداث الأمس) . وعند المساء توجه المتظاهرون الى ثكنة ريشبانس وكانت السلطات قد وضعت جدارا من الخشب لسد الثغرة التي فتحها الجند في السور عندما اقتحموه بشاحنة[7] . وحرق المتظاهرون الجدار الخشبي بزجاجات البنزين ، واستمرت الصدامات العنيفة مع قوى الأمن حتى ساعة متأخرة من الليل . وفي اليوم التالي ، وكان يوم احد ، عادت المشاعد نفسها ، واحتاجت قوات الأمن إلى ما لا يقل عن ستين شاحنة لاحتواء المتظاهرين الذين احتلوا الشارع حتى الساعة الثانية صباحا[8] . وقالت صحيفة لوموند في عددها الصادر يوم الحادي عشر من تشرين الاول (أوكتوبر) : (لقد سادت مدينة روان حرب مدن حقيقية خلال ثلاثة أيام) . كما قالت في عددها الصادر يوم الثاني عشر من تشرين الأول (اوكتوبر) (ان عجز السلطات العسكرية هو السبب في الصدامات التي تميزت بها مغادرة جنود اللواء ٤٠٧ التابع للمدفعية المضادة للطيران) . وقد قاسمت وزارة الدفاع الصحيفة هذا الرأي على ما يبدو ، واتخذت العديد من العقوبات ، فأعفى جنرال من منصبه القيادي ، وأوقف ضابطان برتبة عقيد ، وقدم ثمانية عشر شخصا ممن قادوا الاضطرابات الى المحاكم العسكرية .[9] .

ان احداث محطة ليون في باريس ، وكنيسة سان سيفران ، وثكنة ريشبانس ، هي ثلاث دفات لطبول الثورة ، لامست بالكاد الرأي العام ، الذي لم ير بوضوح ان حربا قد بدأت في يوم الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٥٤ .

---

(٧) لومانيته ٨ تشرين الأول ١٩٥٥ .
(٨) روبير دافيزي ، زمن العدالة ، لا سيتي ، لوزان ١٩٦١ .
(٩) دافيزي ، المصدر السابق .

الجزائر خارج القانون

(كنت اعتقد حتى يوم الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٥٤ ، ان فرنسا تمتد على جانبي شواطيء البحر الأبيض المتوسط ، وان من بين سكانها اقلية مسلمة)[١] ، لم يكن رجل الدين الذي يتحدث من القساوسة العسكريين الواعظين الذين يباركون ويبرئون المظليين العائدين من مجزرة[٢] ، ان روبير دافيزي هو من خلفاء المسيح الذين اختاروا ان يعيشوا عصرهم بين المضطهدين والمحرومين . فهو خوري عامل ، وستراه بعد بضعة اشهر من حديثه ، وبعد صفحات قلائل من هذا الكتاب ، بين الأوائل الذين انضموا الى جبهة التحرير الوطني الجزائرية .

لقد كان حتى الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ يفكر بالجزائر عام ١٨٣٠ ، ولم يكن الوحيد الذي هزته الاحداث ، فأمثاله عديدون ، ولكن في حقيقة القول ، لا بد من علام بالغيوب . ليكتشف انه تكمن في مفرقعات الإحتفال التي لم تنفجر كما يجب يوم عيد جميع القديسين ، بادرةً لقيام حرب تدوم سبعة أعوام .

قليلون جدا اولئك الذين كانوا يستطيعون الادعاء بمعرفة الوضع جيدا ، حتى وان كانت مهمتهم هي بالضبط تحليل الاحداث والتعليق عليها . وقد اكتفت الاجهزة الصحفية غداة يوم التمرد ، بنقل الوقائع كما سردها الحاكم العام ليونار . فأعلنت فرانس سوار في صفحتها الاولى (اشتعال الارهاب فجأة في الجزائر) وسردت باري بريس (ثلاثين عملية خلال هذه الليلة في الجزائر) أما صحيفة لوموند فقد كانت اكثر دقة ونشرت على عمودين: (عدة قتلى في الجزائر خلال هجمات متزامنة تعرضت لها مخافر الشرطة)، وتلتهما المجلات الاسبوعية . وتنبأ الاشتراكي شارل اندريه جوليان المؤرخ المختص بتاريخ المغرب في مجلة تيموانياج كريتيان (ان ثمانية ملايين من السكان الاصليين لا يمكنهم التخلي عن مصيرهم والى الأبد بين أيدي مليون من غير المسلمين الذين يعتبرونهم اعداء لهم أو مواطنين من الدرجة الدنيا[٣]):

---

(١) روبير دافيزي المصدر السابق .

(٢) هكذا تم تبني الأبادة الجماعية بحياء في الجزائر .

(٣) تيموانياج كريتيان ١٢ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٤ .

ان هذا القول يدهش اليوم الا انه كان في حينه موقفا شجاعا وخطرا . وهكذا وفي تلك الظروف ، حاول صحفي شاب من فرنسيي الجزائر الذين سموا بالاقدام السوداء ، بدأ عمله في الاسبوع ذاته في مجلة جان جاك سيرفان شرايبر (الاكسبرس) حذر قائلا (ما زال هناك فرصة صغيرة لتكوين مجتمع فرنسي في الجزائر من الشعوب الاوروبية والمسلمة) ولم يوقع جان دانييل مقاله الذي صدر تحت عنوان (ما زال باستطاعة فرنسا ان تربح في الجزائر) .(٤)

فمن ذا الذي يستطيع ان يصم مريش مجلة فرانس اوبسرفاتور ببعض الفتور حول قضية المستعمرات؟ ان مناهضة الاستعمار ، وعدم الانحياز (الذي كان يطلق عليه في ذلك الحين اسم الحياد) كانت عقيدة المجلة ، التي اسسها كلود بورديه والشيوعي السابق جيل مارتينيه ، والديغولي روجيه ستيفان ، والتي ناضلت نضالا بلا هوادة ضد حرب فيتنام . ومع ذلك نجد في العدد الصادر في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) وبقلم بورديه ما يلي : « ان اعمال العنف هذه مدانة بالاضافة الى انها قد تضر بالقضية التي تدعي بانها تخدمها » . ويقترح بورديه حل المجلس الجزائري (المهزلة) واجراء انتخابات حرة فعلا . وتطبيق القانون الخاص بنزاهة .

أما القانون الخاص ، فهو ذلك القانون الذي صادق عليه البرلمان الفرنسي في ٢٧ آب (اغسطس) ، والذي ينص على تشكيل ثلاث محافظات فرنسية على أرض الجزائر ، وتوضع تحت ادارة الحاكم العام . كما ينص على اقامة مجلس جزائري ينتخب حسب المادة (٣٠) من قبل هيئتين انتخابيتين : الأولى وتضم الاوروبيين والنخبة المندمجة معها والمؤلفة من (٦٣١٩٤) مسلما ، ويمثلها (٦٠) نائبا ، والهيئة الانتخابية الثانية ، ويمثلها ايضا (٦٠) نائبا وتضم بقية السكان ، والنتيجة :

تبين عملية حسابية بسيطة ان مسلما جزائريا يزن ثماني مرات اقل من فرنسي واحد في الجزائر . ان هذه القوانين بالرغم من انها تتسم باللامساواة ، فانها مع ذلك تعتبر تقدما أكيدا ، وعيب واحد كاف ، في نظر المستوطنين ، الذين لن يعملوا اي جهد لكي تبقى هذه القوانين حروفا ميتة ، وبعد أن « زيفت » الانتخابات كما يجب في عام ١٩٤٨ ، وكرست نفاذ القانون الجديد ، انقلبت الى مهزلة ، وماتت القوانين الخاصة في المهد .

ان مطالبة رجل ساخط على القمع الاستعماري بكل اخلاص مثل كلود بورديه في عام ١٩٥٤ ، بتطبيق قوانين ١٩٤٧ التي اجهضت ، تبين بوضوح ان اليسار الفرنسي كان متخلفا تجاه القضية الجزائرية كمرحلة تطور ، وهذا اقل ما يمكن أن يقال فيه : لقد اتخذ موقف المتفرج من تفتح ثورة لم يشعر بقدومها .

لم تكن لدى الشيوعيين رؤية اوضح ، حيث نرى ليون فيكس المختص بقضايا ما وراء البحار ، يؤكد

---

(٤) الاكسبريس ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٤

في مقال افتتاحي « ان الحل الوحيد يكمن في الاستجابة لمطالب شعوب تونس والمغرب والجزائر في الحرية »[٥] . ومع ذلك كان لا بد لنا من الانتظار عدة ايام قبل أن يتخذ المكتب السياسي موقفا رسميا في بيان مطول . وغالبا ما ورد ذلك النص في مواقف متناقضة ، وهو يثبت ، حسب رأي الشيوعيين بأن الحزب قد ناضل ضد الحرب منذ البداية . أما بالنسبة للآخرين فهو اثبات بأن الحزب قد انتقد بوضوح القائمين بالتمرد . أما في الواقع فان الوجهين يتعايشان في البيان .

نجد شجب الاعمال الثأرية ضد السكان حيث يقول البيان : « ان الحزب الشيوعي يشجب الاجراءات العنيفة التي اتخذت في محاولة لتحطيم الحركة الوطنية الجزائرية . . . وان سياسة القوة التي تمارسها الحكومة لن تحل المشاكل المطروحة في الجزائر ، افضل مما حلت المشاكل التي طرحت في فيتنام وتونس والمغرب » كما نجد فيه ادانة الكفاح المسلح ، حيث يقول البيان : « ان الحزب الشيوعي الفرنسي ، الوفي لتعاليم لينين ، لا يمكنه في مثل هذه الظروف ، ان يوافق على الأعمال الفردية التي يمكن أن تخدم لعبة اسوأ الاستعماريين ، هذا ان لم تكن مدبرة من قبلهم . ان الحزب الشيوعي يؤكد للشعب الجزائري تضامن الطبقة العاملة الفرنسية معه في كفاحه الجماهيري ضد القمع وللدفاع عن الحقوق » . وهكذا نرى بوضوح موقف الحزب الشيوعي الفرنسي الذي لم يتغير خلال شهور طوال والذي يستند الى رفض مزدوج ، رفض القمع الذي تزداد خطورته ورفض الكفاح المسلح الذي يتعاظم .

اما بالنسبة لعمق القضية ، اي مستقبل الجزائر ، فقد نبع الحزب الشيوعي في ظل نظرية مشوشة لا تستبعد التناقض والابهام . فهو مع (اعترافه بمطالب الشعب الجزائري المشروعة بالحرية) يقترح (حلا يتجاوب مع ارادة مجموع الرجال والنساء القاطنين في الجزائر) و (يضمن الدفاع عن مصالح فرنسا) .

لقد سيطر على الفكر التحليلي للشيوعيين الفرنسيين حتى عام ١٩٥٤ ، مفهومان لهما جذورهما التاريخية : الأول هو ذلك المفهوم الذي طرحه موريس توريز قبل خمسة عشر عاما ، ولم يفقد شيئا من قوته في نظر من صاغوه حيث يرى . أن الجزائر امة في طور التكوين . حدث عظيم في حينه ، موريس توريز يزور الجزائر في يوم ١١ شباط (فبراير) ١٩٣٩ ، حيث توافد تسعة آلاف شخص ، من بينهم حوالي الف من المسلمين ، للاستماع الى الأمين العام لفرع فرنسا للاممية الشيوعية ، وها هو يقول : « ان هناك أمة جزائرية تتشكل من خليط من عشرين عرقاً » ففكرة كون الجزائر بوتقة واسعة يذوب فيها الاوروبيون والمسلمون دون هيمنة احد على الآخرين ، تستر طبعا على الواقع الاستعماري. والنتيجة المنطقية لهذا التحليل هي انه من الواجب رفض كل مطالب الاستقلال ، او تأجيلها حتى يتم تكون الامة الجزائرية .

أما العنصر الأساسي الثاني فهو العلاقات بين الجزائر وفرنسا ، ويبدو هذا العنصر واضحا في خطبة الجزائر حيث يقول توريز (نعم نريد معاشرة حرة بين شعبي فرنسا والجزائر ، الا ان المعاشرة الحرة تعني ايضا

---

(٥) لومانيتيه ٣ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٤

حرية الطلاق ، وليس الطلاق الالزامي طبعا »[6] هذا ما قاله توريز قبل اشهر من اندلاع الحرب العالمية الثانية . الا ان الظروف الدولية الراهنة آنذاك كانت صاحبة الاولوية ، يقول توريز (واضيف ايضا بانه في الظروف التاريخية الراهنة ، يترافق هذا الحق للجزائر بواجب الاتحاد الوثيق مع الديمقراطية الفرنسية) وهكذا فان للشعب الجزائري كل المصلحة بربط مصيره ومستقبله بمصير ومستقبل فرنسا الديمقراطية . ولم تبق الحجة بنت الساعة ، بل انها خرجت الى الحيز (النظري) بعد التحرير في اطار (الاتحاد الفرنسي)

نجد هذا التعبير (الاتحاد الفرنسي) في الدستور الفرنسي لعام ١٩٤٦ ، وهو يعني مجموعة تضم بقايا الامبراطورية في اتحاد مع فرنسا قائم على المساواة. وقد أظهر الحزب الشيوعي الفرنسي فيما بعد انه مناصر عنيد لحل بدا له بأنه يدير ظهره نهائيا للاستعمار القديم . ومن بين آلاف التصريحات التي صدرت في العهد الذي شارك فيه الحزب الشيوعي الفرنسي في الحكومة ، نذكر تصريحا لفالك دوكلو يلقي فيه قبسا من نور على الاوضاع حيث قال : ان علينا ان نقضي كل نظام استعماري قائم على التعسف والاعتباطية ، فاذا عدنا الى الاستعمار فلنا سنخسر الكثير ، اما مع الاتحاد الفرنسي فعلى العكس ، ستحافظ فرنسا على مواقعها تحت شعار الحرية ، وهكذا سيكون الاتحاد الفرنسي حقيقة حية»[7] .

للمرء أن يتساءل : هل هناك نظام إستعماري لا يكون قائما على التعسف والاعتباطية ؟ إن (اعتراف) الزعيم الشيوعي ليس زلة لسان أو هفوة ، إنه يترجم بصراحة ، مفهوم الوصاية الذي تشكل لدى الاحزاب العمالية عن تحرر الشعوب الأخرى ، حيث يسود الاعتقاد بأن قضية التحرر الوطني هي شيء جدي جدا لا يمكن تركه بين أيدي من يتحملون الاضطهاد ، ثم أن القضية الجزائرية قضية فرنسية داخلية لا يجري حلها كبقية المشاكل الأخرى ، بل عن طريق حكومة ديمقراطية (جيدة) ، تلك هي أفكار وشعارات الحزب الشيوعي عندما اندلعت أحداث يوم الأول من تشرين الثاني (نوفمبر).

إن للحزب الشيوعي الفرنسي حصة في المأساة التي أصبحت تتفاعل ، أكثر من أي تشكيل يساري آخر ، فوجود حزب شيوعي جزائري مستقل نظريا ، ومراقب مراقبة جدية بشرش التحليل ، فبعد أن بقي الحزب الشيوعي الجزائري فترة طويلة تحت وصاية أخيه الأكبر الحزب الشيوعي الفرنسي ، وبالرغم من استقلاله الذاتي بعد عام ١٩٣٦ ، إلا أنه لم يتمكن من التخلص من رؤية الأشياء بمنظار فرنسي ، مما كلفه غاليا .

قامت مظاهرات في الثامن من أيار (مايو) ١٩٤٥ بمناسبة عيد النصر في العديد من المدن الجزائرية ، إلا أن هذه تحولت الى فتنة ، فقد افلت زمام الجماهير من أيدي المناضلين الوطنيين ، وهاجمت الجماهير الأوروبيين وقتل البعض منهم . وكان القمع الذي تبع هذه الأحداث رهيبا . فقضى على عشرات الألوف من المسلمين . وبعد عدة أيام من هذه المجازر قام وفد من الحزب الشيوعي الجزائري ، انضم إليه عضوان

---

(٦) تعبير غريب . السيطاة الزواج ، الا تعني المعاشرة الحرة استبعاد الطلاق ؟ وعلى الاقل فان الاثر لا يتعلق بزواج بكري

(٧) خطاب بالجمعية الوطنية . لومانيته ١٩ آذار (مارس) ١٩٤٧ .

من الحزب الشيوعي الفرنسي ، هنري نوفو وفيكتور جوانيس ، بمقابلة رئيس مكتب الحاكم العام وتحدث الوفد معه عن استفزازات العملاء المتلربين من حزب الشعب الجزائري ، والحزب الشعبي الفرنسي ، وغيرهم من العملاء الذين يعملون تحت قناع منظمات تدعي الديمقراطية . وذلك خدمة للامبريالية الفاشية) .[8]

وفي الثاني عشر من أيار (مايو) نشرت الأومانيته بيانا صادرا عن اللجنة المركزية ، واخبرا بهذه المعاني فقالت (يجب معاقبة المحرضين على التمرد وأزلامهم الذين قادوا الأضطرابات ، بسرعة وبدون رحمة) كما نشرت الأومانيته في عددها الصادر في ٣١ أيار (مايو) ١٩٤٥م تعليقا أعربت فيه عن ابتهاجها باعتقال الزعيم الوطني فرحات عباس ، وكانت السلطات المستعمرة شاكرة للحزب الشيوعي الجزائري مواقفه . وهكذا نرى أن المدعي العام العسكري عند مطالبته بإصدار الأحكام ضد المناضلين الوطنيين الذين اعتقلوا إثر الاضطرابات ، يفرق بعناية بين الحزب الشيوعي الجزائري ، والحزب الوطني الجزائري ، (باعتبار أن الأول يحاول صون السيادة الفرنسية في أفريقيا الشمالية) [9].

إلا أننا نرى الحزب الشيوعي الجزائري يحاول بعد ذلك تعديل الموقف والتقارب من الحركات الوطنية ، لكن (الخطوة الخاطئة) التي قام بها عام ١٩٤٥م تركت جروحا لا تندمل في ذاكرة المسلمين . وبالمقابل تجد الحذر لدى الشيوعيين لفترة طويلة تجاه (كل نشاط من شأنه أن يولد الإستفزاز) ، كما نجد أثر ذلك في ردود الفعل لدى الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الجزائري عند اندلاع الثورة . وفي الواقع كان الحزب الشيوعي الجزائري تشكيلا مؤلفا من مركّبين عرقيين على الأقل.

وهكذا سيتعرض الحزب الشيوعي الجزائري أكثر فأكثر للجدل الممزق بين مناضليه الأوروبيين ، الذين يميلون الى التصرف كنقية جماهير الفرنسيين في الجزائر من جهة ، وقاعدته المسلمة التي غزتها روح الوطنية من جهة أخرى . ولم يصمد الحزب أمام هذا التناقض ، وترجم انخراطه في الكفاح من أجل التحرير الوطني ورافق ذلك حتّ شمل عناصره الأوروبية . إلا أنه لم يحل دون بقاء تحليل الحزب الشيوعي الفرنسي حول الجزائر متأثرا بوزن الجالية الأوروبية .

وهكذا نرى ، بأن وجود جالية أوروبية قوية ، والتحليل العشوائي للواقع الجزائري ، وقدم الروابط بين فرنسا والجزائر وحمقها ، والجهل المطبق داخل فرنسا لظروف حياة المسلمين ومطالبهم ، تشكل كلها عوامل هامة تفسر عدم اهتمام الرأي العام الفرنسي بغالبيه المعظمى ، ولا مبالاته ، خصوصا وأن الدعاية

---

(٨) الجزائر الجمهورية، ١٢ أيار (مايو) ١٩٤٥م . حزب الشعب الجزائري هو حزب مصالي الحاج الوطني ، اما الحزب الشعبي الفرنسي ، فهو حزب قريب من الفاشية ، أسس عام ١٩٣٦ ، من قبل جاك دوريو ، ولم يعد موجودا عام ١٩٤٥م ، وكان له قاعدة قوية في الجزائر .

(٩) صدى الجزائر ، ٧ آب (اغسطس) ١٩٤٥م ، ذكرها إيمانويل سيفان في كتابه شيوعية ووطنية في الجزائر، صدر عن المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية ١٩٧٦ .

[illegible] تطورها ، إلا أنه من الصعب ، بالرغم من العوامل التي ذكرناها آنفا ، أن [illegible] اليسار الفرنسي وضبابه وتردده أيا كان اتجاهه . ويأتي ذكر تحليل كلود بورديه في مكانه المناسب حيث يقول : (إن اليساريين من جيلنا لا يتلمسون مشكلة الاستعمار ، لقد أمضيت كل سني المقاومة دون أن أفكر لحظة واحدة بمشكلة تحرير الشعوب المستعمرة ، كما أن فكرة إمكانية تطلعهم الى شيء آخر غير أن يكونوا فرنسيين ، كانت تبدو لي فكرة غريبة ، ولتوضيح تلك الهوس ، لا بد من العودة الى الوراء الى الثورة الفرنسية . فقد كان رجال الثورة الفرنسية يريدون إقامة مجموعة كبرى تسودها المساواة ، حيث يكون جميع المواطنين أحرارا متمتعين بالحقوق نفسها ، وقد أعطى ميثاق القضاء على العبودية نوعا من الواقعية لهذا التفكير ، ومثل هذه الخرافات التي ولدتها الثورة الفرنسية ، خرافات أخرى فرضت نفسها خلال مائة وخمسين عاما ، على أنها حقيقة واقعة . واستمر الأطفال الفرنسيون طيلة هذه الفترة ، يتعلمون كم كان عظيما دور فرنسا الحضاري ، وعطس الحزبيون والقادة اليساريون في الأيديولوجية نفسها ، أيديولوجية الوصاية العائلية)[10] .

وهكذا فإن لم يكن اليمين دائما استعماريا ، فاليسار ليس معاديا للاستعمار بطبيعته . إن مناقشة هذه المقولة في مطلع القرن العشرين ، أدت الى مشاحنات عنيفة داخل الأممية الثانية ، ولم يكن مناصرو الحملات النازية معزولين تماما ، أما بالنسبة للمنظمات الشيوعية ، فبالرغم من أنها اعترفت مبكرا بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، فإنها قدمت مثلا دامغا بين النظرية والواقع ، بدمج الأقليات القومية في إطار إتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفيتية .

وحتى تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٥٤ ، لم تكن التيارات الكبرى للحركة العمالية مستعدة لتشجيع الروح الوطنية الجزائرية ، فكيف لنا أن نتوقع من الفريق (الاصلاحي) الذي يتولى زمام السلطة أن يكون أبعد نظرا ؟

لم تكن المقامات العليا في فرنسا تجرؤ على تسمية الحرب باسمها إلا أنها كانت قائمة فعلا . وكان بيير مانديس فرانس رئيسا للوزارة ، وقد انتهى لتوه من توقيع إتفاقية السلام في الهند الصينية . وها هو يفاوض في تونس . ولم تكن لديه أية صفة من صفات (المتطرفين حتى النهاية) . إنه رجل الحوار الذي تفهم تماما أن الانتهاء من الإستعمار هو أمر حتمي . ومع ذلك ، تجده في قضية الجزائر ، عنيدا لا يقبل التفاهم ، ذلك أن (الجزائر هي فرنسا) .

كان فرنسوا ميتران وزيرا للداخلية ، ومكلفا بشؤون المحافظات الجزائرية ، وتوجه إلى الجزائر بجولة تفتيشية في تشرين الأول (أكتوبر) وصرح للصحفيين في مطار الجزائر قبيل عودته لفرنسا :

---

(١٠) حديث مع كلود بورديه، تشرين الأول (اوكتوبر).

« لقد وجدت المحافظات الفرنسية الثلاث في الجزائر في حالة هدوء ورخاء ، وإنني أغادركم وأنا مفعم بالتفاؤل » . أما في الواقع ، وكما يقول مؤرخ حياته ، فقد كان ميتيران قلقا جدا ، وأسرّ لماندبس فرانس بعد عودته الى باريس « بأن الجو يزداد سوءا هناك ولا بد من التحرك بسرعة »[11] . إلا أن (أبناء الأول من تشرين الثاني « نوفمبر » كانوا أسرع منهما . وهذا أقل ما يمكن أن يصدر عنهما نظرا للمناصب التي شغلاها . وهكذا وخلال بضعة أسابيع فقط ، كان عدد القوات العسكرية في الجزائر قد تضاعف ، وكان من بين القوات الداعمة شباب مجندون . وقد تحدث وزير الداخلية في ١١ كانون الأول (ديسمبر) أمام البرلمان ، وقال : إن هذه المهمة الشاقة (القمعية) تقع على عاتق مجندين صغار السن ، وقد سئلت فيما إذا كان لي الحق ، الحق المعنوي طبعا ، بالتصرف بالمجندين لهذه الغاية ، ويبدو لي بأن الأمر بديهي باعتبارها مهمة للحفاظ على وحدة الوطن ، وباعتبار ذلك واجباً على كل مواطن .

كان تبريراً لا عيب فيه : فالجزائر جزء لا يتجزأ من الأراضي الوطنية الفرنسية . وما يتم فيها هو من العمليات البوليسية . فمن يمكنه الاحتجاج على إرسال قوات الأمن ضد الفلاحين في بروتانيا أو ضد أصحاب الكروم في اللانغ دوك ؟ إن جبال الأوراس تخضع للنظام نفسه ، فمن الفلاندر الى الكونغو . . . وفي كل مكان ، يسود القانون نفسه الا وهو القانون الفرنسي »[12] ولا بد من احترام القانون . كان ماندبس فرانس ووزير داخليته يعرفان تماما ، بأن المشكلة لن تحل بسياسة العصا الغليظة فحسب ، وهكذا تقدم ميتيران لمجلس الوزراء في الخامس من شباط (فبراير) ١٩٥٥ ببرنامج إصلاحات اقتصادية واجتماعية وثقافية ، إلا أن هذه لم تكن في الواقع الا تكريساً للنظام الأساسي لعام ١٩٤٧ . وكان الهدف منها طبعا ، هو دمج الجزائر بفرنسا ، كما كان إعتقاد وزير الداخلية ، أن المسلمين يجب أن يتمتعوا بالحقوق نفسها التي يتمتع بها الأوروبيون ، إلا أن المسلمين لا يتمتعون دائما بالمعاملة نفسها.

لقد شجب كلود بورديه في مجلة (فرانس اوبسرفاتور) عمليات التعذيب التي يتعرض لها الوطنيون المعتقلون . وقال في نهاية مقال له تحت عنوان (الغستابو في الجزائر) : أن السيدين ماندبس فرانس وميتيران هما المسؤولان أمام الرأي العام وأمام التاريخ "[13] . وفي الأسبوع نفسه نشر الكاثوليكي المؤمن فرانسوا مورياك بعض أعمال التعذيب في مجلة الأكسبرس ، وطرح مقالا تحت عنوان (السؤال) وبقي هذا السؤال مطروحاً لمدة سبع سنوات .

وفي الثاني من شباط (فبراير) بدأت مناقشات حول الجزائر في قصر بوربون (مجلس النواب) ، وتعرضت الاصلاحات الحذرة والهزيلة التي قدمها ميتيران لانتقاد عنيف من النواب المتطرفين ، واقترح وزير الداخلية ، في محاولة لوقف الانتهاكات التي تحدث عنها بورديه ومورياك ، دمج الشرطة الجزائرية بالشرطة

---

١١ ـ فد. او. جيسبير. فرنسوا ميتيران او اغواء التاريخ ، دار نشر لوسوي ١٩٧٧ .
١٢ ـ فرنسوا ميتيران، خطاب بالجمعية الوطنية، ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ .
(١٣) فرانس اوبزرفاتور ١٣ شباط فبراير ١٩٥٥ .

العربية : وهكذا لن تبقى مفروضيات ما وراء البحار أرض صيد خاصة لسكان المستعمرات . ويعبر المتطرفون بأسمهم والكاثوليك بأسمهم عن سخطهم ، ويا لها من وقاحة : لقد عين بيير مانديس فرانس السيد جاك سوستيل ، العالم التاريخي المختص بالعروق والمعروف بيساريته ، حاكماً عاماً . أما في الجزائر فكانت الثورة ضد (المضاربين بالرخص) ، ألم يهبط رئيس مجلس الوزراء الى درجة إدانة والتجاوزات الرهيبة التي ارتكبت أحياناً ، والتي يولع فيها بالتأكيد ، ولكن مع ذلك لا بد من وضع حد لها في كل مكان وبأسرع وقت ممكن ، وهذا طبعاً ما سقط فيه رئيس الوزراء من منبر مجلس النواب . ويلاحظ المؤرخ بيير فيدال ناكيه ، بأنها كانت المرة الأولى التي تعترف فيها شخصية رسمية وفي مكان رسمي بممارسات التعذيب.(١٤)

وبعد ساعات فقط من التصريح السابق لمانديس فرانس ، وفي فجر السادس من شباط (فبراير) سقطت حكومته .

لقد خلفه إدغار فور في الثالث والعشرين من الشهر نفسه وصرح (أن الجزائر تشكل مع فرنسا وحدة لا يمكن لأي كان أن يعرضها للخطر) أما جاك سوستيل الذي ثبت في منصبه ، فقد صرح في الجزائر ، وألح على ضرورة الاسراع في تطبيق سياسة الدمج ، وهكذا يتسارع التصعيد فيتسع التمرد ، ويزداد القمع خطورة ، ويقرر النواب في الثالث عشر من آيار (مايو) حالة الطوارىء : ويصبح للمحافظين الحق بإصدار قرارات بالاقامة الجبرية وبعمليات تفتيش البيوت ليلاً ونهاراً ، وتحويل المتهمين الى المحاكم العسكرية . وكانت هذه القوانين تطبق على (المناطق المتمردة) فقط . إلا أن (المناطق المتمردة) أخذت تكبر وتتسع : فقد بدأت في منطقة القبائل وامتدت الى مناطق قسنطينة ، وتتالت سياسات القمع والاصلاح ، ثم الاصلاح والقمع ، واقترحت حكومة إدغار فور بعد حكومة مانديس فرانس سياسة جزائرية ، وتابع هذا الاقتراح بدرجة أو بأخرى من قبل رؤساء الحكومات الفرنسية المتتالية حتى انتهاء الجمهورية الرابعة .

لم يكن التكهن الى أين ستميل كفة الميزان صعباً . فحرق مشتى (قرية صغيرة) يتطلب وقتاً أقل من بناء مدرسة . أما بالنسبة للوطنيين الجزائريين فلم يعودوا يحسبون أي حساب لكل هذه الأمور : فباريس تتجاهلهم . وهكذا يؤكد بورجيس مونوري ، حال تسلمه مهام منصبه ، تأكيداً قاطعاً ، (بأن قضية المفاوضين المقبولين غير مطروحة لا في داخل الجزائر ولا في خارجها) .

أما الرأي العام الفرنسي فلا يبدي أي تأثر ، فالغالبية العظمى تعتبر أنه ليس من مأساة أن يجلد العربي على مؤخرته ، وأثين المعذبين لم يتعد الدوائر التي تتحمل آلام العالم كله . أما الشيوعيون فكانوا مشغولين بالتحضير واستنفار الرأي العام ضد تسليح ألمانيا .(١٥)

---

(١٤) بيير فيدال ناكيه . الرعب في الجمهورية ، دار نشر ماسبيرو ١٩٧٥ .
(١٥) نشر في فرانس نوفيل ، منذ ١ كانون الثاني الى ٣٠ حزيران ١٩٥٥ ، اكثر من ثلاثين موضوعاً ضد الخطر العسكري الالماني ، وموضوعان عن الجزائر ، وموضوعان آخران عن الهجرة الجزائرية .

بعنف وعدم فهم وحيرة . تلك هي المشاعر التي سادت جو دار النشر (لوسوي) في خريف ١٩٥٥ بحي الصمصمة . فقد قدم إثنان من الكتاب المتعودين التردد على الدار ، مخطوط كتاب كان كأنه قنبلة بجهزة للانفجار . وكانت هذه القنبلة الحارقة تحمل عنوان (الجزائر خارج القانون) وهو عنوان مأخوذ من فصلين متكاملين من الكتاب . فبالرغم من التأكيدات ، والاعلانات الرسمية ، والاعتقاد الشعبي الشائع بأن المحافظات الفرنسية الواقعة فيما وراء البحار لا تخضع للقوانين نفسها التي تخضع لها جمهورية فرنسا فإن ذرة من التاريخ ، ومفهومين جغرافيين ، وقليلا من المنطق ، تكفي للاثبات بأن الجزائر ليست فرنسا وهذا مبرر إصدار كتاب شكلين كوليت وفرانسيس جانسون ، لكي يقدما ملفا موثقا بصورة مدهشة . فإن لم ينجح الاستعمار في عملية الدمج ، فمن هم إذن هؤلاء الخارجون على القانون الذين يلاحقهم الجيش النظامي؟ ومن هم هؤلاء؟ وماذا يريدون؟ وكان كتاب جانسون أول محاولة لتحليل الحركة الوطنية الجزائرية .

إن العودة الى الكتب التي نشرها الكاتبان وقراءتها ، لا تدل بأنهما يكنان أي حماس أو شعور خاص تجاه الجزائر . فقد نشرت كوليت جانسون في عام ١٩٥٤ كتابا حول (المخافي بدون الم) أما فرانسيس فهو من مريدي الفكر السارتري ، وقد نشر كتاباً حوله ، وكان كتاباً جيداً ، وترجع شهرته كرجل فكر الى مساهمته الفعالة في مجلة (الأزمنة الحديثة) التي كان يديرها ، وإلى بعض الكتابات الفلسفية . كما انه يدير في دار النشر لوسوي سلسلة أدبية جيدة (الكتاب الخالدون) حيث نشر شخصيا كتابين عن مونتيني وسارتر .

إلا أن اهتمام آل جانسون بالجزائر لا يرجع مع ذلك إلى الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ فقط . فقد كان أول تماس لجانسون مع الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية ، حيث كان متطوعا في جيش افريقيا . وقد اكتشف بعد سنة من الانزال الأميركي أن الغالبية العظمى من الأوروبيين مازالوا فيشيين بل ومتعاونين مع الألمان (وأن المقاومة الفرنسية تقلقهم ، بقدر ما كانوا يتكهنون بوجود اتجاه ثوري فيها ، يمكن أن يعارض التوسع الاستعماري)[٦] ، وهذا ما ذكره جانسون فيما بعد . وعاد الزوجان الى الجزائر في عام ١٩٤٨ ، وأقاما هناك عدة أشهر في ظروف مادية هشة . وكانا يريدان مقاسمة المسلمين عيشهم بهدف فهمهم بصورة أفضل . وقد اكتشفا خلال هذه المغامرة ، ومن خلال الأحاديث والمناقشات مع المناضلين الوطنيين ، الواقع الذي تعيشه البلاد .

كان مصالي الحاج في ذلك الحين ، الوجه الكبير المعروف في الحركة ، رجل في الخمسين من عمره ، قاد الحركة وأصحابها خلال ربع قرن ، من خلال السجون والنفي والسرية . وتزعم الجناح المتشدد في التيار التحرري ، ذلك الجناح الذي كان يطالب بالاستقلال ، ومصالي الحاج من مواليد تلمسان (غرب الجزائر) ومن المحاربين القدماء الذين خاضوا الحرب العالمية الأولى ، واشتغل في العشرينات في باريس كعامل عادي . وعايش مدرسة هي الشيوعية . والتحق بدورة بوبيني التي تؤهل كوادر الحزب الفتي .

---

(٦) مقابلة في الأوبينا ، ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .

وكانت الهجرة الجزائرية الى فرنسا قد بدأت منذ مطلع الفترة ما بين الحربين ، حيث أخذ الفلاحون الجزائريون الذين أبعدوا بسبب اضطراب البنى الزراعية التقليدية ، واللذين طردوا من الأراضي الخصبة ، أخذوا بالتوافد بأعداد متزايدة ، حيث وصل إلى فرنسا في عام ١٩٢٤ خمسة وسبعون الفا منهم ، فالتقت في هذا الوسط ، من اللذين فقدوا جذورهم ، ومن ضحايا التمييز العنصري ، والاستغلال الاقتصادي ، إلى جانب العمال الشيوعيين الفرنسيين ، النوى الأولى للحركة الوطنية الجزائرية . وإذا عدنا إلى الأصول لوجدنا مبادرة من عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي الحاج عبد القادر ، الذي أسس في عام ١٩٢٦ (نجمة شمال أفريقيـــا) من أجل (الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية للمسلمين في شمال أفريقيا) وبعد سنتين من ذلك التاريخ ظهر مصالي الحاج على الساحة وتسلم قيادة المنظمة . وتدهورت العلاقات بسرعة بين الجزائريين والحزب الشيوعي الفرنسي ، الذي لم يحتمل فقدان السيطرة على الحركة . وتمت القطيعة النهائية بين المنظمتين في عام ١٩٣٦ ، في ظل حكم الجبهة الشعبية . وكانت « النجمة » قد حلت ثم شكلت ثم حلت ثانية ، وسجن مصالي ثم أطلق سراحه . وحصلت الحركة على فترة راحة قصيرة تحت حكم بلوم ، ومنعت من جديد في عام ١٩٣٧ ، فرد الزعيم الوطني على ذلك بتأسيس حزب الشعب الجزائري ، وجمد الحزب مؤقتا شعار الاستقلال ، وكان هذا الحذر بلا فائدة . فقد اعتقل مصالي في آب (اغسطس) ١٩٣٧ ، عندما كان يقوم بجولة خطابية في الجزائر ، وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين . وما كاد يخرج من سجنه حتى علم أن حزبه قد حل ، واعتقلته السلطات الفرنسية ، وحكم عليه بلا رحمة بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة ستة عشر عاما . وعندما أطلق سراحه في عام ١٩٤٣ ، فرضت عليه الاقامة الجبرية ، ولم يتوقف عن قيادة حزب الشعب الجزائري السري ، وعارض بصورة فعالة مناضلي الحزب ، اللذين حاولوا إقامة حلف ضد فرنسا مع المانيا الهتلرية . وفي عام ١٩٤٤ تم اللقاء مع الوجه الكبير الآخر لحركة التحرر فرحات عباس

لقد تغير كثيرا صيدلي اسطيف منذ عام ١٩٣٦ ، حيث كان في ذلك الوقت يدافع بعنف ضد وصفه بالوطني حيث قال (لو أنني اكتشفت الأمة الجزائرية لأصبحت وطنيا ، وأنني لن أموت في سبيل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن غير موجود ، ولم أكتشفه بعد ، لقد سألت التاريخ ، وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر والمدافن إلا أن أحدا لم يحدثني عن هذا الوطن)[17] . كان فرحات عباس عندما كتب هذه الكلمات ينتمي الى اتحاد النواب المسلمين الذي كان يرأسه الدكتور بن جلول ويضم هذا الاتحاد النخبة المسلمة الموالية لفرنسا من أبناء الطبقة البورجوازية ، التي تحبذ الاندماج . وبعد أن وضع هؤلاء كل آمالهم بعمل فرنسا ، اكتفوا ، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، بالمطالبة بتمثيل اوسع للوجهاء المسلمين في البرلمان الفرنسي . إلا أن الهزيمة التي منيت بها فرنسا عام ١٩٤٠ هزت سمعتها ومكانتها ، وتخلى فرحات عباس رويدا رويدا عن أفكاره الاندماجية . ووقع في شباط (فبراير) ١٩٤٣ الى جانب ثمانية وعشرين من النواب

---

(١٧) لانتنت ٢٣ شباط فبراير ١٩٣٦ .

المسلمين (ميثاق الشعب الجزائري) الذي يطالب بإقامة (دولة لها دستور خاص يضعه المجلس التأسيسي الجزائري ، الذي يجري انتخابه بالاقتراع العام من قبل جميع سكان الجزائر) وذلك بعد انتهاء الحرب . فاصطدم هذا الطلب برفض السلطات الفرنسية ، عند ذلك ، وعندها فقط اتجه فرحات عباس نحو مصالي .

ومن لقاء المحرض المحترف المتعود على الزنزانات الوطنية ، والبورجوازي المثقف ولدت حركة (أصدقاء الميثاق والحرية) في ١٤ آذار (مارس) ١٩٤٤ . تلك الحركة التي يدعمها (اتحاد العلماء) ، الذي أسسه الشيخ بن باديس في عام ١٩٣١ ، وكان هذا التيار يهدف الى ظهور أمة جزائرية بالحفاظ على الدين بعد تنقيته ، وبالدفاع عن التقاليد الثقافية الاسلامية . وكانت الحركة مزيجا غريباً ، إلا أن عدد المنتمين وصل بسرعة إلى نصف مليون عضو ، وكأنه سيل عرم . إلا أن حزب الشعب الجزائري حافظ على استقلاليته داخل هذا التنظيم ، وتجاوز مناضلو مصالي (الذين تعودوا العمل السري والعمل التنظيمي) وجهاء فرحات عباس وطغوا عليهم بسرعة . وكرس مصالي الحاج ، في المؤتمر الذي عقد في عام ١٩٤٥ ، وبغياب فرحات عباس (زعيما بلا منازع للشعب الجزائري) و بدأت أسطورته تتثبت .

بعد شهرين من ذلك التاريخ وفي الثامن من أيار (مايو) ١٩٤٥ حدث الكابوس ، فجرى الدم في اصطيف وقالمة . والقمع بلا رحمة ، فتشتت أصدقاء الميثاق ، وحلت جمعيتهم ولاحقت السلطات المناضلين منها . فألقي القبض على فرحات عباس كما رأينا ، وأطلق سراحه بعد سنة ، عندها أسس عباس (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) الذي حقق نصرا حقيقيا في الانتخابات التشريعية ، وكان من بين الثلاثة عشر نائبا جزائريا في قصر بوربون أحد عشر من أعضاء الاتحاد .

بعد أن جوبه مصالي بهذا النجاح ، قرر هو الآخر أن يلعب بدوره لعبة الشرعية تحت اسم (حركة انتصار الحرية والديمقراطية) التي لم تكن سوى قناع لحزب الشعب الجزائري السري ، فقدم مصالي مرشحين للانتخابات في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٦ . وهكذا انقسمت حركة مصالي الحاج الى فرعين : الأول قانوني والآخر سري مكلف بـ (العمل المباشر) . وفي شباط (فبراير) ١٩٤٧ ولدت بصورة شبه رسمية (المنظمة الخاصة) .O.S وهي منظمة شبه عسكرية سيتدرب رجال أول تشرين الثاني (نوفمبر) فيها . وترتسم بذلك الخطوط الأولى لانقسام حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية ، بتوزيع الأدوار الذي تم في عام ١٩٤٧ .

كانت الحركة الوطنية ، التي اكتشفها فرانسيس وكوليت جانسون خلال رحلتهما الى الجزائر ، ما زالت تحت تأثير الصدمة التي ولدها العنف والقمع ، اللذين جاءا ردا على تمرد عام ١٩٤٥ ، كما أن هذه الحركة كانت قد جربت بمرارة حدود العمل القانوني . فانتخابات عام ١٩٤٨ كانت مزورة تزويرا كليا . والمشهد الذي قدمته الادارة الفرنسية في هذه المنافسة ، جرح بعمق رجلا عرف باحترامه للنظم الجمهورية مثل فرحات عباس . وقد شعر الزوجان جانسون من خلال اللقاءات التي تمت مع عاشق فرنسا الوفاق هذا ،

الذي خاب أمله ، بنضج تفكير سيقوده بعد سبع سنين من تلك اللقاءات الى الانخراط في صفوف جبهة التحرير الوطني .

دعي جانسون عام ١٩٥٠ إلى الجزائر لإلقاء سلسلة من المحاضرات حول مسرح سارتر . ورأى هناك الوجه الآخر . لقد عرف البؤس والمهانة التي ابتلي بها الجزائريون ، والثورة التي كانت تزمجر لدى المناضلين الوطنيين ، وها هو اليوم يرى الرخاء والغطرسة . يقول جانسون ((إن ما رأيته وسمعته خلال هذه الرحلة يشكل الصفحة الثانية من معلوماتي عن الجزائر ، فمشهد الحكام والمستوطنين هذه الطبقة المغرورة بامتيازاتها ، يوضح بجلاء التحليل الذي قدمه أصدقائي الوطنيون . وعندها شعرت بمدى اتساع عمليات القمع التي مورست في عام ١٩٤٥ ، وقد أراني احد المستوطنين يوما تلة في الساحة الرئيسية في إحدى القرى ، وقال بلهجة المنتصر وهو يشير إليها : أنظر لقد ثأرنا لكل واحد بألف !)) [١٨] وبعد هذه الجولة الحاسمة بالنسبة لمعالجته للمسألة الجزائرية ، نشر فرانسيس جانسون مقالاً في مجلة (اسبري) كان بمثابة جرس إنذار . واستمر الزوجان جانسون ، منذ ذلك الحين وحتى الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٤ ، على اتصال منتظم بالمناضلين الوطنيين الجزائريين المقيمين في العاصمة الفرنسية ، وعلى اطلاع بما يحدث على أرض الجزائر . وهكذا فإن انفجار الثورة لم يكن مفاجأة لهما . فقد كانا يعتقدان ، منذ زمن بعيد ، بأن الانفجار لا يمكن تجنبه . إلا أن هناك سؤالا كان يحيرهما : من هم هؤلاء الرجال الذين لجأوا الى استخدام السلاح ؟ .

لقد كان حزب مصالي الحاج ، منذ زمن بعيد ، ممزقا بين العمل السري والنشاط القانوني ، ويعاني من أزمة داخلية حادة . وكانت غالبية أعضاء اللجنة المركزية (الذين سموا بالمركزيين) يعارضون الزعيم المسن ، ويعيبون عليه تعاليه وأساليبه الإستبدادية . لذا قررت مجموعة من المناضلين ممن كانوا ينتمون الى المنظمة الخاصة ، التي شتتها قوات الشرطة في عام ١٩٥٠ أخذ المبادرة ، وتركت الطرفين يتنازعان ، وأسس أعضاؤها (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) في آذار (مارس) عام ١٩٥٤ . وحددت اللجنة هدفا وحيدا لها هو التحضير للثورة المسلحة . وكان الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) من مآثر هؤلاء . وقليلون هم أولئك الذين يستطيعون الادعاء بأنهم كانوا يعرفونهم ، بما في ذلك فرانسوا ميتيران وزير الداخلية ، الذي أخطأ بالرغم من كل المعلومات التي كان يزود بها ، فحل حركة انتصار الحرية والديمقراطية ، بقرار أصدره في الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر) ولم يكن لهذه الحركة ضلع بأي شكل من الأشكال في أحداث الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) .

كان الزوجان جانسون يرغبان بتأليف كتاب عن الجزائر . ويأملان التعرف على صانعي الثورة ، إلا أن السيد جانسون كان مصابا بالسل ، ولم يكن باستطاعته القيام بالتحقيقات اللازمة ، فقامت بها زوجته

---

(١٨) مقابلة مع فرانسيس جانسون ، حزيران يونيو ١٩٧٨ .

كوليت ، قالت كوليت : «وصلت الى الجزائر في شباط (فبراير) ١٩٥٥ ، وبدأت بلقاء أصدقائي من الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، علي بومنجل والدكتور فرانسيس ، وكانا حذرين جدا تجاه الثورة . ورأيت بعضا من أعضاء الحركة من أجل انتصار الحرية والديمقراطية ، الذين سألوني بلهجة تنقصها الدماثة ، عن سبب رغبتي بالاتصال برجال اللجنة الثورية للوحدة والعمل ، فقد كانوا يعتقدون بأن هؤلاء يقومون بعمل انتحاري . فاتصلت هاتفيا بالأستاذ مانندوز ، الذي أرسل لي الطبيب الشاب الدكتور بيير شوليه ، الذي قادني بدوره الى كوخ في ضواحي مدينة الجزائر . وهناك اكتشفت المناضلين الحقيقيين ، وفهمت بأن اللجنة تتمتع بتأثير واسع . وقبل مغادرتي بيوم واحد التقيت بصلاح الوانشي ، الذي كان ملاحقا منذ حل (حركة انتصار الحرية والديمقراطية) وكان مختبئا عند الأب سكوتو ، وهو صديق لماندوز ، ويعتبر من المعتدلين . إلا أنه مع ذلك كان أقل تحفظا من رفاقه المركزيين تجاه اللجنة الثورية للوحدة والعمل وقد قال لي : (ربما تكون العملية عملية انتحار إلا أنها ربما تكون أيضا نقطة بدء تطور) وعدت الى باريس ولخصت لفرنسيس مجمل انطباعاتي ، وهي أن أحداث الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) ليست حدثا عرضيا»(١٩) .

في الواقع ، إن ما كانت تسميه كوليت جانسون باللجنة الثورية للوحدة والعمل كانت قد حلت نفسها في الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) ، وكان (البيان الموجه الى الشعب الجزائري) الذي أصدره رجال الأول من تشرين الثاني يوم انطلاق الثورة ، موقعا بثلاثة أحرف ، اختصارا لثلاث كلمات هي (جبهة التحرير الوطني) التي أعلن البيان صك ولادتها . وأسس مصالي الحاج ردا على ذلك ما سمي : بالحركة الوطنية الجزائرية ، وبدأ الصراع .

في ربيع ١٩٥٥ وبينما كان الزوجان جانسون منهمكين في تحرير كتابهما ، تلقيا رسالة من الجزائر ، تعلمهما عن استعداد مناضلين خرجوا مؤخرا من السجون للقائهم . وتقول كوليت : (سافرت الى الجزائر في أيار (مايو) ، ولم أنزل في الفندق ، ذلك لأن الشرطة كانت قد كشفتني خلال إقامتي السابقة ، وكان البعض ينتظرني ، وتحركت بسرية تامة ، والتقيت بالسيد بن خدة الزعيم المركزي الذي أطلق سراحه مؤقتا . وكانت لديه تجاه اللجنة الثورية آراء صلاح لوانشي نفسها ، وقدم لي معلومات جيدة جدا ، ثم قام بيير شوليه بتحقيق في الجبال أبلغنا محتواه) .

وهكذا كان الكتاب الذي سلمه الزوجان جانسون الى دار النشر (لوسوي) كتابا موثقا مليئا بالملاحظات الجديدة . إلا أن البحث عن الحقيقة مزعج بالرغم من أنه ليس ثوريا دائما . خاصة وأن المؤلفين تحت ضمير (أنا) مشتركة يعلنان منذ البداية اتجاههما السياسي . فيقولان (إنني لا أدعي بأنني أنكب على دراسة القضية الجزائرية ، فالمرء لا ينكب على دراسة قضاياه الخاصة وإنني لن أحاول أن أكون حياديا ، إذ أنني لا أرى كيف يمكن لمواطن فرنسي أن يكون محايدا ، عندما يرسل مجندون من بيري وإيل دي فرانس ، أو

---

(١٩) مقابلة مع كوليت جانسون ، تموز (يوليو) ١٩٧٨

من أرتو إلى هناك ، يطلقون نيران رشاشاتهم بأسنة ، على شكال مذبت في أربع محافظات فرنسية) وجاز
من هذا النموذج ، مع تصميم على عدم تقاليم دراسة أدبية بل على (طرح وجهة نظر الجزائريين أنفسهم تجاه
ماضي العلاقات معهم وحاضرها) تثير وتقلق لجنة القراءة . ويحسر جان ماري دوميناك ، مدير (مجلة
اسبري) عن تحفظه الشديد ، إلا أن جانسون يهدد بالتوجه الى دار نشر أخرى ، ويصحح مدير الدار في
الحصول على الكتاب ، بالرغم من انه لا يقاسم جانسون آراءه . وقد سأل جانسون (هل ما تقوله هو
الحقيقة ؟) . . . (إذن يجب نشرها) . وهكذا صدر كتاب (الجزائر خارج القانون) في كانون الأول
(ديسمبر) عام ١٩٥٥ ولم يستقبل بباقات الزهور ، تعالى ذلك من اليسار الفرنسي ، ولاحظ دانييل غيران في
مجلة فرانس أوبسرفاتور ، بأن الكتاب عمل شجاع ، إلا أنه شكك بحياده تجاه مصالي الحاج . وتردد جان
دانييل في الاكسبريس بعد قراءته بين (الحزن والسخرية) ويعيب جان دانيال وهو المتهم مباشرة بهذا النزاع
الذي يلمس الأرض التي ولد فيها ، والذي سيثبت طيلة سني الحرب وضوحا في الرؤية ، يعيب على جانسون
(بأنه يضيع في مزاودات ماروشية ، تقوده الى فضائح عاتية والى مرارة طفولية) [٢٠] ويعلق فيما بعد على رد
فعله فيقول : لقد كان كتاب جانسون إنجيل الثوريين ، وصك ولادة الثورة الجزائرية والدولة الجزائرية ،
إن جانسون فرنسي أعطى للجزائريين ، من خلال حساسيته الثورية ، وتشوه حاجات اللاشعور الجماعي
للثورة الجزائرية ، الأداة التي تنقصهم لاقامة هذا النوع من الاستمرارية بين ماض جرد من شخصيته ،
ومستقبل أعيد بناؤه عقائديا . أما من الزاوية النضالية فليس لأحد أن ذلك جميل جدا . وأما من زاوية الواقع
التاريخي فإن الأمر يختلف ، فكتاب جانسون كان لامعا وعميقا ، إلا أنه يخطىء من زاويتين : أولا لأنه
يستبعد الخصوصية العربية الاسلامية ، وثانيا لأن الاستمرارية تثبت فيه وكأن فرنسا لم تكن سوى حملة
صغيرة بين قوسين دون أي جذور) [٢١] .

وفي نهاية عام ١٩٥٥ ، كان كتاب (الجزائر خارج القانون) يمارس تأثيرا هاما على المناضلين ضد
الاستعمار . ويكاد جميع من انخرطوا في الشبكات المتضامنة مع الجزائر يستمدون منه الأساس النظري
لنشاطهم .

كان الصحفي روبير بارا ، الموفد الخاص لمجلة الاكسبريس في المغرب ، عندما وصله نبأ المجازر التي
جرت في ٢٠ آب (أغسطس) ١٩٥٥ في شمال منطقة قسنطينة . وكانت المنطقة كلها في حالة ثورة بقيادة
زيغوط يوسف رئيس الولاية الثانية ، وقد تمت مهاجمة خمسة وأربعين هدفا عسكريا ومدنيا في آن واحد ،
واغتيل واحد وسبعون أوروبيا ، ووقع ضحية القمع آلاف الضحايا المسلمين . وكانت الصدمة عنيفة لدى
الرأي العام الفرنسي . فقد مضت عدة أشهر وكبار المسؤولين الفرنسيين يكررون بأن الاضرابات في الجزائر ،
هي من فعل عصابات متمردة معزولة عن الغالبية العظمى من السكان . إلا أن أحداث منطقة قسنطينة ،

---

(٢٠) الاكسبريس ١٣ شباط فبراير ١٩٥٦ .
(٢١) مقابلة مع جان دانيال ، تشرين الاول اكتوبر ١٩٧٨ .

التي حدثت بينما كان الفرنسيون يقضون عطلتهم الصيفية ، كشفت عن حركة شعبية حقيقية عنيفة دامية فالتة الزمام ، إلا أنها جماهيرية ، وهكذا بدأت بالنسبة لكثير من الفرنسيين في ذلك اليوم حرب الجزائر .

لم تفلت أهمية المجزرة من المراقب الثاقب البصر « بارا » الأمين العام السابق للمركز الكاثوليكي للمثقفين الفرنسيين . لقد كان بارا من العارفين بالمغرب العربي ، وله علاقات مع أغلب وطنيي أفريقيا الشمالية ، فهرع الى الجزائر لإجراء مقابلة مع الحاكم العام سوستيل ، وغداة يوم وصوله الى الجزائر ، اتصل به بعض أصدقائه وعرضوا عليه إجراء لقاء مع عدد من قادة جبهة التحرير الوطني، فقبل ، وهكذا أدخل حالا ، وفي قلب العاصمة الجزائرية الى عبان رمضان ، الذي لم يكن قد أصبح بعد منظر الثورة ، وعمر عمران نائب رئيس ثوار منطقة القبائل . ودام اللقاء ست ساعات ولم يتوقف (بارا) خلالها عن تسجيل الملاحظات . وعبر (بارا) في نهايته للقادة الجزائريين ، عن رغبته بإجراء تحقيق صحفي في القطاعات التي تسيطر عليها جبهة التحرير الوطني . وتمت الموافقة على طلبه وبدأت الجولة فوق حوانق (شعب) باليسترو ، حيث التقى هذا الفرنسي بحوالي خمسة عشر ثائرا وكان سيقا عظيما .

إلا أن روبير بارا ، هو مسيحي يتألم من هذه الحرب قبل أن يكون صحفيا . وكان عبان رمضان قد عرض أمامه مطالب جبهة التحرير الوطني لوقف إطلاق النار وهي : وقف العمليات العسكرية ، وإطلاق سراح المعتقلين ، والاعتراف بحق الجزائر بالاستقلال . وأعلم بارا المسؤولين الجزائريين بنيته في إبلاغ السلطات الفرنسية بذلك . فوافق القادة الجزائريون على اقتراحه وأضافوا مؤكدين استعدادهم لأي لقاء يمكن أن يقود الى انفراج في الأوضاع .

يقول روبير بارا (اتصلت حال عودتي الى الجزائر في مساء اليوم نفسه بحاك سوستيل ، وكدت لا أعرف صوته فقد كانت لهجته حاقدة ، وطلبت منه بإلحاح أن يستقبلني ، وقلت له بأن لدي معلومات ذات أهمية سياسية كبرى من أجل الوصول الى وقف النار ، غداة أحداث العشرين من آب (أغسطس) ورفض سوستيل مقابلتي)[22]

وعاد بارا الى باريس وأبلغ فانسان مونتي ، أحد العاملين في مكتب سوستيل فحوى مناقشاته مع قادة الثورة . وأوضح له بأنه إن لم يتلق جوابا من الوزير خلال خمسة عشر يوما فإنه سيعلم الرأي العام بما يعرفه .

نشرت مجلة فرانس أوبسرفاتور في عددها الصادر في ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٥ تحقيقا تحت عنوان (صحفي فرنسي يزور الجزائريين الخارجين على القانون) أذهل الجمهور . وبررت أسرة التحرير في مقدمة المقال نشر هذا التحقيق قائلة : (أننا نعتقد بأننا نتركهم يجهلون وجوه الحقيقة التي ستظهر عاجلا أم آجلا ، وسنخدع الرأي العام الفرنسي اذا تركناه يعتقد بأن ليس في الجزائر سوى قطاع الطرق . لأن هناك ، وبصورة أساسية في الجبال رجالاً تحركهم مطالب سياسية) .

---

(٢٢) شهادة روبير بارا ، نشرت في ليستوريا - ماغازين (حرب الجزائر) رقم ٢٠٩

وبعد يومين من ذلك ، تلق مفتشون من المخابرات العامة بآنت بارا ، فقد أصدر وزير الدفاع مذكرة توقيف بحقه ، بناء على طلب من جاك سوستيل - وأصدر رئيس الوزراء إدغار فور في مساء اليوم ذاته أمرا بإطلاق سراحه . وظهرت إحتجاجات من اليسار ، وطرحت الصحف على طول أعمدتها السؤال السرمدي : هل للصحفي الحق في نقل معلومات حصل عليها من الخصم ؟ وحيث مجلة الاكسبرس ، التي رفضت نشر التحقيق (هذا الصحفي الشجاع) وقال بارا فيما بعد (أن القليل من الناس اهتموا بعمق المسألة وهو : (هل ما قاله قادة التمرد صحيح أم لا ؟) .

ومع ذلك فإن الفئة المناضلة الاكثر تأثرا أخذت تتحرك ، على عكس الجماهير العريضة ، والقسم الأكبر من أولئك الذين كانوا يسترخون طربا على أنغام التراتيم الحكومية ، ولكن حفنة من الناس ، أولئك الذين يهمهم الأمر ، والذين كانوا أكثر الناس تصميما ، هم الذين كانوا يعرفون الحقائق .

جاك بيرتليه ، طالب الكهنوت السابق ، الذي هزت كيانه الحرب الاستعمارية ، والذي يعمل ، منذ ست سنوات في إطار المنظمات الشبيبة كان قريبا من الجزائريين قبل ثورة الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) ، وعايش المشاكل المغربية نتيجة مشاركته في نشاطات مجموعة محدودة جدا ، إلا أنها مجموعة تعرف الكثير ، فهي تضم مهاجرين وطنيين من مختلف الاتجاهات ، وفرنسيين مسيحيين وماركسيين .

وكان يقود هذه النواة التي اختارت لنفسها إسما له مغزاه (مجموعة التعاون) أحد المسؤولين السابقين من (العمل الكاثوليكي) والمدعو روجيه كولاس الذي كان صديقا ومراسلا في باريس لاندريه ماندوز .

أما ماندوز فقد كان أستاذا جامعيا من مؤسسي (تيمو انياج كريتيين) (الشهادة المسيحية) خلال الاحتلال الالماني ، أقام بعد تحرير فرنسا في الجزائر ، بعد أن برز بسبب الكفاح ضد المحتل النازي . وذهب ليكشف عن آثار مرور ديغول ، فاكتشف مجتمعا مغلقا لم تهزه الحرب ، ووجد على الجدران صورة المارشال بيتان الى جانب الصليب ، وبعد أن عين أستاذا في جامعة الجزائر ، أخذ يستعلم عن واقع العالم الاستعماري لدى العناصر الوطنية . وكان من بين الذين وقعوا على الوثيقة (السوفة) [33] التي نشرتها مجلة « اسبري » في عام ١٩٤٧ ، والتي كانت تحذيرا بلا جدوى . وجمع ماندوز حوله حلقة حاولت جهدها أن توقظ ، لدى الجالية الفرنسية ، فكرة المطالب الجزائرية ، فأسس في عام ١٩٥٠ مجلة (الضمير الجزائري) التي استمرت في الصدور سنة واحدة ثم توقفت ، وبعثت من جديد في عام ١٩٥٤ تحت اسم (ضمائر مغربية) [34] .

كانت هذه المجموعة التي لم يكن لها تأثير كبير على جماهير أوروبيي الجزائر هي الجزيرة الوحيدة بين

---

(٣٣) (الاستحالات الجزائرية او اسطورة المحافظات الثلاث) ابسري تموز (يوليو) ١٩٤٧ في اطار السلسلة التي طلبها اماتويل مونييه حول موضوعة (تحت الحرب في افريقيا الشمالية) .

(٣٤) ج.ر. هنري، دراسة غير منشورة

فرنسي ما وراء البحار ، التي تعترف بالجزائر كأمة ، والتي نسجت علاقات طيبة مع المناضلين الجزائريين . وهكذا فإن الصداقات السياسية ، والتقارب الثقافي ، التي قامت في حينه ، ستكون ذات وزن بعد الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٤ ، وتحافظ على الجسر الصغير بين الوطنيين والمناهضين للاستعمار من الأوروبيين، وأصبح منزل ماندوز ندوة يتم فيها تبادل المعلومات وتحضير المعركة .

وفي باريس ، كانت مجموعة التعاون ، التي ينشط فيها بيرتليه هي الجواب الايديولوجي لـ (ضمائر مغربية) ، وكان تدخلها سياسيا واجتماعيا أيضا ، لمساعدة العمال المهاجرين . وفي هذه الخلية التي تجاور فيها الشيوعيون المعارضون ، مع بقايا التروتسكية ، والمحرضون لما سيسمى فيما بعد باليسار الجديد ، أخذت قضية استقلال الجزائر تتغلغل في النفوس . إنها حلقة تكاد تكون سرية ، فهي مجهولة من الأكثرية . وكان محدودا أيضا الفريق المسيحي التقدمي الذي يصدر (لاكانسزين) . وهؤلاء بدورهم لم تدهشهم الانفجارات التي جرت في الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) ، واتخذوا بعدها مباشرة موقفا واضحا أثقل ملفاتهم في روما ، التي اعلموا منها في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥ بقرار المنع البابوي[25] . ولم توهن عزيمتهم فعادوا الكرة بإصدار نشرة دورية أكثر تواضعا (لوبولتان) .

إلا أن القوى التي كانت تبحث بإصرار عن (طريق ثالث) بين الستالينية الجامدة والاشتراكية الديمقراطية التكرية كانت أقل انعزالا ، وبعد محاولات متكررة ، تجمع رواد اليسار الجديد تحت هذا الإسم في نهاية عام ١٩٥٤ . وكان كلود بورديه وجيل مارتينيه الصانعين الأساسيين لهذا الدمج . وهكذا فإن مناضلي هذا الدرب الحساسين تجاه قضايا الاستعمار ، كانوا غالبا من المسيحيين المجبولين بالانسانية والمولعين بمثل عليا بسيطة ، كالمساواة والعدالة ، وأصبحوا الخميرة الأساسية لتحول عميق ، ليهتك اليسار الصغير اليسار الكبير .

وفي هذه اللوحة من الأقليات المزعجة ، التي تحاول ان توصل الاحساس بالخطأ للايديولوجيات الواثقة من نفسها نجد أن التروتسكيين المبعدين الأزليين عن الحركة العمالية ، فهم ليسوا إلا حفنة ترفع راية مؤسس الجيش الأحمر ، إلا أنهم ما زالوا ممزقين . ففي عام ١٩٥٢ انقسمت الأممية الرابعة الى مناصرين للدخول في الأحزاب الشيوعية ، وآخرين يريدون الحفاظ على استقلاليتهم ، وتبعت الغالبية العظمى من الـ ٢٠٠ تروتسكي فرنسي بيير لامبير في انشقاقه ، أما الآخرون فقد انضموا مع بيير فرانك الى الحزب الشيوعي الأممي ، الذي كان يريد انضمام أعضائه الى الحزب الشيوعي الفرنسي .

هل طريق الثورة معقد الى هذا الحد ؟ بالنسبة للجزائر على الأقل ، اتخذ الحزب الشيوعي الأممي موقفا واضحا ، وكان المنظمة السياسية الوحيدة التي طالبت باستقلال الجزائر منذ عام ١٩٥٤ . أميول

(٢٥) اندريه ماندوز في الكانزين ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ والجزائر ، التي ستضع نهاية لتشكيل حُلبوت من الإرهاب المسموح به : الشرطة والصحافة؟) وفي المجلة نفسها في ١٥ كانون الاول ١٩٥٤ (الجزائر فرنسية . . .) .

بجوهرهم ، مناهضون للاستعمار دون تحفظ ، هذا حافظ التروتسكيون منذ وقت طويل على علاقات مع الحركة الوطنية الجزائرية . كان ميشيل رابتيس وهو مهندس يوناني أصبح من المحرضين على الثورات ويرأس شؤون الأممية الرابعة ، وكان النحفي يسمونه بابلو . هذا الرجل الذي كان يرى المستقبل ، هو من عشاق التحليل الثوري ، الذي كذبت الوقائع دائما تنبؤاته . كان واسع الثقافة ، ورث عن أصله المتوسطي حب الاتصال المباشر والفوري . وسيراه يلعب دورا هاما طوال سني حرب الجزائر في دعم جبهة التحرير الوطني . وها هو يقول (لقد رافقنا على الكفاح المسلح منذ اندلاع الثورة ، ولكن لا يكفي أن يكون للمرء موقف صحيح ، وأن يقدم الدعم السياسي . فلا بد من الالتزام التام . إننا نعتقد بأن كل ثورة ضد الاستعمار يجب أن تلاقي الدعم . أضف إلى ذلك أن معركة الجزائر تهمنا مباشرة نظرا للتأثير الذي يمكن أن تمارسه على الحركة الثورية في فرنسا) [36]

وهكذا كان الشيوعيون الأمميون موفقين بهذه الملاحظات ، ومن بين الأوائل الذين سيقدمون (خدمات عديدة للجزائريين)

هذه العناصر المتنوعة ، من مسيحيين متدينين ، وشيوعيين هامشيين ، وتروتسكيين ، وباحثين عن إقامة يسار جديد ، والتي كانت تحاول منذ الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) ، وتفشل باستمرار ، أن تشرح للجماهير العريضة ماهية ما يحدث في الجزائر ، رأت في مظاهرات المجندين في خريف عام ١٩٥٥ نوعا من اليقظة . وجرت أحداث مماثلة لأحداث محطة ليون في باريس ، وروان ، وفي تور ، وفالانس ، وتانت . وفي مطلع شهر تشرين الأول (أكتوبر) تجمعت جميع الفئات الشابة التي يضمها اليسار ، في لجنة أخذت على عاتقها معارضة إرسال المجندين إلى الجزائر . وانسحب من هذه اللجنة فيما بعد الشبيبة الاشتراكية تحت ضغط الأمين العام للحزب الاشتراكي غي موليه .

وتذرعت شبيبة الحزب الشيوعي و اتحاد الشباب الجمهوريين الفرنسيين) [37] الذي يترأسه بول لوران بهذه الحجة وانسحبت من اللجنة أيضا ، وتبعتها الشبيبة العمالية المسيحية . وبقيت فيها بعض الحركات المتحررة ، والتروتسكيون ، واليسار الجديد ، وجمعية بيوت الشباب ، وشبيبة نقابات (القوى العاملة) ، والطلاب الاشتراكيون الذين يتزعمهم شاب أكثر يسارية من الحزب الأم هو ميشيل روكار .

وتمكنت هذه الفئات مع ذلك ، من الدعوة لمهرجان خطابي في « الموتياليتيه » في باريس في الثالث عشر من تشرين الأول (أكتوبر) ، إلا أن السلطات منعت عقد هذا المهرجان ، فتحاورت اللجنة القرار وقررت القيام بمظاهرة في باريس بين ساحة موبير وبولفار سان ميشيل ، إلا أن المظاهرة قمعت بعنف ، ولم تستمر اللجنة أكثر من استمرارية مناداتها التي كانت تريد إيجاد قاسم مشترك بين الفئات التي تشكلها .

(٣٦) مقابلة مع ميشيل رابتيس ، تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٧٥ .
(٣٧) اتحاد الشباب الجمهوري في فرنسا

وتابع المثقفون هذا النشاط ، من شيوعيين تركوا الحزب الشيوعي الفرنسي خلال الحملة الناهضة لتيتو أو ممن طردوا من الحزب ، مثل روبير انتلم ، وديونيس ماسكولو ، وإدغار موران ، والفوا في تشرين الأول (أكتوبر) لجنة من المثقفين للعمل ضد متابعة الحرب في الجزائر . يقول إدغار موران مع قليل من المبالغة (لقد كانت موجة عميقة تحاول التشكل في البلاد ، فرأينا التكتات تهاجم ، والمجندين يكثرون الضجيج ، وآخرين يريدون الحرب ، والحزب الشيوعي يبذل كل الجهد لاحتواء الحركة وتوجيهها في اتجاه قانوني ، والاكتفاء بالعرائض وقصم ظهر الحركة . أما نحن فكنا نريد القيام ضد مبدأ الحرب الاستعمارية ومن أجل مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها) [28].

نشرت مجلة الاكسبريس في عددها الصادر في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) بيان اللجنة الذي يطالب (بإجراء مفاوضات فورية مع ممثلي شعوب أفريقيا الشمالية ، وبصورة خاصة مع ممثلي الشعب الجزائري) . وانضم الى اللجنة بعد ذلك العديد من المثقفين ، كان من بينهم فرانسوا مورياك ، وجان بول سارتر ، كما انضم عدد من الشيوعيين . [29]

وفي الثالث والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) هرب حوالي مئة من المجندين الاحتياطيين من معسكرهم في كوربفوا ، وتظاهروا في شارع الشانزيليزيه . وكانت مفاجأة نهاية هذا الخريف الساخن ، قرار رئيس مجلس الوزراء بحل الجمعية الوطنية (البرلمان) في الثاني من كانون الأول (ديسمبر).

---

(٢٨) إدغار موران ، نقد ذاتي ، جوليار ، ١٩٥٩ .
(٢٩) تجمع الشيوعيون أنفسهم في لجنة عمل ضد الحرب في افريقيا الشمالية .

٢

العار الجمهوري

في هذا اليوم ، الثاني من كانون الثاني (يناير) ١٩٥٦ ، كانت فرنسا ما زالت مخدرة بولائم سهرة أعياد رأس السنة ، واتجهت مع ذلك الى صناديق الاقتراع ، وسيطرت حرب الجزائر على الحملة الانتخابية التي انتهت في ذلك اليوم . وقد أعرب قادة الجبهة الجمهورية ، التي تضم الاشتراكيين ، وجماعة مانديس فرانس ، وأصدقاء ميتران ، ورفاق شابان دلماس (الجمهوريين الاجتماعيين) عن آمالهم بوقف (هذه الحرب الغبية التي لن تقود إلى شيء) كما وصفها غي موليه بشيء من الواقعية . أما الحزب الشيوعي فقد نشط في تحرك كبير من أجل السلام ، ولكن لم يتحدث أحد عن الاستقلال ، إلا أن فكرة التفاوض كانت تجول في خاطر الناس الأكثر وعيا من غيرهم .

وغداة يوم الاقتراع ، الذي كرس النجاح النسبي للجبهة الجمهورية وتقدم البوجادية[1] ، كانت حسب الحسابات الرقمية أكثرية تقف الى جانب السلام . وكان موريس توريز زعيم الحزب الشيوعي ، قد وجه على موجات الاذاعة قبل بضعة أيام من الاقتراع ، نداء ملحا قال فيه (إننا نعلن مرة أخرى ، أننا مستعدون ، غداة الانتخابات ، للتفاهم مع الحزب الاشتراكي والزمر اليسارية الأخرى من أجل إقامة الحكومة التي تنتظرها البلاد)[2] وأخذت أسطورة الجبهة الشعبية تظهر من خلف الكلمات . إلا أن الرئيس رونيه كوتي ، الذي كان يشغل قصر الأليزيه ، ترك لنفسه فترة تفكير قبل أن يسمي الرجل الذي سيكلفه برئاسة الحكومة المقبلة ، ومضى كانون الثاني (يناير) ١٩٥٦ كله في جو شائعات وهمهمات ، وبدا مانديس فرانس ، الذي ، تدعمه بشدة مجلة الأكسبريس (التي تحولت الى جريدة يومية في تشرين الأول السابق) يظهر وكأنه رجل الساعة . لقد بدا مانديس فرانس في هذه المرحلة من فراغ السلطة وكأنه سيسد هذا الفراغ ، كما كان في مركز الاتصالات التي كانت تتم في محاولة لايجاد حل في الجزائر .

قبل ذلك وخلال الحملة الانتخابية ، جرى لقاء بين بيير مانديس فرانس واثنين من ممثلي جبهة التحرير الوطني . وتم هذا اللقاء الذي دبره روبير بارا ، في مقر الحزب الراديكالي ، في ساحة فالوا بباريس . فهل

---

(١) اسم كان يطلق على اتحاد الدفاع عن التجار والحرفيين ، وهي حركة أسسها بيار بوجاد عام ١٩٥٤ . ويستخدم كاصطلاح تحقيري للدلالة على الموقف المتعصب بالقطبية وقصور النظر .

(٢) خطاب ألقاه في الاذاعة في ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٥ .

كان مانديس فرانس يعرف مهام مفاوضيه ؟ لقد كان أمامه أحد طالب من الطلاب الجزائريين المنتمين الى جبهة التحرير الوطني في فرنسا ، وصالح الونشي أحد القادة الجزائريين في فرنسا . وهو الرجل نفسه الذي التقت به كوليت جانسون سريا عند ماندوز خلال رحلتها الى الجزائر ، وتعددت المناقشات بين رئيس الوزراء السابق والمناضلين الوطنيين بتبادل المعلومات .

في كانون الثاني ، (يناير) عادت الاتصالات ، وطلب روبير بارا وجان دانيال الى ماندوز مرة أخرى ، بأن يسبر رأي جبهة التحرير ، وأن يأتي الى باريس حاملا الاقتراحات الجزائرية إن أمكن ذلك . فالتقى ماندوز بعبان وبن خدة الزعيم المركزي الذي انضم الى جبهة التحرير ، وبين المناضلان شروطهما بدقة . وفي السادس والعشرين من كانون الثاني (يناير) وصل ماندوز الى باريس ، وكان يعرف كيف يمكنه الاتصال بسرعة بعبان وبن خده ، واتفق على موعد مع مانديس فرانس بواسطة بارا . إلا أنه في هذا اليوم ٢٦ كانون الثاني (يناير)، كان رئيس الجمهورية قد كلف غي موليه بتشكيل الحكومة الفرنسية ، مما ولد الخيبة في صفوف التقدميين . ومع ذلك قابل ماندوز مانديس فرانس ، ونقل إليه رسالة قادة جبهة التحرير الوطنية ، وفي السابع والعشرين من كانون الثاني (يناير) تحدث ماندوز من على المنبر في صالة (فاغرام) خلال مهرجان خطابي عقد من أجل السلام . وقال ماندوز فيما بعد (لقد قررت أن أموه بأكبر قدر من الوضوح ، لكي أتمكن من القيام بمهمتي بأكبر سرية ممكنة . وقد نقلت للمجتمعين تحيات المقاومة الجزائرية)(*) .

وبالفعل كيف يمكن الشك بأن خطيبا كثير الجلبة بهذا الشكل يمكن أن يقود مفاوضات سرية ، وعاد ماندوز والتقى بمانديس الذي سمي وزيرا بدون وزارة في حكومة غي موليه ، وحمل إليه الجواب الذي لم يكن مشجعا إطلاقا ،ولم يكن رئيس الحكومة ليفكر بشيء آخر سوى بزيارته للجزائر المقررة في السادس من شباط (فبراير) وبعد أن التقى ماندوز بجاستون ديفير ، والآن سافاري ، عاد هو الآخر الى الجزائر ، إلا أنه لم يلبث طويلا وعاد الى باريس بعد ثلاثة أيام . وبعد أن علم أي أسلوب يحضره المتطرفون لاستقبال رئيس الحكومة . وبينت المظاهرات المجنونة التي رافقت جاك سوستيل الى مكتبه بوادر ما سيحدث ، فقد استؤجر رجال لتحضير التمرد . وتمكن ماندوز بفضل تدخل بيير مانديس فرانس الذي كان يعتقد بجدية هذه التهديدات ، من شرح الموقف للسيد فوكون نائب رئيس مكتب غي موليه الذي أكد له بأن الاحتياطات ستضاعف .

في الخامس من شباط تجمع أكثر من ألفي موفد من (٦٧) محافظة في مونتروي بمناسبة يوم عمل ضد حرب الجزائر . ويرجع فضل المبادرة للقيام بهذه التظاهرة الى اللجنة المشكلة من أجل إيجاد حل سلمي لمشاكل افريقيا الشمالية ، التي تعتمد على شبكة من المنظمات المحلية . وتحدث ممثلو كل مقاطعة عن نشاطاتهم ،

(*) محادثة جرت مع الكاتب مع اندريه ماندوز في حزيران (يونيو) ١٩٧٨ .

ويدعم ذلك يوما بعد يوم، إلا أن ملشيور شوالي لم يكن هذا الهدف المعلن. ووضع المؤامرة التي تحاك في الجزائر ليوم الغد. وكان في الصالة جاك بيرلتيه المسيحي الشاب الذي ينتمي إلى مجموعة «تعاونوا» والذي قال فيما بعد: وسيطر الحماس الشديد على الجمهور بعد انتهاء خطاب ملشيور، وأخذوا يهتفون. الجميع إلى ماتينيون... إلا أن الشيوعيين تداعوا بسرعة وجود بعض التروتسكيين المحرضين، وطالبوا بإرسال وحدة فقط. أما ماتينيون فقد كان مدعوا لا معنى لها، وصرحنا بأن الحرب قائمة لا محالة »[1].

بسيط وساخر وصريح الرؤية هذا. وما لا يعرفه الجميع: يسجل يوم السادس من شباط (فبراير) في التاريخ تحت برج الأمور المنتهية. فالاستسلام في موليه للمتطرفين، واستقالة الجنرال كاترو (الذي سمي قبل بضعة أيام وزيرا مقيما) وتبديله بوزير مقيم جديد هو الشتراكي، وأحد رجال المقاومة الفرنسية السابقين، روبير لاكوست. العلاج والمشروع. كل ذلك يدخل في المنطق نفسه. فلم تمض إلا بضع ساعات حاسمة حتى انقلب الناطق باسم الاشتراكية انقلاباً كلياً. فها كلّه السلم يطل، وإذا بالحرب تقوم. وأصبح القضاء على التمرد هو الهدف الأساسي الذي وضعه لاكوست لنفسه منذ وصوله إلى الجزائر. الإصلاح نعم، ولكنه أجل إلى أن يعود النظام إلى البلاد. وتراجع غي موليه وزيره وجهة نظره بعد جولة تفتيشية في الجزائر. وبالرغم من أن غي موليه لم يكن يجهل بأن أي حل لا بد أن يتضمن المفاوضات، إلا أنه اتبع سياسة تفترض مضاعفة الجهد العسكري[2]. وفي الأول من آذار (مارس) رفع إلى مكتب الجمعية الوطنية مشروع قانون خاص جدا وافق عليه مجلس الوزراء، وبدأت الجمعية مناقشة القانون في الثامن منه. وألقى لاكوست خطابا مطولا رائع فيه مطالبا بوجود كثيف في الجزائر وقال: (إن استتباب النظام لا يمكن أن يرتبط بأي شرط أيا كان نوعه). وامتدت الثورة. فالقوة تأتي من اللجوء إلى القوة وحذر موريس بورجس - مونوري رئيس الوزراء (من كل تراجع لا عودة عنه). وهكذا نرى أن غي موليه الذي تحدث في خطاب الثقة الذي ألقاه أمام البرلمان قبل شهر عن (الشخصية الجزائرية) يصرح في المجلس نفسه: (إننا نرفض رفضا قاطعا فكرة قيام دولة جزائرية لأنها لا تستند إلى أي واقع). ثم يطرح الثقة على مجمل مشروع القانون. كانت المواد الأربع الأولى من القانون تتناول التدابير الاقتصادية والاجتماعية المختلفة. أما المادة الخامسة فكانت مختلفة تماماً وتقول: (تتمتع الحكومة في الجزائر بأوسع السلطات لاتخاذ أي تدبير استثنائي تفرضه الظروف، وذلك بهدف إقامة النظام، والدفاع عن الأشخاص والممتلكات والحفاظ على التراب).

لم يكن لدى القادة الشيوعيين أي وهم حول أبعاد المادة الخامسة من القانون. وقد بين ذلك جاك دوكلو إثر لقائه مع غي موليه عندما قال: «إن المادة الخامسة من مشروع القانون الذي تقدمت به الحكومة، والذي يهدف إلى إعطائها أوسع السلطات، لاتخاذ التدابير الاستثنائية بهدف إعادة النظام، قد يفتح الطريق

(3) مقابلة جرت مع جاك بيرلتيه في كانون الأول (ديسمبر) 1975.
(4) حرب مقاومة كتب المجتمعات السرية مع جبهة التحرير فقاتلها الاستعمارية بسبب في الجزائر بموافقة غي موليه ... إلا أنها ... في شهر آذار (مارس) 1956.

أمام الأحداث، لن تسهل تسوية المشكلة الجزائرية، بل على العكس ستساهم في زيادة خطورتها»[1]. أما في إطار الحزب الشيوعي فقد كان النقاش حاداً. وحاول سيمون بلومنتال أمين فرع مونتروي أن ينظم في المدينة، التي يمثلها جاك دوكلو في البرلمان، الكفاح ضد الحرب. والتقى عشية الاقتراع بدوكلو، وقال بلومنتال فيما بعد: (قلت له أن غالبية مكتب الفرع ضد السلطات الخاصة، وأن الحزبيين متأثرين جدا. فأجابني دوكلو: في الواقع ليس هناك سوى شيء واحد يقلقنا، وهي اللغة التي ترمي إلى تدعيم الجيش)[2].

وناقشت اللجنة المركزية قضية تصويت النواب الشيوعيين. وقال أحدهم وهو جان برونتو فيما بعد: (كنا بضعة نواب من المقاطعات، حوالي العشرة، عارضنا السلطات الخاصة، ربما لأننا كنا أكثر حساسية في مقاطعاتنا تجاه الحركة التي كانت تتضح معالمها ضد الحرب في الجزائر، إلا أن دوكلو أقنعنا خلال اجتماع المجموعة البرلمانية)[3]. ووافقت الجمعية الوطنية مساء يوم 12 آذار (مارس) على القانون بأغلبية ساحقة. وأكد جاك دوكلو في خطابه مبررا تصويت النواب الشيوعيين لصالح القانون بأن الحزب الشيوعي لا يمكن أن يضحي (بالجبهة الموحدة) و(بوحدة العمل)، بقطع أوصالها بسبب (مشكلة معينة) مهما كانت هامة. ومن المناسب هنا الملاحظة بأنه حتى بدون تصويت النواب الشيوعيين فقد كان القانون سيفوز مع ذلك.

(لقد شعرت بأن تصويت الحزب كأنه خيانة حقيقية) هذا ما قاله جاك تريبوتا، الذي كان عضوا في الحزب الشيوعي منذ تحرير فرنسا، والذي استدعي لخدمة العلم في الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) 1954، إنه مجاز من المعهد العالي للدراسات السياسية[4] عين في الدائرة السياسية التابعة للجيش في الجزائر. وهناك أخذ علما بنتائج التصويت على القانون، وكانت صدمة عميقة له. وستؤدي هذه الصدمة إلى انخراطه فيما بعد في صفوف الداعمين لجبهة التحرير الوطني[5]. وشعر العديد من الشيوعيين، بشعور الضياع نفسه فهم يعتبرون أن تصويت يوم 12 آذار (مارس) كان خطأ تاريخيا يثبت قناعاتهم بضرورة العمل بصورة أفضل من أجل الجزائريين[6].

في فجر يوم 31 آذار (مارس) زار مفتشو المخابرات الفرنسية (الدفاع عن أمن الوطن)، منازل خمسة من أعضاء هيئة تحرير مجلة فرانس أوبسرفاتور. فقتشوا شقق جيل مارتينه، وروجيه ستيفان، وهكتور

(1) الأومانيتيه 7 آذار (مارس) 1956.
(2) مقابلة جرت مع سيمون بلومنتال في شباط (فبراير) 1976.
(3) مقابلة جرت مع جان برونتو في أيلول (سبتمبر) 1976.
(4) المعهد العالي للدراسات السياسية [illegible]
(5) مقابلة جرت مع جاك تريبوتا في تشرين الثاني (نوفمبر) 1975.
(6) المرسوم الصادر في 17 آذار (مارس) 1956 ... [illegible] ... لاكوست ... [illegible]
فيما بعد

لار وكثرة السيبه ، ووجدوا في شقة اشبه الاثبات الذي يطيح بجميع الشكوك ، إنه مجموعة طوابع
وفيشة . أما كلود بورديه فقد اعتقل ونقل مكبلاً بالحديد الى سجن فرين ، حيث أوقف بناء على شكوى من
ير الدفاع الوطني السيد بورجيس مونوري ، يتهمه فيها بنشاط يهدف (لإحباط معنويات الجيش) ، ويع
ت أطلق سراحه مساء اليوم نفسه . إلا أن اعتقال أحد مؤسسي حركة (كومبا : المعركة) الذي اعتقل في
سكر بوشنوالد ولعله رفاق (التحرير) ، ولد بعض القلق والانفعال . ورد جان جاك سيرفان شرايبر بهذا
سير : (ان النشاط الحقيقي والأكبر الذي يمس يوماً بعد يوم معنويات الفرنسيين ، مدنيين وعسكريين ، هو
ياسة المترددة التي تتبعها حكومة غي موليه) (١١).

واحتج مانديس فرانس في مجلس الوزراء على اتهام بورديه كما أعرب فرانسوا ميتيران بشدة عن عدم
قته على تلك الأساليب . إن الجريمة التي اوجبت على بورديه شرف زيارة السجون الفرنسية من جديد
مخالفته القانون الصحافة ، ذلك أنه كان قد قال فعلاً أسود على أبيض : (ان مائة الف شاب فرنسي
دين بأن يلقوا في الحرب الجزائرية القذرة ، وأن يضيعوا فيها أفضل سني حياتهم ، وربما يجرحون ، أو
ون لقضية لا يوافق عليها إلا القليل منهم ، ولمعركة تخيف أطفالهم) (١٢). وكان عنوان مقال بورديه :
صاون للمخدمة : أي تأجيل ؟) وبعد عشرة أيام من ذلك أي في الثاني عشر من نيسان (ابريل) رد مجلس
زراء على هذا السؤال وقرر استدعاءهم .

إن كل شاب فرنسي أنهى التزاماته العسكرية يظل (معبأ) خلال السنوات الثلاث التي تلي إنهاء
مه العسكرية . وقد يستدعى في أية لحظة . وكانت أول دورة يحددها القرار رقم ٥٦٣٧٢ تاريخ ١٢/ ٤
الدورة ٥٣/ ١ . أما شباب هذه الدورة فيبلغون الثالثة والعشرين من عمرهم وسطيا ، وقد سرحوا من
ذ أكثر من ١٨ شهرا ، ولا بد أن هذه التفاصيل الواضحة تكفي لتفهم نظرية ورد الجنود الاحتياطيين في
عام ١٩٥٦ ، وخريف عام ١٩٥٥ ، ذلك التمرد الذي خلق الاضطراب في بعض النفوس وبعض
دات العرضية في السكك الحديدية .

ففي الثالث من أيار (مايو) ، في ليزيلان ، أوقف المتظاهرون قطارا يقل جنودا الى مرسيليا . وفي
ر منه تجمع مئات من المواطنين حول محطة سانت إيتيان دي توابه ، في مقاطعة (أورا دشير) لوداع
لي معاً لم يعد كذلك ، ولم يتمكن فصيلان من الدرك كانا هناك صدفة من السيطرة على المتظاهرين ،
ت الحجارة والقنابل المسيلة للدموع ، ودام ذلك عدة ساعات ، وتوقفت حركة السير بين تور
ون ، إلى أن حضرت قوى الدعم التي فرقت المتظاهرين ، وفتحت محكمة بلوا التحقيق . وفي السابع
من أيار (مايو) عارض شباب غاتسبورد ، في محطة مانس ، سفر قطار من الاحتياطيين ، وتلقت قوى

(١١) الاكسبريس ٦ نيسان (ابريل) ١٩٥٦
(١٢) فرانس اوبسرفاتور ٢٩ آذار (مارس) ١٩٥٦ .

الأمن التي كانت تحمي القطار وابلا من الحجارة ، كانت تبادلها بالقنابل المسيلة للدموع ، فأصيب عشرة
أشخاص بجروح طفيفة ، واعتقل العديدون . مثل هذه الأحداث كانت تجري يومياً . وكانت الصحف
اليومية ما عدا لوموند ولومانيتيه تنسى ذكرها ، إلا إذا كان عنف المجابهة يستحق الاعلان عن ذلك بخطوط
عريضة ، كما كان حال ما جرى في غرونوبل في ١٨ أيار (مايو) .

منذ شهر نيسان ، تكاثرت لجان المناهضة لحرب الجزائر في مقاطعة ايزير التي كان يقودها شيوعيون
ومسيحيون ويساريون . وفي العشرين من نيسان (أبريل) منع ألفا متظاهر في محطة فوارون (قرب
غرونوبل) قطار غرونوبل من السفر ، وليلة الأول من أيار (مايو) أوقف خمسمائة متظاهر قطارا عسكريا في
بورجوان (ايزير) وتعانقوا مع الجنود ، وهم ينشدون النشيد الوطني الفرنسي (لامارسييز) ، وبعد يومين في
ريف (ايزير) أضرب العمال عن العمل لتوقيف قطار . وفي الرابع من أيار (مايو) رافق ٢٠٠ عامل ، في
غران لانس (ايزير) ثلاثة من رفاقهم استدعوا للخدمة . إن هذا التعداد الدقيق يقول ما فيه الكفاية .

في الثامن عشر من أيار (مايو) دعت (لجنة الشباب من أجل حل سلمي لمشاكل افريقيا الشمالية)
لاجتماع في الساعة السادسة والنصف مساء في ساحة المحطة ، وانضم الاتحاد الاقليمي للاتحاد العام للعمل
وفرع الحزب الشيوعي الفرنسي في غرونوبل الى الدعوة ، وتوافد الاف الأشخاص . فتفجرت
الاصطدامات ، وتحولت الى معركة حقيقية دامت حتى منتصف الليل ، واستعار المتظاهرون الأدوات والمواد
الموجودة في ورشات البناء القريبة ، وعاقوا الخطوط الحديدية ، وصبوا الاسمنت في نقاط تحويل سير
القطارات ، وقطعوا الطريق . فاستعملت قوات الأمن والشرطة والدرك القنابل الهجومية هذه المرة ،
فقطعت إحدى القنابل ساق أحد المتظاهرين ، وذكرت لوموند ان السلطات اضطرت لاستخدام فصيل من
الهندسة العسكرية لإعادة التجهيزات الى العمل . (١٣)

اتهمت صحيفة (لودوفينيه ليبريه) الاتحاد الشيوعي بالتخريب ، ورد الاتحاد النقابي مدافعا عن
نفسه ببيان مطول . (١٤) وتصاعدت الاحتجاجات في بقية المقاطعات الفرنسية ، كما تصاعدت في الايزير .
واستعر مئات المتظاهرين في مدينة أنيب تجاوبا مع النداء الذي وجهته الصحيفة الشيوعية (لوباتريوت) ،
وأوقفوا سفر (١٥) مجندا ، وجرح عشرون شخصا .

وفي اليوم التالي تظاهر ثلاثمائة من عمال البناء في المعامل وأوقفوا قطارا ، وفي اليوم نفسه أوقف قطار في
اميان ونزل الجنود منه وتظاهروا في المدينة . كما تظاهر ستة الاف من عمال التعدين والبناء والمرافئ المنتمين الى
الاتحاد العام للعمل ، في سان نازير في الثامن والعشرين من أيار ، وذلك إعرابا عن تعاطفهم الفاعل مع
عشرين من المدعوين للخدمة الاحتياطية .

(١٣) لوموند ٢٠ - ٢١ أيار (مايو) ١٩٥٦
(١٤) لي اوروب ٢١ أيار (مايو) ١٩٥٦

وسار هؤلاء المدعوون على رأس الموكب ، الذي هاجمته قوات الأمن على دقات الطبول ونداء الأبواق ، فتطايرت القنابل والحجارة ، ووقع الجرحى ، وجرت إعتقالات ، كما ذكر مراسل الصحيفة التروتسكية (لافيريتيه دي ترافايور) . (حقيقة الشغيلة)

إن القائمة طويلة جدا وكثيفة ، بحيث يصعب ذكر كل مظاهرة . ويكفي أن نذكر أن صحيفة فرانس سوار ، في نبأ قصير لها ، عددت في السابع والعشرين ، مظاهرات في أنجيه ، وبوردو بوك ، وريف ، وفوارون ، وأن لوموند ، في عددها الصادر يوم ٣٠ أيار (مايو) ، أوردت قائمة طويلة . أما الاخراج فيكاد يكون نفسه في كل مكان : يبدأ الحدث عسيرة من المدنيين ، كثير من النساء ، والحزبيين الشيوعيين ، والنقابيين المناصرين ، واليسار الجديد . اما الجنود فلم يكونوا بحاجة لمن يرشدهم . ان مغامرة قطار من المعادين للخدمة العسكرية ، انطلق من مورمولون الى مرسيليا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) ، والتي نسردها هنا كمثال ، تعطي فكرة عما حدث .

فعندما توقف القطار في بارلودوك ، أول محطة له ، قام الجنود بفك عدة حافلات ، فأعيد ربطها ، وانطلق القطار ، وما كاد يقطع أربع كيلومترات ، حتى انطلقت إشارات الانذار بصورة عفوية ، فتوقف القطار ثانية . وفي تول انضم الى القطار ثلاثمائة جندي إلا أن المحطة كانت مطوقة بقوات الأمن .

وفي ديكون انطلقت إشارات الانذار ثانية ، وانتشر الجنود في مقاهي المدينة وعند عودتهم أخذ أحد الضباط يوعظهم بجفاء . إلا أن طلقات نارية أطلقت في الهواء كانت تقاطعه ، سفر من جديد وتوقف آخر في بون ، فقد تحركت المكابح اليدوية ، و . . . ووصل القطار في النهاية الى مرسيليا على ما يبدو . . .

وفي مرسيليا ، تميز شاب ضخم قوي البنية ، بقدرته على الهتاف بالشعارات ، يدعى روبير بونو وهو يحمل إجازات عليا في التاريخ ومناضل شيوعي ، كان واقفا على حافة الحافلة ، التي تنقل جنود المنطقة المعسكرين في معسكر كاربيانيه الى البواخر ، وكان يهتف بأعلى صوته (السلام في الجزائر) و (الموت لموليه) إلا أنه لم يفهم فعلاً لماذا لم يضرب عمال الموانيء التابعين للاتحاد العام للعمل .[15]

أما جورج ماتيي ، فهو من المتحررين الفوضويين نوعا ما ، استدعي للخدمة في حزيران ، وسافر من أورليان ، وتظاهر على طول الطريق الذي قاده الى الباخرة (آتوس) في مرفأ مرسيليا . وعندما يعبر المتوسط ، سيزور بلادا أخرى ، ولقد قال فيما بعد : (حالما يصل المحرضون العفويون الى الجزائر ، يتعرفون عليهم ، لقد عينت في وحدة من القوات الخاصة ، وأرسلنا الى منطقة القبائل ، وهي منطقة عمليات)[16].

وفي مورمولون ، وخلال الأيام الأولى من شهر تموز (يوليو) ، تمرد آلاف من المجندين الاحتياطيين

---

١٥ ـ محادثة مع روبير بونو جرت في حزيران (يونيو) ١٩٧٨ .
١٦ ـ محادثة مع جورج ماتيه جرت في حزيران (يونيو) ١٩٧٨ .

الذين كدسوا في ظروف مؤسفة ، وسيطروا على المعسكر ، فاستأجروا حافلات وعادوا الى منازلهم ، وأمرتهم السلطات العسكرية ، عن طريق الاذاعة ، بالعودة إلى معسكراتهم . فعادوا الى الطاعة شيئا فشيئا . وكان من بين هؤلاء الشباب جان كلود بوميير ، ابن احد أصحاب المقاهي الباريزيين وهو من قراء فرانس أوبسرفاتور ، وكما حدث مع بوتو ومع ماتيي ، حدث معه ، فأوسل حال وصوله الى الجزائر الى المعركة ، فلنحفظ هذه الأسماء الثلاثة في ذاكرتنا ، لأن الصدمة التي عرفها هؤلاء الرجال ، الذين ينتمون إلى فئات وأصول مختلفة ، ستقودهم من الادلاء بشهاداتهم عن التعذيب ، الى التضامن مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية .

إن تعدد الأحداث التي رافقت سفر المجندين وشدتها ، يترجم التصميم القاطع لدى ضحايا التدابير الحكومية ولدى أقربائهم .[67] كما أنه من الصعب تقدير صدى المظاهرات في أعماق البلاد . فاتساع المواكب في غرونوبل وسان نازير يبين بوضوح وجود أثر عميق ، وبصورة خاصة في الأوساط العمالية . اما في المناطق الأخرى ، فكانت المظاهرات أقل أهمية ، كما كانت المظاهرات اليسارية تدعو المدنيين للاحتجاج . إلا أن أيا لم يدع المجندين الى التمرد الجماعي بل على العكس من ذلك . وقد عبر جان جاك سيرفان شرايبر في الاكسبريس عن الرأي السائد عندما أدان مسبقا (كل من يحاول رفض الخدمة) . إن هذه الادانة الضمنية لكل عمل من هؤلاء الجنود يولد لدى العديد منهم الشعور بالخذلان .

في الثامن عشر من ايار وقعت دورية من الفرقة التاسعة من المشاة[68] في كمين في باليسترو ، فقتل ١٨ جنديا ، وفقد اثنان ، وكلهم من المجندين ، إلا أن الصحف التي كانت تلتزم الصمت حول تحركات المجندين ، خصصت لهذا الحدث المأساوي أعمدة كاملة مليئة بالدم والرعب . واستغلت الحكومة هذا الحادث لتثبت أن الفلاقة[69] ليسوا سوى وحوش ضارية . كما أعلن رئيس الجمهورية نفسه في فردان في السابع عشر من حزيران (يونيو) أن (الوطن في خطر ، الوطن في المعركة ، فالواجب إذاً واضح وبسيط ، إنه يتطلب من هؤلاء غير الملزمين بالانضباط العسكري ، حدا أدنى من الانضباط المدني ، يمنع عليهم كل عمل وكل حديث ، يمكن أن يولد الاضطراب في نفوس أبناء الوطن ، الذين تناديهم الجمهورية الى السلاح ، لمقاومة العنف القذر ، بالقوة الفرنسية التي لا يمكن فصلها عن الكرم الفرنسي)

كان للمحنة تأثيرها ، وقبلها الرأي العام . وسافر الاحتياطيون ، وأصبح البعض منهم جلادين حقيقيين ، بينما لم يتحملها آخرون فتمردوا . وجازفت حكومة غي موليه الاشتراكية ، بزج الشاب الفرنسي في النزاع ، دون الاهتمام على ما يبدو ، بعنف الصدمة . وانقلبت (حرب الجزائر) في عام ١٩٥٦ الى حرب . وفاسم للجناح اليساري الأكثر التزاما ، المجندين الذي ألقوا في الجبال ، شعورهم الخانق بالفشل

---

٦٧ ـ احيل المتظاهرون الموقوفون الى العدالة ، وحكم على واحد منهم وهو في بريه بالسجن خمس سنوات .

٦٨ ـ لواء المشاة الاستعماري .

٦٩ ـ اسم الأنصار الجزائريين ، المعنى الاصلي هو (قطاع الطرق)

وعدم استغلال المناسبات . وصار فرق الحكومة ، التي انتخبت لتقيم السلام ، في وحل الحرب يرسم بالنسبة له حدود العمل الشرعي .

كان جان ماري بوغلان ، مدربا في الفنون الدرامية ، في ربيع عام ١٩٥٦ ويكسب عيشه من العمل كصحفي في صحيفة (لوتيون دي ريمز) وبعد انتساب قصير الى الشبيبة الشيوعية ، غازل اتحاد الفوضويين ، إلا أن شغفه الحقيقي كان بالمسرح . وكان قد التقى في عام ١٩٥٦ خلال ندوة عالمية بشاب جزائري هو محمد بوديه ، الذي كان شغوفا مثله بخشبة المسرح ، وكان ذلك بالنسبة له أول اتصال بأفريقيا الشمالية ، وقد قال فيما بعد (لقد غطيت كصحفي ، جميع المظاهرات التي قام بها المجندون ، ودرت في فرنسا كلها ، ورأيت روان تحت نظام منع التجول ، كما رأيت الجنرال زيلير عاريا في مورملون ، بعد أن جرده المجندون من ثيابه ، بينما كانت قوى الأمن تحاصر المعسكر ، ورأيت بين فيتري لوفرانسوا وبارلدوك قطارات تحرق ، نعم تحرق فعلا ، ورأيت الاسمنت يسيل في غرونوبل بين نقط تفرع السكك الحديدية ، ولم تكن الصحف تتحدث عنها .

لقد كنت أكتب أنباء تزيد على أربعمائة سطر ، ولا يكاد يظهر منها في اليوم التالي أربعون سطرا ، كان المجندون يرفضون السفر ، وأنه لمرعب أن يسجل بأن الحركة العمالية ضحية الانفعال تجاه احتجاجات بهذا الاتساع . لقد كان ربيع ١٩٥٦ حاسما بالنسبة لي [٢٠] وبدأ جان ماري بوغلان يساعد الجزائريين في العام التالي .

بدأ نقد السياسة الحكومية يشمل الحكومة نفسها ، فقدم مانديس فرانس استقالته بضجة كبرى في الثالث والعشرين من أيار (مايو) وأصدر العدد الأول من مجلة (كراسات الجمهورية) ، التي كان يساهم في تحريرها سيمون نورا ، والآن توران وألفريد سوفي . فلم يعد مانديس فرانس يطيق وقاحة ماكس لوجون وبورجيس مونوري . ولم تتوقف متابعة عمليات القمع ضد معارضي المغامرة الجزائرية ، منذ اعتقال بوردييه .

توالت قرارات مصادرة الصحف ، وشملت لومانيتيه ، وفرانس أوبسرفاتور ، ولافيريتيه ديه ترافايور . وحكم على جولبان روزييه ، وهو معلم من منطقة كروز ، ومدير صحيفة أيكو دو سانتر الشيوعية ، بالسجن لمدة عام بتهمة (محاولة إحباط معنويات الجيش) . ومنعت جريدته من الصدور خمسة عشر يوما .

في العاشر من نيسان (أبريل) قام خمسة مفتشين من المخابرات الفرنسية بتفتيش منزل هنري مارو ، وهو جامعي كاثوليكي ، مختص في دراسة القديس أوغسطين . كان قد وقع قبل أيام مقالا في زاوية (رأي

---

٢٠ ـ محادثة مع جان ماري بوغلان في كانون الأول (ديسمبر ١٩٧٨) .

حر) تحت عنوان (فرنسا ، يا وطني) . وكان المقال مرافعة اتهام قال فيه (انني لن أقول سوى ثلاث كلمات محملة بالمعاني : معسكرات اعتقال ، تعذيب ، وقمع جماعي . ولا استطيع تجنب الحديث عن الغستابو ، ففي كل مكان في الجزائر ، أقيمت مخابر التعذيب الحقيقية ، بما في ذلك الأحواض الكهربية ، وكل ما يلزم ، ولا ينكر أحد ذلك)[٢١] .

لقد أدين ووبير بارا ، ووصف بورجيس مونوري هذا الصحفي ، بأنه (منعزل يعيش راحة ضمير دون معلومات كافية . . .) مما أدى الى الرد التالي من فرانسوا مورياك (إن ما أعيب في بورديه ، ومارو ، وبارا ، هو بالتحديد ما يجله المسلمون في أفريقيا الشمالية لدى أمتنا : احترام النزاهة والشرف وحرية التفكير)[٢٢] أما عن احترام النزاهة والشرف فإن وزير الدفاع لا يستخدمه كثيرا عندما يأمر في نهاية شهر أيار (مايو) باعتقال الصحفية كلود جيرار ، الثائرة والمقاومة السابقة ، التي اعتقلها رجال الجستابو وعذبوها . وكانت كلود قد نشرت في مجلة ديمان والغد والاشتراكية تحقيقا عن الثوار التابعين للحركة الوطنية الجزائرية .

انهت استقالة مانديس فرانس ، بالنسبة للمقتنعين آخر الأوهام ، فمجموعة موليه ليست إلا حكومة حرب . لقد ابتعد الشيوعيون بدورهم عنها ، فامتنعوا عن التصويت ، عند التصويت على الثقة على مجمل سياسة الحكومة في السادس من حزيران (يونيو) .

واوضح فالديك روشيه بأن الحزب الشيوعي ، كان سيصوت ضد هذه السياسة لو انها كانت تخص السياسة الجزائرية وحدها (لان الحزب يدين سياسة القوة التي تنفذ في الجزائر) . وكان موريس توريز قد برر في آذار (مارس) عندما تم التصويت على السلطات الخاصة ، بانه لا يجوز التضحية بكل شيء (أي الوفاق مع الاشتراكيين) في اللعبة (أي قضية الاستعمار) اما الآن فان التفكير قد انقلب واحتلت حرب الجزائر المكانة الاولى في تفكير الحزب الشيوعي الفرنسي . ومنذ ذلك الوقت تصاعد انتقاده للحكومة ، وقد ساهمت عدة معطيات في هذا التحول ، كان ابسطها واكثرها بداهة ، ان ائتلاف الجبهة الجمهورية الذي تنكر لوعوده ، اصبح عارا حقيقيا على الناخبين ، الذين رفعوه الى السلطة . فنتائج هذا الانقلاب التي بدأت تظهر في ٦ شباط (فبراير) وتأكدت في ١٢ آذار (مارس) لم تتوضح رسميا لدى القادة الشيوعيين الا خشية العنف . انها تعرجات الديالكتيك .

ان تحول الفكر الشيوعي ، على الصعيد النظري ، كان محسوسا ، فمفهوم (الامة الجزائرية في طريق التكوين) الذي كان اساس التفكير منذ خطبة الجزائر في عام ١٩٣٩ ، ترك جانبا . وكان جاك دوكلو قد تحدث سابقا في الأول من شباط (فبراير) عن (الواقع الوطني الجزائري) . وجاء هذا التعبير ايضا عنوانا لمقال كتبه حقوقي شيوعي ذو شهرة واسعة هو جان دريش ، ونشره في مجلة (لاپانسي) (الفكر) في عددها الصادر في تموز (يوليو) حيث قال (ان الجزائر ليست فرنسا . . . ولكن ها هو نقاش بائس يقوم حول التسمية

---

٢١ - لوموند ٥ نيسان (ابريل) ١٩٥٦ .

٢٢ - الاكسبريس ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٥٦

البديلة ، فالكل يعترف بأن للجزائر اصالتها الخاصة ، الا انه يجحد بعرف فكرة الوطنية الجزائرية والواقع الوطني الجزائري)[٢٣] وهكذا وبالحاحه على التناقض بين مستعمر، ومستعمر، نرى ان دريش يهز فرضية توريز بكاملها. فالاوربيون هم اقلية قمعية، وليسوا مركبا متساويا مع المسلمين.

اما حجر المحك الاخر بالنسبة للحزب الشيوعي الفرنسي حول مسألة الاستعمار أي (الاتحاد الفرنسي) ، فقد وضع على الرف تحولا خلال مؤتمر الحزب الشيوعي الرابع عشر ، الذي عقد في تموز (يوليو) في الهافر. ووقعت على عاتق جوروج كونيو المهمة الصعبة ، لشرح الأسباب التي دعت الى اعتبار التعبير الذي طالما استخدمه الحزب الشيوعي لاغيا . وتمكن من الخروج منه بتبرير لغوي وحقوقي لم يكن الوضوح من ميزاته، ولم يمنع ذلك ، الحزب الشيوعي من التحرك . اما الشيوعيون الجزائريون فانهم بداوا العراك مع بعضهم البعض.

في نيسان (ابريل) فر عضو شاب من الحزب الشيوعي الجزائري، كان برتبة طالب ضابط في الجيش الفرنسي ، ويدعى هنري مايو ، فر بشاحنة محملة بالذخائر ، والتحق (بالثوار الحمر) ، الذين يقودهم غروج وليباد ، وكلاهما من قادة الحزب الشيوعي الجزائري . لقد نضج الحزب الشيوعي الجزائري ، منذ احداث الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) التي وصفها بأنها (استفزازية) ، وتوجه الى الهجوم المسلح ، بضغط من مناضليه المسلمين ، وقرر خلال دورة سرية عقدها في حزيران (يونيو) ١٩٥٥ الانضمام الى (الكفاح الوطني) . وعندما اخذ وزير الداخلية علما ، عن طريق اجهزة المخابرات بهذا الاتجاه ، اتخذ قرارا بمنع الحزب الشيوعي في ايلول (سبتمبر) من العام نفسه ، واغلق صحيفة (الجزائر الجمهورية) الموالية له ، والتي كان يديرها هنري اليغ ، وفي آذار ١٩٥٦ ، وبينما كان الشيوعيون الفرنسيون يصوتون على السلطات الخاصة ، اسس الشيوعيون الجزائريون منظمتهم العسكرية (مناضلي التحرير) . وكان الهدف من ذلك هو التأكيد على وجود الشيوعيين في اطار الكفاح المسلح ، بهدف المفاوضة على نفس مستوى جبهة التحرير الوطنية ، فما هي الوسيلة إذن؟انها اقامة مجموعة مقاتلة . تلك المجموعة التي التحق بها (هنري مايو) والتي كانت قد اتخذت مواقعها في غابة في منطقة الاصنام .كان موريس لبان من قدماء المحاربين في الفيالق الاممية ، وكان مايو ضابطا ، الا ان المجموعة كانت سيئة التجهيز ، وتعرضت للخيانة ، فقضي عليها قضاء مبرماً .

وكان لهذه القضية صدى واسع في الصحافة الوطنية ، ووضعت قيادة الحزب الشيوعي في موقف حرج فتفضلت التزام الصمت .

انضم اوربيون آخرون ، من غير الشيوعيين في الجزائر ، الى العمل المباشر ، الى جانب جبهة التحرير الوطني ، واغلب هؤلاء من المجموعة التي كان قد اسسها اندريه ماندوز والتفت حول (الضمير المغربي) .

---

٢٣ ـ ذكره رينيه غاليسو في (هيرودوت) الفصل الثالث ١٩٧٨

واضطر ماندوز للفرار سراً . فقد جرت عليه تصريحاته العنيفة ، في المهرجان الخطابي الذي عقد في صالة فاغرام في ٢٧ شباط (فبراير) ، والتي كانت تهدف الى تحويل الانظار عن مهمته السرية ، جرت عليه كره المتطرفين . فهاجم حوالي مائة طالب منزله في الاول من آذار (مارس) وضربوا سيارته . وطالبت لجنة عمل جامعية ، في الخامس عشر من الشهر نفسه بطرده من الجامعة . ودخل خمسمائة طالب الى المدرج الذي كان يلقي فيه بشجاعة مثالية دروسه وتمكن من الهرب تحت حماية الطلاب المسلمين . الا ان عميد الجامعة اتخذ قرارا بكف يده ونقل بعد ذلك الى جامعة ستراسبورغ .

لم يسلم اصدقاء ماندوز في الجزائر ، وكان الدكتور شوليه ، وهو الطبيب الذي قاد كوليت جانسون في شباط (فبراير) ١٩٥٥ ، وزوجته كلودين ، حليفين ثمينين لجبهة التحرير الوطني ، ففي بيتهما جرت في تموز (يوليو) المفاوضات بين الحزب الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الوطني ، التي انتهت بانضمام الشيوعيين فرديا في الجبهة ، وهناك آخرون : اندريه غاليس ، عضو المجلس البلدي ، وعائلة غوتزول ، وايفلين لافاليت ، الذين آووا المناضلين الوطنيين واخفوهم ونقلوهم واعدوهم ، ورجال الدين المسيحي ايضا : ففي بيت الاب سكوتو في حي حسين داي كانت تحدث ، حسب رأي روبير لاكوست ، امور لا علاقة لها بالدين .

في يوم الاثنين الرابع عشر من نيسان ، اتهمت شرطة قسنطينة ثلاثة قساوسة من البعثة الفرنسية في سوق اهراس ، وهم الأب اوغرو ، والاب تيرلان ، والاب ماميت ، بتقديم المساعدات الطبية للمتمردين في الولاية الثانية ، وطردوا من الاراضي الجزائرية . فتدخل الكاردينال ليينار رئيس البعثة الفرنسية ، وكان جواب الوزير المقيم على تدخله (إنني لن اترك الحوارنة يلعبون عن يساري . .) .

لقد ولّد انضمام الحزب الشيوعي الجزائري الى المقاومة المسلحة ، الاضطراب والحيرة لدى الحزبيين ، بالرغم من صمت الحزب الشيوعي على هذا الموضوع . وغذت المناقشات حول الجزائر ، التي تمركزت على قانون السلطات الاستثنائية ، المناقشات الكبرى التي بدأت في الحزب في عام ١٩٥٦ ، وكانت صحيفة لوموند قد بدأت في الخامس من حزيران (يونيو) بنشر تقرير الرفيق خروتشيف ، الذي ألقي في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي (أب الشعوب الصغيرة الخالد) ، كما كان التحضير لمؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي في الهافر مضطربا ، فانتقد الحزبيون ، الذين كانوا يتساءلون عن مغزى الستالينية ، التوجه العام للحزب الشيوعي الفرنسي ، بما في ذلك موقفه تجاه الجزائر . وظهرت بعد قليل اولى الزمر المعارضة ، وكان هؤلاء الناقدون ، مثلهم مثل رفاقهم ، يجهلون حتى ذلك الحين ان شابا ينتمي الى منظمتهم قد رفض الذهاب الى الجزائر .

ذلك الشاب هو اليان ليشتي ، وهو بستاني دعي لخدمة العلم في آذار (مارس) ، ووجه في الثاني من تموز (يوليو) رسالة موقعة من ثلاثين جندياً .

[illegible] في ٥٦/٩/١ ،
تقول الرسالة (ان الموقعين ادناه ، جنود اللواء الخامس [illegible] المسؤول الى
[illegible] سفرهم الى افريقيا الشمالية ، يأملون بصفتهم مواطنين ، [illegible] رسالة
وقف اطلاق النار بأسرع وقت ممكن) . وفي اليوم نفسه ، وجه [illegible] من اجل استقلاله)
باسمه شخصيا قال فيها (انني لا استطيع حمل السلاح ضد شعب الجزائر ، الذي يكافح من ... وحكم عليه في ١٩
وبعد ان نقل ليشتي بالقوة الى الجزائر ، حافظ على موقفه ... الا انه ... لدى العديد
تشرين الثاني (نوفمبر) بالسجن سنتين ، وصمت ...
من الفرنسيين . بأن التمردات الفردية ، مهما كانت شجاعة لم تعد كافية

٣

الخدمات الاولى

في تموز (يوليو) ١٩٥٦ ، كان جانسون قد خرج لتوه من مستشفى السل ، بعد ستة أشهر من العلاج الذي لم يبدأه بالرغم من أن المرض كان ينخره ، الا بعد أن تأكد من صدور كتابه (الجزائر الخارجة على القانون) . الا أنه كان يتابع من سريره وبكل اهتمام ، التطورات القريبة التي كانت تشهدها الجبهة الجمهورية . وتابع اتصالاته بالخارج ، بفضل زوجته كوليت ، مع مناضلي جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، واتم اتصالات مع صالح الوانشي ، ذلك المفاوض السرّي الذي التقى بما نديس فرانس ، والذي يتولى مسؤولية اتحاد فرنسا التابع لجبهة التحرير الجزائرية الذي ما زال في بدء تكوينه .

كانت بدايات تواجد الجبهة في فرنسا صعبة جدا ، وكان من نتائج النقاشات التي مزقت (الحركة من اجل انتصار الحرية والديموقراطية) قبل قيام الثورة ، توجه الغالبية العظمى من المناضلين الجزائريين الذين يعملون في فرنسا ، نحو الزعيم العجوز مصالي الحاج ، وعند انفجار الثورة كان مجموع المهاجرين الجزائريين تحت نفوذ المصاليين ، ولم يخرج عن نطاق هذا النفوذ ، سوى بعض الجزر القائمة عدديا كالقطاع الخامس (قطاع سوشو) .

كانت مهمة مراد طربوش أول ممثل لجبهة التحرير في فرنسا ، تبدو في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٥٤ صعبة وبلا حدود . فمن بين الـ (١٥٠) الف جزائري الذين يعيشون في فرنسا ، كان للحركة المصالية سبعة آلاف عضو . وكانت الحركة مركزة جيداً في المراكز الصناعية في شمال البلاد ، وفي ضواحي باريس ، وليون ومرسيليا . بدأ مراد طربوش الذي كان قبل ذلك مسؤولا عن (الحركة من أجل انتصار الديموقراطية) في القطاع الشرقي من فرنسا ، بدأ جولة واسعة بهدف تشكيل قوى جديدة ، فحقق نجاحا لا بأس به . وقال في تقريره في ربيع ١٩٥٥ الذي قدمه الى بوضياف أحد مؤسسي (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) والذي اتفق معه على اللقاء به في سويسرا ، بأنه تمكن من كسب (٢٠٠٠) عضو . وقفل طربوش عائدا الى فرنسا حال تقديم تقريره . الا أن الشرطة السويسرية التي كانت تتابع عن كثب تحركات قادة التحرير ، اعتقلت بوضياف كما اعتقلت بلحاج (وهو الزعيم الجزائري الذي أصبح فيما بعد العقيد الأول ومضيم الجبال ماشو في معركة مدينة الجزائر الشهيرة) . وصادرت التقرير الخاص بنشاطات اتحاد فرنسا ونقلت صورة الى المخابرات الفرنسية . فاعتقل طربوش في ٢٦ أيار ١٩٥٥

خلفت طربوش قيادة جماعية نذكر منها ، دوم ، وبن سالم ، وفراس ، ومشاتي وقسمت هذه القيادة فرنسا الى اربعة قطاعات ، الشمال ، باريس الضفة اليمنى ، باريس الضفة اليسرى ، والشرق الجنوبي . الأان الشرطة الفرنسية شتت هذه القيادة في خريف ١٩٥٦ ، وبقي صالح لوانشي المسؤول الوحيد . وكانت خطيبته الفرنسية آن ماري شوليه ، شقيقة الدكتور شوليه ، الذي يساعد جبهة التحرير في العاصمة الجزائرية ، كانت سكرتيرة للمجموعة التقدمية المسيحية التي تصدر نشرة (لوبولتان) ، التي يديرها جاك شاتانيه[1] . ومن طريقها تمكن لوانشي من الاتصال والاختلاط بهذه الاوساط الكاثوليكية التي ما انفكت تشجب الحرب .

كان الوجوديون بدورهم من اصحاب لوانشي ايضا ، الذي تمكن من الاتصال بمجلة (الازمنة الحديثة) من طريق ديونيس ماسكولو ، الذي سكن عنده بعض الوقت . والأهم من ذلك انه غالبا ما كان يلتقي بالزوجين جانسون . فقد كان لوانشي والعديد من المناضلين الجزائريين ، يقصدون لينتهم احيانا ، في الشقة التي استأجرها فرنسيس وكوليت في (بيتي اكلامار) . كما كان يطلب احيانا بعض الخدمات البسيطة ، كنقله بالسيارة من مكان الى آخر ، وهكذا ارتقى البروفسور جانسون الى منصب سائق تكسي ، وكان ينقل في باريس وضواحيها ، رجال جبهة التحرير الذين كان يجهل اسماءهم ، ولم يكن ليطرح عليهم اي سؤال . الا انه كان يقدر حق تقدير مدى النتائج المحتملة لما يقوم به ، ويمضي جانسون الى تلك الفئة التي تؤمن بالمقولة القائلة بأن النية تبقى بلا معنى بدون العمل . وقد قاده تحليله للمشكلة الجزائرية الى استنتاج واضح : ان نضال جبهة التحرير هو نضال عادل .

فمن العدل اذن والمنطقي ، مساعدة من يقومون بهذا النضال ويتابعونه . انها محاكمة بسيطة تهمل معقد الوضع . ولم يكن فرنسيس من اولئك المثقفين الخبراء في اختراع المبررات ، لاثنات بعدهم عن موقع الحدث حين وقوعه . الا ان التاريخ لم يخنه وقدمها له دائما . ان ما يقوم به جانسون ليس الا استمرارا منطقيا وطبيعيا لكتابه (الجزائر خارج القانون) ، ذلك الكتاب ، الذي اقام له سمعة متواضعة في هذا المجال . وغالبا ما كان يحاضر حول الوضوع ، وهو على يقين بأن ذلك يشكل تغطية كافية . فكاتب يتحدث بهذا القدر لا يمكن ان يتحرك فعلا .

وعلى مدى الاسابيع تسارع التضخم في تقديم (الخدمات) ، ولم يعد يوم جانسون كافيا لذلك ، فالتمس العون من المقربين منه : زوجته كوليت التي لم تتوان عن بذل كل جهد ، وموريك دبرا كرو احدى طالبات كلية الأداب وهي من اصدقائه ، كانت تعمل في دار النشر (لوسوي) . ولم يحتج لوقت طويل لاقناعها ، فقد كانت من مناصري القضية الجزائرية . وعندما طلب اليها جانسون ايواء بعض الصغار ، الذي الهمس في السرية ، قبلت دون تردد[2] . ومنذ ذلك الحين قامت بمهام عديدة جدا .

[1] (مقابلة) مع ... جاك شاتانيه في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٨ .
[2] . مقابلة ... مع موريك دبراكرو في ... (نوفمبر) ١٩٧٨ .

كان هناك بولو ، أنيك بولو ، وهو من معارف جانسون في دار النشر (لوسوي) ، حيث كان مراجعا ، وهو استاذ للفلسفة في ثانوية شابتال ، انتسب الى الحزب الشيوعي الفرنسي منذ عام ١٩٥٣ ، الا انه كان يعتبر مواقف الحزب بالنسبة للقضية شمال افريقيا ، رجعية جدا . وكان قد كتب في جريدة حلية قبل اندلاع ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ وان الحرب في الجزائر ستكون قومية وثورية) وفي عام ١٩٥٥ علم بولو بأن احد رفاقه الجزائريين القدماء في الكلية ، قد اعتقل ونقل الى الجزائر وعذب حتى الموت . انه حدث داخلي شخصي ، انطلق لديه هذا النوع من التطور الذي قاده الى العمل . لقد كان مقتنعا بأن استقلال الجزائر امر ضروري وحتمي . وهكذا فقد تطوع حالا عندما طلب اليه جانسون في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦ ، ان ينقل بسيارته اثنين من مسؤولي الجبهة ، صالح لوانشي ، وطيب بو الحروف ، واصبحت زوجته ... تحول اليه ايضا[3] .

استمرت حلقة الاصدقاء هذه ، تساعد الجزائريين بطريقة منظمة بضعة اشهر ، حتى مطلع ١٩٥٧ ، ولم تكن تشكل فعلا ما يمكن تسميته بشبكة ، حيث لم تكن لها اية بنية سرية . فالمجموعة ... كانها ، وقراراتها روتينية ، حرة سياسيا ومدعمة نظريا . لقد قال جانسون فيما بعد (المشكلة كلها هي معرفة ما اذا كنا نساعد الجزائريين شعورا بالذنب ، أم بروح رومنتيكية ، ام حبا بالمغامرة ، ام بروح الجدية ام لاسباب سياسية ، ام خيبة امل . . . كلها اسباب كانت مقنعة بشكل او بآخر . أما الاسباب الايجابية ، فهي اولا المحافظة على بقاء صداقة جزائرية فرنسية ، وثانيا ايقاظ اليسار الفرنسي وتذكيره بدوره امام الرأي العام ، ومن هم حلفاؤه الحقيقيون ، وان مقارعة الاستعمار التي جعل منها مذهبا له لا تكون بالوقوف على خط التماس وعد النقاط والاهداف[4]) .

الا ان جانسون الذي كان يؤمن بالعلاج بالصدمة ، اصطدم بسرعة بالنقص الذي يعاني منه كل عمل لم يحترف ، ضعيف جدا ، اذا قورن بالتطلعات الكبرى التي يرمي اليها . وشعر بالحاجة الى الوصول الى مستوى اعلى في التنظيم .

لكن ما كان يجهله جانسون ، هو انه ليس الاول ولا الوحيد الذي يدعم فعليا جبهة التحرير الوطني الجزائرية .

... الفرنسيون ، خلال الاشهر التي تلت قيام الثورة الجزائرية ، تساعد المناضلين الجزائريين ، وكان من بينهم نقابيون على اتصال دائم بالعمال العرب في المعامل ... مطلبات تحاور ، ومنهم من كانوا يطوون للاستعمار ... ووجد هؤلاء الرجال والنساء انفسهم في يوم من الايام ... في وضع ما ، وهم يقومون بعمل ما ، عمل متواضع ، الا انه على ... الطرق ... ومنهم ... صديق جزائري يطلب اليهم

[3] . مقابلة ... مع ... بولو في ... (...) ١٩٧٧ و ... ١٩٧٨ .
[4] . رسالة الى ... نشرت في (الازمنة الحديثة) ... ١٩٦٠ .

اخفاء زوجة ، او ايواء رفيق ، او املاء وثيقة .. اما الباقي فيأتي بصورة طبيعية . ان هذه المرحلة من الدعم الذي سبق تكوين الشبكات ، كانت نتيجة لمبادرات فردية ، غير منسقة ، وهذا بنفس تجزؤه الحقيقي وتشتته . وانه من الصعب جدا ، على من يحاول احصاء هذه النشاطات المشتتة ، الموزعة جغرافيا والتي لا تعرف بعضها البعض ، ان يجد بنية متناسقة متناسبة . ولذلك ، ستكون القصة نوعا من لوحات الموزاييك ، تظهر فيها الظلال والنور وتتخللها بعض الفراغات . لقد دامت هذه الهواية الفطرية المغفلة وقتاً طويلاً بعد تشكيل التنظيمات السرية الحقيقية ، ويمكن ان نقول ان ذلك استمر حتى انتهاء الحرب . والى جانب من كان لهم الحظ ، باللقاء مع الجزائريين ، سواء في مكان عملهم ، ام في السكن جوارهم ، هناك فئتان من الافراد تميزتا بالتعاون معهم ، ولم يكن ذلك بطريق الصدفة ، وهما المسيحيون المتقيون والتروتسكيون . فلم يكن الامر طارئا لا بالنسبة لهؤلاء ، ولا لأولئك .

في صيف ١٩٥٥ التقى صدفة موظف شاب ، لم تكن له آراء سياسية واضحة ، بجزائري طلب اليه ان يؤويه ، وكان هذا الشاب المدعو جان جاك روسيه ، لا يعرف الا القليل عن افريقيا الشمالية ، كما كانت معرفته بالحركة الوطنية اقل من ذلك . وكان له ميل فطري هو مساعدة من يجدون انفسهم في ظروف صعبة ، وهكذا وضع مرحباً ، شقته التي يسكنها هو وأمه السيدة نوتير ، الواقعة في الرقم ١٨ شارع سان فرديناند ، في الحي السابع عشر في باريس ، تحت تصرف رفيقه .

ففي فجر قيام الثورة الجزائرية ، كان الفرنسيون الذين قاموا بعمل احتياطي من هذا النوع نادرين ، ويعتبر جان جاك روسيه ، وبرأي الجزائريين انفسهم ، وعلى الاغلب ، اول أوروبي ، ساعد جبهة التحرير الوطني في فرنسا . وبما ان الحالة كانت فريدة من نوعها ، فقد تحولت شقة السيدة نوتير المتفرجة المسرات ، الى نوع من مقر قيادة اركان الاتحاد المرتبكة ، ينام فيها الجماعة ويجتمعون ، ويطبعون المنشورات ، التي كانت (السيدة الام) كما كان يسميها الجزائريون بكل احترام ومحبة ، تضربها على الآلة الكاتبة بضمير مخلص .

اما على صعيد الامن والحذر ، فقد استهتر الجميع بابسط القواعد الاساسية .

بالتأكيد كان المناضلون يتأكدون بانه ليس هناك من يتبعهم ، ويطرقون الهاتف ، ولكن كيف لهم ان يمروا دون ان يلاحظ ذلك في قطاع ثري ؟ وبوابو البنايات يثرثرون . والقي القبض على جان جاك روسيه ، واربعة من الجزائريين ، وفرنسي آخر يدعى ريمون مارور ، في مكتبة تقع في شارع الكسندر دوماس ، في ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٥٦ ، ودفع روسيه ثمن ضيافته للجزائريين ، ثلاث سنوات سجناً .

اما الدعم الذي قدمه التروتسكيون ، فقد كان اكثر تنظيما ان لم نقل اقل عفوية . لقد بدأ مبكرا ايضا ، وكما يقول زعيمهم ميشيل رابتيس ، ان اعضاء الاممية الرابعة الناضجين ايديولوجياً بدأوا الاتصال مع جبهة التحرير الوطني خلال صيف ١٩٥٥ ، ولعب دور الوسيط ايفان كريبو التروتسكي السابق ، الملتحق المنضم الى اليسار الجديد ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه ، عقد الحزب الشيوعي الاممي مؤتمرا

سريا في صالة الـستة بحضور ممثل عن جبهة التحرير . وقرر ابتام تروتسكي في هذا المؤتمر دعم المعركة الجزائرية . وكانت اول المهام التي قاموا بها ، طبع منشور وتوزيعه ، يحتوي على نداء ليوم الفاتح من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٤ . ثم عهدت اليهم جبهة التحرير بمهمة طبع نشرة تحت اسم (المقاومة الجزائرية) قدمت على انها الناطق الرسمي باسمها . ووقع الخيار على مناضل امريكي مـن يدعى شيري مالتغهام للقيام بهذا العمل . وكانت تبـدو على مالتغهام علائم الوقـار ، فاستأجر بيتا ريفيا في مقاطعة النورماندي ، وكأنه يعيش فيه عيش المتقاعد المسالم . الا ان هذا الجد الهادىء اثبت انه هرقل بارع . وثبت موعد اسبوعي عند منتصف الطريق بين بيه وباريس ، كان يتلقى فيه اوراق الحرير ، ثم يقوم بالنسخ ، والتجميع ، وعندما ينهي عمله يسلم حمولته في المكان نفسه المتفق عليه ، ويأخذ النصوص المهيأة للعـدد التالي .

الا أن هذا العمل الفردي ، وان تميز بتقليل المخاطر ، لانه لا يحتاج الى وسيط ، فان عيبه الكبير يكمن في كونه حرفيا يدويا . ان من مميزات الاممية انها دولية ، وهكذا نرى ان (المقاومة الجزائرية) ستطبع في بلجيكا ، وتجتاز اعدادها الحدود بالسيارات ، او تنقل بالبريد ، الى المناضلين الذين يقومون بتوزيعها على من حولهم . وفي مطلع نيسان (ابريل) من عام ١٩٥٦ تقع المشكلة ، اذ تصادر المخابرات الفرنسية اعدادا منها في صندوق بريد الاممية الرابعة ، وتعتقل سيمون مالنيه ، وريمون بوفيه ، وبيير فرانك ، وجانين فيي[١] ، احدى المناضلات من اليسار الجديد . ويعلن موريس بورجيس -مونوري ، خلال مؤتمر للحزب الراديكالي ، بأن جهاز الصحافة والاعلام بجبهة التحرير قد تم القضاء عليه . ومع ذلك اطلق سراح المعتقلين في التاسع عشر من ايار (مايو) .

ثم تعددت وتنوعت النشاطات بعد ذلك . واخذ الجزائريون يبحثون عن محامي ، فيرى هنري بنوا وهو عامل تروتسكي يعمل في معامل سيارات رينو ، بحبر مفتاح منزله ، وفي احدى الليالي يستقبل جزائريا مضرجا بالدماء ، اثر اصابته برصاص بندقية رشاشة ، اطلق عليه من سيارة دورية في شارع مونسروج . واستطاع الجريح أن يجر نفسه الى سورين ، حيث كان يعمل ، ووقع مغمى عليه في كوخ الحارس الجزائري الذي اعلم الجبهة بذلك .

وهكذا يسلم الجريح الى بنوا ، الذي يستدعي طبيبا (صديقا) . وكانت مغامرة من بين المغامرات الكثيرة . وفي بيانكور ، حيث يعمل عدد كبير من العمال من افريقيا الشمالية ، كانت العلاقات تقام بصورة طبيعية . ولم يكن بنوا وحيدا . فهناك سيدة تدعى فرانسين ريكيه ، عضو في الحزب الشيوعي ، وضاربة على الآلة الكاتبة في الاتحاد العام للعمل . قبلت ان تطبع بعض النصوص لجبهة التحرير الوطني فاعتقلت ، واتخذت قيادة النقابة تعليمات مشددة ، تؤكد بأن الكفاح من أجل السلام في الجزائر هو كفاح جماهيري ، وان

---

١ ـ مقابلة اجريت مع بيير فرانك في حزيران (يونيو) ١٩٧٥ .

على كل من يهوي مساعدة الجزائريين فرديا ، ان يتخلى عن مسؤولياته النقابية .الا ان بيوا لم يأبه ، وهو يؤكد الآن بعد عشرين سنة : (ان العمل هو الحرية ذاتها ، فلا خوف من مراقبة بوليسية ، وكان بالامكان اعطاء المواعيد لاي كان . . .)[6] .

ان هذا الرجل الذي لا يعرف التعب ، والذي تتلخص مفاهيمه المتعلقة بالسعادة بأن يحققها للاخرين ، يجيء ايضا على المستوى الفني العدد الاول من الصحيفة ، التي ستسع شهرتها فيما بعد : المجاهد ، الصحيفة الناطقة باسم جبهة التحرير ، ذلك العدد الذي صدر في الخريف ، والذي تم توزيعه عن طريق (شبكة التجار) . وكان الموزعون واغلبهم من الاوربيين ، يسلمون الاعداد بشكل رزم صغيرة الى البقاليات ، والمصانع ، والمقاهي ، التي تسيطر عليها الجبهة . كانت التغطية ممتازة جدا ، وان كان تعاون صغار التجار احياناً يعود الى الخوف اكثر منه للقناعة . وترى المجموعة التروتسكية بعد ذلك تستأجر مكاتب في شارع فوبورسان دوني . وخلف الواجهة المحترمة لشركة محترمة (الخدمات المطبعية والمكتبية) كانت منشورات الجبهة بعشرات الالاف على احداث الالات ، ثم تنقل بالشاحنات . وسار هذا التمويه لفترة طويلة . والامتع من ذلك ، ان ميشيل فيان وهو من المناضلين التروتسكيين النشيطين ، تسلم ادارة بقالية في جنوبي باريس ، وكانت الحسابات تسوى في الحجرة الخلفية لتلك البقالية . اما حسابات البقالية نفسها فكانت مبعثرة بترتيب غريب ، ولا تسير سيرا حسنا ، كما كان يشكو فيان ، لان الاموال تنضب ولا بد من توظيف اموال جديدة ، اما في الحي فقد كانت ربات البيوت يندهشن من تكاسل هذا البقال الذي تفرغ رفوف مخزنه بصورة محزنة .

وبالنسبة لرجال الدين ، فان قرار الطرد الذي اتخذ بحق قساوسة سوق اهراس في الربيع ، اجل تنفيذه الى ايلول (سبتمبر) ، ١٩٥٩ ، الا ان الحدث وجه الانظار نحو الارسالية الفرنسية التي ينتمي إليها المشتبه بهم . كان الأب اوغرو رئيس المدرسة الكهنوتية التابعة للبعثة عند تأسيسها في عام ١٩٤١ ، وكانت مهمة هذه المدرسة ، من حيث المبدأ ، تخريج قساوسة قادرين على تنصير المناطق غير المسيحية ، والمناطق الريفية بصورة خاصة . الا ان هؤلاء الخوارنة الذين يختلفون عن غيرهم ، توجهوا نحو العالم العمالي ، وذلك بتأثير الخوارنة الذين عاشوا في المانيا حياة البروليتاريا الحقيقية . وظهرت طلائع (القس العمال) في عام ١٩٤٣ . وقد فهم هؤلاء حالا بأن عليهم ان يصغوا قبل ان يتحدثوا ، وكانت مدرسة الكهنوت التابعة (لارسالية فرنسا) ، في ليزيو ، مدرسة مخصصة للتعرف بالعالم العمالي ، اكثر من كونها مدرسة لتعليم كيفية دعوة العالم العمالي الى الدين . وهذا ما اكتشفه روبير دافيزي عندما سمع له المطران ، في عام ١٩٤٩ ، بالدخول الى هذه المدرسة . كانت الالبسة الزرقاء هي الشائعة ، وكتابات هيجل وماركس وصحيفة اومانيته هي المقروءة ، ويتحول القس بين دورتين من الدراسات الكهنوتية الى خراطين او بحارة ،

---

٦ ـ محادثة اجريت مع هنري بيوا في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٥ .
٧ ـ شهادة ادلى بها جيلبرت ماركيز في آذار (مارس) ١٩٧٩ .

وكلهم يعرفون عن ظهر قلب ، اسرار الاتحاد العام للعمل واساليبه . ويمكن القول باختصار ، بأن الامر لم يهدف الى التعرف على العالم ، بل الى تحويله[8] .

في الأول من آذار (مارس) عام ١٩٥٤ ، اصدر الفاتيكان الانذار الذي يلزم القسس العمال بتحديد خيارهم ، فاما العمل او الكنيسة ، واختارت الغالبية ، مائة وعشرون من أصل مائتين ، العمل . وشهدت (ارسالية فرنسا) أزمة حادة ، ونقلت مدرستها الى ليموج ثم الى بونتيني ، الا ان الملح والى نشر وتبخر لا يمكن ان يصبح باهتا : كان القساوسة الذين ينتمون الى هذا الاتجاه ، من بين الاوائل الذين هبوا ضد الاضطهاد الاستعماري في الهند الصينية ، والذين اكتشفوا وتحدثوا عن بوادر ثورة الفاتح من تشرين الثاني (نوفمبر) ، ذلك لانهم عايشوا العمال الجزائريين ، وقاسموهم حياتهم في المعامل وفي الاحياء الشعبية .

ومنذ ربيع ١٩٥٥ ، انخرط احدهم وهو جان اورفوا ، في عمليات دعم جبهة التحرير ، مثلما فعل جانسون . وازدادت الطلبات عليه ، وتطور نشاطه ، وجمع حوله زمرة فعالة مترابطة ، ولم يكن ذلك سوى بداية في العاصمة وفي المقاطعات ، ونرى هنا ايضا مسيحيين متدينين وتروتسكيين ومثقفين معارضين ، يقيمون شبكات دعم . وهكذا يجتمع في ليون اثنان من الفوضويين ، بورجوا ورامبي ، مع تروتسكي يتخفى تحت لقب سيلفان ، ومع مسيحي متدين يدعى بوليت ، يوحدون جهودهم لدعم الوطنيين الجزائريين . وتشهد مجموعتهم توسعا سريعا وخصوصا في الاوساط الكاثوليكية المتدينة . اما في مرسيليا فنشط لوسيان جوبلان ، المجاز بالفلسفة ، وهو سارتري مقتنع ، ومن مناضلي اليسار الجديد ، بعد ان مل المطلبات ، ويقذف بنفسه في العمل المباشر ، ويتسق مبادرته مع مبادرة العمال المسيحيين الذين يؤوون الجزائريين الملاحقين .

في يوم الثاني والعشرين من تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٥٦ ، اجبرت المطاردات الفرنسية طائرة مدنية كانت تنقل من الرباط الى تونس اربعة (قادة تاريخيين) لجبهة التحرير الوطني ، هم بن بلا ، وخيضر ، وآيت أحمد ، وبوضياف ، بالاضافة الى مؤرخ كان في الطائرة هو مصطفى الأشرف ، على الهبوط في الجزائر . ووضعت رئيس مجلس الوزراء غي موليه ، الذي كان يصرخ بأعلى صوته في تموز (يوليو) السابق : لو كان جوريس حيا لكان فخوراً بعملنا في الجزائر[9] . وضعته أمام الأمر الواقع ، فوقف شاحب الوجه من الغضب يعلن عن تحمله مسؤولية اول عملية قرصنة سياسية في تاريخ الطيران .

وها هو فرانسوا ميتران يتمرد ويهاجم موليه قائلا (ان فرنسا تتكلل بالخزي والعار) ويرد عليه غي موليه (انك تفعل معي ما فعله ذلك السوقي سافاري)[10] وكان الان سافاري آخر رهينة حر في هذه الطغمة

---

٨ . مقابلة اجريت مع روبير دافيزي في آذار (مارس) وأيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ .
٩ . لوموند ٣٠ تموز (يوليو) ١٩٥٦ .
١٠ . الف . او . جوتبيت .

المقنعة بثوب حكومة قد استقال . ويبقى ميتيران . . . متضامناً .

كان جان ماري بوغلان في ذلك الحين ، مراسل صحيفة (لونيون دورنيس) ، وهو الذي حدثنا في السابق عن تمرد المجندين ، كان يكتب تحقيقاً صحفيا عن قطاف العنب في مقاطعة شامبانيا ، عندما اعلنت الاذاعة الفرنسية نبأ اخبار الطائرة على الفروط وها هو يقول (كان المذيع يتلو أسماء «الارهابيين الخطرين» واعترف ان اسماء بن بللا ورفاقه لم تذكرني بأي شيء»، وفجأة سمعته يذكر اسم الاشرف، كنت اعرفه ، واجتمعت به في مجلة (الأزمنة الحديثة)، وها هي الاذاعة تصف هذا المفكر والمسالم ، وتلك بعض من صفاته ، بأنه (إرهابي خطر)، فقلت لنفسي ان الامر كذب بكذب من أوله الى آخره) . كان رد فعل بوغلان منفرداً منعزلاً . اما فرنسا فقد صفقت.

بهذا الاندفاع ، وبموافقة الرأي العام الفرنسي بالاجماع تقريبا ، يستحل غي موليه ، مصحرة الحرى في محل مفاخره ، ويقفز المظليون الفرنسيون الى جانب نظرائهم البريطانيين على السويس ، بينما تنتهك الدبابات السوفيتية بودابست ، فترة مباركة للصحفيين الكبار . فالعالم يتصحر في كل مكان وكل معسكر يهول من أهوال ما يرتكب في المعسكر الآخر مبررات خطاياه ، وكان للهجوم الذي قامت به مجموعة من اليمين المتطرف على مقر صحيفة لومانيتيه، الفضل في رص صفوف الحزب الشيوعي المخلخلة .

وفي وسط المعمعة ، وجدت حفنة قليلة من الرجال نفسها دائما وابدا ، إنهم من المثقفين ذوي الضمير القلق الحي، رفضت حجج ومبررات اولئك وهؤلاء، بقلوب كبيرة تدين جرائم الجميع ولاحظت انه من الصعب ان يكون الانسان في عمر الزهور على القاصر بودابست التي تحترق . او في قرى الاوراس التي تقصفها القوات الفرنسية .

وكان معارضو القمع بالرصاص ، موضع عناية فريدة .

اعتقل اندريه ماندوز يوم الجمعة ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ونقل الى باريس ، ووجهت اليه تهمة المساس بمعنويات الجيش والوطن ، ونقل الى سجن باريس يوم الاثنين . وقامت المخابرات الفرنسية بتفتيش منزل في نوفل لوشاتو . وذكرت العديد من الصحف ان ملاحقة ماندوز قضائيا جاءت نتيجة لمعلومات ادلى بها بن بللا خلال استجوابه ، ويبدو ان هذه الصحف استقت معلوماتها من المصدر نفسه . والتزمت الصمت حول اعتقال ثلاثة من الشباب ، اعتقلوا في الفترة نفسها وهم : سيسيل فيردوران ، وآن ماري شوليه ، وبيار ريم .

كانت سيسيل فيردوران قد تعرفت على ماندوز في الجزائر ، عندما كانت تعمل في مركز الفنون المسرحية في مطلع الخمسينات، وهي من قراء (الضمير المغربي)، وعادت الى فرنسا قبل الفاتح من تشرين الثاني (نوفمبر) بقليل، وهي مقتنعة بفكرة استقلال الجزائر. وفي عام ١٩٥٥ اصبحت (صندوق بريد) لجبهة التحرير الوطني لمدة اشهر، تتلقى بريد القيادة الخارجية للثورة ، لتوصله الى صالح لوانشي رئيس

الجبهة في فرنسا . وكان خطأ كبيراً ارتكبه بن بلا ان سجل عناوينها وأسمها في دفتره . ولكن كيف له ان يعرف بأنه سيقع في الأسر؟ . وفي العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) دق رجال المخابرات على بابها في باتي واعتقلت سيسيل فيردوران ، واستجوبت في مقر المخابرات ، ووجدت المخابرات في منزلها حزمة من الرسائل التي لم يتمكن لوانشي من اخذها . والهمت خطية صالح لوانشي ، مثل ماندوز ، بالاساءة لمعنويات الجيش ووضعت في سجن (بتيت روكيت) بأن ماري شوليه .[11]

استنفر المثقفون الكاثوليك تشجيع من روبير بارا ، للدفاع عن اندريه ماندوز . وألفت لجنة ترأسها مورياك ، وتولى جان ماري دوميناك سكرتاريتها . وطالب مائة وواحد وستون مدرسا جامعيا بعريضة مشتركة ، اطلاق سراح زميلهم . وتبعهم تلامذة من مدرسي الثانوي . وتولى اندريه فروسار الذي كانت افكاره تتعارض مع المحتل الى درجة كبيرة ، الدفاع عنه في مقال لاذع تحت عنوان : (ذلك الماندوز الذي يجلب لنا كل المشاكل) .[12] ونشر جورج سوفير في زاوية رأي حر في صحيفة لوموند مقالاً تحت عنوان (الذي يحاول ارتكاب الخطأ) ، وذكر سوفير ، الذي كان يفاخر بصلاته مع المسيحيين الموقوفين ، بأنها ليست المرة الاولى التي يرفض فيها ماندوز الرضوخ . الم يكن من مؤسسي (تيموانياج كريتيان) في عام ١٩٤١ ضد المحتل الهتلري وضد فيشي ؟[13] .

ولم تمض الحملة بدون جدوى ، واستجوب ماندوز ، بعد خمسة اسابيع من اعتقاله ، من قبل قاضي التحقيق العسكري المقدم جيرو ، حول عمق المشكلة ، ثم اطلق سراحه . كما اطلق سراح سيسيل فيردوران وان ماري شوليه[14] ، وما كاد ماندوز يخرج من سجنه محاطا بمحاميه الاستاذين بيير ورونيه ستيب[15] ، حتى اعلن انه كان على اتصال مع قادة جبهة التحرير الوطني ، وانه ليس هناك من احد يعرف ذلك أكثر من القائمين على الحكم ، الذين قال انه كان يعلمهم باتصالاته هذه بانتظام . وأضاف (لقد التقيت في كانون الثاني في باريس بمختلف الشخصيات من الجبهة الجمهورية ، الذين كان من المفروض ان يكونوا في الحكومة الحالية ، وبصورة خاصة مع السيد فوكو المدير الحالي لمكتب غي موليه ، ومع السادة مانديس فرانس وجوفير وسافاري ، واعلمتهم بخطورة الموقف ، ونقلت اليهم المعلومات التي حصلت عليها من المقاتلين انفسهم ، وهكذا ذكرت لهم بأن المفوضين السياسيين التابعين للجبهة ، موافقون على التحضير لمفاوضات دون شروط مسبقة) وقال ماندوز أيضا (وقد اقترح هؤلاء المفوضون السياسيون بواسطتي ، على ممثلي الحكومة التي كانت ستؤلف ، امكانية استخدام كلمة الشخصية الجزائرية ، التي لوحظت فيما بعد في البيان الوزاري الذي قدمه السيد غي موليه).

---

١١ ـ محادثة اجريت مع سيسيل فيردوران ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨ .

١٢ ـ لوموند ، ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦ .

١٣ ـ لوموند ٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٦ .

١٤ ـ بيير ريم ، ابن معاون رئيس بلدية مدينة الجزائر ، وكان قد اطلق سراحه ايضا .

١٥ ـ من بين اول المدافعين عن الوطنيين الجزائريين.

وأضاف ماندوز موجها حديثه للصحفيين الذين فغروا افواههم . (الكم لا بد تريدون معرفة مواقف الشخصيات الفرنسية التي التقيت بها ؟ اعلموا بأنهم جميعهم اجابوني ، ان اصدقاءك قياديي جبهة التحرير الوطني يطلبون الكثير ، وان الرأي العام الفرنسي ليس جاهزا لذلك حتى لو كان البرلمان معهم . وقد بدا لي شخصياً بأن السيدين دوفير وسافاري عبدان مبدأ المفاوضات ، اما مانديس فرانس فبدا لي متحفظا)[16] وبعد ذلك بقليل أكد السياسيون الثلاثة ، الذين استقال اثنان منهم وهما سافاري ومانديس فرانس من الحكومة ، اكدوا بانهم التقوا في كانون الثاني بماندوز بهدف استعلامي ، الا ان السيد فوكون لم يعلق على ما قيل ، بالرغم من انه كان معنياً مباشرة .

في شهر ايار (مايو) اصدرت محكمة بليدة ، امرا باجراء تحقيق مع ماندوز . وفي هذا الاطار تم تفتيش منزله في نوفل ، وصودرت الوثائق التي كان الاستاذ قد عرضها في كانون الثاني (يناير) على أعضاء الحكومة المرشحين . وكانت تحتوي على لمحة عن الثورة ، ومخطط يبين مواقع لمركز جبهة التحرير الوطني ، وتقرير عن العمليات التي تمت في الاوراس . وكانت هذه الوثائق كلها بخط القادة الجزائريين انفسهم ، كما كانت مرمزة . وتساءل ماندوز في نهاية مؤتمره الصحفي المفاجيء (هل كان علي ان اعاون قاضي التحقيق في كشف السر . ام أن الحكومة كانت مهتمة بالمحافظة على السر ؟) ويتابع (ولكني اعرف أي موقف كان على اتخاذه ، اتصلت هاتفيا بالسيد فوكون ، الذي استقبلني بعد ساعتين فقط ، وبدا لي بأنه كان يريد أن يدافع عن موقف غي موليه ضد موقف لاكوست) واختتم موكون بهذه الجملة الهائلة (خلال فترة قصيرة سنستقبل هنا في ماتينيون ، بكل المراسم ، قادة الفلاقة) .

وفي مساء اطلاق سراحه ، شارك البروفسور ماندوز ، في صالة اتحاد العلماء ، في مهرجان خطابي دعت اليه لجنة الدفاع التي ستحمل اسمه ، ومارس فرانسوا مورياك عبقريته باتباع الطريق الاقصر ، التي اشتهر بها ، فهو يستنتج الدرس من الأحداث عندما قال لماذا أدين اندريه ماندوز ؟هل دعت الحكومة بعيدا في طريق الاتصالات ابعد بكثير مما يعرف الجمهور . . . ان كلا من هذه السياسات اثالث الاخرى) . ان من بين ما يجهله الجمهور ، هو أن الأمين العام المساعد للحزب الاشتراكي بيار كوماث ، التقى في ايلول ، وفي روما بمحيضر ويزيد دبلوماسيي الجبهة . ويذكر (الاستاذ العزيز) مارو[17] من على منبر المهرجان الخطابي ، بأن غي موليه هو أصلا من الجهاز التدريسي ويقول (ان من لا يستطيعون السيطرة على صفهم ، يكثرون من النصائح والاوامر . . .) بانتظار دوران عجلة الزمن

في شهر ايار (مايو) ١٩٥٦ وبينما كانت مظاهرات المجندين تزدهر ، غادر القس السابق جالك برتليه ، احد مناضلي (مجموعة تعاون) ، فرنسا الى سويسرا لتنظيم شبكة لاستقبال الفارين من الجندية والرافضين لها . وكان موقنا بأن تصاعد الحرب (وخيانة) الاحزاب اليسارية ، ستؤدي الى خلق تيار كبير من المجندين

١٦ ـ لوموند ٢١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٦ .

١٧ ـ لقب اطلقه موريس بورجيه على هنري مارو ، بعد مقالته الشجاعة التي نشرها في لوموند في ٥ نيسان (ابريل) ١٩٥٦ .

الرافضين . وكان عليه في نهاية الصيف ان يعرف بخيبة امله ، لان قليلين اولئك الذين اتبعوا مثال هنري مايو أو موريس أودان ، فاليرو، ذلك الطفل الذي فضل الفرار مع سجينه بدلا من اخذه الى المشنقة . ولم يتجاوز عدد هؤلاء ستة جنود لجأوا الى سويسرا ومن بينهم جوزيف لوكا ، الذي كان متمركزا في بالبستور عندما ابيدت دورية من المجندين . وبعد هذه المجزرة، اخذ بدوره يشترك في عمليات التعذيب ، وكان في اجازة في احد الأيام ، فوجد نفسه وجها لوجه مع رفيق جزائري قديم كان يعرفه قبل قيام الحرب ، فاعترت مشاعره ، واستيقظ ضميره ، ولم يعد الطريق الذي اتبعه ، ففر من الجندية واجتاز الحدود الى سويسرا . وكان هناك ايضا لوي اورهان الذي فر من وحدته في تمارل (سبتمبر) ، وهو عامل شيوعي . فلم ان علمت طردته ، فعاد الى فرنسا في محاولة لشرح موقفه ، الا ان والده ، وهو شيوعي قديم ، اخبر الشرطة بوجوده ، ففر من جديد ، وأقام في افيردون ، وهكذا تشكلت مجموعة ستكون فيما بعد قاعدة خلفية للعناصر التي تتعاون مع جبهة التحرير

في نهاية عام ١٩٥٦ طلب صالح لوانشي من جانسون ان ينظم امر نشر (المقاومة الجزائرية) . الا لأند وانه اعتبر بالوزن السحب العادي بمعونة التروتسكيين قد لي ، فنقل جانسون هذه الرغبة الى بيرتليه ، الذي كانت له علاقة جيدة باحد أصحاب المطابع في ايفردون وهو السيد كورنالد ، وقام بيرتليه ، بمساعدة لوي اورهان وسيرج ميشيل ، وهو سكرتير التحرير السابق لصحيفة الجزائر الجمهورية (الجيه ريبوبليكان) ، الناطقة باسم مجموعة فرحات عباس ، قاموا بالمهمة خير قيام ، الا ان المشكلة كانت في ادخال الصحيفة الى فرنسا ، فقام بيرتليه بالبحث عن هذه الامكانية لدى المهربين ، ودله قس من سان غينولف على شخص مختص باجتياز الحدود ، الا ان الشخص الذي كان من المفروض ان يستقبل الارسالية في فرنسا ، تهرب ، عندما عرف طبيعة الارسالية . وبعد محاولة ثانية غير مجدية ، ارسل جانسون بولو بسرعة الى سويسرا ، وقال فيما بعد (في يوم عيد الفصح من عام ١٩٥٧ ، طلب مني جانسون ، ان احمل بعض المال الى برتليه ، الذي كنا نسميه لوسيان ، فسافرت برفقة صديقة هي هيلين فيما ، وعندما وصلت الى جنيف قال لي لوسيان الا تستطيع ان تحمل معك بعض الصحف ؟ . . . لقد كان المقعد الخلفي من سيارتي الصغيرة مكدسا بالصحف ، ونام طفلي الصغير فوقها ، انه تهور صارخ) . لم يأت هذا العمل بمحض الصدفة ، فمنذ شباط (فبراير) ، والجبهة فرنسا يعيش في الضباب ، فقد اعطت قيادته الجديدة .

كان مركز التنسيق والتنفيذ [18] قد أرسل محمد البجاوي ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧ ، الى فرنسا ، لاعادة تنظيم الاتحاد . وكان البجاوي من كبار التجار في مدينة الجزائر ، انضم بسرعة الى الجبهة بعد اندلاع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ ، وكان قد حاول ، قبل عام ، بالتعاون مع الأحرار في الجزائر ، إقامة لجنة للهدنة المدنية . وحاول كامو ، الكاتب المشهور ، أن يعاونه ، إلا أن المحاولة فشلت . وبعد أن

---

١٨ ـ مركز التنسيق والتنفيذ ، هي واحدة من الهيئات العليا داخل جبهة التحرير .

وصل البجاوي الى باريس ، قام بتنظيم قيادة جبهة التحرير في فرنسا ، من لوانشي واحمد بومنجل وعدلاني الملقب بيير و وأحمد طالب . كما أنشأ الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، والاتحاد العام للتجار الجزائريين ، وتوقفت نشاطاته عند هذا الحد . ذلك لأن البجاوي طويل القامة ويجلب الانتباه ، وليست لديه تجربة في العمل السري ، فكان يعطي مواعيده في أماكن عامة ومعروفة مثل (كافيه دولابيه) المشهورة ، وكما فعل لوانشي ، بذل البجاوي جهوداً كبيرة في اتصالاته مع المثقفين اليساريين والصحفيين ، وكان الأكثر صداقة يعرفون أين يجدونه ، لقد قال أحد المناضلين من القواعد الجزائرية ، أن بنية الجبهة في ذلك الحين ، كانت تسير في الواقع بدونه ، وكان ذلك أفضل لها . وفي السادس والعشرين من شباط (فبراير) ، اعتقل البجاوي ، في شقة قريبة من قوس النصر ، ولم تكن قيادته إلا أمراً عابراً . واعتقل صالح لوانشي أيضاً ، في شارع فرانسوا فيليير ، كما أعتقلت بائعة عطور ، تدعى اليان كريسان ، إذ كان الحانوت الذي تعمل فيه يستخدم كصندوق بريد للجبهة .

تقطعت أوصال الاتحاد مرة اخرى ، وتبين للمناضلين الجزائريين وللفرنسيين الذين يدعمونهم ، بأنه لا بد من ترك العمل الأعتباطي جانباً ، واللجوء بسرعة الى العمل المخطط.

---

١٩ ـ الجمعية العامة للعمال الجزائريين والجمعية العامة للتجار الجزائريين .

٤

التعذيب بالكهرباء في الجزائر

غادر المجندون المدعوون فرنسا في الربيع ، دون طبل او زمر أو ورود ، ولكن من ماتوا في ساحة الشرف ، قدر الوطن جهودهم ، ووضع الأكاليل على قبورهم . أما بالنسبة للغالبية العظمى منهم ، أولئك الذين لم يبدوا حماساً زائداً، فقد كان أسلوب السيطرة عليهم قاسياً. واخذ ضباط - تسلحوا بمبادىء أولية بدائية من علم النفس - على عاتقهم ، تحويل هؤلاء المحتجين الى رجال من نخبة القاصمة وحيزتهم ، وألقت السلطات العليا على هؤلاء الشباب الصاخبين غطاءاً أسود من الصمت، ونسيهم الجميع بعد أن غاصوا في ضجيج الجبال. إلا أن البعض منهم ممن لا يحترمون الذكرى، أرادوا أن يذكروا الوطن بهم . لقد قاموا بالحرب، لكنهم قرروا أن يحكوا ما رأوا.

كانوا بضعة من المسيحيين ، قساً أو علمانيين ، اعتادوا على اللقاء عند الرقم ١٧٦ من شارع سان جاك ، في الغرفة التي كان يقطنها الأب برنار بوندورسيك ، وهو مهندس من خرجي بوليتكنيك ، التحق بمدرسة الكهنوت التابعة للأرسالية الفرنسية ، قبل أن يصبح باحثاً في الهيئة الوطنية للطاقة النووية في مركز ساكلي قرب باريس . وكمناهض للقنبلة الذرية ، فقد ناضل في صفوف حركة السلام . وكمحب للسلام ، هزته في مساء ذلك اليوم من أيلول (سبتمبر) ١٩٥٦ ، الروايات التي نقلها إليه قس من الأرسالية الفرنسية ، عادوا لتوهم من الجزائر . وكان يلتقي كثيراً بالأب دافيزي ، الذي تابع دراساته العلمية بعد أن كرس قساً ، وكان يعمل مع بير أيغرين ، في مخابر الفيزياء في المعهد العالي للمعلمين ، أما جان أورفوا ، ذلك الناصر النشيط لجبهة التحرير الوطني ، وصديقه بيير ماميت ، الذي أبعده لاكوست عن الجزائر ، فكانا من بين المجموعة . وهناك طبعاً روبير بارا . لقد قلبت كيان كل هؤلاء الرجال ، الرسائل التي كان يبعث بها إليهم ، جنود وطلاب الأرسالية ، وأعضاء (العمل الكاثوليكي) .

يقول العريف (ر) من اللواء المظلي الثاني في رسالته : (لقد رأيت معتقلين يخرجون من الغرفة التي استجوبوا فيها ، وقد شوهوا تماماً ، ويستحيل التعرف على عيونهم ، أو أنوفهم ، اما رقابهم فكانت متورمة) ويضيف (إذا ألفت يوماً محكمة نورمبرغ جديدة ، فلنا ستدان جميعاً ، فما كان يتم في أورا دور ، نمارسه نحن كل يوم) . ويروي أحد الخوارنة (منذ اثني عشر يوماً ، وفي مساء ذات اليوم ، خرج احد الحرس في

إحدى القرى ، قام الجيش في فجر اليوم التالي بإخراج عشرة رجال كرهائن ، من البيوت والأكواخ ، وأعدموهم) . ويقول أحد الضباط (لقد رأيت مخابرات المظليين يقومون بالتعذيب طوال اليوم ، لإجبار المعتقل على الاعتراف ، كما رأيت أنابيب المياه المضغوطة ، تدخل في الفم حتى يخرج الماء من كل مكان ، ورأيت الأيادي مربوطة الى الخلف ، يعلق منها المعتقل حتى تتفكك أوصاله ،ويلصق أحد الشريطين الكهربائيين على العضو التناسلي والآخر على الرأس ، ويمرر التيار الكهربائي ، وعندما يفرغ المعتقل كل ما عنده ، يتلقى حجراً بين كتفيه) . ويروي جندي احتياطي (كانت التسلية المفضلة ليوم الأحد ، هي تعذيب جزائري بدعوى أنه من الثوار . يبدأ المشهد من الثامنة صباحاً حتى الثامنة مساء ، وفي تلك الساعة ينتهي به الأمر في حفرة الرصاص بعدأن تفشل محاولة شنقه) . ويروي جندي احتياطي آخر (. . . . . . كان الرجل يتلوى من شدة الألم ويصرخ صراخ الموت ، ولم نعد نعرف فيما إذا كان الصراخ صراخ رجل أم صراخ امرأة ، فقد اضطرب الصوت الى درجة كبرى) . ويكتب الأب هوتان ، إبن مدير صحيفة (ويستفرانس) في مذكراته (ان الصراخ الذي سمعناه كان يصدر ، كما توقعنا ، عن الطفل الذي مرّ عليه التيار الكهربائي) .

كانت المجموعة المجتمعة في ذلك المساء في شارع سان جاك ، تقرأ وتسمع العشرات من هذه الشهادات الدامية المترافقة مع بعضها . (كيف تريدون مني أن أصمت ؟) صرخ بخيبة أمل ذلك القس الشاب الذي استدعي لأداء الخدمة الاحتياطية كملازم في القبائل الكبرى .

في الواقع كان من المستحيل الصمت . . . . . فاقترح روبير بارا على رفاقه تأسيس لجنة مقاومة روحية ، وطبع كتيب يحتوي على الـ ٦١ رسالة التي تلقتها المجموعة ، وتولى إخراج الكتيب ، وطبعت النسخة الأصلية ، في مطبعة متواضعة في شارع بوبيو ، في الحي الثالث عشر في باريس ،وقبل النشر ، سلم وفد من اللجنة نسخة من الملف مرفقة برسالة الى رئيس الجمهورية ، ولا نعرف فيما إذا كان الرئيس رونيه كوتي قد اظهر تأثراً خاصاً أم لا ، إلا أن شيئاً لم يستشف علناً .

صدر الكتيب في الأيام الأولى من شهر آذار (مارس) ١٩٥٧ تحت عنوان (المجندون يدلون بشهاداتهم) ، ووقع المقدمة جماعياً ، جان ماري دوميناك ، وهنري مارو ، وروبير بارا ، وأندريه فيليب ، ورونيه كابيتان ، وبول ريكور ، ورونيه ريمون ، وآخرون ، من بينهم قساوسة الإرسالية الفرنسية الذين ساهموا في وضع الكتاب .

ان النزاهة والسمعة الأدبية التي يتمتع الموقعون بها ، لا تترك مجالاًللتشكيك بصحة الروايات ، وان لم تذكر أسماء أصحابها . فحاولت الحكومة مع ذلك بلبلة الأفكار ، وأعلنت وزارة الدفاع ، بعد أن أجرت تحقيقاً (بأن الوقائع التي وردت، اما غير موجودة ، أو مضخمة ومشوهة) . وفي الوقت نفسه، أي في الخريف، تم تشكيل لجنة برلمانية للتحقيق في (قضية تعذيب)، قيل أنها جرت في وهران، وأعلنت اللجنة نتائج تحقيقها، في آذار (مارس)، وكان الضحايا، من الشيوعيين أو من الكاثوليكيين، قد أكدوا بأنهم عذبوا

عند استجوابهم .

وتحدثت الصحف عن آثار تعذيب لاحظها الأطباء ، مما اضطر السلطات الى التحرك . وهكذا شكلت اللجنة ، وكلف غي موليه أحد رفاقه الاشتراكيين ، السيد بوفو ، نائب « رونيه » ورئيس بلديتها ، برئاسة اللجنة . يقول تقرير اللجنة : (ان اللجنة ، بعد القيام بدراسة عميقة للملف القضية ، تعتبر بالاجماع ما عدا صوت واحد ، أن التحقيق الذي أجرته لا يمكن ان يقودها الى الاقرار بوجود التعذيب) . أما الصوت المعارض الذي لم ينضم الى هذه النتيجة التي فازت بالاجماع ، فهو صوت النائب ليون هوفنانيان ، من جماعة ماندليس فرانس ، الذي أعلن عن معارضته لاجماع زملائه ، في بيان مليء بالسخرية اللاذعة ، قال فيه (يؤكد المعتقلون ، بأن الجروح النقطية ، الظاهرة في أصابعهم وفي أرجلهم ، والتي يمكن ملاحظتها ، جاءت نتيجة للتيار الكهربائي ، وانني أرى من الصعب أن نتبع ما يدعيه الخبراء الطبيون ، الذين يعزون هذه الجروح والتقرحات لمرض الحكة ، الناجم عن طبيعة المناخ في شمال أفريقيا) .

ولا بد من التذكير بأن هوفنانيان هو الطبيب من بين أعضاء اللجنة . لم يكن الكتيب (المحتدون يدلون بشهاداتهم) أول وثيقة تنشر لتفضح عمليات التعذيب . فقد نشرت صحيفة (تيموانياج كريتيان) في شباط (فبراير) ١٩٥٧ ، في العدد الثامن والثلاثين (ملف جان مولير) . وجان مولير هذا هو أحد قادة الحركة الكشفية الفرنسية ، قتل في الجزائر في تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٥٦

تصف المذكرات اليومية التي كتبها مسيحي قتل في المعركة (مسار طريق التهدئة) . تصف الأساليب التي يستخدمها الجيش الفرنسي دون تمويه . فيقول جان مولير (لا بد لي أن أحدثكم طويلاً عن التعذيب ، الذي يقوم به أربعة ضباط صف ، وعشرة ضباط ، وفصيل من المجندين . والمبرر هو أن التعذيب هو الوسيلة الوحيدة للحصول على المعلومات ، ويقيم في معسكر طبلات وسطياً ، مائة وخمسون معتقلاً ، وكلهم يخضعون للاستجواب بالتيار الكهربائي على الأعضاء التناسلية والأذنين ، أو بالبقاء تحت أشعة الشمس المحرقة في قفص من الحديد ، أو الركوب عراة على عصاة خشبية بعد ربط القدمين واليدين ، أو الضرب بسوط من عصب الثور ، أو « بضربة باب » . ويتلخص هذا الأسلوب بوضع اليد ثم الضغط على الباب بقوة . . . .) . إن كل هذا يحمل اسم الفظاعة والهول ، وقد صودرت صحيفة لوماتيه الصادرة في ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٥٧ لأنها نوهت بهذه الشهادة .

قام الكاتب الكاثوليكي بيير هنري سيمون بنشر كتابه (ضد التعذيب) الذي صدر عن دار النشر (لوسوي) ، في آذار (مارس) من العام نفسه ، واسترجع فيه العديد من هذه الشهادات ، وطرح خطورة المشكلة والمسؤولية الجماعية تجاهها . فها هو يقول (أما بالنسبة لنا ، نحن الذين كافحنا ضد العنصرية الرهيبة ، فلا بد أننا كنا مغفلين مخدوعين ، وأن هتلر قد هزمنا اليوم ، إذ أن وطننا يأخذ عنه أفكاره وأساليبه ، ويتنكر للمبادىء الانسانية التي طالما أعتقدنا بأنها نابعة من روح الأمة) ، ويذكر بأن الفرنسيين بعد التحرير ،

عملوا على الشعب الألماني ضمنة الجماعي تجاه البربرية النازية . فيرد عليه هوبيربوف ميري على الصفحة الأولى من جريدة لوموند (ان هتلر لم يهزمنا بعد كما يخشى بيير هنري سيمون إلا أن الوقت قد حان لاطلاق صفارة الانذار ، ولم يعد للفرنسيين الحق ، ومنذ اليوم ، ان يدينوا بالعبارات نفسها التي كانوا يستخدمونها منذ عشر سنوات : تدميرهاورادوره وجرائم الجستابو)[1].

كان المظليون قد دخلوا مدينة الجزائر منذ مطلع العام ، وسلم محافظ المدينة جميع السلطات الامنية ، بناء على امر من روبير لاكوست الوزير المقيم ، يوم السابع من كانون الثاني (يناير) ، الى الجنرال ماسو ، قائد الفرقة المظلية العاشرة . وبدأت معركة الجزائر العاصمة ، واصبح التعذيب جوهر الحرب وروحها يقول ماسو في كتاب يتميز بالصراحة : (ان الشرط الذي لا بد منه لنجاح عملنا في الجزائر هو ان نقبل بروحنا وضميرنا بهذه الاساليب على انها ضرورية ومقبولة اخلاقيا)[2] أما بالنسبة لما يهم الروح فقد تولى ذلك الأب دولارو ، واعظ الفرقة المظلية العاشرة ، الذي برر في تعميم على القوات المسلحة ، استخدام التعذيب ، الا ان رؤساءه في الكنيسة لم يتبعوه في هذا الطريق الملتوي ، وشجبت الكنيسة الفرنسية في الخامس عشر من آذار (مارس) (الاساليب السيئة بحد ذاتها) وبعد أن حصل رجال ماسو على مباركة خططهم ، نشطوا في تشتيت تنظيم جبهة التحرير الوطني في مدينة الجزائر ، وأعلنت السلطات العسكرية يوم الرابع من آذار (مارس) (انتحار) العربي بن مهيدي ، مسؤول الجبهة ، الذي اعتقله بيجار قبل ايام من ذلك . واتهم الوطنيون الجزائريون بيجار بجريمة قتل زعيمهم في زنزانته ، ورد بيجار بأن بن مهيدي قد غادر مقر قيادته ، بناء على اوامر عليا ، بعد ان قدمت له ثلة من المظليين مراسم الشرف ، الا انه نسي ان يذكر بأن السجين قد سلم الى لواء خاص .

وفي يوم الثالث والعشرين من آذار (مارس) تحطم على الأرض جسم محطم الأوصال ، سقط من الطابق السادس ، من بناء في حي الابيار في مدينة الجزائر . انه علي بومنجل ، المحامي الذي اعتقله المظليون منذ شهرين . وحدث ذلك بينما كان اثنان من جلاديه يقودانه الى جلسة استجواب جديدة . وأعلنت السلطات الرسمية بأنه انتحر ، وكان صدى الحادث كبيرا ومؤثرا في الاوساط القضائية ، حيث كان علي واخوه احمد المحامي ، عضو نقابة المحامين في باريس ، معروفين ، فوجه رونيه كابيتان ، مدرس القانون العام في جامعة باريس الى وزير التربية كتابا قال فيه (لقد كان علي بومنجل تلميذي في كلية الحقوق في الجزائر ، عندما كنت اتولى قيادة حركة المقاومة (كومبا) في افريقيا الشمالية ، وان نبأ وفاته ضمن تلك الظروف ، يثير فيّ القلق والأسى . . . فطالما استمرت مثل هذه الممارسات ، التي لم يتم اللجوء اليها ، حتى في معمعة الحرب ، ولم تطبق على السجناء الالمان ، وطالما سمح بها ضد الجزائريين ، واستخدمت من قبل حكومة بلادي ، فانني لن أشعر بأنني قادر على التعليم في كلية حقوق فرنسية . لذا فانني سأتوقف عن اعطاء

---

١ ـ لوموند ٢٣ آذار (مارس) ١٩٥٧

٢ ـ ذكرها فيدال ناكيه بالتفصيل . جرائم الجيش الفرنسي ـ ماسبيرو ١٩٧٥

المحاضرات ، سترحوني اذ شئتم ، او استطعتم ، اذ انني سأتقبل بسرور ، كل ما يمكن ان يساهم بتعميم احتجاجي ضد الممارسات التي تغطي فرنسا بالخزي والعار ، اذ هي بقيت سلبية تجاهها) .

ووضع هذا الاستجواب المباشر ، من قبل وزير سابق في وزارة الجنرال ديغول ، وضع غي موليه في موقف حرج . وتظاهر موليه يوم السابع والعشرين من آذار (مارس) انه يوجه اللوم الى القادة العسكريين ، وقال من على منبر الجمعية الوطنية (ان الأوامر التي طالما كررها السيد الوزير المقيم مرات ومرات تحرم قطعا المساس بحقوق الانسان واحترام كرامته) . وها هو بعد فترة وجيزة ، يعترف بالوقائع بهدف التقليل من اهميتها ، عندما يتحدث امام الحزبيين الاشتراكيين في مقاطعة الارن حيث يقول (ان ما يؤسف له وبدون شك ، ان ممارسات عنف نادرة جدا قد ارتكبت ، الا انني اؤكد بأنها جاءت نتيجة للمعارك والفظائع التي ارتكبها الارهابيون . اما بالنسبة للتعذيب عن عمد وسابق اصرار فانني اؤكد بأننا لن نسمح بها . لقد قارن البعض حول هذا الموضوع ، تصرفات الجيش الفرنسي بممارسات الجستابو ، وان هذه المقارنة مخزية)[٣] .

الا ان بول تيتجن امين شرطة مدينة الجزائر ، ارتكب جرم (المقارنة المخزية) عندما وجه الى رئيس الحكومة في الرابع والعشرين من آذار (مارس) اول كتاب استقالة له قال فيه : (لقد تكونت لدي القناعة ، منذ ثلاثة اشهر ، بأننا دخلنا في اللامسؤولية والشر ، التي لا يمكن ان تقود الا الى جرائم الحرب ، وانني لم اكن لاسمح لنفسي ، بمثل هذه التأكيدات ، لو لم اتعرف ، خلال الزيارات الاخيرة التي قمت بها لمعتقلات ومراكز التجميع في بول كازيل ، وبني مسوس ، على الآثار العميقة للتعذيب والعنف على أجساد بعض المعتقلين ، كنت قد تعرضت لمثلها شخصيا ، منذ أربعة عشر عاما ، في اقبية الجستابو في مدينة نانسي) .

وهكذا لم يعد الصحفيون والمفكرون (الذين يريدون استعراض ذكائهم وكرمهم) على حد تعبير لاكوست ، هم وحدهم الذين يشجبون ممارسات التعذيب ، ففي نهاية آذار (مارس) ، نرى الجنرال باريس دوبولاردبير ، وهو من اوائل الديغوليين ، ومن رفاق التحرير وقائد قطاع الاطلس التابع للبليدة ، نراه يطلب اعفاءه من مهامه . ويريد القائد السابق للقوات المحمولة جوا في الهند الصينية بذلك ، ان يعبر عن احتجاجه على الاساليب والممارسات ، التي يعتبرها تتعارض مع تقاليد الجيش الفرنسي . وها هو ، في رسالة نشرتها مجلة الاكسبرس في عددها الصادر في ٢٩ آذار (مارس) يهنيء مرؤوسه السابق جان جاك سيرفان شرايبر ، لنشره مشاهداته كمجند تحت عنوان (ملازم في الجزائر) . ويعرب الجنرال دوبولاردبير عن قلقه (تجاه الاخطار الرهيبة على الشعب الفرنسي ، اذا غابت عن نظره ، بحجة الفعالية المباشرة الكاذبة ، القيم الاخلاقية التي بنت وحدها حتى الآن ، عظمة حضارتنا وعظمة جيشنا) . ويرد وزير الدفاع بورجيس مونوري على تلك التصريحات ، باصدار قرار بسجنه في الثكنة ستين يوما ، وفي مجلس الوزراء ، يعرب غاستون ديفير ، وفرانسوا ميتيران عن أسفهما لتلك العقوبة .

---

٣ - فيدال ناكيه .

نشرت مجلة فرانس اوبسرفاتور ، في مطلع نيسان (ابريل) ، رسالة اخرى موجهة الى بورجيس مونوري ، من جاك بيريغا عميد كلية الحقوق في الجزائر ، يتحدث الاستاذ الجامعي فيها عن اعدام بلا محاكمة ، جرى امامه في الشارع ، يوم السادس والعشرين من كانون الثاني (يناير) . وكان رد وزير التربية الوطنية ، اقالة العميد بيريغا بناء على طلب من زملائه . الا ان الواقع ، هو ان احدا لم يعد يشك بان الحرب هي حرب قذرة . فاعاد فيركور وسام جوقة الشرف الى رئيس الجمهورية ، وأدت هذه المعلومات المتلاحقة ، لدى الرأي العام اليساري ، الذي ما زال متأثرا بالمقاومة ضد الهتلرية ، الى انتفاضة حقيقية .

كانت مادلين ريبيريو في ذلك الوقت ، تدرس التاريخ في ثانوية مارسلان بيرتلو في مدينة سان مور . انها شيوعية منذ صباها ، ونجحت في اجازة التبريز (الاغريغاسيون) بدرجة أولى ، وعوقبت في عام ١٩٤٨ ، لانها اعربت عن تحفظها وانتقادها ، للاسلوب الذي اتبعه جول موك وزير الداخلية آنذاك لقمع اضراب عمال المناجم . وقال لها عميد الجامعة وهو يبلغها العقوبة (انك مندفعة جدا ، فلماذا كتبت بأن جول موك قاتل ؟ كان يكفي ان تقولي بانه أصدر الامر باطلاق النار على المضربين . . . .) ، هذا الاندفاع الذي عاقبت عليه السلطات الاكاديمية ، كانت مادلين تعاوده كلما شعرت بانها امام ظلم . ففي عام ١٩٥٢ ، وأثر المظاهرات العنيفة التي قامت احتجاجا على زيارة الجنرال الامريكي ريدجواي[٤] لباريس ، اعتقل عدد من القادة الشيوعيين ، وكان جاك دوكلو من بينهم ، فأسست مادلين بالاتفاق مع فالديك روشيه ، في التعليم الثانوي ، لجنة للدفاع عن الحريات ، بقيت قائمة بعد هذا الحادث . كانت مادلين ، مثلها مثل الغالبية العظمى من رفاقها في الخلية ، تعارض تصويت الحزب الشيوعي على السلطات الخاصة . ونشطت في دعم المجندين المتمردين ، وثارت ضد عمليات التعذيب . وكان الاعلان عن (انتحار) علي بومنجل بمثابة الفجر ، تقول مادلين : (شعرت ذلك اليوم بأن شيئا ما قد فاض ، وان الكيل قد طفح ، وأصبح الوضع لا يطاق ، وفي المساء نفسه ، تبادلنا مع الاصدقاء من لجنة الدفاع عن الحريات الاتصالات الهاتفية ، واتفقنا على اللقاء في مقهى بول دور في ساحة سان ميشيل بعد يومين . كنا نتوقع ان نكون ثلاثين شخصا ، فكنا اكثر من مائة)[٥] . وقرر الحاضرون ان ينظموا انفسهم في لجنة للدفاع عن الحريات والسلام في الجزائر ، واختارت هذه اللجنة على رأسها اربع نساء هن : بيانكا لامبلان ، وجنفييف تريموي ، والدوية توريس ، ومادلين ريبيريو . وحددت اللجنة لنفسها مهمة اثارة احاسيس مدرسي التعليم الثانوي ، تجاه التعذيب خاصة ، والحرب بصورة عامة . فتشكلت مجموعات محلية اخذت توزع النشرة التي بدأت بطبعها بعد قليل من تشكيل اللجنة[٦] .

---

٤ ـ خليفة الجنرال ايزنهاور في القيادة العليا للقوات المتحالفة في اوروبا ، قاد في الفترة بين ١٩٥٠ و١٩٥٤ ، الجيش الثامن الامريكي اثناء حرب كوريا .

٥ ـ محادثة اجريت مع مادلين ريبيريو في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٨ .

٦ ـ كانت بيانكالا مبلان قريبة من سيمون دي بوفوار ، وهي التي عملت على تشكيل مجموعة من الجهات متحدة ، هي اللجنة الجديدة ، التي كانت تجتمع في مقر (الزمن الحاضر) ، وانضمت فيما بعد الى لجنة عمل جامعية تضم مدرسين في المرحلة الثانوية والدراسات العليا .

أعلنت النقابة الوطنية للتعليم العالي تضامنها مع رونيه كابيتان وجاك بيريغا . وحذت حذوها الحركة الوطنية القضائية ، ومائة وأربعة وسبعون عالماً وباحثاً ، والاتحاد الوطني لطلبة فرنسا . وكل ذلك خلال شهر نيسان (ابريل) . وفي الوقت ذاته ، نشرت مجلة (اسبري) نصا قاسيا جدا تحت عنوان (سلام تيا تشا) . وكان كاتب المقال ، الاستاذ المختص بالتاريخ روبير بونو ، يصرخ بأعلى صوته (ادعموا موليه) في مرفأ مرسيليا . وكان بونو من بين المجندين الذين ارسلوا عام ١٩٥٦ الى قطاع العمليات ، وصرف من الخدمة في كانون الثاني (يناير) ، وعندما عاد الى فرنسا قص على صديق الطفولة ، بيير فيدال ناكيه ، وهو الآخر استاذ تاريخ ، ما عاشه في الجزائر ، وكان هذا من جماعة مانديس فرانس ، ومن قراء مجلة فرانس اوبسرفاتور ، واصغى فيدال ناكيه باهتمام بالغ ، وهم زائد لرواية صديقه ، فحرضه على كتابة ما قاله على ورق ، واخذ النص الذي طبعته زوجته على الآلة الكاتبة ، الى جان ماري دوميناك ، وخرج العدد في اوج الحملة المناهضة للتعذيب .

كانت اول مرة ، يوقع فيها مجند باسمه وثيقة تصف اساليب الجيش . قال فيها (ان الجرحى الذين لا يتمكنون من الهرب هم غالبا ممن اصيبوا بسيقانهم ، ويعني آخر انه يمكن اسعافهم ، وبالرغم من فقدان دمهم ، والبرد الليلي القارس ، الذي كان يجعل الجلد أزرق ، كانوا يذبحون بطريقة قذرة تتجاوز الخيال الطبيعي ، الا انها لا تتجاوز الحقيقة الجزائرية . وكانت الاطر الاوروبية التي تدير عمليات التمشيط ، تتميز بصورة خاصة ، وتنهال بضربات على الجروح ، ويكاد التعساء يختنقون من الالم ، وكان هؤلاء يتسلون ويمزحون بصورة شيطانية قذرة عند اخذ الصور ، ويضاعفون وحشيتهم بحجة الاستجواب ، وفي النهاية يخرج احدهم بسكين مطبخ ويسنها لوقت طويل على الصخر امام عيني (المحكوم عليه بالاعدام) ، وكان التنفيذ بطيئا ، وتخرق الرقبة تمزيقا مع تجنب الشريان ... وزيادة في الاحتياطات ، تطلق رصاصة من عيار (٣٦) من قرب ، تمزق الوجه وتحوله الى شيء مقرف يثير الغثيان ، شيء لا اسم له في لغة الاهوال) .

تلك السطور التي يستحيل الدفاع عنها ، وهذه الصرخة الجهورية التي لا تترك مجالا لاية مخاتلة ، مهما كان الانسان دمويا ، لم تولد اي رد فعل . وقد صعق بيير فيدال ناكيه من هذا الغطاء من اللامبالاة ، الذي يكتم صراخ بونو ،[٧] وكذا كان الامر بالنسبة لرواية جورج ماتي ، وهو مجند آخر ارسل مع الوحدات المقاتلة ، تلك الرواية التي نشرتها (الازمنة الحديثة) في تموز (يوليو) تحت عنوان (ايام قبائلية) . فهي لم تلاق صدى يتعدى الدوائر المتأثرة اصلاً بمثلها ، ومع ذلك فان استمرار حرب المثقفين الذي تبع ذلك باشكال اخرى متممة له ، مثل كتابات صحف الاكسبرس ، وتيمو انياج كريتيان ، وفرانس اوبسرفاتور ، ولوموند ، لم يبق بدون فعالية . فقد اجبرت المقالات التي كانت تظهر على عدة اعمدة ، ليس في تلك الصحف التي سماها جاك سوستيل (بالاربعة الكبار للدعاية المضادة) فحسب ، بل وفي الكتلر الشبيه ، وفي الصحافة الشيوعية أيضا ، اجبرت الحكومة على التحرك .

---

٧ - مقابلة اجريت مع بيير فيدال ناكيه ، في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨

أعلن غي موليه يوم الخامس من نيسان (ابريل) عن تشكيل لجنة دائمة للدفاع عن الحقوق والحريات الفردية . الا ان روبير لاكوست حطّ وكأنه العاصفة ، في غمار المناقشة التي كانت تجري في مجلس الوزراء ، وانذر رفاقه (ان شكلتم لجنة تحقيق فانني سأستقيل) لكن غي موليه طمأنه ، واعطى البيان ، الذي صدر إثر المناقشات ، للوزير المقيم كل الضمانات . وأوضح البيان أن اللجنة قد شكلت بناء على طلب من روبير لاكوست وماكس لوجون وبورجيس مونوري ، وهم أكثر الثلاثة الاكثر معارضة لعملها . والمهم في ذلك التصريح ان الحكومة وضعت في المستوى نفسه (الحملة التي نظمها اعداء فرنسا) والمخالفات الفردية لمبدأ احترام الشخصية الانسانية . وقد كانت سلطات اللجنة محدودة ، الى درجة ان رجال مثل روبيه كاسان او المحامي توروب رفضوا المشاركة فيها . وفي النهاية وقع الخيار على مستشار في محكمة النقض هو بيير بيتيه ، ليرأسها .

منذ عام ١٩٥٤ ، طالبت السلطات العليا في البلاد مرات عديدة ، بالحصول على تقارير حول حالات العنف والتعذيب ، ففي كانون الثاني (يناير) ١٩٥٥ ، كلف فرانسوا ميتران الذي كان وزيرا للداخلية ، السيد روجيه فوبوم المفتش العام الاداري باجراء تحقيق . وقد بين فوبوم في التقرير الذي سلمه الى جاك سوستيل ، في الثاني من آذار (مارس) ان هناك عمليات تعذيب ، الا انه اقترح (تحمل مسؤولية بعض الاساليب) وفي الشهر نفسه ، قدم جان ميري الى ادغار فور رئيس الوزارة ، دراسة حول الشرطة الجزائرية . وأشار في تقرير آخر ، قدمه في كانون الاول (ديسمبر) إلى تصاعد حالات التعذيب وقال (انني كرئيس مسؤول عن الامن الوطني ، لا يمكن ان احمل التفكير ، بأن رجال الشرطة الفرنسية ، يمكن ان يوحوا بتصرفاتهم ويذكروا باساليب الجستابو ، وكضابط احتياطي ، لا يمكنني ان احمل المقارنة بين الجنود الفرنسيين والمخابرات الالمانية) . ويعود جان ميري ، مرة ثالثة ، الى الجزائر في كانون الاول (ديسمبر) ، عام ١٩٥٦ ، ويلقي تقريره الثالث ، الذي انهاه بعد شهر ، والضوء على (مأساوية الاساليب الشائعة التي يستخدمها بعض القادة تحت غطاء التهدئة) ويسلط الضوء عليها بعجرها وبجرها ، الى درجة ادت الى منع المدير العام للامن الوطني من الاقامة في الجزائر ، والى نقله في التاسع عشر من آب (اغسطس) .

ان الحكومة ، وان احتفظت بمحتوى هذه التحقيقات سرية ، لا تجهل ما يحدث وتعرف تماما ، الوقائع والشرور التي كانت ترتكب باسم فرنسا في مقاطعات فرنسية . فلجنة الدفاع ، كانت مهمتها اذن تهدئة جناح من الرأي العام أكثر من اعلامه بالحقيقة ، وهكذا نرى غي موليه ، يدشن رسميا اعمال اللجنة في العاشر من ايار (مايو) ١٩٥٧ ، ويحدد مهامها ، فيقول للشخصيات الكبيرة البارزة المجتمعة (ان مهمتكم لا تتوقف على التعرف على التجاوزات التي يمكن ان تنقل اليكم ، بل ربما يطلب منكم ، ان تحكموا على الافتراءات المبالغ فيها عمدا ، التي يطلعكم بها بعض من يتهمون الجيش والادارة الفرنسية .....) .

بعد هذا الدخول في صلب الموضوع ، ذهب المفوضون الى العمل الميداني ، معتمدين طبعا على تعاون روبير لاكوست .

في التاسع عشر من حزيران (يونيو) ١٩٥٧ ، قام عضوان من اللجنة الشهيرة ، وهما الجنرال زيلر والبروفسور ريشه بزيارة لمركز التجميع في البيار .

كان مظليو اللواء الاول للمطاردة المظلية[٨] ، الذين يشغلون ذلك المبنى الذي لم ينته بناؤه بعد ، والذي سقط منه في آذار (مارس) علي بومنجل ، على علم بتلك الزيارة . فاُخلي المتهمون غير اللائقين : اقتيد هنري اليغ الى مبنى مجاور ، ونقل موريس اودان الى مقر قيادة اللواء . اليغ واودان : اسمان ، ورمزان سيصبحان فيما بعد كلمتين مرادفتين لكلمة تعذيب .

كان الحزب الشيوعي الجزائري ، منذ حلّه في ايلول ١٩٥٥ ، ولاختياره الكفاح المسلح ، يعيش في اللاشرعية . وانضم مناضلو الحزب بعد الاتفاق الذي تم بين الحزب الشيوعي الجزائري ، وجبهة التحرير في تموز (يوليو) ١٩٥٦ ، الى الجهاز العسكري التابع للجبهة . وشاركوا في معركة الجزائر العاصمة . واعدم احدهم ، ويدعى فرنان ايفتون ، وهو عامل من أصل اوروبي ، في شباط (فبراير) بعد ان اكتشفت قنبلة في درجه ، وكان عليه ان يضعها قرب آلات معمل الغاز الذي كان يعمل فيه .

وفي العاشر من حزيران (يونيو) ، اعتقل المظليون الدكتور حجاج ، وهو من اعضاء الحزب الشيوعي ، اتهم بأنه اخفى في منزله مطبعة سرية . وبعد تعذيبه اعترف بأنه عالج احد قادة حزبه ، في منزل موريس اودان ، وفي الساعة الحادية عشرة ليلا ، زار المظليون اودان في منزله . وكان اودان مدرسا مساعدا في كلية العلوم ، انتسب الى الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٥٠ ، فاقتادوه ، ونصبوا كمينا في منزله ، وفي اليوم التالي ، وقع هنري اليغ ، المدير السابق لصحيفة (ألجيه ريبو بليكان) الذي كانوا يبحثون عنه ، وقع في الفخ ، فحاول الهرب ، الا انهم لحقوا به على السلم . وبعد ذلك اقتادوه الى مركز الأبيار ، وهناك استقبل (استقبالا حافلا) من قبل الملازمين ايرولان وشاربونيه ، وشرطي يدعى لوركا ، تنكر بثياب المظليين : تعذيب بالماء ، حرق بالنار ، حقن بالمواد الكيماوية بين الضلوع ، تعذيب في الاعضاء التناسلية . . . ولم يحصلوا على هنري اليغ بشيء ، الا انه لم يعترف . وخلال التحقيق معه ، وبينما كان في شبه غيبوبة ، التقط صوت شاربونيه يقول (هيا يا اودان ، قل له ما ينتظره ، وجنبه اهوال ليلة امس) . ورفع اليغ رأسه ، وميز رفيقه الذي لا يمكن التعرف عليه ، وسمعه يهمس ، منهوك القوى (رهيب ياهنري)[٩] ولم ير احد موريس اودان بعد ذلك .

لقد أعلنت السلطات العسكرية يوم ٢١ حزيران (يونيو) أن أستاذ الرياضيات الشاب ، قد هرب خلال نقله بسيارة جيب قفز منها . ولم تصدق السيدة أودان كلمة واحدة من ذلك ، ورفعت دعوى ضد مجهول يوم الرابع من تموز (يوليو) . وكانت الغاية انتزاع ملف التحقيق من القضاء العسكري . وسبب (اختفاء) موريس أودان تأثراً عميقاً لدى مختلف الاوساط ، وقام مدرسان شيوعيان هما ميشيل كروزيه ولوك

---

٨ - لواء المطاردة المظلي .

٩ - هنري اليغ ، السؤال ، دار نشر مينوي ١٩٥٨ .

مونتانيه ، بتقديم عريضة عرفت فيما بعد باسم (عريضة الأساتذة المناضلين) . وانضم الى هذا الاحتجاج على صفحات (لوموند) العديد من الجامعيين ، من بينهم جان بروها ، وفيدال ناكيه . واقترح جان فرانسوا كاهن ، مدرس اللغة الانكليزية في الكلية العسكرية في مدينة لافليش ، على السيدة أودان ، تشكيل لجنة لتوضيح الحقيقة . وبعد أن تم الاتصال بفيدال ناكيه ، الذي أعرب في البدء عن شكه بنجاح المهمة وكان يرى (أن هناك جريمة قتل بدون جثة) إلا أنه قرر الانتزام الى أبعد الحدود ، وانغمس في دراسة الملف وتحضير نشره . وكان من نتائج توارد كل ردود الفعل هذه وتراكمها ، وكل تلك المناورات ، ان ولدت في تشرين الأول (اوكتوبر) (لجنة أودان) خلال اجتماع عقد في منزل البروفسور مابل هاليه .

إن هذه اللجنة التي كانت نشيطة بشكل يدعو الى الاستغراب ، تمكنت من أن تحيي التقاليد الفرنسية في مقارعة الظلم ، وأن تنسق أسلوب عمل وتدخل المنظمات ذات الادارة الذاتية ، التي قامت أثناء التطورات التي شهدتها فرنسا في عام ١٩٦٨ .

وتمت ، في يوم الثاني من كانون الأول (ديسمبر) ، بحضور جمهور غفير ، حيث كان من السهل التعرف على فرانسوا موريك وادوار ديبرو ، ولوي ماسينيون ، مناقشة أطروحة موريس أودان للحصول على الدكتوراه بغيابه ، وتلا الملخص أحد زملائه من كلية الجزائر للعلوم . وكان ذلك احتجاجاً مؤثراً ورسمياً من قبل الجامعات الفرنسية .

عرضت القضية على لجنة الدفاع ، والتقت زوجة أودان بالجنرال زيلر وموريس غارسون ، ورئيس الجامعة دور ، الذي تابع القضية بصورة خاصة ، إلا أن اللجنة ، كما هو الأمر بالنسبة للقضايا الأخرى ، لم تتقدم إلا بخطى السلحفاة . ومع ذلك قدم الرئيس بيتيه ، في الرابع عشر من أيلول (سبتمبر) تقريراً أوليا الى غي موليه ، ولكن ما الفائدة ؟ فبالرغم من الوعود العديدة بنشر التقرير والتي أكدت وكررت من قبل أعضاء الحكومة ، بقي التقرير في الدرج . فبادرت صحيفة لوموند الى نشره يوم ١٤ كانون الأول (ديسمبر) وقد ثبت التقرير التعذيب بدون أي شك إلا أنه لم يتم استنتاج أية نتيجة من هذا الواقع . وبما أن اللجنة لا تملك أي سلطة لاتخاذ القرار ، فقد دعا دولاڤينيت وموريس غارسون الى الاستقالة منها ، مشيرين ضجة من حولهم .

في صبيحة ذات يوم من تموز (يوليو) عام ١٩٥٧ ، خرج الكاتب المعروف جورج أرنو الى الشارع ، بعد ليلة بيضاء قضاها معتكفاً على أوراق لم تعد بيضاء ، ورأى رزمة من الصحف لم يجف حبرها بعد ، وضعت أمام كوخ الجرائد ، وفوقها صحيفة (صدى الجزائر) ، التي تهلل وتهتف للحكم بالاعدام الذي صدر بالأمس على شابة جزائرية ، تدعى جميلة بوحيرد ، فأثارت لهجة المقال كاتب رواية (ثمن الخوف) . فقرر ان يتعرف على الموضوع عن كثب ، وأتصل هاتفياً بالأستاذ فيرجيس محامي المناضلة الجزائرية . وكتب الرجلان مرافعة حملاها الى الناشر رونيه جوليار .

تردد الناشر ، وأسر لجورج أرنو قائلاً (إنها علبة عائلة ، ولكن إن لم يقبل بها أحد غيري أخذتها)[10] إلا أن جيروم ليندن مدير دار الطباعة (مينوي) قبلها بدون شروط مسبقة ، وصدر كتاب (من أجل جميلة بوحيرد) في تشرين الثاني (نوفمبر) ، ويروي الكاتبان، أرنو وفيرجيس في هذا الكتاب تطور القضية . لقد اتهمت بأنها شاركت في العملية الدامية في ميلك بار ، وكافتريا (وهما من مقاهي مدينة الجزائر) وأنها وضعت القنابل فيها . وألقي القبض عليها في شهر نيسان (أبريل) ، وبعد أن عذبت ، وحكم عليها بالموت ، إثر محاكمة تميزت بانتهاك مستمر لحق ممارسة الدفاع . وعندما قرىء الحكم ، انفجرت جميلة ضاحكة . فقال رئيس المحكمة مستغرباً (لاتضحكي فالأمر خطر) . ويقول جورج أرنو (لقد كان هذا القاضي على حق فالأمر خطر . . . نعم خطر الى درجة أن من بين جميع القضايا التي طرحها الحكم بالاعدام على جميلة بوحيرد ، تحظى قضية براءتها الحقيقية بأقل أهمية . وليس عيب القرار القضائي ، الذي يبعث بها الى المشنقة ، بأنه ربما يكون خطأ قضائياً ، بل العيب فيه أنه ليس له ارتباط . . . بقرار قضائي) .

ويرجع الفضل في جعل كتاب فيرجيس وأرنو شعبياً ، الى صحفي لا يمكن أن يشك بأنه محابٍ لجبهة التحرير الوطني . وبعد ثلاثة أسابيع من صدور الكتاب ، هاجم أندريه فروسار في صحيفة (لوورور) اليمينية المتطرفة ، بعض الأساليب في الحصول على الاعترافات وقال (أما بالنسبة للاعترافات التي انتزعت بقوة التعذيب ، فنرى جيداً أنها يمكن أن تفيد في (محاكمات موسكو) حيث لا تهم البراءة أو الجريمة . أما أمام محكمة فرنسية ؟) ويتخذ بيير لازاريف في (فرانس سوار) اليمينية أيضاً موقفاً مشابهاً ويقول (ان عمل القتلة لا يبرر عمل الجلادين) . وهكذا نرى أن فضح التعذيب ، لم يعد إقطاعاً لتلك الفئة النشطة من اليسار المثقف . فمنذ الثالث عشر من آب (أغسطس) تحدث لوي مارتان شوفييه ، عن التحقيق الذي قامت به اللجنة الدولية المناهضة لنظام المعتقلات ، المسماة لجنة روسيه ، والتي توصلت الى النتائج نفسها : بأن التعذيب شائع . وكان من نتائج هذه الحملة ، انشاء (مركز الاعلام والتنسيق من أجل الدفاع عن الحريات والسلام) الذي عرف بمركز دولاندي ، وكان مقره في الرقم ١٤ من شارع دولاندي في كليشي والذي انشىء في تشرين الأول (أوكتوبر) من عام ١٩٥٧ ، بمبادرة من روبير بارا ، وموريس بافا . وتزود المركز بمجلة شهرية هي (شهادات ووثائق) تخصصت في نشر المقالات الممنوعة ، وكانت اعدادها غزيرة .

لقد نجح فضح الأساليب ، التي اعتقد البعض أنها اندثرت ، في استنفار وتجنيد مثقفين لا ينتمون جميعهم الى اليسار . أما بالنسبة للغالبية العظمى من السكان ، فلم يكن لهذا الهجوم للمعاكس إلا وزن خفيفاً ، إذا قورنت بالتحقيقات الصحفية ، المعروضة على اتساع صفحات الجرائد بدون توقف ، والتي كانت تتحدث عن الجرائم الوحشية التي يرتكبها الفلاقة . لقد كان الفرنسيون بصورة عامة يتساهلون مع أعمال التعذيب ، وفي أحسن الظروف يعتبرونها شراً لا بد منه، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لكسب الحرب ضد

---

١٠ - مقابلة أجريت مع جورج أرنو في تشرين الأول (اوكتوبر) ١٩٧٨ .

...ين ، وكانت الهوة سحيقة بين الرأي العام المتأثر جداً بالتعذيب ، وبين العمالية المتخلص من
... ، يافا وذلك العمال ، الذين تقبلوا هذا العمل تحت شعار الفعالية ، أما من أثارتهم الحرب ، فإنهم
... الهوة حين ... إلى التعذيب ، سيما أصالتها ، وكذلك أحيانا ، للالتزام أكثر فأكثر .

الجزء الثاني

الشبكة

١٩٥٧ - ١٩٥٩

٥

خمسمائة مليون شهرياً

«هل ستحكم فرنسا الرسمية ، المصورة الثانية ، خلال خمسة عشر عاماً على الفرنسيين ، بتهمة الخيانة ؟»(1) . ذلك هو المقال الذي نشره فرانسيس جانسون ، في مجلة (اسبري) ، التي صدرت بعد الشهادات الأولى عن التعذيب ، وهو يرد مسبقاً على الانتقاد الأساسي الذي سيواجهه (حملة الحقائب) . هل الذي يقدم المساعدة لجبهة التحرير الوطني خائن لبلاده ؟ إلا أن ساعة المحاكمات الايديولوجية لم تحن بعد . ان اللجوء المطلق الى التعذيب هو من خواص الحرب الاستعمارية ، هذا ما آمن به جانسون ورفاقه ، والعمل الطارئ، هو الذي يحكم ، ولا يمكن ان تكون عمليات التهدئة عمليات نظيفة ، ولن تتوقف آلام الشعب الجزائري الا بتحرره .

كان اتحاد فرنسا التابع لجبهة التحرير الوطني الجزائرية يتحرك ببطء في ربيع ١٩٠٧ ، بعد أن تشتت إثر اعتقال البجاوي ولواشي . وتركت لجنة التنسيق والتنفيذ(2) لنفسها فترة للتفكير هذه المرة ، فقد فشلت كل محاولات المفاوضات السرية . ولن تحصل الهدنة يوم غد . ولا بد من وجود رجل (يعرف) الحرب على رأس الجزائريين في فرنسا .

في تموز (يوليو) ١٩٥٧ ، وصل عمر بوداود الى باريس ، وهو عضو سابق في حركة انصار الحريات الديمقراطية . لقد كان هذا القبائلي الأزرق العينين ، رجلاً صلباً عنيداً ، ومن مقاتلي (المنظمة الخاصة) الشهيرة ، ضخم الجثة ، لا يعرف شيئاً عن المجتمع الباريسي . إلا أنه كان يعادل هذا النقص ببرودة أعصاب تتحدى كل التجارب ، وبدقة في التحليل ، وبكثير من المهارة . وعندما كلف بإعادة تنظيم الاتحاد وتحويله الى جبهة مقاتلة حقيقية حاذقة ، احتفظ لنفسه بعبد الكريم السويسي (المالية) وعلي هارون (الدعاية) ، ورابح بو عزيز (رئيس المنظمة الخاصة التي تنفذ عمليات التخريب ومحاولات الاغتيال) و[...] عدلاني ، الملقب بيدرو (لجنة التنظيم) ، وبقيت هذه المجموعة قائمة حتى انتهاء الحرب .

---

(1) [...] سبيكتاسيون) [illegible] اذار / مارس ١٩٥٧ .

(2) لجنة التنسيق والتنفيذ من المؤسسات العليا لجبهة التحرير الجزائرية .

كانت أول مشكلة جابهتها القيادة الجديدة ، هي مشكلة (المصالية) ، فقد كان مناصرو الحركة الوطنية الجزائرية (المصاليون) مازالوا كثيرين بين المهاجرين الجزائريين في مطلع عام ١٩٥٧ ، وحقق تمركز جبهة التحرير تقدماً سريعاً ، خصوصاً بعد نجاح الأضراب الذي نظمته الجبهة في شباط (فبراير)[٣] . إلا أن هذا الغزو لفرنسا ، تحقق بعد أن تم دفع الثمن بالدم ، وعددت الأحصائيات الوزارية في الفترة من الأول من كانون الثاني (يناير) حتى نهاية أيلول (سبتمبر) ١٩٥٦ ، ٦١٨ إعتداء و ٤٢ قتيلاً ، ذهبوا ضحية النزاع بين الجزائريين ، هذا مع العلم بأن جميع تصفيات الحسابات لم تسجل . وكانت العمليات الثأرية تتلو الهجمات ، وهكذا يتم التصاعد . ويذكر أحد المسؤولين المحليين في جبهة التحرير ، أن بعضاً من رفاقه كانوا يضطرون لأخفاء انتمائهم ، ليس خوفاً من الشرطة ، بل خوفاً من الجالية الجزائرية نفسها . ويذكر هذا المناضل بأن كل قطاع (باريس والضواحي) ، الواقع على الضفة اليمنى من السين ، لم يكن فيه في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧ سوى مائة عضو تقريباً في جبهة التحرير الوطنية ، وهذا ما يعطي فكرة واضحة عن الضعف العددي للجبهة في الوقت الذي كان فيه (المصاليون) بعيدين عن خسارة اللعبة .

كان هذا العداء والمزاحمة يحيران اليسار الفرنسي ، فقد كان أوائل المدافعين عن الوطنيين الجزائريين في الفترة ما بين الحربين ، مرتبطين بمصالي الحاج ، وهكذا حافظ دانيال غيران وجان رو ، وإيف دو شازيل زميل كامو في الثانوية ، ومحامي مصالي الحاج ، على ثقتهم بالزعيم العجوز ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للعديد من التروتسكيين الذين كان يتزعمهم بيير لامبير . وكان آخرون لا يعرفون فعلاً كيف يتوجهون . يقول جان دانيال فيما بعد (غالباً ما اتهم العمال الفرنسيون بأنهم لم يلتزموا بوضوح أكثر إلى جانب جبهة التحرير ، لا بسبب ميولهم البوحدانية أو العنصرية ، بل لأنهم شاهدوا النزاعات الداخلية الجزائرية ، التي اتخذت في بعض الأحيان شكل حرب حقيقية يقتل فيها الأخوة ، التي اعرف معملين في الشمال ، لم يكن المسؤولون النقابيون فيها عنصريين إطلاقاً ، إلا أنهم لم يكونوا يعرفون على أي رأي يقفون ، وإلى أية فئة ينضمون)[٤] . وازداد هذا التردد بعد أحداث ميلوزا .

ففي فجر يوم التاسع والعشرين من أيار (مايو) ١٩٥٧ ، قام فصيل من جيش التحرير الوطني ، بتطويق مشتى القصبة في ناحية ميلوزا ، التي مازالت مخلصة لمصالي ، فدفع الثلاثمائة رجل من سكان القرية إلى الشارع وذبحهم . وملأت هذه المجزرة صحف العالم ، ولم تعلن جبهة التحرير الوطنية عن مسؤوليتها ، بل بالعكس ألقت المسؤولية على الجيش الفرنسي . هذا مع العلم ، أن عميروش ، أحد المسؤولين عن الولاية هو الذي أعطى الأمر بتنفيذ هذه المجزرة . وقد أذهلت أنباء هذه المذبحة المثقفين الفرنسيين ، وهم الذين كانت تثيرهم ، في تلك اللحظة بالذات ، جرائم المظليين ، فوجه بارا وبورديه ودانيال ومارتينه وستيب وسوفير ، إلى صحيفة لوموند ، بياناً طلبوا فيه بإلحاح من قادة جبهة التحرير ، أن

---

٣ - وقبل التوازي ذلك الذي نظمته الجبهة في الجزائر .
٤ - شهادة جان دانيال .

(يشجبوا مثل هذه الأساليب) . أما روبير بلوا فقد استطرد أكثر من ذلك في المجلة الشهرية (لاكومون) وقال : (أن ما أدنّاه لدى المخابرات الألمانية ، وما نشجبه لدى مظليي بيجار ، لا أرى أي اعتبار تكتيكي يمكن أن يمنعنا من أن ندينه لدى المقاتلين الجزائريين) .[٥] إلا أن ميلوزا رمز القسوة في الحرب الأهلية ، لم تضع حداً نهائياً للمجابهة بين فرعي الوطنية الجزائرية ، وامتدت المعركة الى فرنسا ، الى درجة مكنت الشرطة الفرنسية من استغلال الحركة الوطنية الجزائرية (المصاليين) واستخدامها ضد الجبهة .

حالما وصل عمر بوداود الى باريس أعرب عن رغبته في اللقاء بجانسون ، وجرى هذا اللقاء في سيارة متوقفة أمام مسرح سارابيرنار ، وكان المحامي أحمد بو منجل (أخو المنتحر) هو الذي قاد فرنسيس جانسون الى الموعد . كان اللقاء الاول قاسياً جداً ، فما كاد فرنسيس يغلق باب السيارة ، إذا بمحدثه يقول له بلهجة شديدة (انه من المستحيل الاستمرار بهذا الشكل ، فأنت تقوم بعمل سري ، وتستمر بنشاطاتك العامة ، وبالقاء المحاضرات ، كل هذا يجب أن ينتهي) فوافق الفرنسي ، الذي أدهله هذا الأسلوب في الدخول في الموضوع . في الواقع كان فرنسيس موافقاً على ذلك .[٦] وبعد هذا الاشتباك ، تحسنت العلاقات بين الرجلين ثم أصبحت ودية ، وخصص فصل الصيف لعقد الاجتماعات واجراء عمليات سبر ، ونظمت الشبكة خلال الاجتماعات التي عقدت في الخريف والتي خصصت لوضع المتطوعين المجندين لها في الصورة .

كانت هيلين غيا ، تلك الفتاة التي رافقت بولو الى سويسرا لجلب اعداد صحيفة (المقاومة الجزائرية) ، الطالبة في كلية الآداب ، تناضل في الخلية الشيوعية في السوربون ، وبما أنها كانت متأثرة بحجج الحزب الشيوعي فقد كانت تأخذ حذرها من كل (مغامرة مقطوعة عن الجماهير) . وفي عهد القصح عندما رشحت (لتقديم خدمات) للجزائريين ، رفضت ذلك . إلا أن الكشف عن عمليات التعذيب ، لعب دوراً حاسماً ، حتى لدى مناضلة متيقظة[٧] . وها هي تشارك في أيلول (سبتمبر) في اجتماع عقد في شارع ماتو ، وبعد أيام من ذلك ، شاركت بلقاء تم في منزل إيفان سولرو في شارع سان ميشيل ، حيث التقت بجانسون وزوجته ، وبانييت وبول بولو ومونيك ديراكور وزوجها ، وكان هنالك أيضاً ثلاثة قسس : ماسي ودافيزي وجان أورفوا ، وكان هذا الأخير بروليتارياً فوق العادة ، لم يتعود على البيوت الفخمة ، فهمس في أذن روبير دافيزي وهما يغادران : (ماذا جعلنا نحشر أنفسنا في بيت بورجوازية من هذه الشاكلة) .

كانت (شبكة القسس العمال) التي تحاول القيام بعملية وصل مع جانسون ، بواسطة طالب الكهنوت السابق جاك بيرتليه ، قد تشكلت بمبادرة من أورفوا . وفي الأول من حزيران (يونيو) ١٩٥٧ ، خلال مناظرة نظمتها حركة أنصار السلام ، حول القضية الجزائرية ، في مقر نقابة التعدين التابعة للاتحاد العام للعمل ، الكائن في شارع بير تلمبو ، وبينما كان بارا يلقي كلمته ، انحنى أورفوا نحو جاره دافيزي

---

٥ - لاكومون حزيران (يونيو) ١٩٥٧ .
٦ - شهادة فرنسيس جانسون .
٧ - محادثة أجريت مع هيلين غيا في أيار (مايو) ١٨٩٧٨ .

وقال له (هل نتناول طعام الغداء معاً) وعند لقائهما في مطعم صغير هادئ في (اليني ووكيت) طرح الفتى العامل على صديقه وزميله السؤال التالي (هل أنت على استعداد لمساعدة الأصحاب مباشرة ؟) . والأصحاب المقصودون هم جزائريو جبهة التحرير ، وقبل دافيزي الوعد الذي حدده أورفوا ، أمام إحدى صالات السينما في حي باربيس . أخذ على عاتقه مهمة السحب على آلة ، أودعت لدى بعض المعلمين الذين يقطنون في حي (غوت دور) . ويقول دافيزي فيما بعد متذكراً (ذات يوم ، طلب الينا ضابط الاتصال مع الجبهة ، أن نسحب خمسين ألف نسخة من منشور ، فاشتغلنا ليل نهار ، على آلة تحدث ضجة طاحون ، وعندما انتهينا تراجع الجزائري ، الذي أتى ليتأكد من حسن الانتاج ، امام بضاعتنا ، فالمطلوب كان خمسة الآف فقط ، فقد جاء صفر زائد في الطلب ، فما العمل بخمسة وأربعين ألف نسخة فائضة ؟ . كان أورفوا يعرف غديراً هادئاً في منطقة كوربيه ، فكدسنا البضاعة في أكياس ، وانطلقنا تحت جنح الظلام ، وألقيناها في الماء ، بعد أن ثقلناها جيداً ، فغاصت الأكياس حالاً . وبعد خمسة عشر يوماً ، تحدثت فرانس أو بسرفاتور عن أكتشاف غريب على سطح غدير في منطقة كوربيه)[8] .

وفي يوم الثاني من تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٥٧ تجمعت كل الرعية من علمانيين ودينيين ، في اجتماع شامل في بيت جانسون في بيتي كلامار ، ويعتبر العديدون بأن هذا التاريخ هو التاريخ الحقيقي لتأسيس الشبكة . وخصص خلال الاجتماع قطاع نشاط كل فرد حسب مؤهلاته ، وحسب امكانياته .

المأوى قبل كل شيء ، وذلك يعني تأمين أماكن للنوم للمسؤولين عن إتحاد النقابات (التابع للجبهة) ، وأماكن للاجتماعات . وليس هناك صعوبات كبرى على هذا الصعيد . فمن لا يعرف من بين علاقاته شخصين أو ثلاثة مضمونين ، يستطيعون أن يعيروا مفتاح بيتهم ، أو يؤووا شخصاً دون أزمة ضمير ؟ . فإيواء جزائري لا يعني بالضرورة مساعدة جبهة التحرير ، بل ربما يعني ذلك ، إنقاذ رجل من الاعتقال والتعذيب . وقدمت سياسة لاكوست الكثير من المبررات المقنعة .

كان فرانسيس جانسون يشرف شخصياً على هذا الفرع ، وحصل بسرعة على عدد مرض من الشقق ، الا انه لا يكفي مناضلي الجبهة ، اذ لا بد لهم أن يتحركوا ، وهكذا جمعت بضع سيارات خاصة لهذا الغرض ، ويتذكر ايتين بولو وهيلين كوينا بأنهما قاما بدور السائقين . وكانت التعليمات تأتيهم مباشرة من جانسون . الذي كان يحدد لهم مكان (المشوار) وساعته ، وكانت جبهة التحرير ، تستخدم أيضاً في العاصمة عندنا من سيارات التكسي التي يملكها جزائريون . وكثيراً ما كانت المشاكل تسوى خلال (المشوار) .

إلا أن الأمر يصبح أكثر تعقيداً ، عندما يتوجب على قادة الاتحاد اجتياز الحدود . ففي تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٧ ، وبعد اجتماع (بيتي كلامار) بقليل ، هبط جانسون الى بوردو مسقط رأسه ، في

---

٨ ـ شهادة روبير دافيزي .

بيت جاك فينيه صديق الطفولة ، الذي يديرون معه ، مؤسسة عائلية . ويقول جاك فيما بعد (وصل فرانسيس وكأنه الريح وقال : انني سأغادر الى الحدود الاسبانية خلال ساعة ، فعلي أن ادخل زعيم جبهة التحرير الوطني في فرنسا كلها ، تعال معي ، وليس هناك وقت للاسئلة ، وغادرنا) . وخلال ساعتين ، بدتا لجاك وكأنهما دهر ، انتظرا بوداوة ، على بضع مئات من الامتار من مركز الحدود ، وهما يتظاهران بأنهما يفتشان عن ولاعة فقداها ، وفجأة ظهر زعيم الجبهة ، فقاداه الى بوردو الى منزل جاك فينيه ، والتقى فينيه بجانسون في فندقه ، فاستغرق النقاش جزءا طويلا من الليل ، اذ ان فينيه ، وان كان يتابع سير الحرب ، لا يرى كيف يمكن له ان يؤثر على مجرى الاحداث ، وها هو يعترف بعد عشرين سنة من تلك (لقد اقتنع فرنسيس في تلك الليلة ، بأن نضال الجزائريين هو نضال من أجل التحرير ، وانه من الواجب دعمهم)[٩] . وهكذا تم ضم متطوع ممتاز اضافي .

بعد ذلك بفترة قصيرة جدا ، تخلى فينيه عن مهنته في بوردو ، و (صعد) الى باريس . وكان يهوى القوارب ، فأصبح صحفيا مختصا برياضة القوارب الشراعية ، يكتب تحت توقيع فيير . وقام الى جانب عمله ، بتنظيم شبكة للمرور الى اسبانيا ، التي تميزت بكل ضمانات الامن . فقد درس الموضوع بجدية العالم ، واستبعد النقل بالقطار ، الذي اعتبره محفوفا بالمخاطر ، واقترح استخدام السيارات ، وهكذا ، نقب المنطقة بدقة خاصة وانها كانت بلده ، ووضع اشارات على الامكنة ، وجرب المسارات والممرات الحدودية ، وغالبا ما نفذ ذلك برفقة فتاة : فهل هناك مبرر أفضل من هذه للمرور على الدروب الضيقة الخلية . وفي النهاية حدد الموقع المثالي . وبما ان المسافة بين باريس ، وجبال البيرانيه طويلة ، بحيث يصعب القيام بالسفر دفعة واحدة ، استأجر فينيه (فيلا) قرب هنداي ، الا انها لم تستخدم الا لوقت قصير ، ثم استأجر ثانية في موقع هادىء في (أسكان) . وسكن فيها بولو مع اولاده ، وهكذا فان (الفيلا) لن تبقى فارغة ، ولن يثير الانتباه كثرة التردد عليها ، وبذلك أصبح (الاسلوب) جاهزا ولم يبق الا تشغيله .

وبدأ العمل . كان بولو ، او دافيزي ، او فينيه ، او سائق تكسي جزائري ، يسوق سيارته الخاصة ، يتكلف و بالمسافر ، ويأخذه من باريس ، ثم يتوقف الطاقم في (الفيلا) لقضاء الليلة ، اما البقية فيرويها لنا روبير دافيزي فيقول : (كنا ننطلق في الساعة الحادية عشرة صباحا ، تسبقنا سيارة ، وتنذرنا ان رأت حاجزا امنيا ، وعلى بعد ثلاثة أو أربعة كيلو مترات من نقطة الحدود ، نلتقي بالسيارة التي فتحت لنا الطريق ، في موقع يقترب فيه الطريق من خط الحدود ، ونهبط من السيارة ، فرنسيون وجزائريون ، وتغادر السيارات الموقع . اما نحن فندخل في الغابة ، نسير واحدا خلف الآخر ، تاركين مسافة بين الواحد والآخر ، ونترل للسفح الاسباني . وكنا نرى فجأة عند منعطف الطريق الصغير سيارات ضخمة ، غالبا ما تكون من طراز مرسيدس ، تحمل احيانا لوحات دبلوماسية . فيركب الجزائريون ، ونعود من حيث أتينا .

٩ . مقابلة اجريت مع جاك فيني في آذار (مارس) ١٩٧٨ .

حيث نجد سيارتنا في الموقع نفسه[١٠]. أما في الاتجاه المعاكس، فيتكرر الأسلوب نفسه، فبعد أن يجتمع مسؤولو الجبهة في مدريد، اذ كان للجبهة مكتب هناك، او اثر جولة هامة عبر المغرب، يجتازون جبال البيرانيه، وينامون في (الفيلا) في (آسكان)، وينتقلون في اليوم التالي الى باريس، تحميهم دائماً سيارة تسبقهم لتتأكد من ان الطريق سالك. كان الجو خلال السفرة اخويا، الا أن الكلام قليل بين المناضلين الجزائريين، والمناهضين للاستعمار من الفرنسيين، فالتوتر العصبي الذي يتطلبه العمل، والقواعد المبدئية للأمن، والتعب أيضاً، تحد من الميل الى الكلام، وغالبا ما يجهل اعضاء الشبكة هوية (الاخوة) الذين ينقلونهم، والوجهة النهائية لتنقلهم. وكانت العناوين الكبرى في الصفحات الاولى من الجرائد تكشف لهم احيانا من كان رفاقهم ليوم واحد . . .

كانت عمليات المرور، تتم بتواتر منتظم، من اربع الى خمس مرات في الاسبوع، وبدون مشاكل، ولم تكن هناك اية غضاضة من الاستمرار، واستخدم هذا الاسلوب فيما بعد، عندما اضطرت الشبكة الى تغيير الحدود. كان الفرنسيون في البدء، يستخدمون سياراتهم الخاصة، الا انهم بعد ذلك، وبفضل من اعاروا اسما معهم، استأجروا او اشتروا سيارات قوية. ويروي روبير دافيزي، انه في صباح احد الايام، طلب اليه رابح بوعزيز رئيس المنظمة الخاصة، ان يؤمن له سيارتين خلال النهار. ولم يكن المال ينقص الاتحاد الجزائري في فرنسا.

كان المال هو (العمل) الاساسي للشبكة. فكلما مكنت جبهة التحرير قبضتها السياسية على الاربعمائة وخمسين الف جزائري الذين يعيشون في فرنسا، كلما تعاظمت مهمة جباية الاموال. ففي كل كوخ، وفي كل فندق وكل مبنى، كان جباة الجبهة، يجمعون الاشتراكات الشهرية، بالاقناع او بالقوة: الفا فرنك قديم للعاملين بأجر، او ضريبة حسب رقم المبيعات المقدرة بالنسبة للتجار، وهكذا تجمع الاموال التي تمت جبايتها في اخر، على مستوى المنطقة. وحتى هذه المرحلة يتدخل الجزائريون وحدهم. اما في المراحل التالية فعلى الشبكة ان تتابع اللعبة.

كانت الأموال التي تجبى في مرسيليا، وليون، وبوردو، وفي المدن الاخرى تنقل الى العاصمة بواسطة (حملة الحقائب) الفرنسيين. فيكدس ضباط الارتباط حملهم الثمين، في شقق مخصصة لهذه الغاية وتتم بعدها عمليات المحاسبة، يقول فرنسيس جانسون: (كانت الدراهم تصل مبعثرة في حقائب، وفي مكان ما، تتسكع وريقة كتب عليها الرقم النظري، فنعد ونعيد الكرة، حتى نصل الى الرقم الصحيح. كان علينا ان نضعها على شكل رزم انيقة نوعا ما، بعد استعادة العملات، التي كتب عليها بعض المناضلين عبارات وطنية مثل (تحيا جبهة التحرير)، أو (عاش الاستقلال). اما بعض افراد الشبكة من ذوي الأنوف الحساسة، فكانوا يصدمون بفعل الرائحة المريعة التي كانت تفوح من أكوام العملة.

١٠ - شهادة روبير دافيزي.

لقد وصلت الاموال التي تجبى بهذا الشكل في مطلع عام ١٩٥٨ ، الى اكثر من اربعمائة مليون فرنك (قديم) شهريا ، تحتاج الى ست او ثماني حقائب كبيرة لنقلها . وبقيت هناك مشكلة هي : كيف يتم نقل هذا الكنز الى ما وراء الحدود ؟ تبدو الحقيبة الديبلوماسية مغرية ، وقد ساهمت سفارة تونس بذلك ، حتى اتى يوم احتضنت فيه عشرة ملايين فرنك خلال النقل . واوصلت جبهة التحرير تحقيقا ، وجرى اجتماع حول هذا الموضوع ، على مقربة من ساحة سان سولبيس في شقة اعارها اوليفييه تود لهذه المناسبة ، وترك هذا الاجتماع لدى فرانسيس جانسون ذكرى مؤلمة »[11].

هُجرت الحقيبة الديبلوماسية ، وتوجه فرانسيس جانسون الى احد الوسطاء ، الذي قبل تحويل الاموال الى بنك سويسري ، مقابل عمولة . وسارت الامور دون مزعجات . وفي نهاية احد الاسابيع لم يكن الوسيط جاهزاً ، فاعلم جانسون بوداود بأن عليهم تأجيل العملية الى يوم الثلاثاء التالي . فجن جنون الزعيم الجزائري وقال : « لن ننتظر حتى يوم الثلاثاء ، ويجب ان تمر الاموال اليوم ، فان كنت غير قادر على ذلك ، فسأقوم بذلك بنفسي » الا ان جانسون لم يتخاذل فأجابه : « بامكانك ان تأخذ معك خمسين رجلا وان تقتحم الحدود ، الا انني اتساءل اي مدير بنك سيقبل دراهمك بعد قراءة الصحف». وبقي بوداود صامتا نصف ساعة ثم تنازل وقال « حسنا ، ولكن الثلاثاء وليس الاربعاء »[12] .

لم تكن العلاقات بين الرجلين متوترة عادة بهذا القدر . وكانا يلتقيان غالبا ، عدة مرات في الاسبوع ، وكان عمر ينقل للفرنسي حاجاته للايام التالية ، كما كانت كثير من العمليات تتم دون مشاكل : فعندما تكون الآلية متقنة تدور الآلة لوحدها . كان الفرنسي والجزائري متفاهمين تماما ، وتعاطف القبائلي الخشن نوعا ما ، الذي اعتاد حياة الثائر في الجبال ، والمثقف السارتري المغرم بالفلسفة ، تعاطفا غريبا . فقد كان جانسون ، يقدر لدى شريكه نزاهته واستقامته ، التي لم تفارقه حتى في احرج الاوقات . وبالمقابل تلاشى خوف بوداود وحذره تجاه جانسون . وكان يحب فيه فعاليته ، وروح المبادرة التي يتحلى بها . واسر بوداود في ذلك الحين الى فيبيه : « ان الاتصال الذي اشير علي ان اقوم به ، عندما وصلت الى باريس ، كان بلا شك مع رجل معروف في فرنسا ، الا انه كان يعمل جيدا » . والواقع ان جانسون ، تحت هذا القناع من اللامبالاة الذي كان يثير رفاقه ، كان مهووسا بالمحافظة على سرية الشبكة وها هو يقول فيما بعد « ان قضية الامن كانت تلتهم ٧٥٪ من وقتي » . وهكذا نراه وقد طفح كيله ، وهو يرى بوداود يتنزه ، وكأنه فلاح يلبس ثياب العيد ، جوربه فاقع الالوان ، يكفي لتسهيل اية ملاحقة . فجرّه جانسون الى خياط والبسه من قدميه الى قمة رأسه .

---

١١ ـ تود ، الذي لم يصر بعد صحفيا محترفا ، التحق باليسار الجديد ، كانت نشاطاته سرية احيانا : اجتماع مختبئين في منزله بعد عصيان للعمال في روان ، اخفاء حقائب ، بل ونقل مسؤول جزائري سراً الى الحدود السويسرية (مقابلة اجريت مع اوليفييه تود ، في نيسان (ابريل ١٩٧٩) .

١٢ ـ واقعة سردها فرانسيس جانسون .

وهكذا تكونت الشبكة وثبتت نفسها ، واستمرت بتطويع الآخرين فرديا عن طريق العلاقات الشخصية ، ويقول جانسون في هذا المجال : (لم نواجه ابدا مشكلة نقص في اليد العاملة ، ولو اننا استطعنا نشر اعلان في الصحف ، لرفضنا الكثير من الناس) الا ان السؤال الذي ما فتىء يطفو على الساحة هو : هل هؤلاء الفرنسيون الذين يساعدون الجزائريين ، هم اعضاء في جبهة التحرير الجزائرية ، ام انهم كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي حقيقي ؟ . سؤال كان يطرح نفسه حتى وقف اطلاق النار ، وكان يطرح بصورة ملحة خاصة في مطلع عام ١٩٥٨ . وفي يوم من أيام شباط (فبراير) من ذلك العام ، وخلال احد اللقاءات الدورية ، وبعد أن انهى رئيس اتحاد فرنسا الاعمال الروتينية ، اعلن جانسون : (اسمع يا جانسون ، يجب ان يكون لنا حديث جدي جدا ، حول اسلوب عمل شبكتكم ، فلا يمكن ان يستمر على هذا المنوال . الا تشعر بخطورة الموقف ؟ كل شيء يمر عن طريقك : ايواء اللجنة الاتحادية ، والطرق التي يتبعونها ، وشبكاتهم ، وارسال الأموال الى الخارج ، كل شيء ، فان القي القبض عليك ؟ وان اجبرت على الكلام ، فما الذي سيحدث ؟) . لقد اعتاد المناضلون الجزائريون على مراكز الشرطة في الجزائر ، ويعرفون جيدا ، انه ليس هناك من احد يستطيع مقاومة التعذيب . أو على الأقل من يستطيع ادعاء تحمله ، اما الأمر فانه يختلف في فرنسا ، وخصوصا بالنسبة للفرنسيين . فالمشكلة اقل قوة ، وهذا ما حاول فرنسيس توضيحه لعمر (ولكنني لن اعذب فكيف تريد ان اعذب ؟) . إلا أن بوداود ألح (ومع ذلك لا بد من بناء نموذج آخر من التنظيم ، وايجاد قطاعات مستقلة تماما الواحد عن الاخر ، مغلقة ومؤطرة ، ويعمل كل واحد منها تحت مسؤولية جزائري . الا ان جانسون فهم حالا معنى هذا الكلام الذي يعني نهاية الشبكة الفرنسية ، فرفض ذلك رفضا قاطعا وأجاب (انني اخالفك الرأي تماما ، وذلك لسببين ، الأول فني : فالجزائريون يلقى القبض عليهم بأسهل من القبض علينا وهذا بديهي . والسبب الثاني سياسي : حيث يبدو لي بأن تولي الفرنسيين تلك المسؤوليات امر هام جدا ، لان له علاقة وثيقة جدا بمستقبل العلاقات بين شعبينا) فتفكر بوداود ، صامتا لفترة طويلة كعادته ، ثم قال (ليكن ولكن يجب اعادة النظر في التنظيم)[١٣] .

وهكذا ومنذ ذلك الحين ، زودت الشبكة الفرنسية بميزانية ، يديرها جانسون نفسه . وخصص حوالي ثلاثين الف فرنك (جديد) لحملة الحقائب . أي ما لا يزيد عن واحد بالمائة من مجموع المبالغ التي كانت تجمع شهريا . وكانت هذه المبالغ تستخدم لدفع رواتب من تخلوا عن وظائفهم وكرسوا اوقاتهم للدعم . فكل من جانسون وبولو وهيلين كوينا ، كان يتقاضى ٧٥٠ فرنك شهريا ، وهو راتب لا يكفي للعيش في بحبوحة ، وكانت الجبهة ترغب ان تدفع اقل من ذلك ، الا ان بولو الذي اتسم بروح المطالبة ، بعث بصرخات استهجان . اما باقي هذا المبلغ فقد كان يستخدم لدفع المصاريف المترقة كتكاليف التنقل ، والاقامة في الفنادق ، وشراء أو استئجار السيارات او الشقق ، بعد تقديم (الفواتير) المبررة ، فالسرية تكلف غاليا وكل الخارجين على القانون في العالم يعرفون تماما ، بأن الفنادق الكبرى تكون مراقبة اقل من

---

١٣ - حوار نقله فرانسيس جانسون .

الاماكن الرخيصة ، وان السيارات الفخمة تلاحق اقل من السيارات التالفة ، وان امرأة انيقة تجتاز الحواجز بأسهل مما يفعله شخص مهلهل الثياب ، وان المطاعم الكبرى تساعد على السرية أكثر من المطاعم الشعبية وان الحجرة الفردية في القطار ، تراقب اقل من الدرجة الثانية ، وليس من حاجة للتدرب في المدارس العليا للتجسس لمعرفة ذلك . فليوبولد تريبر الذي اشتهر في الحرب العالمية الثانية ، لم يكن يتناول طعامه إلا في المطاعم الكبرى ، التي كان يكثر فيها الزبون عادة . وسيعيب العديدون فيما بعد على جانسون ورفاقه بأنهم كانوا مناضلين مرفهين بالرغم من أن تصرفاتهم الحياتية لم تكن لتتعدى الضروري .

ان هنري كوريل لن يتعرض بالتأكيد لمثل هذا النقد . . فقد تعرف روبير بارا ، ذاك الذي لا يقيل له ، على محترف الثورات هذا في حزيران (يونيو) ١٩٥٦ ، قبل ان يؤمم عبد الناصر قناة السويس . فقد استطاع هذا الشيوعي المصري ، ان يقنع الصحفي الفرنسي بصحة القرار المصري : لان الممر المائي يعود الى البلد الذي يجتازه ، وان ذلك يعتبر من ابسط قواعد العدالة . وقد أعجب الرجلان ببعضهما ، وكان كلاهما مهتماً بنضالات التحرر الوطني ، وبصورة خاصة في الشرق الاوسط ، والمغرب ، وغالباً ما تبادلا المعلومات وقد تأثر الفرنسي كثيراً بالتجربة السياسية الطويلة لمحاوره .

ولد كوريل في القاهرة ، بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى بقليل ، من ابوين ايطاليين يهوديين (سفارديم) ، وكبر وترعرع تحت برج التغرب اليهودي في بلد عربي . فتأثر بذلك ، ودرس في مدرسة الآباء اليسوعيين . ثم حصل على الاجازة في الحقوق ، واخذ الجنسية المصرية عندما بلغ سن الرشد ، بينما حافظ والداه على الجنسية الايطالية . وكان ذلك بالنسبة له نوعاً من الخيار السياسي ، فقد كانت مصر تطالب باستقلالها من بريطانيا العظمى ، وانضم كوريل الى المحرومين في الارض ، الذي كان لهم في ذلك الحين وطن هو بدون نقاش ، الاتحاد السوفييتي . فاصبح كوريل شيوعياً ، وبالرغم من العواصف والصعوبات ، لم ينحرف كوريل عن هذا الطريق .وأقام في مطلع عام ١٩٤٣ (المدرسة الاولى للكوادر) التي كانت الاساس الأول للحركة المصرية للتحرر الوطني [١٤] ، التي تحولت الى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني [١٥] في عام ١٩٤٦ ، وشكلت النواة الاولى للحركة الشيوعية المصرية بعد تصفية الحزب الشيوعي المصري في عام ١٩٢٤ .

وبعد عام من ذلك ، اقترحت الامم المتحدة تقسيم فلسطين الى دولتين مختلفتين ، الاولى يهودية والاخرى عربية ، فأيدت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني هذا الحل ، الا ان مثل هذا الموقف في بلد عربي ، يعتبر كفراً . وعندما قامت الحرب العربية الاسرائيلية في عام ١٩٤٨ ، القي القبض على الشيوعيين والصهيونيين الذين كانت دعاية الملك فاروق تعتبرهم شيئاً واحداً . فاعتقل هنري للمرة الثالثة ، وبعد أن اطلق سراحه في عام ١٩٥٠ ، اجبر على مغادرة مصر على متن باخرة ايطالية انزلته في جنوة ، حيث اعطته

١٤ ـ الحركة المصرية للتحرر الوطني .
١٥ ـ الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حدتو) .

السلطات الايطالية تصريحا بالاقامة المؤقتة ، الا انها اعلمته ، بأن عليه ان يجد لنفسه بسرعة بلدا مضيفا آخر غير ايطاليا ، والا فانه سيسجن ، ولم تقبل أية دولة بهذا المنبوذ ، وبقيت الجهود المبذولة لدى السلطات الفرنسية دون جدوى . فقد كانت المخابرات الفرنسية ، التي كان مديرها روجيه فيبر ، تمتلك ملفا زاخرا حول كوريل . الا ان كوريل تجاوز كل ذلك ، ودخل سرا الى الأراضي الفرنسية ترافقه زوجته .

وبالرغم من كونه منفيا ويعيش سرا في فرنسا ، كان يساهم في نشاطات منظمته ، الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني المصرية .

وفي تموز (يوليو) ١٩٥٢ ، قلب الضباط الشباب الذين يقودهم عبد الناصر ، نظام الملك فاروق . وكانت حركة (الضباط الأحرار) التي نظمت الانقلاب ، تضم العديد من مناصري الحركة الديمقراطية . ويشرح كوريل ذلك فيقول (لقد كان الضباط الاحرار الذين استلموا السلطة في ٢٣ تموز يوليو ١٩٥٢ ، بعيدين عن كونهم مجموعة متجانسة ، وكانت قيادتهم تضم اثنين من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني ، وهما يوسف الصديق ، وخالد محي الدين . وكان بينهم آخران هما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يعتبران عنصرين قابلين للتنظيم ، كما كان العديد من الضباط الاحرار من الشيوعيين ، او المناصرين للشيوعيين ، وخصوصا في سلاح الفرسان (الدبابات)[16] . الا ان مكتب الاستعمار التابع للحزب الشيوعي الفرنسي ، مثله مثل المكاتب الأخرى المماثلة في الاحزاب الشيوعية الاوروبية ، وبصورة خاصة الحزب الشيوعي البريطاني ، كان يتابع التنظيمات الشيوعية المصرية لصالح الكومينفورم[17] . ولم يتفهم طبيعة النظام المصري الجديد[18] وقدّم الانقلاب على انه نتاج لصراع الامبرياليتين الامريكية والبريطانية في المنطقة . ويعكس هذا الطرح السلبي ، سوء تقدير الاحزاب الشيوعية الاوروبية للدور السياسي للشيوعيين المصريين . وكانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني المصرية ، التي لم يكن لها تأثير في حركة الضباط الاحرار تقاسم الاحزاب الاوروبية هذا الرأي .

لم تكن رائحة القدسية هي رائحة كوريل عند الحزب الشيوعي الفرنسي ، وتدعم هذا الموقف بعد قضية اندريه مارتي ، الذي اتهم في عام ١٩٥٢ بالقيام بنشاطات تقسيمية مع شارل تيّون ، فابعد عن كل منصب قيادي ، وتمت غربلة كل العلاقات السابقة (للمحكومين) . وكان لدى (المحققين) ملفات كاملة عنها . فقد اقام مارتي في القاهرة في بيت كوريل ، وبصورة طبيعية التقى كوريل في فرنسا بمارتي . وأضيفت هذه الاتصالات الى ملف الاتهام . وذكرت لومانيتيه في عددها الصادر في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢ (ان اندريه مارتي قد اعترف بأنه كان على علاقات مشبوهة بزوجين مصريين تعرف عليهما عند مروره في القاهرة في عام ١٩٤٣) وكانت الاشارة واضحة الى كوريل . وكلمة مشبوه كانت تعني

---

١٦ ـ ذكرت في اطروحة ماري دومينيك غريش ، الحزب الشيوعي الفرنسي ومصر ، باشراف رينيه غاليسو .
١٧ ـ مكتب المعلومات للاحزاب الشيوعية ، انشيء عام ١٩٤٧ . وكان مقره في بوخارست .
١٨ ـ لقد ذكر روجيه غارودي في كتابه (اشياء رأيتها في مصر) عكس هذا تماما

(الشرطة) في لغة ذلك الحين . وبعد ذلك صدر عن الحزب الشيوعي الفرنسي توجيه (يحذر بعض منظمات الحزب ، التي لم تتعرف على ماهية القضية المصرية ، وتدعوها الى اليقظة) . وكان على الحزبيين المصريين ، في العديد من خلايا الحزب الشيوعي الفرنسي ، ان شاؤوا عدم التعرض للطرد ، أن يقطعوا علاقاتهم مع المجموعة التي اقامها كوريل في باريس .

في خريف عام ١٩٥٧ ، قدم روبير باوا هذا المثبوة الى فرنسيس ، وكان زعيم الشبكة يبحث عن دعم لشبكته ، وكان لدى كوريل بعض السهام في قوسه . وكان اللقاء مثمرا . ويقول جانسون عنه (لقد لمحت في كوريل ، ذلك الشيوعي الضائع ، والأممي الذي انقطع عن كل الاحزاب . لقد كان جدليا ، واظهر منذ البدء فعالية مشهودة) . وكان حول كوريل مجموعة من الشيوعيين المصريين اليهود المنفيين مثله ، تتابع نشاطاتها النضالية باتجاه مصر والشرق الاوسط ، وناقشت هذه المجموعة مبدأ دعم جبهة التحرير الجزائرية وقبلت هذا المبدأ ، وكرس ثلاثة من افراد هذه المجموعة انفسهم للعمل ، وبصورة خاصة ديدار فوزي ، الزوجة السابقة لاحد الضباط الاحرار من سلاح المدرعات ، وكانت تعمل مع كوريل منذ مطلع الاربعينات[١٩] .

كان سحر هنري كوريل الطبيعي يؤثر على اعضاء الشبكة ، فهو يتحدث بصوت عذب موسيقي ، ويخصص لكل فرد الوقت اللازم ، وكان لبقا مجاملا في كل الظروف ، ووجد هذا الرجل ، الذي فقد جذوره ، الاخوة في النضال المشترك لدى المعادين للاستعمار الفرنسي . الا انه لم يندمج ، فقدم خدماته الى جانب رفيقه ، لكنه لم ينس ان الخط الصحيح هو الخط الشيوعي ، وهذه قناعة قادته الى نزاعات كبرى فيما بعد .

دقت ساعة العمل ، وتميز الثوري المحترف بقدرته على التغلغل في جميع المجتمعات ، وبرز هنري كوريل ، في فن العلاقات العامة ، والقدرة الفائقة على الاقناع . وعدا انه ابن لرجل مصرفي ، فقد عرف كيف يحافظ على علاقات ثمينة ، في عالم المال الدولي ، بالرغم من التزامه النضالي . فحسّن الاسلوب الذي وضعه جانسون لاخراج مال الجبهة خارج فرنسا ، مستفيدا من دعم بعض الأوساط المصرفية التي لا يمكن البوح بها حتى اليوم .

وكان السلوب نفسه يتجدد في كل شهر ، تكدس الاوراق النقدية التي جمعت في الاكواخ والاحياء الفقيرة ، وتلف على شكل رزمات عادية . وكان كوريل يميل الى عنب كريستيان دبور ، ويقوم سائق سيد كبير بنقلها الى المصرف الذي كان للمصري اتصالات به ، وبعد دقائق فقط يكون المراسل في سويسرا ، ويكون الأب الدومينيكي (كيرش)[٢٠] ، قد تلقى اشعارا بالاموال . ومنذ ذلك الحين اخذت الخمسة

١٩ . محادثة أجريت مع ديدار فوزي ، أيار (مايو) وأيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ .
٢٠ . اسم مستعار .

ملايين فرنك فرنسي . تجتاز الحدود بواسطة التلكس ، وكانت التقنية تسير كالساعة ، الى درجة ان كوريل كان يقترح احياناً على جانسون قائلاً (الا تعتقد انه بامكاننا ان نصير يوماً آخر ؟ فاسعار الفرنك دولياً ترتفع) وها نحن نرى الفيلسوف الوجودي ، والشيوعي الاممي يتسليان باللعب على اسعار البورصة .

أما في قصر ماتينيون فقد أصبحت الرقصة مجنونة ، فحكومة غي موليه تسقط في البرلمان في ايار (مايو) ١٩٥٧ ، وتحل محلها حكومة بورجيس مونوري ، الذي يسلم بدوره مقاليد السلطة في تشرين الثاني (نوفمبر) الى فليكس غايار . وفي الجزائر يؤمن لاكوست الاستمرارية ، وينتظر انتهاء ربع الساعة الاخير ، وكانت الجمهورية الرابعة ، كأنها سمكة تبدأ بالتعفن من الرأس . ويثير ريمون ارون الخزي والدهشة ، عندما يقترح منح الجزائر الاستقلال[٢١] . أما مناصرو (صليب اللورين) في الجزائر وغيرها ، فقد بدأوا يهيئون البديل . وقام الطيران الفرنسي يوم الثامن من شباط (فبراير) ١٩٥٨ بقصف قرية ساقية سيدي يوسف ، التي تتواجد فيها قاعدة لجيش التحرير الوطني الجزائري . وبعد اربعة ايام صدر كتاب (المسألة) عن دار النشر (مينوي) .

لا بد وانا نتذكر ان هنري اليغ كان قد استجوب في مركز التجمع في الأبيار ، وبعد شهر من الاعتقال ، وبمساعي اصدقائه الحثيثة ، تم نقله في تموز (يوليو) الى معكسر لودي ، ومن هناك تمكن من اخراج صورة عن الشكوى التي تقدم بها الى المدعي العام في الجزائر . وكان من نتائج نشر هذه الرسالة في الصحافة الفرنسية والاجنبية ، ان قذفت قضية اليغ الى مقدمة المشهد . وقامت حملة كبرى للرأي العام ، مما أدى الى نقله من معكسر لودي الى سجن بربروس في مدينة الجزائر . وأصبح بامكانه الاتصال بمحاميه الاستاذين دوزون ودوس ، اللذين ينتميان الى مجموعة من المحامين الذين يدافعون عن الشيوعيين . واخذتا تنقلان قصة اليغ حول اساليب المظليين ، من السجن ، ورقة بعد ورقة ، وقدمت زوجة اليغ ، بناء على نصيحة روبيه حولياً ، المخطوطة ، الى جيروم ليندون ، بواسطة الآنسة ماتاراسو . وليندون هذا هو مدير دار النشر مينوي ، وهو بورجوازي ليبرالي مرتبط باليسار الجديد ، اكثر اختصاصاً بنشر القصص والروايات الحديثة ، منه الى الأدب السياسي[٢٢] الا ان وحشية الحرب صفعت هذا الرجل الانساني صفعة قوية ، واحيت فيه تقاليد المقاومة التي طالما تحلى بها هو والدار التي يديرها .

ومع ذلك ، تردد ليندون عندما قرأ النص الذي كتبه اليغ ، والذي نسخ بعناية على الآلة الكاتبة ، وها هو يقول : (كانت هذه الوثيقة تفوح بالحقيقة ، وكنت اعرف بأنني سأخسر المحاكمة اذا كانت هناك شكوى ، ولم يكن لدي أي اثبات ، ثم انني كنت اتساءل فيما اذا كان لي الحق أن اورط الناس الذين يعملون في الدار ، والذين يشاطرونني آرائي السياسية ؟ فان غرقت الدار وخسرت ، فهذا يعني بأن هؤلاء الناس سيصبحون عاطلين عن العمل . وهكذا قررت بأن اكتم السر ، الا على مدير الانتاج)[٢٣] .

٢١ ـ ريمون ارون ، المأساة الجزائرية ، بلون ١٩٥٧ .
٢٢ ـ جيرمين تيون ، الجزائر في ١٩٥٧ ، جورج ارنو وجاك فيرجيس ـ مرجع سبق ذكره .
٢٣ ـ محادثة مع جيروم ليندون في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ .

وقدم جيروم ليندون النص الذي كان عنوانه اصلاً (استجواب تحت التعذيب) ، الى بيير فيدال ناكيه ، وعند صدور الكتاب ، عقدت لجنة اودان مؤتمراً صحفياً ، ومثل لوموند في المؤتمر الآن جاكوب وكان مقاله موزوناً في الشكل ، وفعالاً جداً ، وهو تحت عنوان (هنري اليغ [يفحص] بدقة وبتفصيل يدعو الكثير من القناعات)[٢٤] وحيا جان بول سارتر في مجلة الاكسبريس (الانتصار)[٢٥] ، ووقفت طوابير الناس عند ابواب دار الطباعة والنشر (مينوي) ، واصبح كتاب (المسألة) بعد كتابي (غول ، وبانتظار غودو) من اكثر الكتب رواجاً . وسمح ليندون لنفسه ان يهزأ بالحكومة : فاستأجر لوحات اعلانية دعائية حتى في شارع الشانزليزيه ، (وازدانت شوارع باريس بصورة رجل سجين متهم بالتآمر على سلامة الدولة)[٢٦] .

فهل يجوز لنا ان نعزي هذا الصدى الواسع لكون الضحية اوروبية مثقفة وشيوعية ؟ . ومهما يكن الأمر فقد كان « المسألة » اول وثيقة من هذا النوع تنال هذه الشهرة . وعندما قررت السلطات مصادرة الكتاب في ٢٧ اذار (مارس) ١٩٥٨ ، كانت الدار قد باعت منه سبعين الف نسخة[٢٧] . وطلب ليندون ، رداً على قرار الحكومة ، من كبار الكتاب والمفكرين الاحتجاج جماعياً . فوجه موررياك ، ومالرو ، ومارتان دوغار ، الى السيد رئيس الجمهورية ، رسالة وقعها سارتر دون ان يهزأ بحولها . تقول الرسالة : (ان الموقعين ادناه يحتجون على مصادرة كتاب هنري اليغ (المسألة) كما يحتجون على اي مصادرة من هذا النوع ، وعلى المساس بحرية الرأي والتعبير التي سبقت صدور هذا الكتاب ، ويطالبون بالقاء النور ، ضمن ظروف حيادية ودعاية مباشرة ومطلقة ، على الوقائع التي تحدث عنها هنري اليغ ، ويدعون السلطات العامة ، باسم حقوق الانسان والمواطن ، بأن عليها ان تدين بلا مواربة ، اللجوء الى التعذيب الذي يسيء الى القضية التي تدعي خدمتها . . .) .

أما البير كامو ، الذي طلب إليه ليندون الانضمام الى هذا الاحتجاج ، فقد رفض الانضمام الى هذه المساعي[٢٨] وضمن رفضه برسالة .

وعاود جيروم ليندون الكرة بعد بضعة اسابيع ، حيث كان قد اخذ على عاتقه ، بالتعاون مع بيير فيدال ناكيه ، اعادة التحقيق ومتابعته في اختفاء موريس اودان . وعندما انتهى العمل توصل الى القناعة : بأن استاذ الرياضيات قد اغتيل فعلاً ، وان جلاديه قد وضعوا مسرحية فراره لتغطية جريمتهم ، وكان ليندون

---

٢٤ ـ لوموند ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٥٨ . وبعد أسبوع من هذا التاريخ كانت لوموند أكثر مطابقة أيضاً عندما قالت (تكشف هذه الشهادة لدى جلادي الصحفي الشيوعي ، ليس فقط عادة الممارسات الكريهة ، وانما أيضاً الانحطاط الشائن لأرواح اولئك الرجال الذين يرتدون او يستعيرون اللباس الرسمي الفرنسي) .

٢٥ ـ الأكسبريس ٦ اذار (مارس) ١٩٥٨ (عدد مصادر) .

٢٦ ـ نشرت الكنار انشينيه صورة هذا النص (غير القانوني) .

٢٧ ـ ونشرت علاوة على ذلك (٩٠) الف نسخة من شهادات ووثائق كما جمعت في كتاب فيما بعد .

٢٨ ـ واقعة سردها جيروم ليندون .

يريد أن يزين كتابه بشريط كتب عليه (ماسو وشركاؤه) . الا ان أصحاب المكتبات خافوا أن تعمد السلطات الى مصادرة الكتاب ، فاضطر الى تغيرها فأصبحت (ماسو ورجاله) وانتهت طباعة (قضية اودان) بتوقيع عبدل ماتيه في الثاني عشر من أيار (مايو) ١٩٥٨ ، وكان اليوم التالي يوم ١٣ أيار (مايو) اليوم العظيم لماسو ورجاله . . . .

٦

أذن (كازا)

فاجأت احداث الثالث عشر من أيار (مايو) جانسون ، الذي كان يومها في اسبانيا . هنا كان المتظاهرون يحتلون مبنى الحاكم العام . ويدفعون بماسو على رأس لجنة السلام العام . كان رؤساء الولايات الجزائرية يعقدون مؤتمرا سريا على الأرض الاسبانية. وعندما وصل عمر بوداود وجانسون الى مكان الاجتماع ، كان اغلب القادة العسكريين الجزائريين مجتمعين ، وقال جانسون عند دخوله (اني لم اكن اعرف اني في صالون باريسي هنا) . فأمسكت بوداود اتسائل ووضع الامور في نصابها قائلا (المسؤول من الشبكة الفرنسية يشارك في المناقشات)[1] . عاد جونسون بعد ذلك بقليل الى فرنسا حيث كان ديغول يواصل سيره نحو السلطة . وكان الوضع الحرج المجهول بصورة خاصة يتطلب الكثير من التدابير الامنية .

كانت الشرطة الفرنسية قد فتشت في نيسان (ابريل) الماضي منزل جانسون في بني كلامار ، فاضطر بعد أن تم التعرف عليه ، الى الغوص في سرية تامة وربما أنه انفصل عن زوجته ، فقد كان يعيش مع هيلين كوريا ، تحت اسم مستعار في شقة ديرها لها كوريل . وتم فيما بعد شراء شقة في شارع الالمانيا ، باسم احد السويسريين الذي قبل الاستئجار باسمه ، لقد دفع كل ذلك جانسون الى التخلي عن جزء من مهامه . فورت دافيزي مهمة جمع المال وتسليمه ، واهتم فيه بتنظيم العبور . واضطرت اللجنة الاتحادية التابعة لجبهة التحرير ، خشية تصلب النظام الجديد ، الى اتخاذ قرار بنقل مقر اللجنة الى دوسلدورف بالمانيا الغربية وهكذا اصبح تنظيم سبل الرور الى المانيا ضرورة ملحة ، ومنذ ذلك الحين اخذ منسق يحتل محل بوداود مباشرة ، يتولى قيادة جبهة التحرير الوطني الجزائرية في فرنسا .

وهنا يظهر حداد حماده[2] ، وهو من مناضلي حزب الشعب الجزائري منذ السادسة عشرة من عمره ، كان عضواً في المنظمة الخاصة المشهورة ، وعضو اللجنة الثورية لوحدة العمل ، عندما القي القبض عليه في الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٤ ، وبعد أن عذب وسجن اطلق سراحه بعد ثمانية عشر شهرا ، ودخل الى فرنسا خلال صيف ١٩٥٦ ، ذلك هو الشخص الذي اختاره بوداود للقيام بأخطر مهمة داخل فرنسا ، رجل قوي وعرب ، لا تنقصه الحيلة ، انه صخرة في هذه الفترة الحرجة .

---

١ - نظمر هذه الاجتماع بوضوح الذي اصبح رئيساً للدولة الجزائرية
٢ - اسمه الحقيقي يوسف حداد ، وسنحفظ بهذا الاسم الذي عرف به .

كان اليسار غير الشيوعي ، مترددا تجاه ديغول ، الا انه انضم اليه فيما بعد ، ما عدا بعض الشخصيات . وبصورة خاصة مانديس فرانس وفرانسوا ميتران ، فبينما كان (المتروي في كولومبيه) يبدو الى هوبير بوف‌ميري الحصن المنيع ضد الدكتاتورية ، طرحت مجلة فرانس اوبسرفاتور قناعة مختلفة تماما اذ قالت (ستقود الديغولية في النهاية الى الدكتاتورية)[3] . وقدمت مجلة فرانس نوفيل في اليوم نفسه تحليلا مماثلا تحت عنوان (لسد الطريق على ديغول والدكتاتورية) . أما الحزب الشيوعي الفرنسي فكان مؤمنا بأنه يواجه محاولة تمرد ، ويدعو الحزبيين الى الاستنفار ضد الفاشية ، ويتخذ قرارات استثنائية وعمليات للدفاع . ويترك قادة الحزب الرئيسيين بيوتهم ، واخذ أراغون ينام في السفارة السوفياتية .

اقترح كوريل ، في هذه الظروف ، وضمن هذا الاطار ، على جانسون بأن يلتقي بمسؤول على أعلى مستوى ، في الحزب الشيوعي الفرنسي . لقد كانت حاسة الشم عند الشيوعي المصري قوية جدا ، فقد شعر بأن أي ظرف آخر لن يكون مناسبا اكثر من هذا الظرف للانفتاح . فقد تحول حزب موريس توريز على المستوى الايديولوجي تحولا كبيرا منذ سنتين تجاه القضية الجزائرية ، فبعد أن تخلى عن مفهومه الغامض حول (الاتحاد الفرنسي) خلال تموز (يوليو) ١٩٥٦ برزت الى الوجود خلال دورة شباط (فبراير) ١٩٥٧ للجنة المركزية للحزب حادثة هامة جدا هي : (الامة الجزائرية التي ما زالت منذ عدة قرون في طور التشكل والتي انهت تشكلها) . وكشف موريس توريز نفسه عن هذا الموقف عندما صرح : (والآن ، وتمشيا مع التاريخ ، والحياة التي تتطور وتتقدم ، فقد غيرنا صفتنا ، وها نحن اليوم وبحق نتحدث عن الواقع القومي الجزائري ، والامة الجزائرية التي انهت تكوينها) . ويستنتج لورانا كازانوفا ، دونما تلكؤ ، الاستنتاج المنطقي (بأن السؤال الوحيد الذي يطرح اليوم هو معرفة فيما اذا كان الشعب الجزائري سيبلغ استقلاله مع فرنسا او ضدها) ،[4] وفي النهاية توصل الحزب الى مرحلة عليا من التطور ، فقد اعترف بجبهة التحرير الوطني باعتبارها المنظمة الوحيدة الممثلة للشعب الجزائري (وبجميع فصائل المقاومة بما في ذلك الحزب الشيوعي الجزائري)[5] . والى جانب ذلك ، قطعت الصحافة الشيوعية الصمت ، حول الاعضاء الشيوعيين الشباب ، الذين فضلوا السجن على (الحرب القذرة) . وهكذا طالبت صحيفة الأومانيته في ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٧ لاول مرة ، باطلاق سراح اليان ليشتي بعد اربعة أشهر من اعتقاله . ذلك الفلاح الذي بعث لرئيس الجمهورية ، يعلمه تصميمه على عدم المحاربة في الجزائر . والذي قلده عشرات من الشبيبة الشيوعية ، من بينهم ابناء بعض القادة الشيوعيين ، مثل (بيير غويو ابن ريمون غويو عضو المكتب السياسي) . وها هو الحزب الشيوعي الفرنسي يعلن عن تضامنه مع (الجزائريين من أصل اوروبي ومن بينهم الشيوعيين الجزائريين الذين يساهمون في معارك تحرير وطنهم)[6] .

---

٣ ـ فرانس أوبسرفاتور ، ٢٢ أيار (مايو) ١٩٥٨ .

٤ ـ خطاب بالجمعية الوطنية ، ٢٠ آذار (مارس) ١٩٥٧ .

٥ ـ لومانيته ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٨ .

٦ ـ كاييه دي كومنيسم شباط (فبراير) ١٩٥٧ .

لم يوافق هذا التطور العلني ، الذي تبرز اهميته واضحة ، التزام عملي الى جانب جبهة التحرير الوطني ، بل كان بعيدا عن ذلك كل البعد . الا أن القلق والمخاوف المنتشرة في ايام ايار (مايو) ١٩٥٨ ، تغلبت على ذلك ، لمجابهة ما اعتبره الحزب الشيوعي بروزاً للفاشية ، ولم يكن لدى الحزب جماهير يعتمد عليها ، بينما كانت جبهة التحرير الوطني الجزائرية تمثل قوة عظيمة ، وهذا ما حزره كوربيل .

لم يكن جانسون بدوره ، يحلل ، يوم ١٣ ايار (مايو) ، الموقف بصورة مختلفة عن الحزب الشيوعي ، وكان يتطلع الى كسر طوق العزلة السياسية الذي يحيط به . ففي اطار الشبكة ذاتها ، كان التمرق مؤلما لدى العديد من الحزبيين الشيوعيين ، بتخليهم الارتباط بحزبهم ، والرغبة بمساعدة الجزائريين بصورة فعالة . فان حلت هيلين كوينا ، وايتين بولو مشكلتهما ، بعدم تجديد بطاقتهما الحزبية فقد امتنع آخرون عن العمل في سبيل المحافظة عليها . وهكذا وجد جانسون في اقتراح كوربيل باجراء لقاء قمة مع الشيوعيين ، مصلحة بأن يطلب من القادة الشيوعيين التسامح تجاه النشاطات اللامشروعة لبعض من الحزبيين .

وانصرف كوربيل الى التنظيم العملي هذا اللقاء بحذر كبير يفوق التصور ، فلم يكن موريس توريز ، بالطبع ، يرغب بأن تعرف فرنسا كلها ، بأن الشيوعيين ينسقون سراً مع الشريك الاساسي الفرنسي (للارهابيين) الجزائريين .

وفي الثلاثين من ايار (مايو) ١٩٥٨ ، حدد الموعد في شقة قرب غابة بولونيا ، وبعد ان تأكدت هيلين كوينا من أن الطريق حر ، تقدم جانسون ووجد نفسه امام بوران كازانوفا ، وهو كورسيكي ولد في الجزائر ، وصديق شخصي لموريس توريز ، وكازا (كما يسمونه) مفاوض له وزنه . بقي لوقت طويل ستالينياً ملتزماً ، واقتنع مؤخرا بأن التحولات التي اجراها خروتشوف كان لا بد منها . وكان الكرملين يكن له كل تقدير . وباختصار لم يكن جانسون أمام غر من الأغرار .

وهكذا وكمقدمة للعبة ، قام كازا بتحليل دقيق للاوضاع السياسية الراهنة ، والهى تحليله بالقول « انها لن تتجنب قيام حكومة ديغولية ، إلا انها لن تستمر ، فلن يدعمها سوى بعض الضباط المتمردين ، والمظليين والجلادين ولن تجد أي دعم من الشعب . وعلى كل حال فان الخطوط الكبرى لرد الفعل بدأت ترتسم في البلاد »[٧] . ثم بحث الرجلان في عمق المسألة فشرح جانسون مواقف جبهة التحرير الوطني ، وبين القواعد التي كلف بالتفاوض على أساسها مع الحزب الشيوعي . وقال لكازانوفا « بالتأكيد ، ان لدى الرفاق الجزائريين الكثير من الانتقادات حول الموقف السابق للحزب الشيوعي الفرنسي ، الا ان زمن النقد قد مضى ، ومن الواضح اليوم وأكثر من أي زمن مضى ، بأن الشعب الفرنسي والشعب الجزائري يجابهان العدو نفسه ، وان

---

٧ - كان جانسون يسجل محضرا مكتوبا بعد كل لقاء مع قادة الحزب الشيوعي الفرنسي وقد غاب الرجلان حرفيا بحصر ما جاء في هذا المحاضر ، معتمدين على الملاحظات التي استقيناها من الارشيف الشخصي وغير المنشور لرئيس الشبكة .

حكومة جمهورية حقيقية ، هي وحدها القادرة على اقامة السلام في الجزائر) . والح زعيم الشبكة (بأن على الحزب الشيوعي ان يرفع في الوقت نفسه شعارين : الكفاح ضد الفاشية ، واستقلال الجزائر . وقال ان شعار السلام للجزائر غير كاف) . فوافق كازانوفا قائلاً (ان كل ذلك يدخل في اطار خطنا السياسي الحالي . ولمح جانسون بالطاقة الضخمة التي يشكلها مئات الآلاف من العمال الجزائريين في فرنسا ، وبين بأن هذه القوة الهائلة يجب الا تترك تعمل لوحدها وأضاف : يجب ان ينسق عملها مع عمل الشعب الفرنسي) .

وهنا أيضا عبر كازانوفا عن موافقته المبدئية ، الا انه ابدى بعض التحفظات حول (موقف الجبهة المضطرب وغير الواضح) تجاه الجنرال ديغول . وأوضح بأن (اساليب الجبهة ، وأساليب الحزب الشيوعي ، تختلف اختلافا كبيرا ، فبينما تتبع الجبهة ، اكثر فأكثر ، أسلوب حرب العوار ، والكفاح السري ، ولا تعرض مواقفها وآرائها السياسية علنيا ، يهتم الحزب الشيوعي بأن تكون الامور علنية) فرد جانسون حالا (ان هذا النقد لا معنى له ، فالجبهة في حالة حرب،وليس لديها وسائل التعبير نفسها التي يتمتع بها حزب مشروع) .

وعند هذه المرحلة من النقاش ، يكشف الفيلسوف الفرنسي عن نفسه فيقول (ان الرفاق الجزائريين يعتبرون بأن الطبقة العاملة الفرنسية هي حليفهم الطبيعي ، وعلى أساس ذلك فوضت بتقديم الاقتراحات التالية :

انه من المؤمل عليه ، بأن يتبع هذا الحديث لقاءات اخرى ، وان تقود هذه الى اتصالات مباشرة بين مسؤولين جزائريين ومسؤولين من الحزب الشيوعي الفرنسي ، وان يتم خلال هذه المباحثات دراسة المبادىء الاساسية للعمل المشترك) .

وبعد موافقة كازانوفا على أقوال جانسون تابع هذا الاخير (ومن المرغوب ايضا ، ان توضح مواقف جبهة التحرير الوطني للطبقة العاملة في صحف ومنشورات الحزب الشيوعي) ونلاحظ هنا بسهولة ان جانسون لا يتردد في رفع الثمن ، ومع ذلك فانه يحتفظ بالنصيب الاكبر للنهاية فيقول (ثم ان الجزائريين مستعدون لقبول مساعدات مادية من الشيوعيين الفرنسيين) .

سجل كازانوفا الطلب ، الا أنه بين انه لم يفوض بالالتزام الى هذا الحد . وقال (انه لا بد من مناقشة هذا الاقتراح الاخير ، الا انه يبدو لي بأنه صعب التحقيق في الظروف الحالية) .

وفي نهاية اللقاء بحث الرجلان سرية في الاسلوب الذي سيتم فيه اللقاء التالي ، ثم افترقا ، وقام جانسون مباشرة بكتابة محضر الاجتماع وختمه قائلا (ان هذا اللقاء ايجابي ، حيث اقر فيه مبدأ العمل المشترك ، وانه من المفيد جدا تكرار مثل هذه اللقاءات ، فالحزب ما زال يجهل على ما يبدو ، المشاكل التي يعاني منها الجزائريون وظروف كفاحهم ، كما ان حذر قادة الحزب الشيوعي الشديد ، والصعوبات الحقيقية التي يواجهها الحزب حاليا ، وان كان مسؤولا عنها ، تحدد تماما ابعاد هذا اللقاء ، وما زال امامنا عمل كبير يجب القيام به للوصول الى عمل موحد) .

وفي الخامس من حزيران (يونيو) ، جرى اللقاء الثاني ، الا أن المفاوض قد تغير هذه المرة . فالديك روشيه هو الرجل الذي التقى به جانسون في الصالة الخلفية لمقهى في مونبارناس ، وكان جانسون هي الوسيط ، وحضرت الموعد مع القائد الشيوعي في مقر مجلة (لاتير - الأرض) التي كان يديرها . وقدرت كوليت بأن فالديك روشيه كان مستعدا ومتفتحا للحوار[8] ، ومع ذلك فان الحوار مع جانسون بدأ بصورة غير مرضية . فقد بقي فالديك روشيه منغلقا ، ودافع بشدة عن سياسة حزبه ، فقال (لقد تأخر ، بفضل عملنا ، وصول ديغول الى السلطة ، مما ترك لنا المجال لتنظيم أنفسنا) . ثم تراه يهاجم مباشرة فيقول (لقد التزمت الجبهة بالصمت طيلة هذه الفترة الخطرة ، واستغل المتطرفون ذلك) ، وبعد هذا الهجوم فقط ، خفف من صوته وقال (ماذا تريدون منا ؟ ، انني استطيع ان اعدكم بأننا لن نتوقف عن المطالبة بقيام المفاوضات من أجل استقلال الجزائر ، ولا يمكنني ان أقول اكثر من ذلك ، كما أن شعاراتنا لن تتغير ، وسنعمل حسب امكاناتنا . ان الطبقة العاملة تضم العناصر المتقدمة ، وان الحزب الشيوعي يحتوي طلائعها ، ولكن لا بد من أن يؤخذ بعين الاعتبار العناصر المتخلفة ، المتعصبة وطنيا وربما العنصرية) .

وبما أن جانسون اظهر خيبة امله تجاه الحذر الشديد الذي اظهره مفاوضه ، خرج فالديك روشيه عن تحفظه ، وأكد بأن الحديث الذي تم مع كازانوفا قد نقل الى أعلى المقامات في الحزب ، وان هذا الحديث ايضا سيتقل بدوره اليها . وها هو يسأل فجأة (أليس من الممكن اجراء اتصالات بين ممثل عن الحزب الشيوعي الفرنسي وأحد القادة الجزائريين) . واعتبر جانسون بأن القدر استجاب له ، فرد بالايجاب . واتفق على الموعد خلال الاسبوع التالي .

وكما فعل بعد لقائه مع كازانوفا ، نقل جانسون الذي قدم للجبهة محاضر مفصلة ، هذه الملاحظة (لقد كان اللقاء ايجابيا ، الا انه تميز طيلة الوقت بأنه ترك الانطباع ، بأننا سنصل الى طريق مسدود . وللحقيقة ، يجب أن يوضع هذا اللقاء في اطاره ، ان شخصية فالديك روشيه ، وموقعه في الحزب الشيوعي تفرضان عليه الحذر الشديد ، لكي يضع مفاوضه على المحك (وقد فعل ذلك بدم بارد وعزم) ، وان يكون متأهبا ، ولا يسمح لاي شعور بالظهور على ملامحه ، دون أن يغيب عنه شيء من الحوار ، بالاضافة الى ذلك ، فان فالديك روشيه ، فلاح نموذج على نضج التفكير ، والنظر الى المستقبل البعيد (فالبعض يتكهن بأنه سيتولى منصب الامين العام) فقد يعارض بعض المواقف الثورية التي لا يلبث أن يدافع عنها دفاعا مستميتا)[9] .

وها هي الامور تتسارع فجأة ، فهل نقل فالديك روشيه الى توريز في اليوم نفسه موضوع المقابلة ، الذي قرر تعجيل الامور ؟ ومهما يكن الامر ، فقد فوض كازانوفا ، لاجراء لقاء جديد عاجل جدا ، وهل كان تبديل (المفاوضين) يخضع لقاعدة قديمة يفرضها الحذر ام انه تقدير سياسي ؟ ، كل ذلك نجهله ، الا أن

---

(٨) شهادة كوليت جانسون .

٩ - تترجم هذه الأسطر التحليل النفسي الشفاف والنبوئي ، لان فالديك روشيه صار سكرتيرا عاما في عام ١٩٦٤ .

المؤكد ان كازانوفا انطلق مباشرة نحو الهدف ، وأعلن مباشرة دون مواربة (ان الحزب الشيوعي مستعد للقاء الرفاق الجزائريين ، ويترك لهم اختيار مكان اللقاء وزمانه) . ومنذ تلك اللحظة توالت الردود دون احاديث لا فائدة منها .

وأوضح جانسون المفوض من الجبهة بأن(هذه اللقاءات ستتم في الخارج ، وفي أقرب وقت ممكن ، وخلال الايام الثمانية القادمة) .

ويرد كازانوفا (ومن سيكون محدثنا ؟ انني اطرح ذلك بهدف تحقيق الفعالية ، وخصوصا اذا اردنا الخروج بقرارات عملية من هذه اللقاءات ، ولذلك فمن المفضل لقاء اشخاص ذوي مسؤوليات متناسبة) .

ـ بالنسبة للجانب الجزائري ، سيكون الرفيق الذي سيأتي هو الرجل الاول في اتحاد فرنسا .

ـ وحسب رأيك من هو النظير المناسب بالنسبة لنا ؟ هل يكون عضواً في المكتب السياسي ، أم في اللجنة المركزية ؟ (وأخذ كازا يعدد بعض الأسماء من بينها فالديك روشيه . . . .) .

فقال جانسون : لقد رأيته أمس ، وكان عليّ ان ابذل جهداً مرهقاً للتغلب على مقاومته ، وربما يكون من الأفضل الا يلزم الجزائريون ببذل مثل هذا الجهد .

ـ أنني على علم بهذا اللقاء ، ولا تخطيء الظن بفالديك روشيه ، انه رجل حساس جدا ، ودقيق في تقديراته ، ومناسب جدا لاتصالات من هذا النوع ، واذا اعتقدت ان دعاني انا (قال كازا) سيكون مفيدا فانني مستعد لذلك الا انني افضل أن أتابع اتصالاتي معك ، وأترك هذه المهمة لآخرين .

ثم اتفقا على اسم فالديك روشيه . وحذر جانسون كازانوفا (بأن الرفاق الجزائريين لن يكتفوا باتخاذ المواقف النظرية مهما كانت صحيحة ، وانه لا بد من أن يكون ذلك متبوعا بالعمل) وحاول جانسون معرفة درجة التزام المسؤول الشيوعي ، وسأله فيما اذا كان باستطاعته ان يجد له مأوى في بلجيكا ، ولم يكن هدفه طبعا سوى وضعه على المحك ، ولم يكن الاختبار سلبيا فقد وعد كازا بأن يفكر في ذلك .

وبعد انتهاء اللقاء سجل جانسون : (ان الحزب الشيوعي يتابع القضية ، ويحاط القادة بكل ما يحدث . وقد أتى ل . . .[10] يحمل العديد من الأجوبة الايجابية ، وأعرب عن اهتمام بالغ بأن تقود المحادثات الى التعاون مع الجبهة (كاختيار المفاوض ، ومكان اللقاء ، والاستجابة الى طلب البحث عن مأوى) ومع ذلك فانه لم يترك مناسبة واحدة دون توجيه النقد السياسي للجبهة . وبالاضافة الى ذلك ، بين عن اهتمامه بفهم الواقع الجزائري وأظهر رغبة حقيقية في متابعة المحادثات) .

لقد أخطأ فرانسيس جانسون بتفاؤله ، فقد الغي فيما بعد اللقاء المفترض ان يتم في سويسرا بين فالديك

---

١٠ ـ ل . : تعني لوران (كازانوفا) .

روشيه وبوداود . فماذا حدث في سر المكتب السياسي ؟ . وهل ذهب كازانوفا الى أبعد مما يستطيع ؟ أم أن توريز رفض تصرفه ؟ أم غير موقفه ؟ بسبب تغير المشهد على الساحة الفرنسية ؟ (فالخطر الفاشي) الذي كان يهدد فرنسا في نهاية أيار (مايو) يبرر التقارب مع جبهة التحرير . أما في منتصف حزيران (يونيو) فقد بات واضحاً بأن ديغول ليس دكتاتوراً دموياً . كما أن التهديدات التي كانت تطال الوجود القانوني للحزب أخذت تتلاشى . وباختصار لم يعد هناك خطر محيق .

اجتمعت اللجنة المركزية للحزب للمرة الأولى منذ الثالث عشر من أيار (مايو) يوم العاشر من حزيران (يونيو) ، وقرر السيد ب[1] . . . طالب الشيال أن (يتكلم) ، وعرض نص كلمته التي حضرها ، في مكتبه في الجمعية الوطنية ، على عضوين آخرين من اللجنة المركزية برلمانيين مثله ، وكانت علاقته معهما صريحة وودية ، وهما جان برونتو وموريس كريجل فالريمون . وأعلن كلاهما بأنه متفق معه حول المحتوى ، إلا أنهما نصحاه بألا يكشف عن نفسه . وقالا له (على كل حال انا لن نخذلك) ، لكن ب . . . أصر ، وألقى كلمته أمام اللجنة المركزية . وكانت اللهجة معتدلة . إلا أنه أعرب مع ذلك عن استغرابه للسهولة التي سيطر بها ديغول على السلطة . وتساءل عما إذا لم يكن للحزب الشيوعي الفرنسي نصيبه في هذا الحدث ؟ وبعد مغادرته المنبر ، شعر ب . . . بأنه قد انتحر سياسياً ، فانتقده كل بدوره ، فيرمييرش ، وفراشون ، وكازانوفا . وقاطعه مارسيل سيرفان (إنها بضاعة الاوبسرفاتور التي تقدمها لنا) ، وعاد ب . . . إلى الحديث بعد الظهر ، بناء على نصيحة من بعض رفاقه ، ليخفف من أثر خطابه الصباحي ، إلا أنه ألح مع ذلك على فكرة قيام مفاوضات مع كتل الجانب المقابل (ويقصد بذلك الجبهة) . وبعد أن انتهت أعمال اللجنة المركزية ، عاد (ب) إلى سيارته وحيداً ، وعلى مقربة منها وجد برونتو بانتظاره فسأله : أما زلت تفكر في الهجري ؟ لنلتق في مقهى مناسب في بورت ديتالي . وما كاد (ب) يجلس الى الطاولة ، حتى لحق به برونتو يرافقه جوانفيل وكريجل فالريمون .[2] وهكذا ، كانوا مجموعة من أعضاء اللجنة المركزية ، يشكلون مجموعة من الرافضين ، يعارضون خط توريز ، ويضافرون جهودهم منذ عام ١٩٥٦ لنزع الفكر الستاليني عن الحزب . إلا أنهم لم يكونوا منظمين .

كانت الهجمات العنيفة التي تعرض لها (ب) قد هزت كيانه . وسأل : (ولكن لماذا هاجمني سيرفان وكازانوفا بهذا العنف) فأجابه كريجل (لخطيئة نسيتها) . ولم يجد (ب) صعوبة في فهم ذلك . فقد كان يعرف أكثر من أي شخص آخر طبيعة المبادلات السرية بين كازانوفا وجانسون ، كما أنه شخصياً ومنذ نهاية أيار (مايو) أجرى اتصالات عديدة مع رئيس الشبكة .

---

١ ـ نبقي اسمه سراً بناء على طلبه .

٢ ـ الأول هو الجنرال القديم في [illegible] والثاني رئيس تحرير (فرانس نوفيل) كانا واحداً من قياديي المقاومة العسكريين الذين استلموا (قوات المتطوعين) . FTP (الفرنسيين الأحرار) ، من جانب الشيوعيين .

لم يكن (ب . . .) نائياً عن النضال فحسب بل سمي منذ عام ١٩٤٥ رئيساً لجمعية الصداقة الفرنسية ـ السوفييتية ، وكان ستاليني‌اً مثل غيره في ذلك الحين . ولم يكن يشك لحظة واحدة ، حتى ذلك اليوم القدري الذي نشرت فيه صحيفة لوموند تقريراً عزته الى الرفيق خروتشيف ، بأنه سيسقط تمثال ابي الشعوب الصغيرة . وسبب لديه صدمة لا تشفى . وكان يشعر بأنه شريك في المحاكمة التي تجري في قمة الحزب الشيوعي الشقيق ، وبتعلقه بالاتحاد السوفييتي ، أصبح مناصراً عنيداً لخروشيف كي كان مخلصاً لستالين .

وفي عام ١٩٥٨ كان (ب . . .) يتبادل الحديث غالباً مع احدى العاملات في جمعية الصداقة (ولم تكن منتسبة للحزب الشيوعي) : انها كوليت جانسون . وبعد أن كان حذراً في البدء اخذ يكشف شيئاً فشيئاً عن نقده لسياسة الحزب ، وبصورة خاصة لموقفه من القضية الجزائرية ، فسجلت كوليت هذا الموقف . وعشية الثالث عشر من أيار (مايو) ، اقترحت عليه اللقاء بفرنسيس جانسون ، وجرى اتصال اولي وسريع في السابع والعشرين من ايار (مايو) . وفي اليوم التالي ، بينما كان عشرات الالوف يتظاهرون بين ساحتي ناسيون وريبوبليك (لقطع الطريق على الفاشية) كان جانسون و (ب . . . .) يتناقشان في شقة في الضاحية الجنوبية . وكان النائب الشيوعي يأمل التعرف على قيمة الشبكة ، ويعرب عن قلقه تجاه اوضاع قوى جبهة التحرير الوطني الجزائرية . وتناول الحديث بعد ذلك مواقف الجبهة تجاه الجنرال ديغول ، التي كان يعتبرها (ب . . .) مثلما كان يعتبرها كازا غير واضحة . ثم تطرق الحديث لسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي ، وبين (ب . . . .) لجانسون ، بأنه يرى ويشاركه ، أصدقاؤه هذا الرأي ، بأن مسؤولية المكتب السياسي للحزب في عودة الجنرال كانت ساحقة (ان الفاشية هي تعبير عن الحروب الاستعمارية وتنبثق عنها ، فهي تنبثق اذن عن الجزائر)[١٣] .

فاعلم جانسون (ب . . .) بأن محادثات تجري مع قيادة الحزب ، وان مفاوضه للاجتماع القادم هو كازانوفا ، وسأله (ما هو موقفه تجاه مجموعتكم) . فأجاب (ب . . .) (بأنه ليس منا ، الا أنه يبذل كل ما بوسعه لنقل أفكارنا التي يتعاطف معها . وعليك أن تطلب منه أقصى ما تستطيع . وأخبرني حالاً بجوابه ، وسأحيطك علماً ، بردود الفعل في القمة) . . .

وهكذا بدأت لعبة مثلثة ، فكان رئيس الشبكة يتابع في الوقت نفسه نوعين من الاتصالات : أحدهما مع قيادة الحزب الشيوعي ، والآخر مع (ب . . .) . الذي كان يعتبره فرانسيس ممثلاً للتيار الناقد الذي يتجاوز الحزب . وهكذا التقى جانسون بين المقابلة التي تمت مع كازانوفا في الثلاثين من ايار (مايو) ، والمقابلة التي تمت مع فالديك روشيه يوم الخامس من حزيران (يونيو) ، التقى في الثالث من حزيران مع

---

١٣ ـ كما كان يفعل جانسون مع كازانوفا وفالديك روشيه ، فكذلك كان يحتفظ بمحضر كتابي عن لقاءاته مع ب . ونحن ننشرها بوفاء هذه الملاحظات ، التي تتوافق في كل نقطة منها مع الشهادة الشفهية لـ (ب) .

(ب . . .) في مقهى (دوس فرانس) في شارع اكسلمان ، وكان تحليلها للموقف السياسي متوافقا . الا أن (ب) لم يخفِ على فرانسيس بأن موقفه وموقف اصدقائه يزداد حرجا ، وان العلاقات الشفهية تتدهور ، وأنه لم يعد يتكلم مع جانيت فيرميرش . وقال أكثر من ذلك (اني اخشى ان لا يكون بعض اعضاء المكتب السياسي قادرين على مجابهة الاهداف ، فعندما انحدث معهم عن قضية المساهمة الفعلية التي يتطلبها الموقف ، يميعون الجواب ، وباعتقادي فان حقائبهم جاهزة) . وفي يوم السادس من حزيران (يونيو) ، وبعد اتصاله مباشرة بكازانوفا ، ناقش جانسون مع (ب) الموقف ، وكان مرتاحا للاتجاه الذي سارت فيه المناقشات ، وكان موقفه هو الآخر ، بأن خيبة الأمل النهائية ستكون عنيفة ، وربما قاده هذا التهرب الى الكلام . أي الى القاء كلمته التي لم تأت بشيء جديد ، ولكن قيمتها تكمن في القائها امام اللجنة المركزية للحزب .

لم يبق هذا (الخروج) سريا بين المسؤولين ، فبعد بضعة أيام فقط ، عرف اعضاء اللجان ، والموظفون والصحفيون والمشاركون في تحرير المجلات ، بأن رئيس جمعية الصداقة الفرنسية السوفيتية قد أعرب عن بعض التحفظات تجاه سياسة توريز . ولم يترك الحزبيون الذين يعارضون هذه السياسة الفرصة تفوتهم ، ولم ينتظر الرفيق (ب . . .) طويلا ، فقد قام بزيارته اثنان من الاساتذة الجامعيين هما جان شينو و (س)[١٤] ، اللذان ارسلا من قبل للمجموعة المعارضة التي يقودها فيكتور لودوك .

كان لودوك (فالدي) كما يسميه الاصدقاء والمقربون ، مقاوما شجاعا ، ورئيس تحرير المجلة الاسبوعية السياسية والثقافية (اكسيون) بعد تحرير فرنسا من النازيين ، وقد بدأ (بالانحراف) قبل أن يكشف خروشيف ما كشفه . ولم يمنعه ذلك ، بل بالعكس ، من أن يلقي بكل ثقله في معركة نزع الفكر الستاليني . وأتى مؤتمر الهافر في ١٩٥٦ ليؤكد ارادة توريز بمنع كل تحول . فتكتل عدد من الشيوعيين المعادين للستالينية وللتصويت على السلطات الخاصة ، في خريف عام ١٩٥٦ ، وأصدروا مجلة (الشرارة) ، وكان معظمهم من الكتاب ذائعي الصيت مثل هنري لوفيفر ، وأناتول كوب ، وايف كاشان ، وفرانسوا شاتليه ، وفيكتور لودوك طبعا ، وآخرون كثيرون ما زال علينا اليوم ان نكتم أسماءهم . كما ساهم في تحرير المجلة وتوزيعها نواة من حزبيي الحي الحادي عشر من باريس ، يقودهم جيراو سيترو ، هذا الذي رافق لودوك في القطاع الايديولوجي ، ولم يكن شيوعيا من شيوعي آخر ساعة . فقد تطوع في عام ١٩٤٣ في مجموعة القناصة الباريسية ، وانضم الى الحزب الشيوعي بعد التحرير ، وكان يعمل في مكتب الصحافة الهنغاري ، ويعرف تماما مشاكل شرق اوروبا ، كان معارضا مبكرا ، كما كان مقاتلا مبكرا ، ونشر من حوله كتابات احتجاجية ، وبصورة خاصة كتابات الفيلسوف جورج لوكاش .

قبل صدور (الشرارة) كان شيوعيان من السوربون دونيي بيرجيه وفيليكس غاتاري ، وهما

---

١٤ ـ س . هو دائما عضو في الحزب الشيوعي .

تروتسكيان أصلا ، قد أصدروا صحيفتها المعارضة (تريبون دوديسكوسيون = منبر المناقشة) التي تحدث سمعتها الأطار الجامعي من بعيد ، وكان الحذر يسود مجموعتي التحرير في المجلتين ، ثم جرت الاتصالات ، وعقد اجتماع موسع دعي له في احدى ضواحي باريس . وكان الجميع متفقين على الأقل على نقطتين : شجب الستالينية ، وعدم كفاية التزام الحزب الشيوعي الفرنسي ضد الحرب في الجزائر . وبدا من الضروري والعاجل اجراء نقاش ، نقاش ديمقراطي . فاندمجت الصحيفتان في آذار (مارس) ١٩٥٧ للمساهمة في هذا النقاش . وصدر عدد مشترك ، الا أن الخلاف بقي ، وقاد بدءا من الخريف الى الطلاق . وبرزت هزيمة (المجموعة المعادية للحزب)[١٥] في موسكو لمحرري (الشرارة) وقف المعارضة السرية ، واعتبروا ان انتصار مناصري التحرر في موسكو ، سيكون له صدى لدى الاحزاب الشيوعية في البلدان الاخرى التي ستتأثر بالصدمة . ومن جهة اخرى كان لودوك ورفاقه يعيبون على (تريبون) بأن التروتسكيين يلعبون بها . واخيرًا استدعي لودوك الى الرقم (٤٤)[١٦] ، وسمحت له النصيحة الملحة بأن يتحدث كما يجب أمام المكتب، وان يكتشف حالا موقع الميكروفون. فأنكر كل شيء بالجملة، الا أنه كان يعرف تماما بأنه مشبوه . وكان اعضاء هيئة تحرير (الشرارة) يعتبرون (ان اطالة وجود صحيفة سرية في الحزب الى الأبد امر خطير) ففضلوا الانفصال بعضهم عن البعض الآخر ،وفضلوا تكريس انفسهم للعمل النظري العلني . وفي مطلع عام ١٩٥٨ أصدرت المجموعة نفسها مجلة شهرية (فوا نوفيل . الطريق الجديد) ، ووزع منها ألف عدد . وظهرت فيها مقالات لجان توسان ديسانتي وهنري لوفيفر .

إلا أن المناضلين الذين تجمعوا حول جيرار سبيتزر ، رفضوا مع ذلك ، وقف نشاطاتهم ، وحافظوا على علاقاتهم مع جماعة مجلة (تريبون) ومع التروتسكيين بيرجيه وغاتازي ، اللذين كانا على حافة الفصل من الاممية الرابعة ، وعن هذه المجموعة صدرت نشرة مطبوعة على الآلة الكاتبة (نشرة المعارضة الشيوعية) التي تحولت في كانون الثاني عام ١٩٥٨ الى (لافواكومينيست = الطريق الشيوعي) ومول جان بول سارتر العدد الاول ، الذي تألف من أربع صفحات ووزع علنا ، أما غي لوكلير الناقد المسرحي في لومانيتيه وجان بويران فقد شاركا في بعض الاجتماعات ، ثم اتحد بويران وفرانسوا فوريه ليؤسسا مجلة (تريبون دوكوميسم : منبر الشيوعية) . وفي آذار (مارس) ١٩٥٨ اخطر كلود لانزمان بول سارتر بأصل الانتماء التروتسكي لبعض اعضاء هيئة تحرير (الطريق الشيوعي) فأوقف دعمه المالي لها . وجرى لقاء حاسم معه لاحقا ، الا أنه لم يغير شيئا من قراره ، وبقي مستشفى لا بورد في كور شيفرني حيث يعمل فيليكس غاتاري ، المصدر الممول الوحيد للمجلة . اما المنتمون الى هذا التيار ، فأخذوا يلتزمون كل يوم أكثر فأكثر بالنضال ضد الحرب في الجزائر[١٧] .

---

١٥ ـ مولوتوف ، مالينكوف وكاغانوفيتش ، هم الاضداد الرئيسيون لخروتشيف الذين هزمهم فيما بعد
١٦ ـ ٤٤ ، شارع لوبيلتيه ، مقر اللجنة المركزية .
١٧ ـ محادثة مع فيليس بيرجيه (حزيران يونيو ١٩٧٥) ومع جيرار سبيتزر (شباط ـ فبراير ١٩٧٦) .

وبالرغم من أن مجموعة لودوك قد حلت رسميا ، فانها واصلت الاجتماعات ، على مستوى لجان تحرير مجلة (الطريق الجديد) على الأقل وطلب المبعوثان اللذان ارسلا لسير (ب) ، دعوته لحضور احد اجتماعات هذه اللجان ، والتقى (ب . . . .) بلودوك وحدثه عن جانسون ، ونظما لقاء معه . وجرى اللقاء في الضاحية الغربية لباريس ، وتبعه لقاء آخر في فيزينيه في شقة زوجين معلمين شيوعيين. ولم يداهن جانسون ، كما فعل مع كازانوفا ، بل ذهب مباشرة الى الهدف وسأل لودوك (هل تقبلون ، نعم ام لا ، مساعدتنا) فأجاب لودوك بأنه واصدقاءه لا يشكلون مجموعة منظمة تخضع لانضباط دقيق ، وقال بأنه سينقل الطلب . وبالفعل قامت (مجموعة فالدي) بمناقشة اقتراح جانسون ، وأجاب كل حسب ضميره ، الا أن هؤلاء المثقفين الشيوعيين ، بالرغم من موافقتهم على ما يقوم به جانسون ، فان مهمتهم هي الكفاح داخل الحزب الشيوعي ، وجر الحزب بمجموعه الى عمل جماهيري ضد الحرب .[18] . ولم ينقطع الاتصال مع ذلك ، وكان جانسون يلتقي من وقت لآخر مع لودوك و (ب) . كما كان يلتقي بانتظام بكازانوفا ، دون أن يكون ممكنا التأكيد بأن كازانوفا مفوض ام لا من قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي[19] .

وفي نهاية حزيران (يونيو) ١٩٥٨ ، كان على جانسون ان يقر بأن الاتصالات مع الشيوعيين الفرنسيين لم تكن بلا جدوى ، وانها كانت ودية في بعض الاحيان ، الا أن النتيجة كانت هزيلة على الصعيد العملي . لكن النشاط هو الذي يحظى بالاولوية .

كان جاك شاربي ، الكوميدي الشاب ذو الشهرة المتواضعة في الاوساط المسرحية ، يتدرب على مسرح التلفريون في عصر يوم من عام ١٩٥٨ ، وكان يفرغ قصصه دون التوصل الى الاهتمام بها ، فالفكرة المسيطرة عليه هي الحرب في الجزائر . وعندما يعود اليوم بالذاكرة الى المسيرة الفكرية والعاطفية التي قادته الى الانضمام الى الشبكة ، فانه يتذكر بانه في عصر ذلك اليوم ، وتحت اضواء المصابيح الساطعة ، قد انصاع لهاتف داخلي لمساعدة الجزائريين ، وبالرغم من انه قلق وعصبي ومضطرب ومندفع الا ان رغبته في العمل لم تكن فجائية .

لقد أسس والده ، عامل المطبعة ، بالاشتراك مع بيير مونات والفريد روسمير[20] ، مجلة (الثورة البروليتارية) . وكان جاك شاربي منذ نعومة اظفاره محاطا بمناضلين فوضويين نقابيين . وشتت الحرب العالمية الثانية عائلته ، فانتحرت امه ، التي كانت منخرطة في المقاومة ، عندما القي القبض عليها . وانضم شاربي بعد التحرير الى الشبيبة الاشتراكية، الا انه طرد منها بسرعة . كانت السياسة تغريه ، الا ان المسرح

---

١٨ - محادثة مع فيكتور لودوك ، أيلول سبتمبر ١٩٧٨
١٩ - شهادة ت وفرانسيس جانسون
٢٠ - نقابيون ثوريون (ابراميون) خلال حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ، اسسوا (الثورة البروليتارية) ، بعد طردهم من الحزب الشيوعي في عام ١٩٢٤ .

كان حياته ويشارك في عام ١٩٤٥ في انشاء المسرح العربي في تولوز (فرنسية تولوز) مع دانيال سورانو وبعض الآخرين . وتعرف من خلال المسرح على كاتب تونسي هو الطاهر قيقة ، الذي لن يلبث أن يبرز في قصتنا هذه . وتزوج شاربي في عام ١٩٥٣ ألين بوفرية وهي فرنسية من الجزائر ومن طلاب ماندوز كما تعرف شاربي على القضايا الاستعمارية عن طريق زوجته ، والتقى برجال من الحركة من أجل انتصار الحرية والديمقراطية ، وبأوروبيين تبنوا القضية الجزائرية مثل الزوجين شوليه . وكان الكوميدي ، من أعضاء اليسار الجديد ، ومن قراء فرانس اوبسرفاتور ، وأخذ يصعد سلم مهنته ، وينظم العرائض ، ويوزع المنشورات ، ويلصق الاعلانات ، الا انه كان يحس بألم كبير لعدم جدوى هذا العمل . وهزت أحداث ١٣ أيار (مايو) كيانه . وتوصل الى القناعة بأن السبيل الوحيد لمجابهة الفاشية هو اقامة السلام ، والسلام يعني اقرار حق الجزائريين في الاستقلال ، وعليه فان من الواجب مساعدة جبهة التحرير الوطني .

تأملت آن ماري شوليه ، بنوع من التسلية ، هذا الشاب الطويل القامة ، الهزيل الجسم ، الذي انتصب امامها قائلا (انني أود الذهاب الى الجبال الجزائرية . . .) انه يقدم لها طلبا غريبا في قلب باريس لكنها لم تر مع ذلك احباط همة مثل هذه الامكانيات النادرة ، فأجابته (ألا انك لا تمتلك الامكانيات الجسمية اللازمة ، ولكن ، يمكنك ان تعمل خيرا من ذلك ، فهناك فرنسيون يعملون مع رجل يدعى فانسان وسأعطيك ما يصلك به)[21] .

كانت آن ماري شوليه خطيبة صالح لوانشي الذي اعتقل منذ سنة ، تعرف كيف تتصل بجانسون ، فدبرت اللقاء الاول مع كوليت في مقهى بون رويال ، الواقع تحت الفندق الذي يحمل الاسم نفسه ، بين شارع سان جيرمان ونهر السين ، وهذا المقهى الذي يستقبل السياح وبعض السيدات المسنات ، كان أيضا (ملحقا) لدار النشر غاليمار التي تقع على خطوتين منه . وتعود جان بول سارتر ، بعد الحرب ان يؤمه ، فلحق به تلامذته . وتابع فرانسيس جانسون المختفي المجيء اليه ، فلم يكن الويسكي الجيد ، والموسيقى العذبة ، والنور الخافت ، هي المميزات الوحيدة لهذا المكان ، فكان له مدخلان ، ولنقل مخرجين : احدهما يقود بواسطة درج الى الشارع ، والآخر يقود مباشرة الى داخل الفندق ، ومن المستحيل في هذا الملجأ أن لا يتم التعرف على الدخلاء ، ولم يفاجأ شاربي عندما وجد نفسه في هذا الاطار الذي يجلو فيه افراغ القدح ، وانهاء النزاعات الايديولوجية في آن واحد . فلا أهمية للمظاهر . وكان اللقاء مع (كاترين) أي كوليت جانسون ، جيدا . الا أن فانسان أي فرنسيس لم يكشف عن نفسه ، الا في المشهد الثاني . وهكذا اطلق على شاربي اسم فرانسوا ولم يعرف شاربي بأنه وقع على التطوع لعشر سنوات لحساب الجزائر ، وتلخص عمله الاول في ايجاد مخابىء ومآو ، وكان ذلك أمراً سهلاً فليس هناك مضياف مثل الفنانين .

سيسيل رو غايون هي الأخرى ممثلة كوميدية ، واسمها الفني سيسيل ماريون ، بدأت حياتها الفنية في

---

٢١ ـ مقابلة أجريت مع جاك شاربي ، حزيران (يونيو) ١٩٧٥ .

تولوز مغنية ، ثم اسند اليها برنامج اذاعي في اذاعة تولوز المحلية ، وكان برنامجا شعبيا . ولدت في محيط بورجوازي ، ولم تتولد لديها اية ميول سياسية ، وقامت خلال ثلاث سنوات متتالية ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ بجولات فنية في الجزائر ، ولم يؤثر اي حدث فيها تأثيرا حقيقيا . الا أن صدور كتاب (المسألة) في عام ١٩٥٨ وما ورد فيه ، جرحها في العمق . اهو انعكاس انساني ، ام رد فعل اخلاقي ؟ وشعرت برغبة في التحرك . اتصل بها شاربي هاتفيا ، وليس بطريق الصدفة ، في مساء احد ايام الصيف ، وطلب اليها ان تؤوي شخصا ما في الليلة نفسها ؛ لقد كانت تعرف شاربي ، ففهمت وقبلت . واستضافت كوليت جانسون ، ولم تشك سيسيل ماريون بدورها ان حياتها قد تحولت[٣٢] .

أما لورانس باتاي ، الطالبة في الطب ، فقد اجتازت العتبة منذ نيسان (ابريل) عندما قبلت اقتراح صديق لها بأن تتلقى بريد الجبهة ، وبعد قليل من ذلك زارها فرنسيس جانسون . وقبل أن تعمل لورانس في الطب ، كانت تهوى الفن المسرحي ، ولعبت في فرقة مسرحية كان الآن كوني نجمها . ومثلت الفرقة في الجزائر سنة قيام الثورة . واسرت لورانس لاصدقائها (ان ما رأيته هناك يتعدى كثيرا ما حدث في فرنسا ابان الاحتلال النازي) . وقادها حنقها على الأوضاع الى الانضمام الى الحزب الشيوعي ، فخاب املها وتركت الحزب بعد أن صوت النواب الشيوعيون على السلطات الخاصة .

وتعاونت لورانس بسرعة مع روبير دافيزي في جمع الاموال[٣٣] ، وبما انها تتحلى بالروح العائلية ، فكرت بقريبها ديبغو ماسون الذي كان بدوره يكظم غيظه بصعوبة . كان ديبغو موسيقيا الا أن مواهبه كانت متعددة .

التقى الملازم جان لوي هورست في باريس ، في اواخر آب (أغسطس) ١٩٥٨ بالعريف جيرار ماير ، وكان الجنديان قد تعارفا منذ عام خلال دورة لاسلكي في مدينة لافال ، وهما الآن في اجازة . وبالرغم من انهما من افقين مختلفين ، فقد تآلفا مع ذلك . كان هيرست شيوعي ابن احد اعيان مقاطعة الالزاس ، وزار في شبابه الشرق الاوسط وعاشر الطلاب العرب ، وتذوق الموسيقى العربية ، وبعد عودته من الشرق الاوسط ، أخذ يعطي دروسا لمحو الامية ، واصبح معلما في احدى الضواحي . وأجلت خدمته الالزامية بسبب هذه الصفة ، الا انه الغى تأجيله ، وهو يعرف تماما بأنه سيكون بحكم الفار من الجندية ، اذ انه كان على يقين من انه سيفر . وقرر ان يضع نفسه على المحك حتى النهاية : فطلب الحاقه بسلاح المظليين ، وتابع بتوجيه من حزبه ، مدرسة للضباط الاحتياط وتخرج ضابطا ، وهناك في لافال ، لاحظ الجندي ماير الذي كان يستهجن المدعوين المستعجلين في الذهاب الى الجزائر (لتحطيم العرب) .

وماير من أصل يهودي ، تنصر والده وتنصّر كل العائلة خلال الحرب العالمية لتجنب الاعتقال . تنصّر

٣٢ ـ مقابلة اهيرت مع سيسيل ماريون ، حزيران (يونيو) ١٩٧٨ .
٣٣ ـ مقابلة اهيرت مع لورنس باتاي ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ .

لكنه الظريف في الجيد فقط. وعندما استدعي مايير لخدمة العلم، كان مناضلا كاثوليكيا مندفعا يخصص أوقات فراغه للعمل الاجتماعي في الأحياء العمالية، ويعمل مع فرانسوا في لوسرفاتور. وقرينه كرهه للحرب من جان لوي هورست. وكان الكاثوليكي متدفقا وهو يقول (انني لا اعرف لماذا اطلق الرصاص على اناس لعب معهم الورق في المقهى مساء). اما الشيوعي فكان سياسيا ومثقفا أكثر من صديقه وتحدث لمايير عن ماركس وبريخت وعن الحرب طبعا. ولم تحطم ظروف الحياة العسكرية وتنقلاتها الصداقة التي قامت بينهما. فقد نقل مايير الى ثكنة دوبلكس في باريس، وأرسل هورست الى بادنهوف، الى مقر اركان القوات المسلحة الفرنسية في المانيا. وكانا يتراسلان بانتظام، ويلتقيان كلما سمحت الظروف بذلك. وعندما اندلعت أحداث الثالث عشر من ايار (مايو) كان هورست الذي يعمل في اللاسلكي، في الموقع المتقدم الذي يسمح له باكتشاف الاتصالات بين المتمردين في الجزائر وبعض من كبار الضباط، ونظم هورست بالتعاون مع بعض المجندين اخفاء البرقيات الواردة من الجزائر التي كانت تبدو له مشبوهة. واقنعه هذا التدخل المباشر بأنه من الممكن مقاومة الحرب في الجزائر[24]. وبعد تفكير عميق دق هورست، في احد ايام حزيران (يونيو) ١٩٥٨، على باب اندريه ماندوز، الذي كان يدرس في ستراسبورغ منذ أن منع من دخول الجزائر. ولم يثقل هورست على نفسه بالمقدمات، ودخل في صلب الموضوع قائلا (انني ضابط في الجيش ولدي سيارة، ومقر عملي على مقربة من عدة حدود واريد مساعدة الجزائريين).

دهش ماندوز من هذا العرض الملكي، وطلب أن يفكر ثمانية ايام، وكانت هذه المهلة، في الواقع، ضرورية لماندوز لكي يستطيع الاتصال بجانسون، الذي كان يحاول اقامة شبكة نقل باتجاه المانيا. وفي نهاية الاسبوع الثاني، اعلم ماندوز هورست بوجود الشبكة، وأمن له الاتصال، دون تلكؤ، مع روبير دافيزي اولا ثم مع جاك فيه. ودرست اساليب العبور عبر حدود منطقة السار وكان المشهد مذهلا: ضابط فرنسي ينقل متمردين جزائريين يلاحقهم رفاق له يرتدون الزي نفسه، في الجبال الجزائرية. وفي آب (أغسطس) تلقى هورست وثيقة سوقه الى الجزائر، وبما انه مصمم على الفرار، فقد كتب الى مايير، الذي كان بدوره على اهبة التوجه الى الجزائر، واتفقا على موعد للقاء في باريس، وأطلق هورست العنان لرفيقه حيث قال له (أني سأفر من الجندية واعبر الحدود الى سويسرا، حيث يوجد هناك منظمة تأخذني على عاتقها). فأجابه مايير (وأنا لن أذهب الى الجزائر، ولن أصبح جلادا، وقد رأيت الكثيرين من المناضلين الشيوعيين والكاثوليكيين الذين عادوا وهم يتبجحون بأنهم عذبوا الآخرين. انني ارفض الدخول في هذه اللعبة، فهل لدى اصدقائك استعداد لاستقبالي) ؟

وبعد أن أخذ هورست رأي الآخرين قدم لمايير عنوانا[25].

وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٥٨ غادر الملازم هورست وحدته، وها هو رسميا فار من الجندية، أما مايير

٢٤ ـ محادثة اجريت مع جان لوي هيرست، حزيران (يونيو) ١٩٧٨.
٢٥ ـ محادثة اجريت مع جيرار مايير، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٥.

فلته يستغل آخر اجازة له ، ليذهب لتحية امه المقيمة في مقاطعة النورماندي ، ويرتدي البسته المدنية ، ويتوجه الى شارع غرونيل في باريس ، الى العنوان الذي اعطاه هورست له ، وفتحت امرأة شابة ادعت ان اسمها بربارا ، الباب ، وفي اليوم التالي استقل مايير القطار الى الخارج ، مزودا بعنوان جديد في سويسرا ، ووصل الى ايفردون ، حيث استقر الفارون الاوائل ، ومن بينهم لوي اوران وحالك يتوليه منذ عام ١٩٥٦

٧

الحرب في فرنسا

قام فدائي يوم ٢ آب (أغسطس) ١٩٥٨ في الساعة الثانية صباحا بمهاجمة مرآب قيادة شرطة باريس ، الكائن في شارع لوبيتال ، مستخدما الرشاش ، فقتل أحد الحراس . وبعد دقائق من ذلك ، التقت دورية شرطة ، في غابة فانسين بسيارتين متوقفتين على مقربة من مخزن السلاح (كارتوشري) وانوارها مطفأة ، ففتح ركاب السيارتين النار على الدورية التي ردت بالمثل ولاحقت السيارتين . وفي ضاحية ايفري انفجر خزان للنفط تابع لشركة (ب . ب) . وفي ذات الليلة وعند الساعة الثالثة واثنتي عشرة دقيقة ، وبعد أن انهى الحارس الليلي جولته في مستودعات الوقود في موربيان ، احدى ضواحي مرسيليا ، دوت ثلاثة انفجارات واشتعلت النيران في المستودعات . وفي طولون وناربون ومصب السين ، جرت عمليات أخرى استهدفت مخازن الوقود ، وهكذا نقلت جبهة التحرير الحرب الى فرنسا . أما صحف اليوم التالي فقد عددت على صفحاتها الأولى ، الانفجارات والحرائق وتبادل اطلاق النيران في العديد من الاماكن فوق الأرض الفرنسية . وطالبت باتخاذ التدابير الاستثنائية وعقد مجلس الوزراء يوم السادس والعشرين اجتماعا برئاسة غي موليه[1]، نظرا لغياب الجنرال ديغول ، وقسمت الأرض الفرنسية ، وغطيت بشبكة امنية ، واقيمت حواجز الشرطة على الطرقات ، ونظمت عمليات اعتقال واسعة النطاق في ليلة ٢٨/ ٢٩ . وجرت العمليات تحت امرة المدير العام للشرطة البلدية في باريس ، واعتقل ثلاثة آلاف جزائري وجمعوا في مركز بوجون ، كما جمع الفان آخران في مركز فيل ديف ، وقام رجال شرطة باريس بهذا العمل ولم يبد عليهم أي اضطراب ، تجاه هذه العودة الى اساليب استعملها آخرون ابان الحرب .

أما الرأي العام فقد اعرب عن ارتياحه لعمليات (الدفاع المشروع عن النفس) واستمرت العمليات ، بالرغم من عدم فعاليتها فالتهمت النيران مخازن الوقود في بنيكفيل ، وتبودلت النيران في شارع ليون في باريس ، وتعددت الاعتداءات المسلحة على المجندين المجازين ، وعلى مخافر الشرطة . ونصحت قيادة الشرطة بشدة يوم الثالث من ايلول (سبتمبر) الجزائريين بعدم التجول بين الساعة التاسعة والنصف مساء والساعة الخامسة والنصف صباحا ، وهكذا اقر نظام منع التجول بالنسبة لمائتي الف جزائري يقطنون المنطقة

---

١ - وزير الدولة بحكومة ديغول .

الباريسية . واعتقل في الأسبوع الأول من أيلول (سبتمبر) (١٣٩) جزائريا في باريس و (١٧١) آخرين في المحافظات الاخرى . وقادت عملية بوليسية واسعة النطاق نفذت يوم ١١ أيلول (سبتمبر) في ٣٦ محافظة ، الى اعتقال (٢٢٠) شخصا . بينما اصطادت شبكة مماثلة في اليوم التالي . (١٢٠) مشبوها .[1] وعاش الفرنسيون جوّ الارهاب . آه لو عرفوا من أي أخطار نجوا . . .

كان ديغول يوم السابع من حزيران في مستغانم ، وأطلق امام الجماهير المتحمسة العبارة المشهورة « الجزائر الفرنسية » . وكانت تلك هي آخر مرة ينطق ديغول بهذه العبارة . الا أنها هذه المرة كانت النقطة التي أدت الى طفح الكيل بالنسبة لقادة الثورة ، فقد التزم هؤلاء منذ الثالث عشر من ايار (مايو) بموقف حذر يشوبه الترقّب يترصدون حركة ، أو كلمة ، ولكن دون جدوى . فقرروا اثبات وجودهم بضجة وفي داخل فرنسا نفسها ، اذ أن قادة الولايات في الداخل ، كانوا يشكون بأن الجزائريين في فرنسا يعيشون عيشة هنيئة ، وهكذا فان المقاتلين الذين يجابهون خبرة الوحدات الفرنسية يرون بأن على كل عضو في الجبهة ، أن يعتبر نفسه في حالة حرب وأينما كان ويقولون (اننا نخاطر برؤوسنا فلم لا يخاطرون بها هم أيضا) . وكانت هذه الملاحظة المرة ، المتكررة تستهدف اتحاد فرنسا ، وفي تموز بدأ المقدر . . .

يقول حداد حمادة المنسّق العام لاتحاد فرنسا (تلقينا الأوامر من لجنة التنسيق والتنفيذ لتحضير الهجوم في فرنسا ، وعبرت في شهر تموز (يوليو) الى المانيا لدراسة الاهداف مع بوداود وكانت لجنة التنسيق والتنفيذ قد تركت لنا حرية اختيار الأساليب ، فتشاورنا بجدية وتؤدة خلال شهر بكامله ، وتم اختيار أفضل العناصر ، وشكلت منهم مجموعات فدائية ، وضعت تحت قيادة بوعزيز ، وتناقشنا كثيرا حول شكل الهدف الذي يجب ان نصوّب نحوه ، وفي احدى اللحظات طرحت بجدية فكرة احراق جميع الغابات الفرنسية ردا على الجيش الفرنسي الذي يحرق غاباتنا ، وفي النهاية اخترنا مهاجمة الاهداف العسكرية والصناعية أولا)[3] كما أننا خططنا أيضا لعمليات بالتعاون مع فرنسيين ، ضدّ محطات الكهرباء بحيث نحرم مناطق فرنسية واسعة بكاملها من التيار الكهربائي .

كان فرنسيس جانسون على موعد مع عمر بوداود في منتصف آب (اغسطس) ، فلعل عندما اكتشف المشاريع التي خططت لها جبهة التحرير الوطني ، حيث قال له زعيم اللجنة الاتحادية (ان عليّ أن أحيطك علما بالتوجيهات الجديدة ، اننا سننقل الحرب إلى فرنسا ، لنخلق جوا من انعدام الأمن ، ونفتح جبهة ثانية ، ونزرع الاضطراب والخوف لدى السكان . وليس لدينا بديل آخر ، فشعبنا ينوء تحت وطأة الحرب الاستعمارية منذ أربعة أعوام ، ولا بد أن يعرف الفرنسيون أيضاً ما هي الحرب ، وان كانت هناك ضحايا فلتكن) .

---

٢ ـ باري بريس (عنوان) ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٨ : (ضد المخربين من جبهة التحرير الوطني ، حواجز على كل الطرق) .

٣ ـ محادثة أجريت مع حداد حمادة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨ .

فأجاب جانسون (لقد فعلت خيرا عندما اطلعتني ، لأنني أخالفك تماما ، انكم تركضون نحو الكارثة ، ستجمعون خلال (٤٨) ساعة في تنفيذ عمليات ذات صدى واسع ، ولكن بعد ذلك . . . سينتهي أمركم في بلد مغلق من كل الجهات ولن تستطيعوا الحركة) .

وأخذ جانسون الذي كان متوتر الاعصاب ، يدافع بكل ما استطاع من قوة وقال (انكم ستضيعون كل أمل في العلاقات المستقبلية بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي ، وان كل ما قمت به منذ ستين يستند على هذه القناعة ، وهي الحفاظ على الصداقة الفرنسية الجزائرية ، وستهدمون كل ما بنيناه ، وسيكون مستحيلا علينا فعليا ، ولو رغبنا في ذلك ، ان نستمر ، فلا تعتمدوا عليّ بعد اليوم . انني أوقف نشاط الشبكة) .

فرد بوداود متنازلا وهو يأخذ يده بحرارة (سنعقد مساء اليوم اجتماعا وسأنقل اعتراضاتك ، وللتقي خلال ثمان وأربعين ساعة) . والتقى عمر بوداود وفرانسيس جانسون بعد يومين من ذلك في فيللا يملكها ابن احد الجنرالات في الضاحية الشمالية من باريس ، ووصل بوداود اليها مبتسما ، وقال لفرانسيس (لقد ارسلت مبعوثا الى تونس ، وهم موافقون على انتقاداتك ، وستعطى أوامر مشددة الى مناضلينا ، فلا يجوز ضرب السكان المدنيين في أي حال من الأحوال ، ولن تتم العمليات كيفما كان)[٤] .

والحقيقة تقال أن الجزائري كان مرتاحا بقدر ما كان الفرنسي كذلك .

كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف صباحا يوم ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٨ ، عندما ظهرت السيارة السوداء التي يستقلها جاك سوستيل في شارع فريد لاند ، وكان وزير الاعلام جالسا في المقعد الخلفي يقرأ احدى الصحف الصباحية ، ولم يلاحظ أن عدد الشرطة في ساحة النجمة أقل من العدد المعتاد ، فقد تعرض جنديان لهجوم في ممرات المترو منذ ربع ساعة فقط ، وكان رجال الشرطة في القطاع منهمكين بمطاردة المهاجمين . والى جانب سائق سيارة سوستيل السيد لوتوش ، جلس مفتش الشرطة غونيول المكلف بحماية الوزير ، وكان يراقب الطريق المبلل الزلق . وأدار السائق بصورة آلية رأسه فلمح جزائرياً يقترب منه ، وكان الرجل يمسك بيده مسدسا من عيار ثقيل ، فصرخ السيد لوتوش (حذار) ، فرفع سوستيل عينيه ، ، وميز بوضوح أمام عينيه ، فوهة السلاح المصوّب نحوه ، فغطس حالا . وأطلق الرجل النار الا أنه أخطأ هدفه ، ونبه اطلاق الرصاص الحرس الذين كانوا امام مبنى الوزارة ، فهرعوا وفتحوا النار . الا أن مجموعة الحماية ، التي لم يلاحظ أحد وجودها أطلقت النار من رشاشاتها ، لتغطية فرار الرجل الذي كان يحمل المسدس ، والذي دخل بسرعة الى محطة المترو ، وجرح مفتش النقل الداخلي الباريسي ، وقتل أحد المارة الذي حاول القبض عليه ، وجرح ثلاثة آخرون ، وانهى مساره على رصيف خط نوبي حيث لحقته الشرطة التي اضطرت الى انتزاعه من أيدي الجماهير ، التي كادت تقتله ، ونقلته فاقد الوعي الى صالة كوسكو ، وعرف فيما بعد بأنه

٤ ـ حوار اعطاه فرنسيس جانسون الى المؤلفين .

يدعى مولود ورافي .

وخلال ذلك ، جلس جاك سوستيل مذهولا وخرج من سيارته ، وقد اخترقت رصاصة معطفه وجرحت شظايا الزجاج جبينه ، وفجأة ينتفض الوزير ويحدق بعينين جامدتين : فعلى بعد (٢٠) مترا منه كان جزائري آخر يفتح معطفه ويصوب نحوه رشاشه ، ويطلق ، وللمرة الثانية ينبطح أرضا ، ويصفر الرصاص في اذنيه ، ويرتد على الأرض . ويفر المهاجم باتجاه شارع هوش ، ويوجه رشاشه نحو سائق سيارة سيمكا ويصعد فيها (أسرع والا قتلتك) . وتابع شرطي على دراجة نارية الهارب ، وعندما وصل الى جانبه أفرغ عبر النافذة رصاص مسدسه في بطن الجزائري الذي عرف بأن اسمه عبد الشروق . أما العضو الثالث من المجموعة ، المدعو بن زروق فقد القي القبض عليه عندما كان يحاول الهرب في شارع تلسيت .

كان رجل فرنسي ينتظر في احدى المقاهي القريبة تأكيد نجاح العملية ، وكانت مهمته الاتصال بوكالة الصحافة الفرنسية ليملي بيان النصر . الا أن المذياع كان يعمل في المقهى ، وها هو فجأة يسمع صوت جاك سوستيل نفسه يقول : (لقد تعرضت منذ لحظات لمحاولة ارهابية مدبرة بدقة ، وانه من الطبيعي ومهما حاولت جبهة التحرير منعي من ذلك ، فانني سأتابع حتى النهاية نشاطي من أجل الجزائر) .

وفهم المناضل الفرنسي ، فذهب الى المراحاض ومزق بيانه والقى به فيه ، وعند الساعة الحادية عشرة ، استقبل وزير الاعلام ، الذي غير قميصه الملطخ بالدماء ، وزين جبينه بشريط لاصق ، رجال الصحافة في مكتبه . لقد عاد الوزير من بعيد . وبعد عشرين سنة من هذا الحادث ، يقص حداد حمادة على مؤلفي هذا الكتاب القصة ، ويقول (لقد جاءت فكرة قتل سوستيل من اتحاد فرنسا ، وقد وضعنا قائمة بأسماء الشخصيات التي تدعم بقوة فكرة الجزائر الفرنسية ، وكان اسمه في رأس القائمة ، ولم تتطلب حالته أي نقاش) .

وقع اثنان من المهاجمين في أيدي الشرطة ، وبالرغم من أنهما مصابان اصابات بالغة فقد استجوبا بقوة ، وضربا بعنف وبدون توقف لعدة ايام متتالية ، وكانت الشرطة تريد أن تعرف ، مهما كان الثمن ، كيف خططت العملية ، وما هي بنية الكوماندوس الجزائري في فرنسا . وبما أن الحرب الجزائرية انتقلت الى فرنسا ، فقد استخدمت الشرطة الاساليب المجربة في حرب الجزائر العاصمة ، واعترف الجزائريان وتكلما وكشفا لجلاديها بأن المجموعة المكلفة باعدام سوستيل غادرت فرنسا في شباط (فبراير) الماضي للتدريب عسكريا في معسكر العرائش في المغرب ، وانها عادت الى فرنسا في نيسان (ابريل) وان فرنسيين أمنوا العبور الى الداخل .

وتوالت الضربات والتعذيب ، والاعتراف والتفاصيل . . . وكشف المعتقلان انهما يعد أن عبرا الحدود ناما في فيللا في المنطقة .

فأخذ بن زروق في (نزهة) بالسيارة في ضواحي اسكان . الا انه لم يتعرف على شيء ، فأعيد الى

باريس ، وتوالي الضرب والتعذيب والاعترافات والتفاصيل . . . فاعترف بأنه سكن في شقة قرب بورت دوفانسين .

ومن جديد القيد لنزهة لا نهاية لها في الطرقات الحلزنية للطريق العام المحيط بباريس ، وفي احدى الليالي ، وعند الساعة الرابعة صباحا ، أشار السجين الذي تفدت كل قواه الى مبنى قائلا (هنا) .

وفجر الرابع من تشرين الأول (اوكتوبر) ، تقدم رجال الشرطة شاهرين مسدساتهم يدفعون أمامهم شيئا مسكينا لم يعد يشبه الانسان ، ودخلوا الى بيت جان د . . . أحد المتعاطفين مع الشبكة .

كانت المجموعة الفدائية التي اخطأت سوستيل قد عبرت فعلا عن طريق شبكة العبور الاسبانية في شهر نيسان (ابريل) . فقد أدخل جاك فينيه ، وروبير دافيزي الى فرنسا اثني عشر جزائريا عبر الطريق الذي أصبح كلاسيكيا ، وهما يجهلان من هم وما هي مهمتهم ، ويقول دافيزي : (لم يكن علي أن أعرف من هم ، أو إلى أين يذهبون ولا من أين أتوا ، أو على الأقل لم يكن لي أن أطلب اليهم ذلك ، كل ما كنت أريده هو أن يكون هذا الشعب حرا ، وكان علي أن أطبق تصرفاتي على أفكاري ، فاذا أطلق شباب جزائريون النار على سوستيل ، فذلك لا يخصني ولست جزائريا ، كما انني لا أشارك في القرارات السياسية والعسكرية التي يتخذها الجزائريون ، انني فرنسي(*)) .

كان روبير دافيزي ينقل رابح بوعزيز قائد المنظمة السرية من المانيا الى فرنسا ، وقبل أن يصلا الى الموعد المحدد مع الشخص الذي سيعبر معه الحدود ألح بوعزيز على القيام بدورة طولها (٤٠) كم ، وكان يرغب زيارة استاذ في الفيزياء يدعي بأن باستطاعته ، تمرير بعض الأدوات عبر الحدود بواسطة صاروخ ، وللقيام بذلك تم استنفار ثلاث سيارات ، وكان دييغو ماسون وبربارة من المجموعة[٦] وبعد توقف قصير عند قاذف الصواريخ ، استقل الركب الذي تأخر عن الموعد طريقا ثانويا متعرجا في الغابة ، وفجأة وفي نهاية منعطف برز حاجز أمني من الشرطة الجمهورية للأمن ، لقد فات الأوان لعمل أي شيء ، فمرت السيارة الأولى التي كان يقودها دييغوماسون ، أما الثانية فقد فتشت وكان يجلس في الامام بربارة والى جانبها الماني يعمل مهربا للاشخاص خاصا بالجبهة في منطقة السار ، وفي المقعد الخلفي كان بوعزيز المسؤول المباشر عن كل العمليات التي تملأ الصفحات الأولى في الجرائد اليومية منذ أكثر من شهر ، واجتاز دافيزي الذي كان يقود السيارة دون مشكلة ، وكان لديه الوقت ان يلقي نظرة ليرى بوعزيز وهو يخرج اوراقه المزيفة ، التي لا عيب فيها ، لقد كانت التغطية ممتازة . وبالرغم من تدقيق دام عدة أيام لم تتمكن الشرطة من التعرف على الهوية الحقيقية لرئيس المنظمة السرية ، ولا بد وأن بعضا من رجال الشرطة اذا قرأوا هذه السطور ، سيعرفون أنهم أطلقوا سراحه لعدم توافر الاثباتات ، كان عدو الشعب الأول .

---

* ـ رمز العدالة .

٦ ـ اسم مستعار استخدم في ذلك الوقت ، يحتفظ المؤلفان به الآن .

وتعرفت أجهزة أمن الدولة منذ مطلع شهر تشرين الاول (اوكتوبر) على دافيزي ، على أنه أحد اللذين سهلوا عملية العبور التي تمت في الربيع على الحدود الاسبانية ، ونشرت الصحف أوصافه ، وأعلنت بأن القاء القبض عليه بات وشيكا . وهكذا لم تعد قضية جمع الأموال اوعبور الحدود مشكلة مطروحة بالنسبة له ، واقترح عليه جانسون بأن يذهب ليستجم في منطقة الجورا ، في منزل روجيه فايان ، ذلك الكاتب الذي تعرف على كوريبل في مصر والذي يرحب بهواة الهواء الطلق . الا أن رابح بو عزيز رجاه بأن يخرج من فرنسا ، ويلتحق بقيادة اتحاد فرنسا في كولونيا ، فأطاع ، وأخذ يعمل منذ ذلك الوقت مباشرة معها .

بدأت البعثة يوم الخامس عشر من تشرين الأول (اوكتوبر) وكان الركب مؤلفا من سيارتين ، يقود الاولى ديبجو ماسون ، الذي يعمل يوما بعد يوم الموسيقى ، ويقود الثانية فيبه ، وكانت طرقات الشرق مراقبة الى درجة دفعتهم الى الاتجاه للخروج من الطريق الغربي . وهنا أيضا لم تكن الطرقات أمينة ، ولمح ديبجو عن بعد حاجز أمن فدار نصف دورة وعاد أدراجه ، وأعطى لفيبه اشارات صوتية ذات مغزى وحسن حظه بأنه تنبه . اذ أن الطريق تنقسم الى قسمين على بعد خمسمائة متر ، ويستحيل عليه الرجوع ، وتمكنوا من الوصول الى موبوج ، مارين بالطرق القانونية ، حيث كان راهب بروتستانتي يقطن على مقربة من هناك ، ويقع بيته عمليا على الحدود البلجيكية فأوى المجموعة . وهو الذي قاد دافيزي في اليوم التالي الى الجانب الآخر من الحدود ، ولم يتوقف طيلة الطريق عن ترديد القول (ايها الاخ اننا بين يدي الله . أكنا احرارا أم معتقلين فيها الفرق ؟) ويعلق دافيزي قائلا بهزء (انها المرة الوحيدة التي شعرت بالخوف طيلة الحرب) .

أما ايتين بولو ، فقد كان خارج اللعبة . ففي اواخر أيلول توقفت ثلاث سيارات مليئة برجال الشرطة امام منزله في بانيو ، وزيادة في سوء الحظ ، كان جانسون هناك ، وتمكن من الهرب من الخلف ، ولم يكن بولو في المنزل ، ولم يفهم كيف اكتشفت الشرطة المنزل ، الا أن ذلك قد تم حتما خلال احدى الملاحقات ، التي ترخي المخابرات الحبل فيها للمشبوه ، لكي يعتقد بأنه حر ويكشف بنفسه عن اتصالاته ، ومهما يكن من امر فان الأمر بات خطرا فالتجأ بولو الى المغرب .

وفي نهاية يوم الثالث عشر من تشرين الاول (اوكتوبر) ، كان الأب بودورسك ، المهندس في المركز النووي في ساكلي ، يستعد لمغادرة مخبره ، عندما استدعاه المدير الى مكتبه فأجاب الأب (في مثل هذه الساعة ؟ سيفوتني باص باريس) فأجابه المدير : سنقودك ، واقتاده فعلا في سيارة تابعة لمخابرات امن الدولة ، فقد اعترف مولود وراهي ، ذلك الشاب الذي أطلق النار على موستيل وهرب ودخل محطة المترو ، اعترف تحت التعذيب بأنه نام في شهر نيسان (ابريل) في غرفة بودورسك في شارع سان جاك . ورتب فيور ، رئيس المخابرات المقابلة بين الرجلين ، ولم يتعرف الأب الا بصعوبة على الجزائري الذي تشوه وجهه[٧] .

٧ـ محادثة اجريت مع برنار بودورسك ، ايار (مايو) ١٩٧٨ .

فقامت مخابرات امن الدولة بتفتيش منزله في شارع سان جاك ، وكذلك في الرقم (٩٢) شارع بالار ، في شقة استأجرها القس باسم بوردون لحساب جبهة التحرير .

بودورسك ، ودافيزي قسّان من الارسالية الفرنسية ، ولم تحتج الشرطة الفرنسية الى أكثر من ذلك ، فهي تفكر على ما يبدو بأن هذا الفرع (الخاص) من الكنيسة ، هو العمود الفقري لدعم الثورة الجزائرية . وقامت الشرطة بثلاث وعشرين مداهمة لهذه المجموعة التي ترتبط بالكاردينال ليينار بطريرك ليل ، فطوقت الشرطة اسقفية بوتتيني ، وتم تفتيش سكرتارية الارسالية في باريس ، وبعثرت ملفاتها كيفما كان ، فاحتج الكاردينال ، الذي كان مشغولا بانتخابات البابا يوحنا الثالث والعشرين ، حال عودته من الفاتيكان ، وكتب الى الجنرال ديغول يقول : (ان الكنيسة حتى في زمن الحرب ، لا يمكنها ان تتخلى عن ممارسة فعل الخير لمن يستجيرون بها ويطلبون المعونة منها . . . كان الجميع في الماضي يعترفون للكنيسة ، بفضل مهمتها الانسانية ، بحقها بأن تكون ملجأ . فان لم يعترف لها اليوم بهذا الحق ، فهي مصممة ، على البقاء وفية لهذا المبدأ ، متحملة مخاطر مسؤوليتها ، وهي مفتحة بابها تخدم ، باسلوبها الخاص ، قضية الصداقة والسلام) . فأجاب الرئيس محرجا وأوصى بالحذر .

وبعد اربعة أيام من اعتقال الأب بودورسك ، أعلم ضابط في المخابرات العامة في ليون الصحافة بوجود (قضية رجال دين جديدة) ، فقد تحدث خمسة عشر جزائريا اعتقلوا واستجوبوا عن ثلاثة قسس من برادو (وهي مؤسسة دينية تتميز بأن ينذر افرادها انفسهم للفقر الكامل) فاتهم الأباء . كارترون . وماتيان ، بالقيام بتوزيع الاموال . فمنذ عشر سنوات والأب كارترون يدير مركز إستقبال للافريقيين الشماليين ، وأصبح هذا المركز كمركز للخدمات الاجتماعية للجزائريين الذين يقطنون المدينة ، وكانت الجالية المغربية كلها تعرفه باسم السيد ألبير . وانشأ بناء على طلب من مناضلين وطنيين يريدون مساعدة رفاقهم المعتقلين وعائلاتهم ، صندوقا لمعونة المعتقلين ، واستضاف الابوان شيز وماتيان هذه الخدمة ، وقدما احد مكاتب البرادو ، لايداع الاموال وقوائم المستفيدين ، وكل ذلك تحت سمع وبصر رؤساء الديرة ، والشرطة ايضا ، حيث أن رئيس شرطة مكافحة الأرهاب في ليون ، قد ذكر منذ عام ١٩٥٧ بان نظام ضمان اجتماعي تابع للجبهة يعمل في ليون ، هذا بالاضافة الى انّ الأب كارترون قد ادلى بالشهادة ، لعدة مرات ، لصالح الجزائريين المتهمين .

فلماذا ظهرت هذه النشاطات ، التي لم تكن سرية ابدا مع أنها غير قانونية ؟ لا شك بأن السلطات ارادت ، بعد فضيحة الارسالية الفرنسية ، ان تكرس فكرة وجود تمرد متعدد الاشكال يواجهه الخوارنة ، فبيوت الكنيسة هي أفضل المخابيء للعرب ، وهذا ما لا تريد الشرطة الفرنسية هضمه ، فأدين الأب ماتيان بالمساس بأمن الوطن ، بينما كان الأب كارترون ، بالاتفاق مع رؤسائه ، ينتظر انتهاء تحقيقات الشرطة لكي يقدم نفسه لقاضي التحقيق ، القاضي ملزلوف الذي وافق على الافراج عنه مؤقتا . واعلن الأب للقاضي قائلا (انني لأعرب عن ارتياحي ، بأن تكون قضيتي بين يدي قاض ، لا بيد الشرطة الذين اخشى بطشهم ، بطش تعرفت عليه اثر بعض الاستجوابات) .

وتحول المتهم الى مدع ، وجمع ملفا زاخرا حول ممارسات شرطة ليون ، وتراجع الجزائريون الذين ادت اعترافاتهم ، الى القيام بالتحقيقات ، وهم الاخوة جلالي ومولود وعلي الصمود عن اعترافاتهم حالما سمحت حالتهم الصحية بذلك ، وشجب الكاردينال جيرليه ، اسقف ليون اساليب الاستجواب فقال : (لدعم هذه الاتهامات لا يتردد بعض رجال الشرطة ، اقول بعض الرجال ، ان يلزموا المتهم المسلم بالتوقيع على اعترافات يسهل اكتشاف الكذب فيها ، وللوصول الى ذلك لا يتراجع هؤلاء عن استخدام اشد واخطر أنواع التعذيب ، واعتقد بأن لي الحق أن اؤكد بأن فلانا ممن تعرضوا لمثل هذه المعاملة ، قد أصبح في وضع حسي ومعنوي خطر)فرد وزير الداخلية على ذلك ببيان اوضح فيه بأن جبهة التحرير تنصح اعضاءها بالشكوى بأنهم عذبوا . ولكن مع الاسف كانت شهادات الخبرات الطبية حاسمة . ويشرح المدعي العام عواطفه لبعض الصحفيين الذين تجمعوا في مكتبه يوم الثامن والعشرين من تشرين الاول (اوكتوبر) ذلك ، فيقول (إذا كان من المناسب استبعاد الكلمة القذرة « تعذيب » فقد لوحظ بلا شك اثر عنف على اثنين من الجزائريين الاربعة الذين احتجوا . فأين تمر الحدود بين « العنف » ، و « التعذيب »؟) .

وتلاشت حدود أخرى ، تلك التي تفصل بين تقديم المعونة الانسانية للجزائريين وتقديم المساعدة لجبهة التحرير خلال قضية البرادو . ويعرف جان ماري دوميناك المشكلة بوضوح جارح في مجلة اسبري فيقول (اللعاب نحو الجزائريين ، لا يعني فقط مساعدة هذا البائس او ذاك . . . . بل يعني أيضا معاشرة رجال جهلوا ، من العنصرية والذل ، وفهم لشخصيتهم ولكرامتهم . ان الحب ، وفعل الخير الديني لن يكتفي بتقديم الحاجات الاولية البدائية : انه في الوقت ذاته فهم الانسان والتعرف على شخصيته ، وهناك في شخصية غالبية الجزائريين الذين يعيشون في فرنسا ذلك الشيء وهو انهم وطنيون ، فعندما يساعد رجال الدين بعض البؤساء ، فقد يساعدون الوطنيين ، وعندما يساعدون الوطنيين ، الا يرتكبون جرم مساعدة جبهة التحرير ؟)[8] .

فاذا كان كل جزائري يعمل في فرنسا جاهزاً ليكون مناضلا في الجبهة ، فهذا يعني بأن جيشا عدوا يزيد تعداده على أربعمائة الف رجل يعسكر بين مرسيليا وليل .

كانت محاولة اغتيال جاك سوستيل من آخر العمليات الواسعة الصدى للهجوم الجزائري في فرنسا . فتدعيم الأمن والاستهجان الشعبي العام ، دفعت قيادة الثورة في نهاية تشرين الاول (اوكتوبر) الى وقف العمليات ، التي اريد لها ان تكون دقيقة ، فالبرغم من أن الجبهة نشرت يوم الخامس والعشرين من آب (اغسطس) رسالة اعلنت فيها (ان العمليات لن تستهدف المدنيين ، بالرغم من المسؤولية الجماعية التي يتحملها كل الشعب الفرنسي تقريبا ، الذي يشارك بسلبيته في استمرار الحرب البربرية في الجزائر) ولم يلق هذا التبرير صدى لدى اليسار الفرنسي .

---

٨ ـ اسبري ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩ .

لقد أكد فرحات عباس الذي نصب في التاسع عشر من أيلول (سبتمبر) رئيساً للحكومة المؤقتة[9] ، في تصريح لصحيفة فيرتاغ (بأن العمليات موجهة حصراً ضد أهداف اقتصادية وعسكرية وانها لن تمس السكان المدنيين) .

وبقي هذا التوضيح دون انعكاس . فالفرق بين الأهداف الاقتصادية والأهداف المدنية ، لم يكن بديهيا لدى الرأي العام الفرنسي . فالوقود الذي تطاير دخانا ، يغذي ، حسب وجهة نظر جبهة التحرير ، المعدات الحربية ، أما بالنسبة للفرنسي العادي فهو البنزين الذي يغذي سيارته ومع ذلك فان النتائج التي وردت في نشرة مخصصة لاطر اتحاد فرنسا بعيدة جدا عن السلبية :

١ ـ فقد كانت طلقة الانذار التي هزت خمول الشعب الفرنسي واخرجته من تعوده المبالاة على الأوضاع في الجزائر .

٢ ـ والاهم من ذلك فقد شهدت العواصم العالمية ان الحرب الجزائرية يمكن أن ترمجر في قلب باريس نفسها عندما يقرر الجزائريون ذلك ومتى رغبوه ، وتذكر الجميع بأن حربا قذرة ، قد تنتقل بالعدوى الى الغرب ، ما زالت مستمرة في الجزائر .

٣ ـ ونتيجة أخرى ، هي الانعكاس لدى شعبنا وجيشنا ، فلم يبق بيت جزائري لم يفهم أن خطوة حاسمة قد تمت ، وربما وجد البعض من اهلنا في العمليات التي تمت في فرنسا استجابة لرغبة في الثأر ، ولذلها الاهوال التي لا وصف لها والتي عاناها شعبنا على يد (المهدئين) . الا ان التعليقات التي شرحها المفوضون السياسيون اعطت في النهاية للعمليات بعدا واقعيا وسياسيا اعمق ، وبالتالي اكثر توافقا مع اهدافنا[10] .

لم تفاجىء هبات الرأي العام فرانسيس جانسون ، بما في ذلك الرأي العام اليساري . فقد بين قبل ذلك لعمر بوداود عن تخاوفه ، ولم يستطع سوى تسجيل الأساس الصلب لهذه المخاوف . وبالرغم من انه تمكن من الحصول على وعد بأن تتخذ المجموعات الفدائية أقصى الاحتياطات الا أن الحملة الصحفية التي غذتها العمليات الفدائية ، زادت من حدة عزل العادين للاستعمار . وانه لمن المؤكد بأن متطوعين جددا قد انضموا الى الشبكة ، الا أن جانسون كان يحس تماما بأن الاحتجاج ضد حرب الجزائر محدود النطاق ، فقد قذف بنفسه في مغامرة السرية المجهولة النهاية ، وهو مؤمن بأن المثل الذي تقدمه حفنة من الرجال سيقلق سبات فرنسا ، وفي خريف عام ١٩٥٨ كان الحلم ما زال يطول ، والحرب موضوع نقاش وقلق ، الا انها لم تحرض الاستقرار لدى الرأي العام ، ولم تغير ذلك اسابيع وأيام التضامن من أجل السلام ، التي نظمها الحزب الشيوعي تغييرا هاما ، فالطبقة العاملة ما زالت الخرساء التي لا تشقى ، وأكثر من ذلك فانها سلمت امورها الى

---

٩ ـ الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .
١٠ ـ مصدر خاص .

المنقذ الاكبر لاخراجها من الورطة الجزائرية، وكانت الردود على الثالث عشر من ايار (مايو) مائعة ، فقد انضمت الفئات السياسية الى الجنرال ديغول بسرعة غريبة ، ما عدا الاستثناءات الهامة . اما الحزب الشيوعي القوة الوحيدة التي عارضت الانقلاب ، فتأقلم بصعوبة مع الاوضاع ، وشبه ديغول بعسكري غير علاوي حل الى السلطة على رؤوس الحراب . ولم يفهم الحزب بأن فرنسا قد انتقلت من جمهورية الى اخرى ، ومن عهد الى آخر ، وما زال الوقت مبكراً للتنبؤ بذلك ، ومن حاطر من الشيوعيين في تحليل الامور كما حدثت فيما بعد ، كان يتعرض لنقد عنيف .

ان أهم خاصة يتميز بها العمل السري هو كونه سريا . . . وقد جرب مناضلو الشبكة بألم حقيقة هذه البديهية . فهم يقدمون خدمات جلّى لجبهة التحرير ، حسنا جدا : وهذا هو المبرر الاول لوجودهم . الا ان غالبية هؤلاء النساء والرجال الذين التزموا ، كفرنسيين ، يتألمون كثيرا لعدم استطاعتهم تقدير الاثر الذي يتركه عملهم ، ولعدم استطاعتهم شرح اسبابه او تبريره .

ويعلق اليوم جانسون على هذه الفترة (كان علينا ان نعلن هذه السرية) . ونتيجة لهذه الحاجة النفسية الملحة ، ولدت فكرة اصدار نشرة تعكس افكار (حملة الحقائب) . ومما لا شك فيه أن جانسون نفسه هو الذي ولد هذه الفكرة ، وهو الذي اخترع اسم (فيريتيه بور = الحقيقة من أجل . . . .) . وحتى هذا العنوان لم يقر بالاجماع ، واعتقد روبير دافيزي الذي ما زال في فرنسا في حينه ، عندما سمع بهذا الاسم ، بأنها مزحة وقال (ان هذا مستحيل يا فرنسيس ، ولن يفهمه احد) الا أن فرنسيس متعلق به ، لكنه يشعر مع ذلك ، في العدد الاول ، بالحاجة لتقديم كيفية استعماله . (الحقيقة من أجل ؟ . . نعم ، الحقيقة من اجلنا ، الحقيقة من أجل مستقبلنا ، ومن أجل الكفاح الذي يتوجب علينا القيام به منذ الآن ، ضد كل القوى التي تدمر الانسانية) كان الشرح غامضا ، الا أن النشرة كانت غنية بالمعلومات ، وبالرغم من الالم لم تخ من التبجح .

اجتمعت (لجنة التحرير) التأسيسية لاول مرة في شقة تقع في شارع شيرش ميدي كان جاك فينيه قد استأجرها لهذه الغاية . وبالاضافة الى (ركائز) الشبكة مثل فينيه وهيلين كوينا ، دعا جانسون اساتذة كباراً مثل ألان باديو ، ابن رئيس بلدية تولوز الاشتراكي ، الذي انحصرت مساهمته في نشاط الشبكة بالكتابة في النشرة .

وصدر العدد الصفر (اربع صفحات فقط) في مطلع ايلول (سبتمبر) ليعلن عن صدور النشرة دوريا ، ويبرر وجودها . ويقول المقال الوحيد ، متحدثا (عن مخاطر تسلط الفاشية) (ان الوعي بهذا الخطر المشترك دفع مناضلين شباناً يساريين الى توحيد عمل تقني عفي ، لا علاقة له بالتجمعات السياسية ، التي ارتسمت هنا وهناك : عمل يهدف الى البحث عن معلومات واسعة ودقيقة وجمعها ونشرها ، تلك المعلومات التي يتطلبها الكفاح الصعب ضد العدو المصمم والمنظم الذي يملك وسائل مالية هائلة) .

وكان العنوان الثانوي (مركز المعلومات حول الفاشية والجزائر) يشرح برنامج النشرة . ويصف المقال الافتتاحي اهداف جماعة « الحقيقة من اجل . . . » فيقول (إن ما نريده هو أن نثبت بالعمل ، بأن انهاء الحرب في الجزائر ، أي الاعتراف باستقلال الجزائريين ، هو وحده الذي يستطيع القضاء على الخطر الفاشي ، وان الاعتراف الايجابي والبناء ، بالاستقلال الجزائري ، الذي يفتح الطريق لاقامة علاقات اخوية بين الشعبين ، هو الاسلوب الوحيد القادر على ضمان وجود فرنسي في الجزائر . وان الأداة الوحيدة للوصول الى هذه النتائج هي وحدة جميع العمال الفرنسيين وجميع القوى اليسارية دون استثناء . . .) .

مشروع واسع طموح وكريم ، اذا قورن بالفاشية المسيطرة على فرنسا وعلى اليسار المهزوم المجزأ ، واذا قورن ايضا بميزان القوى بين جهة وأخرى . حان الوقت للاعتراف بأن النشرة . . . ستكون صحيفة سرية ، فهذه الصحيفة يصدرها جانسون ورفاقه ، يخطط لها وتكتب مواضيعها وتطبع وتوزع في سرية تامة . ويأخذ الفريق الصغير الذي يجمع الوثائق ويحرر المقالات ، على عاتقه ايضا ، بقية المشاكل المادية ، حتى استطاع كوريل اكتشاف طابع ماهر ، من الأنصار السابقين وشيوعي سابق ، وكانت الصحيفة تطبع على ورق الحرير ثم تسحب ، ويقضي الرفاق ليالي بكاملها ، وهم يديرون الآلة الناسخة الكثيرة الضجيج ، لكبس آلاف الصفحات ، ولنقل العناوين على المغلفات وختمها .

والسرية ايضا لها مناوراتها ، فصدرت الاعداد الاولى بالفي نسخة ، الا أن هذا الرقم ما فتىء يزداد بسرعة إلى أن وصل إلى خمسة آلاف . وكانت لوائح اسماء المرسل اليهم ، من شخصيات سياسية ونقابية ، ومن القادة والمناضلين اليساريين والشيوعيين والمسيحيين ، توضع بعد مقارنة القوائم التي يأتي بها هؤلاء او اولئك ، فهذا صديق ، وذاك زميل والآخر قريب وكل يفكر انه ربما . . . .

كان عند فرنسيس جانسون دفتر ثمين مليء ، جاء ثمرة للسنين الطويلة التي قضاها في دار الطباعة والنشر (الأزمنة الحديثة) ، وكان يسمح لنفسه احيانا ببعض السخريات ، وهكذا ارسل يوما نسخة من صحيفته مهداة (الى اندريه مالرو ، للذكرى ، لما كانه يوما) ويوقع . وبالطبع كان فرنسيس مؤمنا بأن مالرو لن يسرع إلى زميله وزير الداخلية . ويجيب جانسون على سؤال مؤلفي هذا الكتاب اللذين طلبا منه أن يؤكد هذه الرواية ، مبتسما (لقد كنت طفلا فعلا عندما قمت بذلك) . وبعكس كوريل ، راهب الثورة الذي انعكف على دراسة التاريخ ، لم ينس جانسون أبداً أبعاد عمله الساخر ، وحتى في احرج الظروف . وكوجودي مقتنع ، وهو الذي كتب (المغزى الانساني للضحك) كان يعتبر بأن العمل هو الذي يؤثر بينما الباقي كله ليس الا تعليقاً . ومن هنا تجد لديه الانفراج وروح الفكاهة والاستخفاف أحيانا ، مما يصدم رفاقه احيانا . وهكذا نرى روبير دافيزي يسأله فجأة ، في بدء قيام الشبكة (فرنسيس ، لماذا تتصرف بهذا الشكل ؟) ويرد عليه جانسون ببرود (لان ذلك يعجبني .) ويقطع الطريق ويسبب صدمة لرجل دين وان كان ثوريا .

لم تكن ارساليات الصحيفة (مجانية) مثل التي ارسلت الى مالرو ، فالتوزيع مكلف ، اذ انه من غير

المعقول ارسال المغلفات عن طريق بريد الحي السادس ، وهكذا شكلت مجموعات تذهب الى كل مكان في فرنسا ، وتضع المغلفات في علب الرسائل ويغيرون هذه العلب باستمرار ، ان هذه التقنية التي تتطلب جهدا كبيرا ، تضيع الشرطة وتعطي الانطباع بقوة التنظيم . وكانت مخابرات الامن الوطني تفاجأ بتواجد مراسلي الشبكة ووكلائها في كل مكان من المقاطعات الفرنسية .

لم يكن هؤلاء المراسلون والوكلاء بالضرورة خياليين: فالمجموعات المحلية كانت تؤمن طبعاتها الخاصة بها ، وكان بعض « المشتركين » يأسفون لسرية هذه الصحيفة ، فلا عنوان ولا اسم ولا توقيع تقريبا ، وكان العديد من القراء ، الذين يوافقون الصحيفة في الرأي ، يرغبون اجراء الاتصال بها . وبعد سنوات من وقف اطلاق النار كان مناضلو الشبكة ما زالوا يلتقون بصحابيا هذه التقنية ، الذين حكم عليهم بقراءة التحليلات ، دون ان يستطيعوا تحويل افكارهم الى عمل . وعلى العكس من ذلك ، كانت الصحيفة رسالة في زجاجة تلقى بعرض البحر كل شهر ، حوار بين اعمى وأخرس ، لا علاقة له بسرح اللامعقول انه قانون النوع يفرضه القانون ، ويقول جانسون بهذا الصدد (لقد كان علينا ان نعلن عن عمل تدين العدالة الرسمية مبادئه ، وتلاحق الشرطة المشاركين فيه) .

صدر العدد الأول من « الحقيقة لاجل ... » يوم ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٨ ، وحلل الكتاب المقل والجماعي في مقال طويل تحت عنوان (مائة وعشرون يوما من التجديد) الاوضاع التي خلقتها احداث الثالث عشر من أيار (مايو) ، وبين ان الحرب قد ازدادت حدة منذ عودة الجنرال ديغول ، وان رئيس الحكومة قدم الكثير من التنازلات والضمانات للضباط ، ويصبح المقال اكثر دقة ، فيقول ، ان الرأسماليين يدعمون الجنرال (الا ان الرأسمالية الكبرى بحاجة ملحة لوضع حد وبأسرع وقت ممكن للحرب في الجزائر) . ويبدو هذا الآن ، بعد عشرين سنة ، امرا بديهيا ، يعتبر المقال في حينه تفهما عندا للحدث (الديغولي) . وقليلون ، في ذلك العصر ، الذين كانوا يطرحون مثل هذا الحكم الذي يوحي استنتاجه بأن ديغول سيحقق السلام ، وان كان عليه أن يقدم الاستقلال بالمقابل ، ولم ير اليسار نفسه ، أي شيء من ذلك ، وتدل على ذلك هذه السطور التي كتبها جان فرانسوا ريفيل ، ونشرتها مجلة لم تعش طويلا (الرابع عشر من تموز « يوليو ») التي ضمت مشاهير ذلك العصر مثل اندريه بروتون ، وبريس باران ، ومرغريت دورا وكلود لوفور ، وادغار موران ، وموريس نادو. يقول ريفيل : (اننا قد نشهد بل ونشهد اليوم العبور من شبه الفاشية المقنعة بقناع الجمهورية ، الى الفاشية المكشوفة والدكتاتورية العسكرية ... فقد بدأ اليمين الكفاح ضد النظام ، وطغى مناصرو الفاشية المطلقة على ديغول منذ الآن) ويتنبأ ريفيل قائلا (ان العمل الثوري العميق ، الموجه ضد الاستعمار والرأسمالية برمتها ، وبجميع أشكالها ، هو الوحيد القادر او الذي سيكون قادرا على قلب الدكتاتورية ، وان هذا العمل لا يمكن القيام به ، ولا تصوره ، دون اجراء تغيير جذري في توجهات وأساليب الحزب الشيوعي .....)[١٦] .

١٦ العدد الأول كان موريس ماسكولو يدير النشرة نصف الشهرية ، وفي هذا العدد كتب كثوة لمحور مجلية؛ معتمد لذلك الذي كتبه جان فرانسو ريفيل .

كانت تلك هي اللهجة السائدة لدى اليسار الفرنسي ، شيوعيا كان ام لا فمن المستبعد ان يحقق ديغول القضاء على الاستعمار»[12] . أما جانسون فانه مقتنع بعكس ذلك ، وتولدت هذه القناعة نتيجة لمحادثات عديدة جرت بينه وبين (ديغوليين يساريين) ، وقدم له بول ماري دولاغورس ، الذي كان يعرف حقائق الأمور ، معلومات ثمينة جدا ، كما ان هنري كوريل ، استطاع بفضل صحفيين من صحيفة (لوكنار انشينه) المقربين من (القصر) وهم غيروهم ، ان يضع ملاحظات استنتاجية تنير الطريق ، الا أن الحدس سبق العلم . ويقول جانسون فيما بعد (لقد تأكدت بأن الجنرال ديغول سينهي الحرب ، ويحقق استقلال الجزائر ، عندما كنت انصت الى الاذاعة ، وسمعته يقول في خطابه الشهير (إني فهمتكم) والسخرية واضحة في صوته ، لقد تولد لدي الشعور الاكيد بأنه سيسخر ممن اتوا ليصفقوا له في ساحة الجزائر العاصمة في يوم الرابع من حزيران (يونيو) وهذا ما قادني الى الاستنتاج) .

مضى أكثر من شهر قبل أن يصدر العدد الثاني من (الحقيقة لاجل . . . .) وقد اخر عطل فني صدوره . وخلال هذه الفترة ، كرس الاستفتاء العام في ٢٨ ايلول (سبتمبر) الدستور الجديد بأغلبية (ثمانين بالمائة من الاصوات) . ويعترف المقال الافتتاحي (لقد فاجأتنا الثمانين بالمائة) . ولم يكن اصدقاء جانسون وحدهم الذين أدهشهم انتصار الجنرال ، فقد تلقت قيادة الحزب الشيوعي الضربة . لقد انزلق مليون ناخب شيوعي نحو ديغول . ولم يتسرب أي شيء هام من خلال الخطابات الحزبي ، الذي يلقي باللائمة على جبهة التحرير الوطني التي اخافت الناخبين . ويقول موريس توريز ، متظاهرا باللامبالاة ، في خطابه امام اللجنة المركزية (هل علي ان اكرر القول بأن سياسة الحزب صحيحة ؟) . وكأن الاستفتاء الشعبي ، لم يعط الشرعية ، بصورة او بأخرى ، لاحداث الثالث عشر من أيار (مايو) . وحطت الديغولية برحالها .

دشن ديغول طقسا من الطقوس التي سيمارسها طيلة حكمه ، فعقد رئيس الدولة في الثالث والعشرين من تشرين الاول (اوكتوبر) مؤتمرا صحفيا ، ونادى (بسلام الشجعان) ، ودعا جبهة التحرير الى إلقاء السلاح بشرف ، وبعدها ، وبعد ذلك فقط ، يجري النقاش . ويعلق معلق نبيه ، قائلا (في الواقع اذا كان هناك عرض ، فانه يبدو وكأنه مطالبة بالاستسلام بدون شروط)[13] وهذا ما فهمه قادة الثورة من عرض الجنرال ، فتلاشت الآمال بقرب المفاوضات .

أما في الكواليس ، فقد جرى بعض التقارب ، فقد عقدت ندوة لحوض المتوسط ، دعا اليها رئيس بلدية فلورانسا ، في نهاية ايلول (سبتمبر) ونظم المهدي بن بركة زعيم الجناح اليساري لحزب الاستقلال المغربي ، لقاء بين الوفد الفرنسي ، والسيد أحمد بو منجل ، ثم انتقل بن بركة الى باريس واستقبله الجنرال ديغول ، ودام اللقاء اربعين دقيقة . وكان ديغول يعرف تماما مطالب الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

---

١٢ - بعض الافكار الاستقلالية البارزة ، مثل التي نشرها جان دانييل في الاكسبريس ، وسرج ماليه في الازمنة الحديثة .
١٣ - بيير فيانسون بونتيه ، تاريخ الجمهورية الديغولية ، الجزء الأول ، أيار ١٩٧٥ .

الا أنه كان يتردد حول الاسلوب الذي يجب اتباعه وبتصميم لا مثيل له في ذلك العهد قالت (الحقيقة لاجل . . .) (ان الهدف الاساسي لديغول) هو انهاء الحرب باسرع وقت ممكن ، مع ابقاء الجزائر ، بصورة ما ، في الفلك الفرنسي . ويبدو ان نوايا الجنرال ديغول لم تحدد بعد حول الاسلوب الواجب اتباعه . ان الاسلوب المفروض عليه ، هو بالفصل ، ان يذهب الى أبعد ما يستطيع في طريق التنازل لكي يقنع الجزائريين ، الا انه مع ذلك لن يصل الى النقطة التي تؤدي لان يهب ضده دفعة واحدة كل الذين قالوا له نعم من يناصرون فكرة الدمج) . وكانت النظرة ثاقبة ، والابحار القريب يستمر .

٨

الغرغرينة

جيرار سبيترز هو مؤسس (الطريق الشيوعي) في كانون الثاني يناير ١٩٥٨ وكان يسير وراءه حوالي مائة مناضل اغلبهم من الشيوعيين ، او المنتمين سابقا للحزب الشيوعي الفرنسي وبضعة من التروتسكيين . ناقش التنظيم الجديد احتمال تعاونه مع جبهة التحرير الوطني، واتفق الجميع على تقديم كل العون السياسي للجبهة ، الا نواة صغيرة خصصت لتقديم المساعدات المباشرة .

وعقد الارتباط بواسطة روجيه ريه ، وهو ضابط محترف مسرح من الجيش في عام ١٩٥٢ ، ألقي القبض عليه وهو يلصق اللافتات ضد مجيء الجنرال الامريكي ريدجواي الى باريس ، فحكم عليه بالسجن ستين يوما في الثكنة ، وسرح من الجيش . اما زوجته فكانت احدى عناصر خلية الحي الحادي عشر في الحزب الشيوعي ، تلك الخلية التي ينتمي اليها سبيترز ، الا ان روجيه لم يكن عضواً في الحزب الشيوعي . عمل بعد تسريحه في معمل السكر (لوبودي) حيث كان العمال الجزائريون يشكلون الغالبية العظمى في المؤسسة . فأسس نقابة ، وتناقش كثيراً مع العمال الجزائريين ، الا انه لاحظ بأن أغلبهم ما زالوا مخلصين للحركة الوطنية الجزائرية (المصالية) . كان ذلك في عام ١٩٥٦ . وبعد ان انضم ونقابته الى أمانة اتحاد عمال المواد الغذائية التابع للاتحاد العام للعمل (سي . جي . تي .) ، التقى هناك بمولود قبان ، العضو السابق في الحزب الشيوعي الجزائري ، والمسؤول النقابي عن جبهة التحرير .

في نهاية عام ١٩٥٧ ألقي القبض على قبان ، ونقابي آخر من جبهة التحرير هو عمر بلوقراني ونقلا إلى الجزائر ، فنظم روجيه وآني حملة احتجاج ، ونسقا ، بهذه المناسبة نشاطاتهما مع نواة من المناضلين الكاثوليكيين من الحي الثالث عشر ، الذين تمثلهم اليليا بيروا[١] . وبعد أن تميز روجيه ريه بتعلقه بالقضية الجزائرية تطلعت جبهة التحرير اليه ، في مطلع عام ١٩٥٨ . وتم الاتصال الاول مع موسى قبايلي رئيس ولاية باريس وضواحيها . ومهد هذا اللقاء للقاء آخر أكثر رسمية ، حيث اوجد تنظيم (الطريق الشيوعي)

---

١ - انشئت بيت السلام في الحي الثالث عشر ، ثم انشئت بعد ذلك في عدة احياء ، ثم تشكلت لجنة ارتباط من أجل السلام في الجزائر .

ثلاثة من اعضائه هم جيرار سيتزر ، وفوني بيرجيه وروجيه ريه نفسه . واتفق على أن يلتزم الفرنسيون ماديا
بدعم الجبهة .

فوض دوني بيرجيه ، وأحد رفاقه جان فرانسو من قبل الولاية ، وعملا الى جانب قبايلي ، وكلفا بايجاد
المأوى والمسكن وجمع الاموال ، وخزنها في الضفة اليمنى من السين ، وما يشبه ذلك من الاعمال. فاشتروا
سيارات ، واستأجروا بيوتا وأمنوا النقل المشترك . وهكذا كرس عشرة من اعضاء تنظيم (الطريق الشيوعي)
أنفسهم للمعركة السرية ، اما الغالبية من أعضاء التنظيم فاكتفوا بالعمل الجماهيري وبصورة خاصة بتشكيل
لجان الاحياء ضد الحرب . وقد ناسب هذا (التخصص) مزاج كل فئة من الفئات ، وقدم للخارجين على
القانون التغطية المناسبة . الا أن تقاسم المهام لم يسر دون نشوب خلافات . وانفجر النقاش في ايلول
(سبتمبر) ١٩٥٨ ، فقد ولد تفاقم الارهاب الجزائري، القلق لدى العديد من الاعضاء ، الذين خافوا أن
يجر ذلك الى معاداة الطبقة العاملة الفرنسية لجبهة التحرير ، ومن بينهم سيمون بلومنتال الامين السابق لفرع
مونتروي للحزب الشيوعي الفرنسي ، فدعي الى عقد اجتماع سري في (سو) وتقرر مواصلة الدعم بما في
ذلك دعم العمليات الحربية ، على الا يجبر أحد على المشاركة فيها . في مساء الخامس من كانون الثاني
(يناير) ١٩٥٨ ، كان دوني بيرجيه ، أحد اعضاء تنظيم (الطريق الشيوعي) الاكثر تورطا مع جبهة
التحرير الوطني ، على موعد مع موسى قبايلي في مقهى (بابل)، الذي يقع امام المدينة الجامعية ، ومن هناك
توجها الى المبنى رقم ١٤٦ في شارع سان دونيس ، حيث يقطن عبد القادر بلحاج أحد المسؤولين عن تنظيم
الطلبة التابع للجبهة . وعند وصولهما فتح الباب واستقبلهما مفتش من مخابرات أمن الدولة . فقد كانت
المخابرات قد بدأت منذ بضعة أيام عملية واسعة النطاق ، اثر تحقيقات دامت عدة شهور .

ففي مطلع الصيف، وقع الجزائري بشير بو سعيد ضحية محاولة اغتيال جرت في شمال فرنسا، فنقل الى
المستشفى بحالة خطرة ، وأخذ يهذي بدون توقف حتى مات . وعند فراش الموت جلس مفتش من المخابرات
يسجل الاسماء التي تتفوه بها شفتا الرجل الذي كان ينازع الموت . فقادت هذه الى اعتقالات في ليل وموبوج
وبلفور، وكانت مخابرات امن الدولة، تتبع آثار رئيس ولاية الشمال الذي كانت الصحافة كلها تسميه عمر
ريتيه، وكان اسمه الحقيقي عمر حريق، وهو أحد قادة المنظمة الخاصة ، وكان يستخدم ملجأ في باريس
توصلت المخابرات اخيرا الى اكتشافه، وهو شقة في المبنى رقم ١٧ في شارع سامبكس في الحي العاشر،
استأجرتها في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٨ فرنسية تدعى سيبيل دوكوجي، تعمل مصورة سينمائية. وكان
المختصون في مخابرات امن الدولة يمارسون التصوير السينمائي، فصوروا التحركات حول المبنى، بواسطة آلة
اخفيت في سيارة موهت تحت شعار مؤسسة للدعايات، ففتشوا الشقة وصادروا في خزانة مخفية كميات هائلة
من الوثائق والهويات المزورة واعتقلت سيبيل دوكوجي، كما اعتقل معها ثلاثة فرنسيين آخرين واعتقلت
ايضا موظفة في شركة الكهرباء، هي جورجيت جيرار. اما بالنسبة للجزائريين فكانوا [illegible]
كل انحاء فرنسا.

ومع ذلك امتنعت المخابرات عن اعتقال جميع المناضلين الذين تعرفت عليهم وتابعت البعض منهم على بعد ، ولكن دون أن تقرر مراقبتها . انه اسلوب متثاقل لكنه اثبت فعاليته دائما . وقادت الملاحقة الطويلة الى موجة اعتقالات واسعة في نهاية كانون الأول (ديسمبر) ، شملت بالاضافة الى دوني بيرجيه وموسى قبايلي ، خمسة عشر وطنيا جزائريا اغلبهم من الطلاب . فاقتيد موسى قبايلي ودوني بيرجيه الى مقر المخابرات مكبلي الأيدي ، وما كادا يصلان الى هناك حتى فصلا عن بعضهما ، فاستجوب المفوض لاكارا الفرنسي ، وشرفه سيد البيت روجيه فيبو بحضوره ليضع ثوان . وتحت ضغاطة الكتب ضمدنا بالرغم من شدة البرد ، وكان الصراخ يسمع من الطابق العلوي ، وصوت جزائري يزأر في الممر (ليس لكم حق في هذا) ورد صوت أجش (ستري فيما اذا كان لنا الحق أم لا) وتلا ذلك ضجة صياح ، وصرخة ألم . فسأل بيرجيه (ماذا تفعلونه بهم) فاجابه المفوض بضحكة فظة (ندغدغهم) ، وأضاف بعد صمت (وربما تمر بذلك الآن لم تقل لي الحقيقة) . (ولم يمر بها) دوني بيرجيه ، وعومل بلباقة ، وتتالت الأشهر والأيام واكتشفت الشرطة في جيبه كتابة على ورقة دون عنوان ، وبدت لهم مشبوهة ، كتب فيها (لقد نصحت . الوعد في صالة جيرمان للألعاب الى اللجنة المركزية لتصديق القرار) . وبهذا الأسلوب الغريب أطلقت الأهمية الرابعة بيرجيه بأنه الشخص غير مرغوب فيه في صفوف التروتسكيين ، ولم يكن بنية المناضل ان يوضح ذلك للشرطة وقال انها مزحة .

لم تكن الامور هينة في مقر أمن الدولة ، ففي العاشر من كانون الثاني (يناير) نقل دوني بيرجيه من زنزانته ، فلمح رفيقه قبايلي منثنيا على نفسه ، لا يستطيع الوقوف ، وفي صباح اليوم التالي ، صادف جزائريا آخر هو بومعزه ، في المداخل ، فهمس له ، وكان واضحا بأنه قد عذب (لقد ضربوني بالكهرباء ، ويريدون اجباري على الكلام بأي شكل) . ورأيت على ساقه آثارا زرقاء يبلغ طولها بضعة سنتمترات ، وفي مساء ذلك اليوم أطلق سراح بيرجيه ، نظرا لعدم وجود البيانات ضده . أما في مقر أمن الدولة فكان المشهد مستمرا[٣] . عند وصول دوني بيرجيه وموسى قبايلي ، كان فيبو في انتظارهما فاقتيد قبايلي الى غرفة مظلمة في الطابق العلوي من المبنى وجرد من ثيابه بوحشية ، وها هو يقول : (ربط رجال الشرطة يدي ثم قدمي ، وبعد أن أجلسوني القرفصاء وربطوا رسغي بكعبي ، وتقدم شرطي يشبه الكلب البريطاني ، ضخم القامة ، وحرر بين ساقي وذراعي المثنيتين قضيبا معدنيا ، واصبحت حسب تعبيرهم على سيخ الشي ، وأسند السيخ على مسندين خشبيين ، وضعا على طاولتين بطول ١٣٠ سم تقريبا ، ومرر الرجال التيار الكهربائي في القضيب ، وفي الوقت ذاته كان اثنان آخران يضعان السلك على جسدي في كل مكان ، في الفم ، والشرج ، وعلى القلب وجلب احدهم الشاعي قائلا : لقد عرفت التعذيب على أيدي النازيين ، والآن ايضا) .[٤] لم يتكلم قبايلي ، وفي اليوم التالي وبعد جلسة كهربائية جديدة ، اقتادوه الى زنزانة ، وها هو يقول (وبعد أن خلعوا ثيابي ووضعوا فخذي حتى الكاحلين على طاولة ، اما الجزء العلوي من

---

٢ ـ شهادة دوني بيرجيه ، وثيقة شهادات ووثائق ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٨ .
٣ ـ يزعم روجيه فيبو في مذكراته أن تنظيم الجبهة في باريس صفي في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٨ .
٤ ـ الغرغرينا ، منشورات مينوي ١٩٥٩ .

جسمي فتركوه يتدلى منحنياً الى الخلف في الفضاء ، بينما تلمس الاكتاف والرأس سطح الأرض ، ووضعوا رأسي بين رجلي كرسي ، تحت الفضبان الخرسانية ، وبينما قام المساعدون بتثبيت يدي ، اخذ رئيسهم يلوي عضلاتي الفقرية والظهرية» . الا ان المسؤول الجزائري لم يستسلم ، وفي اليوم التالي جروه الى مكتب في الطابق الثاني ، يقول قابلي (وكان فيو بالعطاري يحيط به معاونه وكل الشرطة الذين استجوبوني ، فسألني وهو يشير الى الحضور واحداً واحداً ، الا تعرفهم ؟ سيعيدون الكرة والاعتناء بك ، الا اذا تكلمت ، واعطيك مهلة حتى الظهر) واستمرت الآم قابلي عدة ايام اخرى ، اما بشير بو معزة فلم يكن أكثر حظاً ، اعتقل في الثاني من كانون الثاني (يناير) في الساعة العاشرة صباحاً ، في منزل احد أصدقائه في المبنى رقم ١٤٦ في شارع موفارلر ، وكان بو معزة يعمل مباشرة مع مجموعة المحامين الذين يدافعون عن المناضلين الجزائريين ، ويهتم بصورة خاصة بتقديم العون المادي للمعتقلين وعائلاتهم . واقتيد حال اعتقاله وهو معصوب العينين ، الى منزل حيث عذب بالكهرباء ، وبعد ذلك ، اعيد تعذيبه في مقر امن الدولة ، وكان التعذيب يتكرر كل يوم.

اعتقل بن عيسى سوامي ، الطالب في كلية العلوم السياسية في الساعة الثالثة والنصف صباحاً من يوم ٤ كانون الأول (ديسمبر) ، ومر بسيخ النار أيضاً ، وهو يصف بدقة مريرة لا تحتمل ، ما فعل به موظفون فرنسيون فيقول (اخذ العامون يدير الساعد ، والاصبع يطلق الساري الكهربائية على عضوي ، وفقدت الوعي بعد دقائق ، فوضعوا في أنفي بعض القطرات ، وعندما افقت اعادوا الكرة ، وبعد قليل صب الاصبع على رأسي ماء قبة ، وتابع التعذيب الذي أصبح اكثر عنفاً فها هو الآن يطلق الساري على كل بقعة من جسدي .) .

وتعرض سوامي لتعذيب رهيب ، الضرب ، ورأس القارورة ، وحوض الماء ، وايضاً وطبعاً سيخ النار ، يقول بن عيسى (عندما وضعت الساري على لثتي اعتقدت بأن رأسي يتفجر وحاولت في احدى جلسات حوض الماء القذر أن اغرق نفسي الا انني لم انجح سوى بشرب الماء القذر)(*) .

بن عيسى سوامي يسمى في الحقيقة حميد بن عتيق ، حكم عليه بالموت غيابياً في الجزائر ، وكان همه الوحيد هو اخفاء هويته الحقيقية تحت غطاء هوية مواطن تونسي ، كما يؤكد ذلك جواز سفره المزور . الا أن الشرطة الفرنسية كانت لديها شكوك حول مهمته الحقيقية ، اذ انه في الواقع رئيس ولاية الشمال والشرق . ويقول حميد بن عتيق بعد عشرين سنة من الحدث (كانوا يريدون بكل الطرق ان اتكلم ، لانهم كانوا يعتقدون بأنهم قبضوا على المسؤولين عن هجوم آب ١٩٥٨ (المسطس) ، لقد عذبوني اياما واياما ، ونقلوني بعد عصب عيني من مكان الى آخر في باريس ، وبعد ذلك وبتركيب الاحداث عرفت انهم اقتادوني الى (المسح) مقر الأمن ، وبما أنني كنت أحمل جواز سفر تونسياً فقد استقدموا شرطياً تونسياً من صفاقس

(*) ـ المصدر السابق

المدينة التي يتعرض التي ولدت فيها فطرح على المسألة دقيقة ، والى فيبو ، ليرالي في زنزانتي ، وكنت في حالة تعيسة وأخذوني على عجالة الى صالة كوسكو في مستشفى اوتيل ديو »[6] وهناك أيضا سقط مصطفى فرنسيس ، الطالب في طب الاسنان الجراحي ، كان مصطفى شقيق أحمد فرنسيس وزير الحكومة المؤقتة ، الذي القبض عليه يوم الرابع من كانون الأول (ديسمبر) أمام المدينة الجامعية ، وضرب في مقر الأمن الوطني شارع سوسي خلال ثمان وأربعين ساعة متوالية ،وأشار زعيم المخابرات الى (لا مراعاة لشقيق الوزير) ، بل ، قليل جدا من المراعاة، بحيث نقل الطالب بصورة مستعجلة الى مستشفى اوتيل ديو بسبب التعذيب، حيث وضع الدكتور ايسر في ملاحظاته على شهادة.

وعبد القادر بلحاج . . الطالب في العلوم الاقتصادية قاسى معاملة مماثلة ، والصحفي حاج على الذي القي القبض عليه في الاسبوع نفسه ، يقص بعد زمن كيف التقى مع مواطنه في قبو فيقول :

(بينما كنت أصعد السلم ، كان قبالتي يهبط ، كان يهبط ببطء كبير الى درجة سمحت لي بأن اميز شكلي ، أو بمعنى أدق لا شكلي ، او تشوه وجهه . كان وكأنه جرح كبير بشع ، والعيون وحدها ، عيون صافية تخرج من حجرتها ، هي التي تبين ان الوجه وجه انسان ، فبدلا من الشفاه كان للسابق قطعتان صخمتان رهيبتان من اللحم الاحمر المشقق ، وبدلا من الانف كاريكاتور مشوه لزائدة مرضية ، ضخم منتفخ يكاد ينفجر ويقدم منظرا مفجعا)[7]

بعد ان يقضي الطلاب الجزائريون عشرة أيام في مكاتب مخابرات أمن الدولة حيث تفرض عليهم اقامة جبرية قانونية[8] ، يقدمون أمام بالنيابة ، القاضي المكلف بالتحقيق ، يقول بشير بو معزة : (نظر القاضي الى لحيتي التي مضى عليها ١٢ يوما ، ووجهي المورم ، وقشور الجروح على انفي ،واكتفى بالقول انك متهم بالمساس بأمن الدولة ، واعادة تشكيل تنظيم محلول ، وستعتقل في سجن فرين ، نظرت اليه نظرة عميقة دون أن أنبس بكلمة واحدة فسألني ماذا تريد ، فلم أجب ، فأمر الحراس أن يقتادوني ، وقدم جعفر الصغير الى القاضي بالنيابة يوم العاشر من كانون الاول (ديسمبر) بعد ان تم (استجوابه) من ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) حتى الخامس من كانون الاول (ديسمبر) ، واحتج جعفر على التعذيب الذي تعرض له ، والذي ما زالت آثاره ظاهرة . الا أن القاضي رفض تسجيل الشكوى وأجاب (انا نعرف هذه المعزوفة ، وكلكم سواسية)[9] ، ومع ذلك اضطر القاضي ان ينتقل الى قاعة كوسكو (القاعة المخصصة للمعتقلين في المستشفى) لابلاغ الاتهام الى كل من مصطفى فرنسيس وحميد بن عتيق ، ويقول حميد اليوم (لم أعد أستطيع الحركة ، ولا النهوض . وكانت ممرضة من المارتينيك تطعمني لانني فقدت امكانية استخدام يدي ،

---

٦ ـ مقابلة اجريت مع المؤلفين في نيسان ١٩٧٩ .
٧ ـ المصدر السابق .
٨ ـ بفضل نظام صدر في ٧ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٥٨ .
٩ ـ المصدر السابق .

جاء القاضي باتيه ليلغي الاتهام ، وأثار وجهة لأنه لم يستطع مقاومة تطرايتي ، ولم استطع التوقيع ، وبعد ثمانية ايام نقلت الى قاعة المرضى في سجن فرين)[10] وهناك ، كتب هو ورفاقه شهاداتهم بخط يدهم في نهاية شهر كانون الاول ، قدم بو معزة وفرنسيس وبن عتيق وبلحاج وقبايلي شكوى ضد وجيه فيبو لمشاركته في عمليات ضرب وجرح ، وأوكل مهمة التحقيق (ضد مجهول) الى القاضي باتيه الذي بدأ التحقيق في الثلاثين من كانون الأول (ديسمبر) .

وها هو القاضي نفسه يكلف بتضخيم ملفات المناضلين الوطنيين ، وبمواسة الشكوى المقدمة منهم فهو بشكل او بآخر ، الخصم والحكم ، ونشرت مجلة (تيمو انياج إي دوكومان = شهادات ووثائق) في شهر كانون الثاني (يناير) القصة كما رواها قبايلي وبو معزة وفرنسيس ، دون أن يصادر عددها . وبدأت قضية الشاكل (الموفرينة) . انتخب شارل ديغول في ٢٦ كانون الاول (ديسمبر) اول رئيس للجمهورية الخامسة . فهل سيستمر التعذيب على ضفاف السين على بعد بضع مئات من الامتار من قصر الأليزيه ؟ ، وهل بعيد مقر المخابرات في شارع سوسي تقاليد ليست بعيدة ، ويتبارى مع فيلاسيزيني ومركز التجميع في البيار في الجزائر ؟ . وربما يشغل اندريه مالرو منصبا في الحكومة ، هل اجتاز هذا الشيء المحس البحر المتوسط ؟ وباختصار هل أصبحت فرنسا منذ الآن جزائر اخرى ؟ في الرابع والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٥٨ عقد الوزير المقاتل السابق في اسبانيا الجمهورية ، الذي حمل اسم المقدم بيرجيه خلال مقاومة النازية ، مؤتمرا صحفيا ، وبدون أن يتقيد باللف والدوران الوزاري المعتاد حول التعذيب ، اعترف السيد اندريه مالرو باستخدام التعذيب اثناء التحقيق ولكن قبل عودة متصوف كولومبيه ، فقال (حسب معلوماتي ومعلوماتكم لم يمارس اي تعذيب منذ وصول الجنرال ديغول الى الجزائر ، ويجب ان لا يحدث ذلك بعد الآن ، وانني أدعو باسم الحكومة ، الكتاب الفرنسيين الثلاثة الذين اعطتهم جائزة نوبل سمعة خاصة والذين اعتكفوا في السابق على دراسة هذه القضايا ، إلى تشكيل لجنة تذهب الى الجزائر ، وباستطاعتي ان اؤكد لهم بأنهم سيستقبلون من قبل الجميع باسم الجنرال ديغول) . لم تر اللجنة النور ابدا ، الا أن مالرو لم يحتط لذلك ، ولم يستشر المهتمين الثلاثة فروجيه مارتان دوغار كان يصارع الموت ، وكامو كان في رحلة الى اليونان ، وينتظر معلومات اوسع ، أما مورياك فلم يخف شعور الريبة الذي يخالجه ، ولم يبق من كل ذلك سوى الالتزام المنطوق : بأن التعذيب محرم منذ اليوم . ولكن . . . اعتقل رزقي حسين بينا كان يقوم بعمله في معامل بوتين في ارجنتوي حوالي الساعة العاشرة من صباح الرابع من تموز (يوليو) . وفي مخفر شرطة المدينة ، ضرب بقسوة وعذب بالكهرباء اربع مرات ، وبعد تحقيق دام ثلاثين ساعة ، نقل الى مستوصف سجن فرين ، ثم قبل لمدة شهر ، في السجن الطبي حيث اجريت له عملية نتيجة لانفجار الطحال .

والقي القبض حوالي الساعة الخامسة صباح يوم الثلاثين من آب اغسطس على محمد كرامة ، في منزله الكائن في شارع هنري باربوس في ارجنتوي ، وكان محمد سائقا في معامل نيكا في كوربفوا ، فاحتجز ستة

---

١٠ - مقابلة اجريت مع المؤلفين .

وثلاثون ساعة في المخفر نفسه (واستجوب) مرتين بالكهرباء وسجل ثلاثة أطباء فرنسيين ، بأن على جسم المعتقل ، بعد قبوله في سجن فرساي ، آثار التعذيب ملحوظة ، على ركبته وكاحله ورجله وكوعه وصدره وعلى الاعضاء التناسلية .

فتقدم الجزائريان بشكوى ، وكتب محاميا هما ولد عودية وحاك فيرجيس ، الى اندريه مالرو لاعلامه بهذا التعذيب ، ولم يترددا في تذكيره ، بانه وقع منذ بضعة أشهر مع سارتر وموررياك ومارتان دوغار رسالة علنية الى رئيس الجمهورية تدين جميع أشكال التعذيب ، وانهى المحاميان ، بكل جرأة رسالتهما قائلين : (بما انك تقترح يا سيادة الوزير على السيدين فرانسوا موررياك والبير كامو الذهاب الى الجزائر ، ليتأكدا بأن التعذيب قد اختفى ، وكان موررياك قد طلب كيف يكون له ذلك ، فاننا نسمح لانفسنا بالاقتراح عليكم ، ان تطلبوا اليهما ببساطة ، الذهاب الى سجن فرساي ، والى مخفر الشرطة في ارجنتوي) .

ان سحر الكلام لا يكفي للقضاء على هذه الكوارث ، وان كان الكلام لمالرو نفسه . كان الديغوليون قبل الثالث عشر من أيار (مايو) يصفون التعذيب بأنه من نتائج تفسخ الجمهورية الرابعة ، ويؤكدون ان سلطة متينة تنظف كل شيء ، وهذا ما أجاب به في نيسان (ابريل) ١٩٥٨ السناتور ميشيل دوبريه على جان ماري دوميناك حيث قال (نعم ان التعذيب موجود في الجزائر والسبب في ذلك هو عدم وجود الدولة ، فعندما سنصبح لدينا دولة ، سترى بأن الأمور ستتغير)[٩] الآن الامور لم تتغير وأصدرت مجلة (شهادات ووثائق) ، بهدف تسريع الامور ، في تشرين الأول (اوكتوبر) عددا خاصا ، بالتعاون مع جمعية حقوق الانسان ، ولجنة اودان ، ومركز لانسدي . وكان العدد ينقل الوقائع عن مذكرة تحت عنوان (اننا نتهم . . . .) ويعدد حالات التعذيب ، والمجازر ، والاختفاءات التي تمت رسميا ، وأرسل (الملف) الى رئيس الحكومة . وأعلم الجنرال ديغول في كتابه رقم ١٥٢١ تاريخ ٢٣ ايلول سكرتارية لجنة اودان (بأنه قرأ باهتمام ما ورد في الملف) الذي تلقاه (وان لجنة حماية الحريات ستكلف بالتحقيق حالا) .

وكانت لجنة حماية الحريات ، التي اعيد تشكيلها في ١٣ آب (أغسطس) برئاسة موريس باتان ، رئيس قسم الجنايات في محكمة التمييز ، قد احيطت علما بالملف من قبل مؤلفيه ، حيث احيط السيد موريس باتان علما في ١٧ أيلول (سبتمبر) بمصادرة خمسة آلاف نسخة من مجلة (شهادات ووثائق) . علم يعلم ، فاذا كانت المذكرة قد جلبت انتباه الجنرال ديغول ، فانها جلبت انتباه الشرطة ايضا ، فاستجوبت بيير فيدال ناكيه حول الظروف التي تم فيها تحضير العدد الخاص الممنوع ، فأجاب فيدال ناكيه دون تردد (لقد اقر في منزل فرانسوا موررياك مبدأ هذا العدد خلال اجتماع حضره لوي مارتان شوفيه ، ونقيب المحامين تورب ، وموررياك نفسه) وكان من فوائد هذا التصريح انه اوقف الملاحقات والتحقيقات البوليسية ، كلها ، الا انه اثار حفيظة الاكاديمي ، فأعرب موررياك عن غضبه من ذلك للوران شوارتز قائلا : (لقد ذهب فيدال ناكيه بعيدا جدا) .

---

٩ ـ ذكرت في مجلة شهادات ووثائق ، حزيران (يونيو) ١٩٥٩ .

كان الأب بوجوريسك معتقلا في سجن فرين عندما وصل بومعزة ، وقبايلي ، والجزائريون الذين خرجوا لتوهم من بين الأيادي الخبيرة التي يديرها روجيه فيبو ، وسمع من أفواههم كل ما قاسوه ، وبالرغم من أن القس متهم بالاشتراك في محاولة اغتيال جاك سوستيل ، فإنه حظي مع ذلك بدعم واسع النطاق ، فقد قام الكاردينال ليينار مرتديا جبته الحمراء ، بزيارته في السجن في نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) ، وعانقه وأكد له اهتمامه ورعايته الأخوية كل ذلك بحضور معاون مدير السجن . إن مثل ذلك العمل ، اتجاه رجل وصفته الصحافة بأنه شريك القاتلين ، لا يمكن ان يعتبر عاديا ، وقد أطلق سراح الأب بوجوريسك في شباط (فبراير) ، غير أن محاكمة افراد الفرقة الفدائية بدأت يوم الثاني من شهر شباط (فبراير) ١٩٥٩ .

مثل امام محكمة شيرش ميدي العسكرية ستة جزائريين ، شارك اثنان منهم فعلا في المحاولة ، اما الآخرون فقد اعتقلوا خلال التحقيق ، ولم يلعبوا الا دورا ثانويا ، ودافع عنهم اثنا عشر محاميا من بينهم بن عبد الله وأوصديق وفيرجيس . لقد قال بيرتران بوارو دلبيش الذي غطى اخبار المحاكمة لصالح صحيفة لوموند[12] : (المتهم الرئيسي مولود اوراغي ، رئيس المجموعة ، وهو الذي اطلق النار على الوزير ، وظهر متفرج الاعصاب تماما ، حزين النظرات وجديا ، ويبدو في معطفه وكأنه طالب من الحي اللاتيني) .

بدأت الجلسة عاصفة بمعركة قضائية ، وطلب الدفاع حضور جاك سوستيل ، الا انه اجاب برسالة بأنه يعتقد بأن لا فائدة من حضوره الى المحكمة ، واحتج الدفاع (بأن هذه هي المرة الاولى التي لا تحضر فيها ضحية المحاولة محاكمة المعتدين عليها) ، فارتفعت الاصوات وتوالت الحجج ، وتحولت قاعة المحكمة الى باحة مدرسة[13] امتدت مناقشة الاجراءات القضائية الى اليوم التالي . ولم يخف المدافعون (من المجموعة المختصة) تعاطفهم مع الجبهة ، واتبعوا اسلوبا يمزج بين الطاقة السياسية للاعمال موضوع المحاكمة وحرب تماحكة ثورية ، فلاحق الدفاع العيوب والفجوات والاخطاء التي تسمح بالغاء المحاكمة . فاحتج العقيد ميكالا مفوض الدولة على هذه المحاولات ، ورد عليه فرجيس مذكرا بأن أحدا لم يحتج طوال التحقيق خلال قضية (البلازوكا)[14] . فوجهت المحكمة (انذارا) له ، وهكذا عوقب فيرجيس دون ان يدافع عنه أي زميل ، فانسحب من المحكمة ، وتبعه المحامون الآخرون وتوجهوا نحو مجلس نقابة المحامين وانتهى اليوم الثاني . وبدأ اليوم الثالث ، أفضل من سابقيه ، فقد هدأت عاصفة الامس ، وجرى استجواب المتهمين في جو هادئ . فقص اوراغي ، المناضل الشيوعي سابقا ، كيف تم التحضير للمحاولة . وعندما سأله الرئيس اولي ، فيما اذا تعرض لأي ضغط لكي يقبل قيادة المجموعة اجاب بقوة (لم يجبرني احد على ذلك وكجندي من جيش التحرير الوطني ، استجبت لاوامر ضباطي دون أن اجبر ، كان الامر يقضي بقتل مجرم حرب مسؤول عن مقتل الآلاف من أبناء وطني ، انني غير آسف على ما قمت به ، ولو انني نجحت لكنت سعيدا

١٢ ـ لوموند ٣ شباط (فبراير) ١٩٥٩ .
١٣ ـ لوموند ٣ شباط (فبراير) ١٩٥٩ .
١٤ ـ محاولة فاشلة ضد الجنرال سالان . كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧

[illegible]
[illegible] . تصريح هائل ، من تلك التصريحات التي [illegible] وعندما اتى دور الشاب بكوش ، [illegible] الموجهة اليه ، هي المشاركة في [illegible] التي لم اشارك في أية محاولة ولو انني تلقيت [illegible] في محاولة اغتيال سوستيل لانه محرك جميع [illegible] (ان الرئيس ديغول اختار سوستيل [illegible] وربما اخطأ الجنرال ديغول) ووجه [illegible] التحقيقات) وأجاب بكوش (لقد احتجزني امن [illegible] وها هو المفتش الذي عذبني [illegible] ، ها هو) .

وأشار المتهم الى رجل جالس على المقعد الرابع . فاستدار الحاضرون في القاعة التي خيم عليها الوجوم والدهشة دفعة واحدة نحو الرجل الذي بقي هادئا في مكانه ، فصرخ المحامون بصوت واحد (اغلقوا الابواب ، وليقدم شهادته) ، فقال النائب العام متوسلا (علقوا الجلسة) . فنهض الرجل فجأة وتقدم في وسط الهدوء الذي خيم فجأة على القاعة ، وعرف بهويته : (بيلور مارسيال ضابط شرطة في امن الدولة) هذا ما فهمه الناس ، وذلك حسب قول مراسل صحيفة لوموند الذي لم يلتقط الاسم ، والضابط في الواقع يسمى بلوي [15] فعلق رئيس المحكمة الجلسة ، وأعلن عند استئناف الجلسة بأن المحكمة ستنظر في الواقعة وفي امكانية تقديم الشاهد في جلسة بعد الظهر ، الا أن الشاهد لم ينتظر استئناف الجلسة ليهرب ، وقلده اكثر من نصف الحاضرين في ذلك . استمرت المجابهة في اليوم التالي،وسجل المحامون المخالفات التي تمت خلال التحقيق ، ثم اتجهت المناقشات نحو الحجز الاحتياطي لدى امن الدولة . فقال احد مرزوسي فيو (ان مقر الامن يستخدم كمركز فرز للاعتقال الاداري ولمدة خمسة عشر يوما) فعلق فيرجيس (الوقت اللازم لغياب آثار التعذيب) فانهى الرئيس الحديث بطريقة ملحلة (حتى لو تصرف امن الدولة بصورة غير قانونية ، ولو تم التحقيق بصورة مخالفة للاجراءات القضائية ، فان ذلك لا يهمنا ، وليس علينا معرفته ، وهذا لا يلغي التحقيق الذي تلاه . . . .)[16] .

ولم يفد بشيء احتجاج الدفاع بأن التحقيق القضائي قام على اساس الاستجواب الذي قامت به الشرطة .

وفي اليوم الخامس ، دخل المسرح جورج ماتيي ، الذي استدعي للخدمة الاحتياطية في عام

---

١٥ ـ لوموند ٦ شباط (فبراير) ١٩٥٩ .
١٦ ـ لوموند ٧ شباط (فبراير) ١٩٥٩ .

١٩٥٦ ، وروى بعد سنة من ذلك لمجلة (الأزمنة الحديثة) عن تجربته الجزائرية ، وها هو يروي للمؤلف قائلاً (طلب الي فيرجيس في مطلع عام ١٩٥٩ أن أشهد امام المحكمة التي تنظر في قضية المجموعة التي حاولت اغتيال سوستيل وكنت اعمل في تلك الحين في دار الطباعة والنشر (هاشيت) تفرغت نفسي ذلك اليوم وذهبت الى شيرش ميدي ، ولم يكن في القاعة سوى المظليين والقاضين ، ولم أكد الفظ الا بعض كلمات التضامن مع الجزائريين حتى غطى ضجيجهم وصراخهم صوتي)[١٧] لم تطل شهادة ماتيي سوى ثوان وغادر مكان الشهود محاطا بصرخات الاستهجان ، وبدأ (مفوض الدولة) مرافعته ، والمح منذ البدء بأن الدفاع يتآمر مع الجبهة . فصرخ به المحامون (لاحقونا اذاً) بينما تقدم فيرجيس نحو موكله مولود اوراقي وصافحه بحرارة ، وطالب المدعي العام بالحكم بالاعدام على مولود ، وعلى شروق ، وحصل على ما طلب .
وكان من النتائج غير المتوقعة لهذه المحاكمة ، ان قادت الشهادة القصيرة التي ادلى بها ماتيي الى قيام مناقشات حادة لدى المحاربين القدماء في الجبال الجزائرية اذ أن ماتيي كان بالواقع ، سكرتيراً لاتحاد المحاربين القدماء في الجزائر . وها هو يروي قائلاً (التقيت في آب (اغسطس) ١٩٥٨ بجان جاك سيرفان شرايبر وكنت أرأس حتى ذلك الحين مجموعة ديمقراطية من الاحتياطيين ، وكان معي في المجموعة ايف جاماتي . بحثنا مع جان جاك والحزب الشيوعي وكل الحركات اليسارية . وعقدنا مؤتمرنا في شهر ايلول (سبتمبر) في فندق هوتيل مودرن ، وتحدثت خلال المؤتمر عن التضامن بين الشبية الفرنسية والشبيبة الجزائرية . وأكد سيرفان شرايبر في خطابه على الموضوع نفسه ، وهكذا وجدت نفسي في نهاية المؤتمر أميناً عاماً ، وجان جاك سيرفان شرايبر رئيساً . وقامت مجلة الاكسبريس بالدعاية للاتحاد الجديد) .

إلا أن مدير الاكسبريس لا يحب بأن تتعداه الامور ، فنشر في مساء اليوم نفسه الذي شهد فيه ماتيي امام محكمة شيرش ميدي ، بياناً صحفياً قصد منه التنصل من هذا الموقف فقال : (ان الخلافات السياسية التي تحصل بين السيد سوستيل والعدد الكبير من الشباب الذين خدموا في الجيش الجزائري خطرة وحاسمة ، الا أن واحداً من اتحادنا شوه جوهر نشاطنا ، بظهوره متضامنا مع المقاتلين الجزائريين ، الذين قرروا اغتيال السيد سوستيل لاسباب تخصهم) . فرد ماتيي ببيان آخر ، اعرب فيه عن دهشته لرد فعل السيد جان جاك سيرفان شرايبر ، باعتبار ان المبادرة التي قام بها فردية ولا تلزم الاتحاد . فاجتمعت امانة الاتحاد وطالب رئيسه بفصل ماتيي ، ولامه الشيوعيون لانه شوه كل المحاربين القدماء في الجزائر ، فمزق جورج ماتيي بطاقة الاتحاد ، وتبعه العديد من رفاقه ، واتجهوا نحو مهام اخرى ، وهناك تفاصيل ذات مغزى ، وهي أن العديد من الجنود الاحتياطيين كتبوا اليهم يعبرون لهم عن دعمهم .

---

١٧ ـ شهادة جورج ماتيي

٩

« السرعة القصوى »

في فجر عام / ١٩٥٩ / ، استعادت الشبكة نفسها بعد أن أعيد تنظيمها ، اثر الاعتقالات والانهيارات والفرار الى الخارج التي ابتليت به الأشهر السابقة ، ومدت الشبكة فروعها في جميع المحافظات الفرنسية ، وأخذت تدور بكامل مردودها . اذا اجتاز الوضع ، نجد جانسون في المركز ، يعمل بلا كلل ويشرف على كل ما هو جوهري ، وقد طغت عليه الاهتمامات العملية ، وكان يحتل على عشرة مواعيد يوميا ، ويغير دائما الشقة التي يسكنها ، ويجتاز الحدود البلجيكية والسويسرية والالمانية عدة مرات في الشهر ، ويتشاور مع بوداود ، ويلتقي بحداد حادة ، ويتدبر اموره أيضا ليكتشف متطوعين جدداً ، يقرر ويأمر ، ولا يشغل نفسه بحديث بلا مغزى ، فقد تحول المفكر الى رجل عمل ، ومع ذلك فانه من غير المؤكد ان تعجب السرية بالفلسفة ، وهو يحلم غالبا بالزمن الذي كان يستطيع فيه أن يفكر ويكتب ، إلا أن السباق الرهق قد جرفه بتياره ، ولم تعد لديه لحظة للتأمل ، ولم تكن الشبكة تقاد بالمركزية الديمقراطية ، وكانت المناقشات تجري قصيرة حسبما تسمح بذلك المهمات الكثيرة ، كما كانت المهمات الملموسة هي ذات الاولوية ، وكان التضخم سريعا في هذا المجال .

كانت النشاطات مقسمة نظريا الى قطاعات كبرى ، فالعمل الاساسي الذي يعتبر عصب الحرب ، هو جمع الأموال ونقلها . وكانت هيلين كوينا تشرف على هذا القطاع ، وتبين أن النقية التي وضعت في عام / ١٩٥٧ / كانت مرضية للغاية ، فقد أصبحت الجبهة سيدة الموقف في فرنسا ، وكانت المبالغ المجموعة تزداد ضخامة يوما بعد يوم ، وتتطلب يدا عاملة متزايدة ، اذ يجب القيام بالعمليات المحاسبية لنصف مليار فرنك (قديم) شهريا ثم اخراجها ، أي ما يعادل عشرة صناديق كبيرة من الأموال ، كان الوكلاء يتقدمون في تاريخ محدد إلى الشقق التي تجمع فيها الأموال ويسلمونها ، ثم تنقل هذه الى المركز ، وتسلم هيلين كوينا أو الين شاربي هذا الكنز الى كوريل ، وقد لزم للمبالغ المجموعة في المنطقة البارزية وحدها ، عشرة مراكز استقبال ، وثلاثة للمحاسبة ، ونقطة مشتركة لاخراجها ، وكان عشرون شخصا يقومون بكل هذه الأعمال ، ان هذه الأرقام تعطي فكرة عن النشاط الذي قامت به النواة الاساسية لاستقطاب كل هؤلاء الاشخاص . لقد أظهر جاك شاربي ، الممثل المسرحي الذي كان يريد الذهاب للقتال في الجبال الجزائرية ، موهبة كبرى في هذا المجال (ووقع) الى منصب رئيس العاملين لتجنيد المتطوعين . فكان دائما في حالة تأهب

(للانقضاض على ضحية جديدة) ، ولم يكن له نظير في حمى المناقشات نحو حرب الجزائر ، ليجرب ردود فعل عائلته ، (فضرب) في وسطه الفني (وابلى فيه بلاءً حسناً) .

ومثال على ذلك . كان شاربي ، في خريف عام / ١٩٥٦ / ، يمثل في مسرحية لمارسيل ايميه في مسرح لاتلييه . فاقترح احد افراد الفرقة المسرحية على الفنانين ، الوقوف دقيقة صمت قبل بدء المسرحية ، اجلالا لأرواح المتمردين الذين قتلوا في بودابست بقنابل الدبابات السوفيتية . فأجاب احد الفنانين (اتفقنا ، بشرط ان تكون دقيقة الصمت أيضاً اجلالا لمن يعذبون من الجزائريين) . وكان المتحدث يدعى جاك ريبال ، الذي انضم الى حرب الانصار في فرنسا ولم يبلغ السابعة عشرة من عمره ، في مقاطعة الدور دونيه ، وكان حزبيا شيوعيا منذ عام / ١٩٤٧ / وحساسا جدا تجاه قضايا الاستعمار وكأنه مسلوخ وهو حي ، وخلال حرب في الهند الصينية ، قام بدور في مسرحية كتبتها هيلين بارملان بهدف الدفاع عن هنري مارتان الضابط البحري الشيوعي ، الذي سجن لأنه وزع منشورات ضد الحرب في الهند الصينية . وقد نقل مارتان الى سجن بريست ، ودفعت الجرأة بالفرقة الى تمثيل المسرحية تحت اسوار قلعة السجن .

وابتعد ريبال عن الحزب الشيوعي اثر احداث بودابست . اذ أنه كان يقف دائما الى جانب الضحية ، وأثارت روح المعاداة للاستعمار التي يتحلى بها بالباقي . وبعد سنتين خرج ملفه من المصنف ، فأخذ شاربي منذ نهاية عام ١٩٥٨ ، يضغط على زميله ليصبح محبا للاموال ، فطلب ريبال مهلة للتفكير ، وناقش الموضوع مع زوجته ، وقبل اقتراح رفيقه ، وبعد فترة وجيزة من ذلك حل شاربي ، في شارع لوكاربو في سورين ، ومعه الصناديق الثالثة : جزء من الاموال المجمعة في شهر كانون الثاني (يناير) عام / ١٩٥٩ / ، يجب عدها خلال الليل ، وكانت تبلغ تقريبا ثلاثمائة مليون[1] (قديم) وتكررت العملية كل شهر .

أما اندريه توران فقد تعرف عليه شاربي في فرقة مسرح (غرونيه دي تولوز) ايام تحرير فرنسا ، وبعد ذلك كمس توران الذي تابع دراسته في المدرسة الاستعمارية ، ثم (وللغرابة) ، كرس نفسه للمسرح ، وقام بعدة جولات فنية في الجزائر ، وكما حدث مع لورانس باتاي ، عاد توران مثقلا بالحنق والكراهية ، وبما انه كان معاديا لسياسة لاكوست في الجزائر ، كان يحتج بعنف عندما يذهب الى السينما ، ويرى شريط الاحداث التي تمجد عمليات التهدئة ، ولم يكن يفهم لم يتوصل اليه زميله ومرافقه شاربي بأن يكون معتدلا في احتجاجه . حتى جاء ذلك اليوم من عام / ١٩٥٩ / . فحصل على شرح لهذا الحذر الغريب عندما قال له شاربي (انك تنبح طوال الوقت ضد الحرب . . . فهل انت مستعد ان توافق نشاطاتك مع اقوالك ؟ انا وبعض الاصدقاء نقدم خدمات للجزائريين فهل تريد أن تكون معنا ؟) .

- طبعا

- هناك مخاطر .

---

1. محادثة اجريت مع جاك ريبال في الجول (سبتمبر) ١٩٧٨ .

ـ طبعا[2].

فلوي توران جزائريين لا يعرفهم ، وخبأ حقائب مليئة بالأموال في خزانة مطبخه ، وشارك مرة او مرتين في عبور الحدود ، وجر معه في طريقه صديقته هنريت كونت ، وهي الاخرى كانت ممثلة كوميدية من فرقة (غرونييه دي تولوز) ، وعندها غرفة خدم مفيدة جدا في المبنى رقم (٤٦) شارع تبرك ، ونام فيها حداد حمادة المنسق العام لاتحاد فرنسا عندما اقتضت الظروف ذلك .

وطوع شاربي الذي لا يعرف الكلل ، جورج بيرجيه ، وهو الآخر ممثل كوميدي كالعادة ، وقد التقى المناضلان في اجتماع عقده اتحاد اليسار الاشتراكي الذي ورث اليسار الجديد . كان بيرجيه شاعرا ، ونشر بعض الابيات في مجلة (اسبري) ، وأعلن انه مستعد للمساهمة ، واقترح العمل نفسه على أحد اصدقائه ، روبير ديتانغ ، وهو مصور محترف ، ووضع هذا الأخير شقته تحت تصرف الشبكة .

اما بول كروشيه (كوميدي آخر . .) فقد بدا متحمسا عندما اودعه شاربي ، جزائريا بدون مأوى وها هو يقول (لقد كنت مستعدا لعمل كل شيء من أجل الجزائر ، فقد كان اجدادي فلاحين عبيدا ، استغلوا خلال قرون ، وقد كنت اشعر بأنني قريب جدا من الفلاحين الجزائريين ، ولم اكن استطيع قبول استغلال الجزائريين باسم بلادي ، أي باسمي شخصيا[3]) ، وفتح كروشيه باب شقته الكائنة في (٣٣) شارع هاكسو (لأخوته) الجزائريين وكان حداد حماده يحب قضاء الليل فيها

وكروشيه هو الذي اتصل بجاك تريبوتا ، المخرج التلفزيوني ، والشيوعي منذ عام ١٩٤٥ / ، الذي التحق منذ الخامسة عشرة (بحزب المعدومين) وتخرج من معهد الدراسات السياسية العليا[4] وانهى خدمته العسكرية في دائرة الخدمات السياسية التابعة للجيش . لقد جرحه بعمق تصويت حزبه على السلطات الخاصة ، وعندما سرح بدأ بدراسة التاريخ في السوربون ووجد نفسه في خلية من خلايا الرافضين ، وكان دوني بيرجيه من الواعظين فيها ، ولم يكن تريبوتا قد نضج بعد للدخول في (المؤامرة) وكان يحذر الجبهة وتعصبها الوطني ، ولزمه ثلاث سنوات للتورط ، وكان بول كروشيه قد مثل في فيلم المخرج الذي أخرجه تريبوتا . وعندما قدم له كروشيه صديقا جزائريا لا يستطيع النوم في الفندق ، لم ير تريبوتا سببا لأن يرفض ، وقام حداد حماده بزيارات ليلية له ، وبقي المفتاح على الباب باستمرار .

كان تريبوتا يجهل وجود شبكة منظمة ، كما يجهل المنصب الحقيقي لحداد ، الذي كانت تقوده الى داره صدف الحياة السرية ، إلا أنه كان يقدر ذلك الشاب الهادىء المصمم الذي يطرح بتعقل ، معركة بلاده ومستقبلها ، وقد قاومت الروابط التي نشأت في الشقة الصغيرة الكائنة في شارع آساس ، مرور الزمن ، ولا

---

٢ ـ مقابلة اجريت مع اندريه توران في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥ .

٣ ـ مقابلة اجريت مع بول كروشيه في كانون الاول ديسمبر ١٩٧٥ .

٤ ـ معهد الدراسات السياسية العليا ,I. D. H. E. C .

يستطيع تريبونا اليوم أن يتحدث عن صديقه ، دون ان يتأثر وتسيل الدموع من عينيه [٥] وكانت زوجته ليز ابنة أحد كبار الأطباء داخلة في اللعبة أيضا .

هل يجب علينا أن نبين بأن جاك شاربي هو الذي أقنع المخرج راوول سانغلا بشراء شقة باسمه قرب مقبرة بيرلا شيز ؟ولم تطأ رجل سانغلا أبدا ارض هذه الشقة ، وهذا منطقي : فقد دفعت الجبهة الثمن وتم شراء او استئجار شقق وسيارات بهذا الأسلوب ، وكان يكفي أن يعير أحدهم اسمه ليصبح رسميا مالك الدار أو السيارة ، وقدم الكثيرون هذا النوع من الخدمات دون أن نستطيع القول بأنهم انتموا الى الشبكة .

استمر جميع الفنانين في عملهم وكأن شيئا لم يحدث ، فهذا يمثل على المسرح وذلك يمثل فيلما ، وآخر يحقق برنامجا خاصا للتلفزيون ، كانوا يؤمون دائما المطاعم نفسها بالأوقات نفسها ، ولم تكن بالطبع أوقات عامة الناس ، ولم يكن ذلك عملا مجنونا نظرا لصعوبة العمل السري وقسوته . فأي شيء كان طبيعيا أكثر من ذلك ؟ . . فشاربي يلتقي بكروشيه الذي يصادف تريبونا . . وبين مشهدين أو بين حفلتين يتبادلان عنوانا أو أمرا ، ويقومان برحلة عبور ، وكان الجميع يعملون ذلك . . . أو يسلمون أو يخفون حقيبة . . أو يأخذ أحدهم علما بأن (السيد جان)[٦] سيقضي الليلة عنده . . . وكان هذا النشاط في الكواليس في الواقع أقل فولكلورا مما يبدو عليه .

أما بالنسبة لشبكة طرق التحرك ، فيبقى جاك فيه الرجل الأول ، فخلال صيف ١٩٥٨ ، بعد ان أقامت اللجنة الفيدرالية في دوسلدورف ، أدار اتجاه بطاريات مدفعيه من جبال البيرانيه الى مقاطعة السار الألمانية ، وكانت مجموعة اخرى باتجاه سويسرا تسير سيرا حسنا ، وكان الضابط الفار جان لوي هورست هو المستقبل ، والتقنية ثابتة مستقرة : تستخدم سيارتان تفتح الأولى الطريق لتنذر في حال ظهور حاجز أمني ، وتنقل الأخرى (الزبون) . عملية بسيطة لا تعقيد فيها ، ولكن ، وفي كل مرة ، وخزة في القلب ، وتكور في المعدة وحلق ناشف . وكان العبور يعني دائما توترا وانتباها شديدين ، فلا بد من اعصاب قوية ومقاومة جسدية كبرى ، فآلاف الكيلومترات ، لا تتلف اطارات السيارات فحسب . ولا بد من الشجاعة فقط . أهو مجرد صدفة ، ان يكون في مجموعة فنيه غالبية من النساء ؟ فهناك سيسيل ماريون التي نظمها شاربي وبدأت عملها باستضافة كوليت جانسون ، الا ان فيه لاحظ عند هذه الفتاة تصميما نادرا وعاقبها بامتحان انتقال وعبور . فاجتازت الحدود دون ان يكون معها احد ، ومر الامتحان دون ان ترتكب غلطة واحدة ، وأصبحت سيسيل ماريون (ماريا بالنسبة للشبكة) مختصة في العبور ، وكانت تقوم بمهماتها بوتيرة جنونية ، واكتسبت قدرة وسيطرة مطلقة .

أما حب المغامرة ، فلم يستثن دومينيك داربوا ، التي انضمت وهي في الثامنة عشرة من عمرها الى

---

٥ ـ مقابلة الحديث مع جاك تريبونا في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥ .
٦ ـ اسم مستعار مألوف للشيء .

المقاومة الفرنسية ، ثم سافرت بعد ذلك الى الهند الصينية والصين وكمصورة ، شاركت في عام ١٩٥١ في بعثة أزيموك أمازون الاستكشافية مع فرانسوا مازيير، وكمستكشفة ، دارت العالم كله وعادت بوثائق وكتب مصورة من نوعيات جيدة . وبعد أن اتصل بها فيه ، أدخلت في الشبكة مع رسامة أمريكية ، هي غلوريا دوهيريا وفنانة في الخزف تدعى فيرا هيرولد .

كانت كوليت جانسون تجوب الطرقات أيضا وتقطع مسافات جنونية ، وفي يوم من شباط (فبراير) ١٩٥٩ حدث لها اصطدام تركها طريحة الفراش ثلاثة أشهر ، فالارهاق والجليد قد يصيبها أيضا في الحياة السرية . فالاتصال الدائم والاساسي بين اللجنة الفيديرالية المقيمة في المانيا ، وحداد هاده ، يتطلب جهازا منظما يسير بالدقة في كلا الاتجاهين ، ولا بد من إخراج الكوادر التي تم التعرف عليها أو التي تتطلب نهايتها إجراء مناقشات على مستوى القمة ، وبالعكس ، وبالنسبة لكل قطاع ، يدخل مسؤول خارجي منتظم الى فرنسا ، لكي يتأكد من حسن سير اللبنة التي يشرف عليها . وقد حدث بأن تدعو اللجنة الفيديرالية لاجتماع شامل يحضره جميع رؤساء الولايات . وقد حدث ذلك مرتين ، وعقد الاجتماع الأول في منزل نادرا ما يقصده أحد في ضاحية فيليه لوبل شمال باريس . وكانت الدار ملكا لابن جنرال ارتبط اسمه ارتباطا وثيقا (بأحداث الجزائر) . أما في المناسبة الثانية فقد اجتمع أركان الفيديرالية في قلب باريس ، في شارع الشانزيليزيه ، في مكاتب شركة للانتاج السينمائي يديرها روجيه بيغو ، وسيرج و بجياني ، اللذان قدما المفاتيح . إن هذا النوع من المناسبات يتطلب ، بالنسبة للشبكة ، استنفارا عاما ، فنقل العشرة رجال الذين تبحث عنهم كل عناصر الأمن ، وهم المطلوبون أكثر من أي شخص آخر وإخفاؤهم وإيواؤهم ، ليس عملية هينة .

أما جيرار ماير ، الذي فر من الجندية في أيلول ، في الوقت نفسه الذي فر فيه جان لوي هورست ، فلم يعد يطيق حياة المنفى في سويسرا ، وكانت الجبهة تدفع له راتبا شهريا بواسطة بيرتليه ، وقد لجأ عند فوضوي يدعى أندريه بوسنجر ، يساعد بكل ما يستطيع من قوة كل من يقاومون الحروب الاستعمارية ، إلا أن الخمول أثقل على ماير ، فقرر العودة الى فرنسا والانخراط في (الكفاح السري) ، الامتداد الطبيعي لفراره من الجندية . فاستقل الباخرة في جنيف وعبر البحيرة الى إيفيان ، ومنها انتقل الى باريس ، واختبأ عند الطوائيت أوران أخت لوي ، ثم اقام بعد ذلك في بيت جانسون في شارع أكاسيا ، لقد كانت لديه اوراق مزورة باسم كزافييه مايل ، مواطن بلجيكي ، وأخيرا تسلم مفتاح غرفة في الحي الخامس عشر قرب كيه جافيل . وها هو (ماير ـ مايل) يعمل بسرية تامة كضابط ارتباط على خط باريس ليون مرسيليا وكان دائما بين قطارين او بين موعدين أو بين مسكنين، يتألم من حياة الفرار والوحدة التي يتعودها المناضلون المحترفون . فالسرية تجبر على الاتصالات العابرة والكلمات المعدودة المحسوبة . أما الكاثوليكي ماير المتعود على الحوار ، وإفشاء السر ، فقد وجد نفسه غريبا في جسده ، فكان يرافق في السفر جاكلين كاريه ، عاملة ضمها فيه الى الشبكة ، ويلتقي أحيانا بجان كلود بوبير وهو مسؤول عن السفريات مثله ، ويستحق أكثر من أي شخص آخر لقب حمال الحقائب . استدعي بوبير الى الخدمة الاحتياطية ، وكان من بين المتمردين في

معسكر مورملان قبل أن يرسل ، ككل الرؤوس الساخنة ، في إحدى الوحدات المقاتلة . وهناك اكتشف (البؤس البيولوجي والفيزيولوجي لشعب بكامله) ، ولاحظ بصورة خاصة بأن التعذيب ليس قضية عابرة عرضية ، بل هو نظام متكامل ، لذلك قال (كلنا جلادون) ، ويصفعه هذا الاكتشاف . وبوبير الذي عاد الى فرنسا كان رجلا مهتزا قلقا ، وبحموما فقابل روبيربارا عندما كان يتم وضع كتاب (الاحتياطيون يدلون بشهاداتهم) وبعد سنة من التفكير تردد خلالها بين الشرعية واللاشرعية ، أبلغ الصحفي بأنه يرغب في مساعدة الجزائريين ، وفي آذار (مارس) ١٩٥٩ وفي منزل بارا في داميير ، كان جانسون وماتيي هناك مدعوين من بارا بعد مداخلته في محاكمة المجموعة التي حاولت اغتيال سوستيل ، وكان بوبير هناك . فاختص في النقل . ووقعت مهمة جولات توزيع مجلة (الحقيقة لأجل . . . .) على ماتيي ، وفي الوقت نفسه أتت مدرستان هما جانين كلهن من مدينة مولوز أصلا ، وميشلين بوتو مدرسة اللغة الانكليزية ، فدعمتا الشبكة .

مما لا شك فيه أن (السيد جوزيف) فنان كبير ، فيكفي أن تقدم الطلب ليرد لك عملا لا عيب فيه ، تخطىء فيه حتى العين المجربة . ذلك أن جوزيف أتقن المهنة كثيرا بحيث يستطيع البيع منها ، فمنذ سنوات وسنوات وهذا العضو السابق في عصابة (الأرغون)[٧] يصنع الأوراق المزورة ، وهو لا يسمى في الواقع جوزيف كاتز بل أدولفو كامينسكي ، وهو بولوني كما تدل كنيته ، وله صلات عائلية بالأرجنتين كما يدل على ذلك اسمه . أما بالنسبة لجميع محترفي الثورات فهو جوزيف فحسب ، وبعد أن اتصل به فرانسيس جانسون الذي أخذ علماً بوجوده بأسلوب ما ، قبل المزور أن يكرس مواهبه في خدمة الشبكة فقط ، وبعد أن ذهل فيشه بنوعية عمل المزور اقام له ، بدعم مالي من الجبهة ، مخبرا حقيقياً مجهزاً بآلات الطبع من أحدث ما وجد ، الا ان التقنية في هذا الفن الصعب لا تحل جميع المشاكل ويلعب الخيال دوراً هاماً .

يقول جانسون (ذهبت يوماً الى المخبر ، الذي كان على مقربة من البورصة ، وطلبت من جوزيف أن يصنع لي جواز سفر سويسرياً ، وكان ذلك نوعا من التحدي ، فكل المزورين وكل الشرطة يعرفون بأن هذا الجواز يستحيل تقليده ، فهو مصنوع من ورق خاص منقح يمنع أي تزوير ، فباللمس وحده يكتشف أي حركي الوثيقة السويسرية) .

ويضيف جانسون (عمل الرجل ثمان وأربعين ساعة متوالية دون ان يصدر عنه أي احتجاج ، وكان يصطدم دائما بنوعية الورق . وفجأة ضرب على جبينه ، ونهض صامتا ، وخرج ، ثم عاد بعد قليل ومعه رزمة من الشاش الذي تربط به الجروح . وقصه على شكل شرائط رقيقة وأدخلها في الورقة ، وكان جواز السفر جاهزا لا عيب فيه) .

---

٧ . منظمة يهودية ارهابية كانت توجه ضرباتها للجيش البريطاني وحلت في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ عند قيام (الدولة العبرية) . . .

ـ الأعمال الفنية لجوزيف ليس هناك أية مشاكل ، إلا أن إلحاح بعض رجال الحدود والجمارك الفضولي كان يسبب شعوراً مريباً قوياً . ففي أحد الأيام ، كان فرانسيس جانسون يجتاز الحدود السويسرية ، ويكون المرور عادة روتينيا ، ولكن الحرس السويسري غاب هذه المرة نصف ساعة بالجواز المغربي ، الذي سلمه له جانسون ، وبدأ المسافرون يستغربون هذا التوقف . وها هو الشرطي يعود وبيده الجواز ، ويدخل الى حجرة القطار ، ويجلس مقابل جانسون وينظر في عينيه وهو يقول ، أي يا سيد ما هذا الجواز ؟

ـ إنه جوازي ، أجاب جانسون متلعثماً .

ـ إنه جوازك ، أليس لديك تاريخ ولادة ؟

ولعن جانسون نفسه لأنه لم ينتبه الى هذا السهو فأجاب :

ـ كما تعرف ، في المغرب ، عندنا السجلات غير مضبوطة مثل اوروبا . إلا ان الرجل الح ، أنك لا تنوي إقناعي بأنك تجهل متى ولدت ؟

فشحب وجه جانسون وانفجر :

(حذار ، إنك تلوث ذكرى والدتي ، هي كانت تعرف متى ولدت ، إلا أنها لم تعد من هذا العالم لتقوله لي . . .)

ومسح جانسون دمعة ظهرت في عينيه ، ووجد الرجل نفسه في موقف حرج فانسحب ، ومرة أخرى سارت الأمور أيضا ، كانت القصة لا تصدق ، ولكنها قصة حقيقية ، فقصص من هذا النوع لا تصدق ، إلا أن كل عضو من أعضاء الشبكة ، عنده عشرة منها جاهزة تحت لسانه .

كان بين يدي جانسون عشرون هوية ووثيقة مزورة ، لأحكام التغطية ، فهو مجهز بمجموعة كاملة ، من الهويات الشخصية وإجازات السوق ، وإجازات الصيد ، وإجازات صيد السمك ، وهويات الضمان الاجتماعي وغيرها . وكان يغير اسمه حسب مشيئته ، وكان همه الكبير الهويات الشخصية البلجيكية ، فهي تضم العناوين المتتالية التي أقام فيها حامل الهوية ، وعليه ان يحفظها جميعا . كانت الأمور تسير على ما يرام في القطاع الفالوني ، اما في القطاع الفلامانكي ، فإن المشكلة تتعقد ، وبعد مضي عشرين عاما يرتعد رئيس الشبكة عندما يتذكر ذلك . . .

كانت الأوراق التي يحملها أفراد الشبكة بصورة عامة ، أوراقا حقيقية مزورة ، يتم الحصول عليها من بعض المتعاطفين الذين (يفقدون) حقائبهم الشخصية ، ويعلنون عن هذا الفقدان في مخافر الشرطة ، ولا يبقى سوى قلع الصورة ووضع صورة جديدة بدلاً من الصورة القديمة ، وتقليد الختم . وكان ذلك بالنسبة لجوزيف لعب أطفال .

وبواسطة (أجهزة) أخرى لا نستطيع الكشف عنها ، (تعار) هويات جديدة من قبل بلديات بتمتع

أفراد الشبكة بدعم لدى بعض من فيها ...

كانت قيادة فيدرالية فرنسا تعتمد أيضا على شبكة أخرى مستقلة عن شبكة جانسون . فقد تعدت المجموعة التروتسكية ، من الأممية الرابعة ، التي نشطت منذ البدء ، مرحلة العمل الدائي ، وكانت تستفيد من فروع الأممية الرابعة المنتشرة في كل أوروبا . وقامت المجموعة الفرنسية ، التي تضم / ٢٠/ عنصرا على الأكثر ، بنشاط واسع جدا في خدمة الثورة الجزائرية ، فأقيمت شبكة عبور الى بلجيكا ، فقد كان من بين التروتسكيين البلجيكيين موظف جمارك ، كانت معلوماته ونصائحه ثمينة للغاية ، وكان العبور الى بلجيكا أمينا جدا بحيث استخدمته قيادات الجبهة غالبا . ومنذ الثالث عشر من أيار ، استقر القائد التروتسكي ميشيل رابتيس الملقب (بابلو) في هولندا . واذا كان قد حافظ على الاتصال على مستوى القمة مع بوداود ، إلا أن المسؤول الأول عن العمل السري الذي يقوم به الحزب الشيوعي الأممي في فرنسا ، هو شاب يعمل في التعدين ، يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، يسميه رفاقه الفرنسيون والجزائريون (سيرج) ترك عمله في جونفيليه وتفرغ للنشاطات السرية . كان حزبه يدفع له راتبه ، وكان منظما لا مثيل له .

مضت سنتان ، والتروتسكيون يؤمّنون طبع منشورات جبهة التحرير في مبنى يقع في شارع دوبور سان دوني ، تحت غطاء تجاري .

وفي عام ١٩٥٩ قرر (سيرج) بأن المكان الذي كانت قد قدمته الجبهة استخدم كثيرا ، وانه يجب تغييره ، وبررت عملية بوليسية لتفتيش المبنى بعد عدة أشهر هذا الحذر .

وحوّل محل جديد في شارع مالاكوف الى مطبعة ، ولتبرير ذهاب وإياب سيارات النقل ، موه المكان على أنه مخزن للكتب القديمة ، ووضعت مجموعة من الكتب القديمة ، التي تم شراؤها من الباعة المتجولين في المدخل . أما في القبو فقد بنيت غرفة كاتمة للصوت لمكافحة الضجة الكبرى التي كانت تحدثها الآلة الناسخة ، فغطيت الجدران بالصوف الزجاجي ، ووضع عازل على أرض الغرفة ، وذلك لخنق الصوت قدر الامكان . وكانت النتائج مرضية ، وهكذا أصبح ممكنا تشغيل الآلات بأقصى مردودها . ويقول (سيرج) (كانوا يطلبون طلبات ضخمة ، وكان علينا أن نسحب بسرعة منشورا على مئة ألف نسخة ، وكنا نبذل كنوزا من الخيال والحيل لكي يبقى ورق الحرير جيدا ، وقد يصل استخدام الأصل حتى خمسين ألف نسخة ، وكانت الآلة تشتغل كثيرا ، وغالبا ما كانت تتعطل ، وبما أنه من المستحيل دعوة أحد لتصليحها فقد تعلمنا تفكيك الآلة كلية ، وصدف مرة انه تعذر علينا ان نجد العطل ، فوضعنا الآلة في عربة ، من تلك التي يستعملها البائعون المتجولون ، وشرحت للمصلح بأننا نعمل في سيرك متجول . أما بالنسبة للورق فكانت مستلزماتنا منه ضخمة جدا ، وهكذا أضطررنا إلى شرائها من عدة أمكنة ، وكنا ندفع السعر مباشرة)[8] اما المجال الذي برز فيه (سيرج) ورفاقه بفعالية واضحة ، فكان مجال تزوير الوثائق .

---

٨ ـ محادثة اجريت مع المؤلفين في نيسان (ابريل) ١٩٧٩ .

تعلم التروتسكيون الكثير وهم الذين لم تكن لديهم خبرة سابقة . في البدء كان الجزائريون المقيمون في فرنسا يحملون هوية شخصية جزائرية ، وهي عبارة عن ورقة من صفحتين ، تكتب المعلومات فيها بخط اليد ، وتختم بخاتم عادي ، ولا يتطلب تقليدها خبرة كبرى ، إلا أن حمل الهوية الوطنية الفرنسية صار إجباريا ، وهكذا أصبح تقليدها يتطلب خبرة أكبر : ففيها خيط معدني والخاتم بارز ، وبه حروف طباعة خاصة ، فأصبح (الاحتراف) ضرورة ، ويروي (سيرج) اليوم الأسلوب الذي قاد الى تقليد لا عيب فيه فيقول : (كان لا بد من الحصول على بطاقات غير مكتوبة ، فقام مصور بتصوير كليشيهات ، وبعثنا بها الى طابع هولندي مناصر ، وبعد تجارب عديدة على الورق ، توصل الى نتائج مرضية ، وكنا ندخل الهويات الى فرنسا بأساليب مختلفة ، والقطارات أضمن هذه الأساليب ، ففيها مخابىء طبيعية ، تحت المقاعد وجدران المراحيض التي يمكن فكها بسهولة بواسطة مفكات صنعناها) .

ومع ذلك بقي الأهم : وهو ملء هذه الوثائق ، وظهرت الصعوبات الأولى ، فكانت محافظة باريس تستخدم حروفا خاصة ، وآلة كاتبة ضخمة ، يستحيل أن يحصل عليها شخص عادي ، فقام (سيرج) بزيارة مختلف المعارض التجارية ، وفي النهاية اكتشف آلة قديمة أمريكية من طراز فاري تايبر ، وكانت تضم مقاييس مختلفة من الحروف ، وبعد قياسات دقيقة ، تم اختيار نموذج من هذه الحروف ، تشابه تماما التي تستخدمها الدوائر الرسمية ، كما تتميز هذه الآلة أيضا ، بأن لسطورها نفس الأطوال المستخدمة ، ووجب بعد ذلك تهيئة الكبسات المعدنية التي تستخدم لتعليق الصورة ، وقام سيرج خلال اسابيع طويلة بالبحث ، تحت غطاء تجاري ، حتى حصل على مختلف هذه الأشياء التي تستخدمها مختلف الدوائر الفرنسية في المحافظات ، أما الخاتم فلم يشكل صعوبة كبرى يصعب التغلب عليها ، فاستؤجر مكان سري تماما ، وبدأ التصنيع وكان الجزائريون يقدمون صور المناضلين الذين هم بحاجة لهويات مزورة ، وبعد بضعة أيام يتسلمونها ، ووصل الانتاج الى عشرات الهويات أسبوعيا ، وأصبحت فترة التسليم تتناقص شيئا فشيئا ، وسمع سيرج أحد المناضلين يقول بعد تسليم هويته (حتى في المحافظة لا تتم الاجراءات بهذه السرعة) ، وكانت الشبكة التروتسكية تقدم لقادة الجبهة مجموعة كاملة من الأوراق المزورة : بطاقة ضمان اجتماعي ، وإجازة السوق ووثيقة الراتب من شركة رينو او شركة سيتروين ، مما يسمح بعبور أكثر الحواجز تدقيقاً .

اضطر جيش التحرير الوطني الجزائري ، أن يستخدم جميع الوسائل وفي جميع المجالات ، لكي يجابه الضغط العنيف الذي تمارسه القوات الفرنسية بقيادة الجنرال شال ، كانت المعرفة المتوارثة للثوار ممتازة ، إلا أنها لا تغني عن الحصول على الخرائط الطبوغرافية الرسمية ، والمشكلة ، هي أن هذه الخرائط الطبوغرافية العسكرية تعتبر وثائق هامة ، وتوزيعها محدود ، وعندما كلفت القيادة في تونس قيادة اتحاد فرنسا بالحصول على هذه الخرائط ، توجهت الى جانسون فيما اذا كانت لديه الامكانية ؟ وكانت الامكانية ، وكوربيل هو الذي وجدها ، حيث أقنع احد المجندين الذي كان يعمل في وزارة الدفاع ، بأن يخرج هذه الوثائق الثمينة ، وكان المجند يدس كل يوم للمصري رزمة منها ، وهذا يسلمها بدوره الى فيتيه ، الذي ينقلها الى شارع مدريد في نويي الى دومينيك داربوا ، التي تمتهن التصوير ، وتقضي الفتاة طوال الليل تصور ، وفي صباح اليوم التالي

تعود الخرائط الى مكانها في شارع سان دومينيك بالأسلوب نفسه الذي ذهبت به . ودام الأمر عشرة أيام دون أية مشكلة ، وأخذ فيبه على عاتقه نقل الصور الى المانيا ، فاستخدم سيارة بخزان مضاعف دبر فيه مخبأ . وكان المخبأ مختارا لا يمكن الكشف عنه ، إلا ان ذلك يتطلب التوقف كثيرا للتزود بالوقود ، وعند الوصول الى دوسلدورف ، تدخل السيارة في مرآب تابع للجبهة وترفع ويفتح المخبأ ، وتؤخذ منه علبة التوتياء التي تحتوي على الصور .

وبعد شهر من الحادث ، مر فيبه في دوسلدورف ، ورأى الصور ملفوفة بكل اعتناء في الشقة نفسها ، وقدر بأنها لم تستخدم مطلقا .[٩]

إن استخدام خزان الوقود المغشوش ، أسلوب يقدم أقصى الضمان والأمان لتمرير الأسلحة . وهكذا كانت المعدات التي تستخدمها المنظمة الخاصة ، تفك ، وتلف باعتناء ، وتدخل الى فرنسا . وكانت سيسيل ماريون ، التي أصبحت مختصة في فن العبور ، هي التي تقوم بهذا العمل الخطر وها هي تقص علينا ذلك فتقول : (كنا نأخذها من مرآب الجبهة في مدينة دوسلدورف ثم نتركها في مكان محدد تماما في باريس او في الضواحي ، فكانت النقلة تتم بواسطة سيارتين ، وبما أنه كان من الضروري التزود بالوقود كنا ننقل معنا صفيحات كبيرة)[١٠] . وكان بعض عناصر الشبكة يقومون بمثل هذه الرحلات ، وبعضهم قلق يتساءل عن الوجهة النهائية لهذه الأسلحة ، ويلاقي مشاكل مع ضميره ، إلا أنهم كانوا يستمرون مع ذلك ، إذ أن التزامهم الى جانب الجزائريين كل لا يتجزأ) .

كانت الشبكة فعالة ، وليس هناك أفضل من حداد حاده ، يستطيع الحكم على نشاطها بعد مضي هذا الزمن اذ يقول (إن أهم شيء هو المال ، وغذت مصادر الجلد فرنسا ميزانية الحرب للحكومة المؤقتة بصورة حاسمة ، ولولا دعم المناضلين الفرنسيين لكان تجميع الأموال وإخراجها أمرا صعبا ، ويمكنني أن أقول الآن بأن سند الشبكة لنا كان أمرا حيويا ، وإذا كنت قد استطعت الاستمرار كل تلك الفترة ، فالفضل يرجع في ذلك الى جانسون ورفاقه) .

وهكذا كانت الملايين تمر في نهاية عام ١٩٥٩ عبر الشبكة ، قبل أن تتكدس في خزائن مصرف سويسري . وكانت هذه المبالغ تشكل نصف الميزانية المخصصة للحكومة الجزائرية المؤقتة على الأقل . إن التقديرات البعيدة عن كل عواطف والتي يحملها إلينا حداد حاده بعد عشرين سنة ، تمكن من تقدير أهمية الدور العملي الذي لعبه الفرنسيون المعادون للاستعمار ، ومنذ ذلك الحين ، شم رجل العملية وبين مداها بدقة ، وهو بونلو لافاي الذي شجب من منبر مجلس الشيوخ (المساعدة الخارجية) التي يحظى بها الوطنيون الجزائريون ، واتهم بصورة خاصة المصارف السويسرية ، بأنها تتلقى المبالغ المجموعة في فرنسا من قبل

---

٩ ـ شهادة جاك فيبه .

١٠ ـ شهادة سيسيل ماريون .

الشبهة . ويرد (اتحاد البنوك السويسرية) بجفاء (أننا لم نجد أي أثر يبرر مثل هذه التلميحات) إلا أن المصرفيين السويسريين الخطرين أضافوا (أن كل مصرف في العالم معرض بأن يستقبل بصورة ملتوية ، ودون أن يعرف ذلك ، مبالغ لا يمكن أن يشك بمصادرها السياسية).

وذلك أمر طبيعي فالشيكات ليست مكتوبة باسم السيد فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

ومع ذلك فإن هذا التوضيح يرتدي شكل الاعتراف الضمني وإنه لمن الأكيد أن المصارف على ضفاف بحيرة ليمان قد رأت أمثال ذلك .

١٠

جان بول والآخرون

(أَ كنت أتأمل أن تكون أنت ، والآن كيف أحوالك ؟) . هكذا بادر جان بول سارتر فرانسيس جانسون ، ودون أن يترك له المجال للجواب تابع (أعلم أنني موافق مائة بالمائة على العمل الذي تتابعه ، فاستخدمني كما تستطيع . الذي أصدقاء أيضا ، لا يطلبون أكثر من أن يكونوا تحت تصرفكم ، قل لي ما هي حاجتك ؟)[١] فأخذ فرنسيس بشرح الوضع ، لقد أجل كثيرا ، وخشي كثيرا وتأخر كثيرا هذا اللقاء .

ترجع صداقة الرجلين الى اثني عشر عاماً خلت ، إلى عام ١٩٤٧ . ولم يكن فرنسيس قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، مغمورا لا يعرفه احد في عالم الآداب ، أتى ليحمل لسارتر كتابا ألفه عنه ،[٢] ذلك الرجل الذي تسميه الصحافة الصاخبة آنذاك بـ(بابا الوجودية) . فأرسل سارتر بعد أيام من هذا اللقاء الى ابن البلد المشهر رسالة كلها مديح . وكتب له قائلا : (إنك أول من يعطيني صورة عن ذاتي ، قريبة الى درجة تسمح بأن أتعرف على نفسي ، غريبة بحيث أستطيع ان أحكم على نفسي) وبعد باقة الورود هذه ، دخل جانسون في حلبة المقربين من سارتر ، وشارك في لجنة تحرير مجلة الأزمنة الحديثة التي أصبح فيما بعد مديرا لها . ولما كان متوافقا تماما مع تفكير سارتر فقد رافقه في توجيهاته السياسية : في التجمع الديمقراطي الثوري[٣] ثم في الكفاح ضد الحرب في الهند الصينية .

نشر ألبير كامو في نهاية عام ١٩٥١ كتابه الرجل المتمرد . وبعد تردد وقعت المهمة الصعبة على جانسون لانتقاد الكتاب لصالح المجلة . وأضاف سارتر وهو يبلغه ذلك (يجب أن يكون النقد قاسيا ومهذبا) وفي أيار - مايو - ١٩٥٢ صدر مقال جانسون ، خال من كل إبهام ، تحت عنوان (البير كامو أو الروح المتمردة) فرد كامو على المقال في عدد آب - أغسطس - الذي احتوى - ردا على الرد - لسارتر ورداً لجانسون .[٤] وبعد تبادل

---

١ - فرانسيس جانسون ، فلان معي سارتر ، دار نشر (لوسوي) ١٩٦٦ .
٢ - مشكلة الأخلاقية وفكر سارتر .
٣ - التجمع الديمقراطي الثوري ، أسسه سارتر وكلود بوردية ودافيد روسيه عام ١٩٤٧ .
٤ - حول هذا الجدل ، انظر فرانسيس جانسون ، سارتر في حياته ، دار نشر (لوسوي) ١٩٧٤ ، وهربرت لوتمان ، البرت كامو ، (لوسوي) ١٩٧٨ .

الردود كانت القطيعة النهائية بين سارتر وكامو . ومن المؤكد بأن مؤلف (طريق الحرية) لم يكن يرغب في الذهاب الى هذا الحد من المهاترة . ويبدو ان سارتر حقد على جانسون لأنه جره الى تحطيم علاقاته مع كامو

بعد أربع سنين من ذلك ، ساءت العلاقات بين سارتر وجانسون . ففي تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٦ تصادف جانسون ، وهو خارج من دار النشر لوسوي ، في شارع جاكوب ، مع الفيلسوف . فأخرج الفيلسوف ورقة من جيبه ، وطلب من جانسون أن يوقعها ، وكانت عريضة ضد التدخل السوفيتي في بودابست . فأعرب الشاب عن موافقته على كل ما ورد فيها ، إلا أنه كره أن يضع اسمه الى جانب أسماء البعض الذين يعتبرهم - سعداء جدا بهذا الوحل الدامي الذي تقله الى طاحونتهم مجازر هنغاريا - . فترك سارتر جانسون ببرود يسود علاقاتهما سوء تفاهم يسهل التغلب عليه . ولم يكن الانفصال عنهما . إلا أن سارتر طالب بإلحاح ان يسحب اسم جانسون ، الذي كان مديرا للأزمنة الحديثة . من المجلة . ولم يكن جانسون يرى حرجا في ذلك . فمهمة المدير هي قبل كل شيء ان يكون مسؤولا أمام العدالة عن المقالات التي تكتب في المجلة ، فالأفضل اذا أن يكون هناك رجل أفضل من عميل لجبهة التحرير الوطني الجزائرية . ومع ذلك كانت الهوة واسعة بين الرجلين ، مما دفع جانسون الى ان يتخلى عن طلب مساعدة الأستاذ ، في كفاحه لصالح الجزائريين .

إلا أنه لم يعد يطيق صبرا ، في نهاية عام ١٩٥٩ . ويقول جانسون بهذا المجال (في صباح ذات يوم ، عصف الصبر الذي لم أعد أطيقه للقاء بهذا الرجل ومجابهته ، عصف في أذني بهذا المبرر الجيد : انني اجد ان ليس من حقي ان أقف بين القضية التي أخدمها وبين رجال من أفضل الذين يستطيعون خدمتها ، بسبب تخوف ووهم شخصي . لقد كنا بحاجة الى سارتر . وكان علي أن أتوجه اليه ، وليحدث ما يحدث إذا أرسلني للشيطان)[5] فطلب جانسون الى إحدى النساء المشاركات في الشبكة ، وهي ماوسلين لوريدان ، أن تذهب وتقول لسارتر ان شخصا يريد التحدث اليه بأسرع وقت ممكن ، في شقة قريبة من مسرح هوبيرتو . وأخذ جانسون ينتظر والشك ينخره : (عندما دق جرس الباب حسب الايقاع المتفق عليه ، كنت على يقين بأنه لم يبق أمامي سوى سماع مبعوثتي تقدم لي الاعتذارات الحزينة ، إلا أن سارتر نفسه دخل الغرفة) .

اقترح عليه جانسون حالاً أن يدلي بتصريح لصحيفة (الحقيقة لأجل . .) وطرح عليه مجموعة متوالية من الأسئلة . فحرر سارتر أجوبته دفعة واحدة ، ونشرت المقابلة في العدد التاسع المؤرخ في ٢ حزيران - يونيو - فأجاب سارتر ، الذي كان واعيا تماما للمخاطر التي قد يجابهها ، إلا أنه كان مع ذلك مقتنعا داخليا بأن أي شر لن يصيبه ،[6] معلنا دون تحفظ عن تضامنه مع الفرنسيين الذين يساعدون جبهة التحرير الوطني . كان السؤال الأول يستهدف موقف اليسار الفرنسي من الروح الوطنية الجزائرية . فأجاب سارتر (ان ما لا يمكن

---

٥ - فلان صمي سارتر .
٦ - مقابلة اجريت مع جان بول سارتر في حزيران (يونيو) ١٩٧٨ .

تصديقه ، بأن يتمكن رجل يساري من أن يعلن عن تخوفه من هذه الروح ، أنه من المؤكد أن هذه الروح الوطنية ، مثلها مثل كل الوقائع التاريخية تضم قوى متعارضة ، إلا ان ما يجب علينا ان نأخذه بعين الاعتبار ، هو أن الجبهة تتصور الجزائر المستقلة على شكل ديمقراطية اجتماعية وانها تعترف ، في أوج نضالها ، بضرورة القيام بإصلاح زراعي ، فمهما كان أصل هؤلاء المقاتلين ومنطلقهم ومهما كانت أهمية المعتقدات الدينية بالنسبة لهم ، فإن ظروف كفاحهم تجرهم نحو اليسار ، كما فعلت ظروف المقاومة الفرنسية بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥ . . . فإذا أخافت الروح الوطنية الجزائرية ، بعض المجموعات اليسارية التي يجب أن تجد فيها تجربتها الخاصة وماضيها ، فذلك لا يعني اننا أصبحنا يمينيين حقيقيين . إلا أن السبب العميق ، هو العكس ، هو روح الوطنية لدينا ، فاليسار يريد ان يكون فرنسيا ضد امبريالية المعسكرات ، إلا أنه يسقط في خرافة الوطنية اليمينية ، أن اليسار يخشى ان يخون . ويبحث عن موافقة كل الفرنسيين ، إنه يطالب بشهادة بالوطنية).

وبعد أن حلل سارتر ركود الطبقة العاملة الفرنسية ، حصيلة نظام السيطرة (الذي يقود العامل الفرنسي ، الى أن يجد نفسه أقرب الى صاحب معمله منه الى أي مواطن لبلد تحت الأستعمار) ، أكد بكثير من التفاؤل ، أن العمال الفرنسيين اليوم ، متضامنون مع المقاتلين الجزائريين ، لأن لهؤلاء وأولئك مصلحة ملحة في تحطيم العلاقات الاستعمارية ، فمن الممكن إذن التحرك (التي أوافق تماما على ما تقوم به «الحقيقة لأجل . . . » عندما تحاول تشكيل مجموعات من المناضلين ، مجموعات تستطيع من خلال عملها ، ان تبدأ القضية من القاعدة ، وتعمل على القضاء على الخرافة . فإذا كان بإمكان اليسار أن يولد ثانية ، فإن الجماهير هي القادرة على بعثه ، فالقضية الأساسية ، تلك التي تسحب يسارا آخر ورجالا آخرين ، هي خلق الوعي العملي لدى الطبقة العاملة بأهمية تضامنها مع المقاتلين الجزائريين).

ووضع سارتر خطاً تحت كلمة عملي ، في النص الذي كتبه ، وهذا يعني في عقليته بأن الالتزام لا يمكن أن يبقى كلاميا ، واتفق جانسون وسارتر مع ذلك بأن لا يحمل الفيلسوف بنفسه الحقائب . فضرورات الأمن الأولية ، تمنع فعلاً أن يعمل على مسرح العمل السري نجم اشتهر وجهه وقوامه مثلما اشتهرت بريجيت باردو . إلا أن سارتر بالمقابل ، حرض أصدقاءه على التورط . فها هي سيمون دو بوفوار تعير سيارتها وشقتها ، واستقر جهاز التحرير في عطلة الأزمنة الحديثة فعمد برنار بينو ، ومارسيل بيجو ، وكلود لانزمان الى إيواء جزائريين ، وتبرع ميشيل ليري بمبالغ . والأهم من ذلك ، هو أن سارتر قدم لجانسون فتاة ، كان يحبها كثيراً ، هي أرليت القائم ، وهي من مواليد قسنطينة ، حادة الذكاء ، جذابة ، تحمل كل الوداعة على وجهها ، وتظهر عفوية الغزال القلق في كل تصرفاتها ،[٧] وقدمت أرليت خدمات ازدادت أهميتها يوما بعد يوم ، فأصبح بيتها ، الذي كان ملجأ سلام وهدوء لسارتر ، مخبأ لجانسون ،[٨] أما السارتريون الذين كانوا

---

٧ ـ جانسون في كتابه السابق .

٨ ـ شهادة فرانسيس جانسون .

أكثر التزاما ، فقد كانوا على اتصال منتظم بالشبكة ، فكان بيجو وكلود لانزمان يلتقيان بجانسون في منزل جاك لانزمان شقيق كلود ، وعقد اجتماع آخر خصص لتنسيق توزيع «الحقيقة . . . » في بيت فيركور الأديب المعروف .

***

لقد كانت الأمور بالنسبة لمؤلف (سكون البحر) واضحة جدا فمقاومة الحرب الاستعمارية تستوحى من المبادىء نفسها التي استوحت منها المقاومة للاحتلال النازي ،وتلك هي الفكرة التي يوضحها في المقابلة الصحفية التي أجرتها معه «الحقيقة . . . » في نيسان - ابريل - ١٩٥٩ ، ولم يكن فيركور غاضبا لأنه قطع الصمت الذي فرضه على نفسه طوال السنين الماضيين ، وجرت المقابلة ، التي قام بها جانسون في بيت الأديب المحارب خلال المقاومة الفرنسية .

عبر فيركور عن تلاحمه العميق مع محتوى وأسلوب «الحقيقة . . . السري ، بعبارات حريئة فقال : (عندما ماتت الحريات لو أنها في طريقها الى الموت ،فالقضية قضية أشهر فلن تبقى الا حرية واحدة ، هي الحرية التي تقدمها الحياة السرية ، فلم يفت الوقت بعد للتنظيم من أجل العمل السري ، وهو على ما يبدو ، العمل الوحيد الممكن الذي سيبقى خلال فترة وجيزة ، ولذا ، وحول هذه النقطة لكم موافقتي التامة ، وعهدي بأنني سأكون من بينكم عندما تحين الساعة) .

وسأله جانسون (وجهت الحقيقة . . . انتقادات لبعض التشكيلات اليسارية ووجد بعض القراء ان هذه الانتقادات ليست في محلها، فهل انت من هذا الرأي؟)فأجاب فيركور: أنني لا اعتقد بأن انتقاداتكم ليست في محلها، انني اعتقد بأن الأمور قد تجاوزت هذه الانتقادات منذ زمن طويل . . . وقد فات الوقت لاصلاح العادات المتأصلة في الأحزاب وتصرفاتها الخارجية بهدف خلق جو ملائم للتقارب .إن الأمل في توحيد المجموعات والأحزاب اليسارية ، بانتقادها او بعدمه ، يتناقص بوضوح ، وانني أخشى من ظرفين ملائمين قادرين على توحيد هذه الطاقة في النهاية وهما : الطغيان المفتوح ، أي البوليسي ، والعمل السري . ومنذ اليوم ، فإن لم تتم الوحدة في العمل السري قريبا فانها ستتم فيما بعد تحت ضربات الطغيان عندما تمتلىء السجون ، فإن لم تتم في الخفاء إقامة علاقات سرية ، وتيارات متلاقية لتصبح ، نهرا كبيرا مخفيا بدون علم الأحزاب ومن خلفها ، كما حدث إبان النازية عندما تم تنظيم المقاومة فإن لم يكن أمام الفاشية التي تهيء ضربتها بصبر وتؤدة ، سوى القوى اليسارية بوضعها المجزأ الحالي ، فإن هذه القوى كلها ستكنس ، وستلاقي المقاومة السرية صعوبات أكثر بعد الأنهزام مما تلاقيه قبله ، وكل ما في الأمر أننا سنحتاج لوقت أطول وستعد ضحايا أكثر)[٩] .

لم تقلق الشرطة فيركور بالرغم من نداءاته المباشرة للعمل السري ، وبعد فترة وجيزة ، شارك في

---

٩ - الحقيقة لأجل ، رقم ٢٠ أيار (مايو) ١٩٥٩ .

اجتماعات تمت في منزل أحد المفكرين من مجموعة لودوك في مونبارنس ، حيث رأى سارتر ولودوك ، والنائب الشيوعي السابق ب ... وآخرون ، إنشاء لجنة موسعة من المثقفين ضد حرب الجزائر ، وتذكر بعض الروايات ، بأن كازانوفا اهتم شخصيا بهذه المبادرة ، التي لم تصل الى نتيجة .

عند الرجوع عشرين سنة الى الوراء ، يكاد يبدو صعبا الاعتقاد بأن تشاؤم فيركور القاتم ، ينطبق على فرنسا الديغولية في عام ١٩٥٩ ، فالجنرال ديغول ليس فرانكو ، وتبدو المقارنة بالاحتلال النازي نوعا من المغالاة ، ومع ذلك فإن الكثير من المفكرين والمثقفين كانوا يميلون الى مثل هذا التحليل ، القائل بتعفن النظام الذي تنخره الحرب الجزائرية ، التي تهيأ من خلالها الأساليب الديكتاتورية ، والحق أنه حدث بأن أخذت السلطات الديغولية أكثر من حريتها في تصرفاتها ضد الحريات ، فسيطرت سياسة القوة الاعتباطية في مراكز الشرطة ، وتعددت الاعتداءات على حق التعبير . وفي الثامن عشر من آذار - مارس - دعي لاجتماع (لوضع حد للتعذيب في الجزائر وفي فرنسا) في الموتواليته ، دعت إليه جمعية حقوق الانسان ، ومركز لاندي ، ولجنة أودان ، ومنع هذا الاجتماع من قبل قائد الشرطة . وكانت مجلة الأكسبرس قد صودرت قبل بضعة أيام من ذلك ، لنشرها مقالا لجان دانيال ، الذي نقل محادثة أجراها مع سي عز الدين ، أحد قادة الثورة الجزائرية . والقصة ليست عادية ، فقد ألقت قوات المظليين القبض على سي عز الدين في تشرين الثاني - نوفمبر - من عام ١٩٥٨ ، وتظاهر عز الدين بقبول التفاوض لاستسلام وحدته ، فأطلق سراحه ، فرحالا الى تونس ، وروى قصته لجان دانيال ، وأعرب الصحفي عن استحقاقه بصلح الشجعان واقترح التوجه الى جبهة التحرير باعتبارها كلاً ، وكيانا متضامناً .

أما مبررات مصادرة العدد فهي واضحة : إن السلطات العسكرية والمدنية لا تريد ان يأخذ فشل من هذا النوع صدى واسعاً ، إلا أن هذه الهجمة الاضافية ضد حرية الصحافة ، سببت اضطرابا حقيقيا لدى الرأي العام . فكل ما فعله دانيال هو أنه قام بمهنته ، لكن أحد زملائه لم يكن من هذا الرأي . فالديغولي جان كلافيل الذي كان يعلق على احداث الساعة كل يوم مساء في نشرة الأخبار التلفزيونية ، شكك بوطنية بعض الصحفيين الذين يذهبون الى تونس ويجمعون الأخبار من مصادرها. فهاجمته صحيفة لوموند فرد كلافيل فيما بعد مجددا أفكاره في بيان صحفي ، وقال بالنسبة لموضوع الأكسبرس(أن هذه الاستاحات السياسية تميل الى نسف النصيب الممكن للسلام ، أقول ممكن لأن المفاوضات بين حكومة وحكومة ، في جنيف ، كتلك التي تدعونا اليها المجلة ، ستقودنا بالتأكيد الى التمرد العسكري والحرب المدنية والى الفاشية او النازية) .[9] بالتأكيد إن اليسار وحده لا ينفرد بالمجازفة بالتنبؤات . وفي يوم ١٩ آذار - مارس - تحدث كلافيل في تعليقه في الاذاعة عن قضية أودان فهاجم بعنف (التحركات المقصودة ضد التعذيب) وعنف

---

٩ - لوموند ١٧ آذار (مارس) ١٩٥٩ ، بعد موت موريس كلافيل ، قدم جان دانييل هذا التفصيل (لقد احتججت : انه تقبل احتجاجي وطلب في حق الاجابة ، وعندما عرف انه لن يحصل عليه ، استقال من الاذاعة) (نوفيل اوبسرفاتور ، ٣٠ نيسان ١٩٧٩) .

المطلين وبيير فيدال ناكيه وأنهى القضية . القول (أن كلا من الطرفين يتصرف وكأن تفكيره هو الحقيقة الوحيدة) ويبدو أن المعلق لا ينقصه القدرة على الموازنة . . . إلا أن التعليب الذي يعزيه إدمون ميشليه يوم الثاني عشر من آذار ـ مارس ـ ١٩٥٩ بأنه من بقايا سقلس النازية ، لم يهجر الأنباء اليومية .

***

في يوم السادس عشر من حزيران ـ يونيو ـ ١٩٥٩ أصدرت دار النشر ـ مينوي ـ الغرغرينة .وقد جمعت تحت هذا العنوان الرهيب ، شهادات أدلى بها خمسة من الجزائريين عذبتهم مخابرات الأمن الوطني في كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٥٨ .وكان الكتاب في كل المكتبات يوم الثامن عشر من حزيران ـ يونيو ـ . وسمح صحفي لنفسه بالتلميح عن الكتاب على موجات محطة إذاعة أوروبا رقم ١ يوم التاسع عشر ، وخصصت صحيفة لوموند التي حمل إليها جيروم ليندن نسخة من الكتاب مقالا عنه في صفحتها الأولى ، كتبه جاك فوفيه الذي لم يشك في صحة ما ورد فيه على ما يبدو .قال فوفيه (عند قراءة هذه الصفحات الدموية ، التي يأمل الانسان بأن يعتقد بأنها من نسج الخيال ، لا يعرف المرء أي شيء يقرف أكثر بشاعته ، أهي القسوة التي تميزت بها الأعمال ، أم هي نذالة نفسية من يضيفون الاهانة الى التعذيب) . وفي عصر تلك اليوم وبعد ساعتين من توزيع صحيفة لوموند ، حضر مفوض شرطة الى دار النشر مينوي للقيام بمصادرة الكتاب ، وسحب الكتاب من المكتبات الكبرى في العاصمة في الوقت ذاته . وبدأ موريس بافا ، وبيير فيدال ناكيه ، حالاً بتحضير طبعة سرية من شهادات ووثائق إلا أن سيارة شرطة لاحقت سيارة فيدال ناكيه مساء يوم الثالث والعشرين من حزيران ـ يونيو ـ وأجبرتها على التوقف في ساحة الأنفاليد واستولى مفتشو الشرطة على الصفحات المخصصة للطبع .[11]

وفي يوم ٢٤ حزيران أوضح هوتيل ماتيليون مقرر رئاسة مجلس الوزراء عن طريق وكالة الصحافة الفرنسية بأن الحكومة ، بإعطائها الأمر بمصادرة كتاب بعنوان الغرغرينة ، أرادت أن تؤكد كذب الكتاب المشين وحقارته . وقدم غاستون دوفير في مجلس الشيوخ سؤالا للحكومة عن هذا الموضوع ، وأجاب دوبريه شخصيا فقال : بما يخص الكتاب المصادر ، أريد أن أؤكد للمجلس بأن هذا الكتاب ليس إلا رواية من نسج الخيال . إننا نعرف مؤلفيه ، اللذين هما عضوين في الحزب الشيوعي وحسب ، وأن هذا الكتاب يمثل ببساطة مجموعة من الأكاذيب المحاكة . لئني لا أريد أن يقال هنا بأن هذا الكتاب الحقير الذي حرره كاتبان حقيران ، بشكل وبأي صورة كانت أي ظل من الحقيقة ، وليس هذا الكتاب الا رواية خيالية كاذبة . وأريد أن أؤكد للسيد دوفير ، بأنه ركب من قبل كاتبين مأجورين للحزب الشيوعي .

وتسجل الجريدة الرسمية ، بأنه إثر هذا التدخل المسهب ، انفجر التصفيق في صفوف اليمين . ولا يعتقد دوبريه : ان جزائريين ، وإن كانوا طلابا ، ليسوا قادرين على مسك قلم ووصف ما تعرضوا له ، وأسند هذا الكتاب لاثنين من أصحاب القلم المأجورين دفعت لهم أجورهم من قبل الحزب الشيوعي

---

١١ ـ لقد تمت طبعة ثانية في مطبعة رودز

الفرنسي ، ويبدو أن الشخصيتين اللذين يتهمها دوبريه هما جورج آونو وباتريك كيسيل ، لا لأنها كتبا أية كلمة في الكتاب المتهم ، بل لأن اسم مؤلف قصة «ثمن الخوف» واسم آخر لمحقق في مجلة الاكسبريس ، كانا في دفتر حاج علي ، الصحفي الجزائري الذي اعتقل في الفترة نفسها التي اعتقل فيها الطلاب الجزائريون الذين عذبوا في مكاتب امن الدولة ، فترة لم تدم طويلاً ، ففي مجلس الشيوخ نفسه ويوم ٢١ تموز - يوليو - وجه جاك دوكلو ، النائب الشيوعي ، الى ميشيل دوبريه سؤالا حول هوية الكاتبين المأجورين للحزب الشيوعي فرد موريس بوكانوفسكي سكرتير الدولة للشؤون الداخلية باسم رئيس الوزراء ، بأن الحكومة مخلصة للتقاليد الجمهورية . . . لن تضيف شيئاً».

احتجت مجمل الصحف والمجلات من الأوروبية اليمينية المتطرفة حتى أومانيته الشيوعية على مصادرة الغرغرينة ، ووجه موريس نادو في ليتر نوفيل الى أندريه مالرو حديثا قال فيه: «انا نجد صعوبة في الاعتقاد بأنكم قرأتم الغرغرينة دون أن تستيقظ فيكم روح الشعور بالغضب . ذلك الشعور الكريم الذي دفعكم الى شجب الجلادين النازيين أو الصينيين أمام الرأي العام العالمي كله ، أو الوقوف إلى جانب ضحاياهم . إن التعذيب لم يعد يمارس في المانيا وإسبانيا والصين ، ولكنه يمارس أمام بابكم ، في بيتكم ، وليس لديكم كلمة واحدة تقولونها ضد هؤلاء الذين وعدتموهم بالعقاب ؟ لقد تعلمنا كثيرا من أعمالكم ، بحيث لا نستطيع التفكير بأن مؤلفها قد يتنكر لها اليوم . إن أعمالكم الأدبية تتحدث عنكم ، ويمكن ان تنهض ضدكم إذا لزم الأمر ذلك »[١٢].

فقد اخذت الشكوى التي قدمها قبايلي ، وبومعزة ، وفرنسيس ورفاقهم (تأخذ مجراها) بمعنى آخر ، تجري قائما في غدير موحل . فبعد أن أجرى القاضي باتيبه بناء على طلب المدعي العام مجابهة عامة في مكتبه يوم ٢٩ تموز - يوليو - أصدر قراره يوم ٧ آب - أغسطس - ببطلان الدعوى ، واستأنف الدفاع القرار . إلا أن ممثل المدعي العام طلب تأكيد بطلان الدعوى ، عدا قضية مصطفى فرنسيس الذي حصل على تقرير طبي . فإن القضاء وصم الجامعة بالوقاحة . وكان الدكتور إيسيرلي ، الذي قام بفحص الحالة ، قد سجل طبيعة الجروح والرضوض (أنا الموقع أدناه ، الطبيب المتمرن الداخلي في المستشفيات ، أشهد بأنني قمت بفحص السيد مصطفى فرنسيس ، الذي دخل المستشفى يوم ٦ كانون الأول ديسمبر ١٩٥٨ ، وغادره يوم ١٨ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٥٨ ، وكان المريض يحمل آثار جروح طولانية على الوجه الداخلي من ساقيه ، وآثارا مستديرة على مستوى ردفيه وازرقاقا رضياً في المنطقتين الفكيتين الخلفيتين وتصلباً في الرقبة ، وتقفعاً بطنياً ، منتشراً يرجع سببه على الأغلب ، إلى أصل دماغي فقط ، إذ أنه لا توجد أي دلائل حشوية ، وكل هذه يمكن أن ترجع الى صدمات مختلفة .)

وكرر الدكتور إيسيرلي هذه الملاحظات عند إدلائه بشهادته أمام قاضي التحقيق . اما بالنسبة لوكيل

---

١٢ - لوليتر نوفيل ١ تموز (يوليو) ١٩٥٩ .

النيابة فكل هذه الآثار هي من آثار مرض التكاف . وعندما استجوب أثناء التحقيق عن مصادر هذه المعرفة الطبية اعترف بأنه وجدها في قاموس ـ لاروس ـ . وبما أن الدكتور إيسبرلي ليس إلا طبيباً متمرناً ، فقد انتصر قاموس ـ لاروس ـ ووكيل النيابة وصدر القرار ببطلان الادعاء [١٣] .

كانت الجمهورية الديغولية الفتية تبرز أحيانا مخالب فيركور . فقد قدم النائب كريستيان دولامالين وبعض من رفاقه ، في شهر حزيران مشروع قانون يقضي بالسجن بالأشغال الشاقة على الصحفيين الذين يجرمون بالمساس بمعنويات الجيش . إلا أن هناك من يمس بالحياة ذاتها . هذا ما حدث للأستاذ ولد عوديا ، محامي الدفاع عن الطلاب الذين عذبوا ولوحقوا بتهمة محاولة إعادة تنظيم طلابي [١٤] ولم تترك له الفرصة للمرافعة عن موكليه ، فقد قتل برصاصة في القلب بينما كان في مكتبه عشية المحاكمة .

***

وفي مطلع نيسان ـ ابريل ـ قدم مفتش مالي شاب ، تخرج مؤخرا من المدرسة الوطنية للادارة ، الى السيد إدمون ميشليه ، وزير العدل ، ولأحد مستشاريه غاستون غوسلان ، تقريرا حول تحقيق (لا تنقصه الشجاعة) أجري حول معسكرات التجميع في الجزائر ، وهمس الشاب في أذن غوسلان (استخدمه استخداما جيدا) ، ونشرت صحيفة لوموند بعد يومين من ذلك تحليلا مفصلا لهذا التقرير ، إذ أن المكلف بالمهمة قد عهد بالوثيقة الى السيد بيير فيانسون بونتي الذي استخدمها (استخداما جيدا) [١٥] .

كانت عملية (التجميع) التي طالما تحدث عنها المخططون العسكريون تتلخص بتجميع السكان في نقاط معينة توضع تحت مراقبة واشراف الجيش ، وتعلن جميع المناطق الأخرى مناطق محرمة . وكل من يتواجد في هذه المناطق يعتبر من الثوار . ولهذا الأسلوب ميزتان : ذلك أنه يقطع عن الجبهة التموين والمعلومات ويحرمها من الحماية الضرورية لها ، فليس للسمكة التي تخرج من الماء سوى الموت ، وهو يبعد الأشخاص المتقولين عن دعاية الثوار ويتركهم فريسة للتأطير (النفسي) والبوليسي . وهناك وجه آخر للقضية ، ليس له ثقل كبير مقارنة بالفائدة العسكرية ، وهو الوجه المتعلق بالظروف الرهيبة التي تعيشها جماهير المجمعين . إذ أن هؤلاء الناس الذين طردوا من بيوتهم ، وحرموا من مواردهم يكدسون كالأنعام ، وتخضع النساء والأطفال منهم لنظام لم يتردد البعض بوصفه بنظام الاعتقال النازي .

وجلب هذا الوضع المؤسف ، انتباه فتى اشتراكي تخرج من المدرسة الوطنية للادارة ، بدأ حياته العملية كمفتش مالي في الأرض الجزائرية ، وتمكن بمساعدة رفيقه بونيوكور ، المختص بمشاكل التخلف في حياته المدنية ، ويؤدي خدمته الالزامية كضابط أمن في القوات المسلحة ، وبحماية من بعض أعوانه في مكتب

---

١٣ ـ انظر بيير فيدال ناكيه (معنى ولا معنى عدم وجود وجه) نشر في (شهادات ووثائق) ـ اب (أغسطس) ـ ايلول ١٩٥٩ .
١٤ ـ الاتحاد العام للطلاب الجزائريين المسلمين .
١٥ ـ مقابلة اجريت مع غاستون غوسلان ، أيار (مايو) ١٩٧٨ .

السيد بول دولوفريه (وبصورة خاصة هوبير بريغوست ،وهو الأخرس خريجي المدرسة الوطنية للادارة) وهذا الفتى الموظف الجديد ليس إلا ميشيل روكار ، الذي تمكن من القيام بتحقيق بأسلوب سري تماما . وتمكن من زيارة حوالي ١٥ نقطة تجميع في محافظات الأصنام وتيارت وبليدة ، وحرر تقريرا كانت الاستنتاجات الأخيرة فيه أكثر من مثيرة للتخوف ومنذرة بالخطر .[16]

كانت عملية التجميع حدثاً ضخماً يشمل جماهير واسعة ، ويقدر صاحب التقرير عدد سكان المعسكرات بمليون نسمة ، أغلبهم من النساء والأطفال . وهو يقول : عندما يبلغ عدد سكان المعسكر الفي نسمة ، فإن ذلك يعني موت طفل كل يوم ، ويوعز المندوب العام في الجزائر السيد بول دولو فريه بإسناد التقرير السري الذي أودعه روكار الى غاستون غوسلان ، وبعد أن نشرته صحيفة لوموند ، الى لجنة مؤلفة من ستة من كبار الموظفين . . . وكان نيافة الأب رودان سكرتير النجدة الكاثوليكية ، قد سلم قبل أيام من ذلك الى صحيفة لاكروا [17] نتائج تحقيق مماثل . وكانت نتائج التقريرين متطابقة تماما . وبالرغم من هذه التأكيدات التي لا يمكن تكذيبها ، اتهم ميشيل دوبريه رئيس الوزارة امام المجلس الوطني ، الحزب الشيوعي ، بأنه المحرض على حملة التشويه هذه مما أهيج ميشيل روكار .

---

١٦ ـ مقابلة أجريت مع هوبرت بريغوست ، آذار (مارس) ١٩٧٩
١٧ ـ العشكيت ، ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٥٩

١١

استنفار

عندما يزعج كوميدي مدير فرقة ، فذلك يعني انه يبحث عن عمل ، والعكس نادر جداً . في ربيع / ١٩٥٩ / كان شاربي شبه متخفٍّ ، ويمثل من وقت لآخر . فحضر بين يدي روجيه بلانشون الذي كان يدير الفرقة المسرحية في مسرح غاستون باتي ، وكان يرغب في تطويع المخرج في مسرحية لم تذكر في أية قائمة . فشرح له بكلمات مموهة الا انها دقيقة ، امكانيات العمل اللاقانوني ضد حرب الجزائر ، وعندما فهم بلانشون مقصده قاطعه مبتسما ابتسامة ذات مغزى (بالنسبة لهذه القضايا السياسية ، قابل سكرتيري العام) .

لم يكن السكرتير العام الذي كان يدير مسرح السينيه الذي يديره بلانشون ، سوى جان ماري بوغلان ، الصحفي الذي كان يعمل في صحيفة لونيون دوراتس ، والذي غطى في عام / ١٩٥٧ / مظاهرات المجندين ، وبدأ يعمل ، منذ عام / ١٩٥٧ / مدير ادارة الى جانب بلانشون ، وهكذا حقق حلمه وحول هوايته للمسرح الى وظيفة . تمكن شاربي من تحديد موعد ، وأخذ محدثه بسيارة الى شارع هادىء ، وبدأ يحدثه عن الشبكة . كان بوغلان منتبها ، ولديه استعدادات ، ولا غرابة في ذلك . فمنذ سنة وهو يعمل مع الجزائريين ، وكانت مهنته تتطلب تحركا كثيرا في منطقة الألب والرون . ومنذ مطلع / ١٩٥٧ / كان على اتصال مع المناضلين الوطنيين في غرونوبل ويلتقي بهم كلما مر بهذه المدينة . وفي احد الأيام طلب منه أحدهم أن يحمل رسالة الى ليون ، فلم يقبل فحسب بل الحّ قائلا (ان احتجتم للمساعدة فلا تترددوا) ولم يطل تردد الجبهة التي ما زالت ضعيفة اذا قورنت بالحركة الوطنية الجزائرية (المصالية) ، وأصبح بوغلان مراسل الولاية الثالثة التي تضم وادي الرون وجبال الألب ، ولم يقم خلال أشهر سوى بمهمة نقل البريد ، وكان يقوم بهذه المهمة وحده دون أن يكون له اتصال بفرنسيين آخرين .

اما في ليون ، فمنذ عام / ١٩٥٦ / وجدت مجموعة صغيرة معادية للاستعمار منظمة حول (سيلفان) ، وهو تروتسكي يمتهن تربية الأرانب ، وقد قامت هذه النواة ، الاولى من نوعها بنشاطات واسعة النطاق ، وفيها بعض المغالاة ، حسب رأي بوغلان ، الذي كان يرى أن رفاقه مرئيين بوضوح ، فبقي في معزل عنهم . وقدمه الجزائريون مرتين أو ثلاثاً الى قساوسة برادو ، وأحس بأن لديهم بنية متينة ، الا أنه

لم يدخل هذا التنظيم ايضا .

ومرة تلو الاخرى ، تعرضت مجموعات ليون ، الى العديد من صفارات الانذار الخطيرة . وكما نذكر ، تعرض الأب كارتورون للارعاج . وفي نيسان (ابريل) ١٩٥٩ ، ألقي القبض على محمود منصور رئيس الولاية الثالثة، كما اعتقل فرنسيان هما : دونيز وميشيل جين، اللذان كانا يؤويانه، ومرة أخرى وقع خليفة منصور في قيادة الولاية، في تموز (يوليو) وأصيبت المنظمة التابعة لجبهة التحرير هذه المرة اصابة عميقة . فبعد تحقيق مع جزائريين معتقلين واعترافهم، تحدد موقع فيلا في شارع شامبانيه أو مونتدور في ضواحي ليون، ووجدت الشرطة في الداخل وثائق وأسلحة ومخطط معمل في ليون. كانت الفيلا خالية من السكان عندما دخلها رجال الشرطة، فنصبوا شركا فيها، ثم أتى رئيس الولاية الجديد، والقي بنفسه بالشرك، وتبعه رئيس المنظمة السرية، وسلسلة من الكوادر والمناضلين، ولم تنج مستأجرة الفيلا، جوزيت أوغي (٢٥ عاما) وعرفت السجن بدورها.

بعد هذه العملية التي شلت التنظيم الجزائري التابع للجبهة فترة ما ، اقترح الجزائريون على بوغلان ان يشكل تنظيما مستقلا تماما عن المجموعات السابقة ، فشمّر مدير ادارة المسرح عن ساعديه ، وأخذ ينقب في المجاهدين : اتجاه الشباب الذين ليس لديهم أية خبرة سياسية إلا أنهم تمردوا اخلاقيا ، ضد الحرب في الجزائر ، ولديهم الاستعداد الكافي ، ومن بينهم نيكول وجان جاك بروشيه ، والاتجاه الآخر الذي أخذ ينهل منه هو الجيل السابق ، ذلك الجيل الذي انبثق عن المقاومة الفرنسية . فقد عمت الشبكة، وشن بوغلان نظاما جديدا عنصره الأساسي الخلية وتتشكل كل خلية طبقا للتقارب الايديولوجي أو التفاهم بين افرادها ، فأصبح لديه خلية بروتستنتية ،وأخرى كاثوليكية، وثالثة من اليسار الجديد ، ورابعة من الشيوعيين. . . حتى انه أصبح لديه خلية ماسونية كان اعضاؤها يجلسون الى جانب اعيان وكبار شخصيات ليون ، بما في ذلك مفوضي الشرطة خلال الاجتماعات الماسونية . وهكذا استطاع هؤلاء ان يقدموا معلومات دقيقة حول التحقيقات التي كانت تجري . وكان على كل خلية أن تدير لنفسها صندوق بريد وسيارة ومخبأ ، وهذا استقلالها الذاتي . وكان بوغلان يلتقي بالمسؤولين عن الخلايا ويوزع المهمات . كما كان اعضاء كل خلية يجهلون اعضاء الخلايا الاخرى ، ويجهلون وجود هذه الخلايا[1] .

وفي نهاية عام / ١٩٥٩ / كان هنالك حوالي / ٥٠ / شخصا (يعملون) في ليون والمنطقة التابعة لها . وكانت الشبكة مستقلة عن شبكة باريس ، وترتب سير أمورها حسب طلب الولاية الثالثة . الا أن الاتصال الشهري كان مؤمنا بالنسبة للاموال ، وغالبا ما كان ماير يقوم بذلك . ومن ناحية اخرى كانت شبكة ليون على اتصال مستمر مع شبكة مرسيليا باعتبار ان هاتين المدينتين تقعان في الولاية نفسها .

---

١ ـ شهادة جان ماري بوغلان .

وفي مرسيليا ، حيث كانت الكثافة الجزائرية كبيرة جدا ، حقق المتعاونون الفرنسيون ، في عام ١٩٥٩ ، قفزة واسعة الى الامام . وكان روبير بونو ، مؤلف كتاب (سلام الهائشة) الذي رفض هويته الشيوعية ، هو المحرض الاساسي هذه الحركة ، وقاده الى العمل السري تصويت رفاقه على السلطات الخاصة ، كما قاده الى ذلك ، المشاركة في عمليات التهدئة على طريقة (لاكوست) والقناعة باستحالة القيام بأي عمل في الجيش ، عكس ما يدعيه رفاقه ، واخيرا التدخل السوفيتي في هنغاريا ، كل هذه الامور تكاثفت لدفعه الى العمل . أما روبير بونو فهو استاذ في التاريخ ، انضم الى اتحاد اليسار الاشتراكي الذي يقوده مارتينيه وبورديه ، وهناك تعرف على مجاز في الفلسفة من انصار سارتر ، هو لوسيان جوبلان ، الذي نظم في عام ١٩٥٦ بمساعدة عمال مسيحيين ، نواة جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، وطلب جوبلان من بونو في عام ١٩٥٩ ان يخبيء سلاحا عنده . وكان الطلب الأول كبيرا ، فكثيرون ممن كانوا على استعداد لنقل الجزائريين أو ايوائهم يرفضون التعامل مع السلاح . الا أن بونو الذي رأى الجرحى الجزائريين في الهائشة ، يذبحون بسكاكين مثلمة ، تعدى بسرعة مشكلة الضمير هذه .

وتابع نشاطه السياسي في وضح النهار الى جانب نشاطه السري ، حيث كان أمينا لاتحاد اليسار الاشتراكي لمقاطعة مرسيليا ، وكان ينادي (بعدم التعاون) في الحرب ، في المجلس الوطني للاتحاد ، ودافع في عام ١٩٥٩ عن هذا الاتجاه وتشاجر بعنف مع جيل مارتينيه الذي اتهمه في جلسة عامة ، بأنه من اتباع جانسون . وكان في الصالة بيير اسبيل أحد رجال المقاومة الفرنسية ، وممن ذاقوا مرارة الاعتقال وكان على اتصال بجانسون ، فنقل الى جانسون ما حدث ، وتم الاتصال مع المسؤول المرسيلي ، فاتفقا على مبدأ نشر طبعة محلية من (الحقيقة . . . .) تسحب على آلة اتحاد اليسار الاشتراكي ، في بيت ما قرب مرسيليا . ووزعت هذه الطبعة المحلية على (٥٠٠٠) نسخة وكان العديد من المناصرين يرسلونها بالبريد على حسابهم الخاص .

كانت النواة الأساسية التي شكلها جوبلان تضم/١٢/ عضوا ، وبدفع من بونو ارتفع العدد الى اكثر من مائة مناضل ، قدموا دعمهم الى الجبهة بدرجات متفاوتة ، كالايواء ، والنقل ، وتأمين الاتصال مع مدينتي ليون وماكون ، وكانت تجمع المبالغ التي تصل الى خمسين مليون فرنك ، وترسل مرافقة الى باريس ، وأغلب من نظمهم بونو كانوا من الشيوعيين أو الشيوعيين السابقين ، ممن تعرف عليهم عندما كان شيوعيا ، وكان المنتدى المعارض في مرسيليا قد تشكل حول مجلة (فواتوفيل ـ الطريق الجديد) التي اسسها فيكتور لودوك في عام ١٩٥٨ ، و (نزل) هنري لوفيفر مرات عديدة الى مرسيليا ، لاقامة اجتماعات في منزل آنيت روجيه ، وهكذا تعرف بونو على الطبيب الشيوعي الذي انعزل عن حزبه ، وضمه الى الشبكة ، أما آنيت روجيه فقد أوكلت اليها مهمة نقل محمد دفني زعيم جبهة التحرير لكل قطاع مرسيليا و إيوائه .[٢]

وفي الخامس من تشرين الثاني وبينما كانت الطبيبة تقل محمد دفني بسيارتها من مرسيليا الى باريس ،

---

٢ ـ شهادة روبير بونو .

تواجد حاجز شرطة على الطريق الوطني رقم /٧/ قرب مدينة (بون سانت اسبري)، وأجبرت السيارة على الوقوف واعتقل الراكبان ، اذ أنهما كانا يجهلان بأن أحداً ما قد اعلم بوصولهما ، ذلك أن خائنا كان يوجد في صفوف الجبهة في مرسيليا ، وكان جيرار سبيترز مدير مجلة (الطريق الشيوعي) قد وقع لتوه ضحية هذا المخبر .

في الثلاثين من أيلول (سبتمبر) احتل مفتشو أمن الدولة غرفة خدمة في باريس ، في الرقم /٨٢/ شارع دي مارتير ، والقوا القبض على الجزائري أيت الحسين وزوجته ، ومكنهم التفتيش من اكتشاف ورقة حسابات تتحدث عن أربعين مليون فرنك ، ودفتر عناوين ، كتب فيه اسم جيرار لورن ، المقيم في ٢٣ شارع أوبر كامف ، فتوجه رجال الامن حالا الى العنوان المذكور ، ووجدوا ورقة معلقة على الباب كتب عليها (الحقيبة في خزانة غرفة النوم) ولم يجدوا حقيبة بكل معنى الكلمة ، الا انهم صادروا كيس رياضة كبيراً من القماش المخطط الالوان ، وبداخله أربعون مليونا ، الرقم الذي سجله أيت الحسين في دفتره ، وعندما أعتقل جيرار لورن في الصباح الباكر اعترف بأنها اموال مجلة (الطريق الشيوعي) التي يسمى مديرها جيرار سبيترز .

وعندما ألقي القبض على سبيترز وبدأ التحقيق معه ، نفى أن يكون له علم بأي شيء . وبينما نصحت الجبهة زوجته فلي ، بأن توكل أحد محامي مجموعة الدفاع عن الجزائريين ، لجأت الى المحامي تيوبيرنار ، الذي اتصل حالا بالهاتف بادمون ميشليه الذي كان صديقا له .

ولم يكن الاتصال بوزير العدل دون فائدة ، فقد انتقل رئيس الشرطة شخصيا الى شارع سوسيه لحضور التحقيق ، واسر لسبيترز : (ان الكثيرين يتحركون بخصوص اعتقالك ، الا أنني الفت انتباهك أن أيا لن يمس شعرة من رأسك) أما المفوض الذي كان يقوم بالتحقيق فكان أقل دبلوماسية (أنا عندما افكر بأننا نضع أبنائنا بين أيدي قتلة مثلكم) اذ أن سبيترز في الواقع يعمل مدرسا في ثانوية مولان (وكان يتحدث قليلا ، ولا يتحدث بالسياسة مطلقا) حسب جواب زملائه لمراسل صحيفة (باري برس) ، والحقيقة أن سبيترز كان يعمل بالوكالة في هذه الثانوية بانتظار تعيينه بصورة رسمية .

وعندما جابههم أمن الدولة بجيرار لورن ، اكتفى بالقول (لقد طلبت الى جيرار لورن مفتاح شقته لأودع فيها مبالغ مخصصة لمساعدة المعتقلين الجزائريين)"[٣] كان صدى اعتقال الفرنسيين كبيرا رددته الصحافة الوطنية ، وكان عدم فهم ما يحدث هو السائد، وكتب والد جيرار الذي كان في جولة في جنوب فرنسا، الى زوجته قائلا (لا فائدة من العودة، لأنني متأكد من براءة جيرار) اما سكان حي أوبير كامف، فلم يكونوا بعيدين عن مشاطرة الوالد هذا الرأي. وبينت صحيفة (باري برس) (ان اعتقال استاذ الصناعة قد سبب الذهول لدى جيرانه). ففي فرنسا عام ١٩٥٩ ، كان هناك صعوبة في التصور بأن مواطنا طبيعيا، لا يشكو من

---

٣ ـ شهادة جيرار سبيترز .

اضطرابات ظاهرة . يمكن ان يتورط مع الارهابيين . ومع ذلك فان جيرار لورن . مناضل كرفيقه . في الطريق الشيوعي ، تحرك وهو يعرف ما يقوم به بكل وعي .

وفي اليوم نفسه اعتقلت الشرطة زوجيه ري . من اعضاء الطريق الشيوعي ايضا ، في مقر عمله في شركة لوبودي ، اذ أن الشرطة وجدت رقم هاتفه في دفتر أيت الحسين . الا انها أطلقت سراحه بعد تفتيش منزله دون جدوى . وهكذا نرى بأن سيتزر ورفاقه الذين أختل تنظيمهم أثر اعتقال دوني بيرجيه وموسى قبايلي . ضابط الاتصال الاساسي معهم ، قد أعادوا اتصالهم بالجبهة في مطلع ١٩٥٩ . ولنكن دقيقين ونبين أن خليفة قبايلي في ولاية باريس والضواحي هو الذي تقرب منهم ، فقد اتصل آيت الحسين هاتفيا بزوجيه ري ، واتفق معه على موعد في دار الولادة ، حيث وضعت زوجته لتوها طفلها»٤ . وهناك ووسط صراخ الاطفال الذين ولدوا لتوهم ، تجدد من جديد دعم (الطريق الشيوعي) للجبهة . و بما ان بيرجيه قد اصبح خارج الحلقة منذ توقيفه في مقر أمن الدولة فقد وقع على ري وسيتزر مهمة الاشراف على العمل السري .

يروي جيرار سيتزر قائلا (في مطلع عام ١٩٥٩ طلبت الجبهة مني أن أبحث عن مكان يؤوي اجتماعا هاما لزعماء الولايات ، فنصحت ضم مفتاح بيت لورن . وفي النهاية تغير مكان الاجتماع ، الا أن الولاية حولت الشقة الى مستودع . وفي أن سافر لورن ليقضي عطلته الصيفية ، ووجا الجزائريين بعدم استخدام منزله اثناء غيابه ، مما قد يجلب الانتباه ، الا أن تعليماته لم تتبع ، ربما كان ذلك لعدم تمكن الجزائريين من ايجاد مخبأ آخر؟ وفي كل الاحوال ، لم تكن هذه الاحتياطات لتغير شيئا في الموضوع ، فان لم يكن منزل لورن قد استخدم لعقد الاجتماع ، فان إحداثيات قد أعطيت لجميع المسؤولين الاقليميين التابعين لجبهة التحرير . وبما أن الحائط الذي كانت تديره مخابرات امن الدولة بعطي المعلومات ، فقد وضع مبنى شارع اوبير كامف تحت المراقبة ، بعد أن تم التعرف على آيت الحسين الذي قاد المحققين بنفسه الى غرفته ، وهكذا لم يكن اكتشاف عنوان لورن فيها سوى تأكيد لمعلومات أمن الدولة)

الحت الجبهة من جديد على سيتزر بأن يوكل عنه أحد محامي المجموعة ، الا أن المناضل الفرنسي تمسك بمبدأ توكيل دفاع فرنسي ، وقبل المحاميان نوبيرتار وكلود فو ، العضو في الحزب الشيوعي ، الدفاع عنه . وأوكل التحقيق الى القاضي براونشفايغ ، الا انه أعفي من هذه المهمة يوم ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ، لصالح القضاء العسكري ، وذلك تطبيقا للمرسوم الصادر في ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٨ الخاص (بقمع المخالفات المرتكبة فوق الاراضي الفرنسية بهدف تقديم الدعم للمتمردين الجزائريين) .

فتحرك (اليسار الصغير) المثقف والسياسي . فقد اكتسبت صحيفة سيتزر ، بخطها المعادي للستالينية والمؤيد للمعركة التي يخوضها الجزائريون ، سمعة لا بأس بها ، وتعدى صيتها بكثير ، الزمرة الصغيرة الملتزمة بالعمل المباشر ، وكان العديد من المناضلين الذين يجدون ذاتهم في (الطريق الشيوعي) وفي

---

٤ ـ محادثة اجريت مع زوجيه ري ، ايار (مايو) ١٩٧٦ .

شعاراتها ، يجهلون بأن البعض منهم من حملة الحقائب . وتلك هي الحالة بالنسبة لسيمون بلومنتال ، السكرتير السابق لفرع الحزب الشيوعي في مونتروي ، والذي فصل من الحزب في عام (١٩٥٩) . ويعترف اليوم قائلا : (لقد صعقت عندما علمت باعتقال جيرار ، فلم نكن نعرف ما يعمل) . فتشكل اصدقاء سيترز لجنة للدفاع عنه ترأسها ابلي بلونكور ، ونظمت اللجنة يوم ١٨/ كانون الأول (ديسمبر) مؤتمرا صحفيا تحدث فيه العميد الاستاذ شالكيه ، ولوران شوارتز ، وطالبا كحد أدنى ، تطبيق النظام السياسي على سيترز ، الا أن قاضي التحقيق العسكري المقدم موريل رفض ذلك .

كان غاستون غوسلان ، المكلف بالاعمال في مكتب وزير العدل السيد أدمون ميشليه ، مكلفا بصورة خاصة ، ومعه جوزيف روفان ، بالاشراف على ادارة السجون . وغوسلان يعرف السجون الفرنسية ، ذلك انه ذاقها خلال الاحتلال الالماني . انه ثائر شجاع ، وخبير متفجرات بارع ، كان له الحظ بزيارة عشرة سجون قبل أن ينقل الى معسكر الاعتقال في داشاو ، وهناك ربطته صداقة حميمة ، بمناضل مسيحي ، هو قائد منطقة بريف ، أدمون ميشليه . فعين الجنرال ديغول السيد ميشليه سكرتيرا للمحاربين القدماء ، ثم وزيرا للعدل في وزارة ميشيل دوبريه فاستدعى ميشليه ، بدوره ، رفاق الأيام السود ، وسمي غوسلان مستشارا فنيا مكلفا بالمعتقلين الجزائريين ، فقد كان المعتقلون المغاربة في سجون الجمهورية الفرنسية يعدون بالآلاف . واخذ غوسلان يحاول التخفيف عنهم . فقام بعملية سبر . وجلس الى جانب فرانسيس جانسون ، بالذات ، في حفل عشاء اقامه روبير بارا في بيته في دامبير .

كان ديغول يأمل بإقامة علاقات مع (القادة التاريخيين) للجبهة ، المعتقلين في سجن لاسانتيه . الا انه يعرف تماما ، بأن أي اتصال سيبقى بدون جدوى ، طالما لم تتحسن ظروف اعتقالهم . وفي مطلع عام ١٩٥٩ طلب رئيس الجمهورية الجديد من مستشاريه البحث عن (قصر) لبن بللا ورفاقه ، فطلب الى غوسلان ان يقود هذه العملية الى نهاية حسنة ، فاشرف على ترتيب الحصن المدعو في جزيرة ايكس الواقعة تجاه لاروشيل ، فنفق بثلاث شبابيك ، استعاره من الجيش . وفي اواخر شباط (فبراير) انتهت الأعمال في الحصن ، وقام المستشار الفني بزيارة تفتيشية أخيرة قبل نقل السجناء وفرحي ، عندما لاحظ بأن رجال فرقة الأمن الجمهورية ، قد حلوا محل الدرك لحماية الحصن ، الا أن وقت الغداء قد حل فقبل دعوة قائد الفصيل ، وعندما انتهى الغداء ، قال القائد لضيفه (حسنا والآن سأريك التجهيزات) . وعلى بعد بضع خطوات ، كشف منتصرا ، عن محطة للاستماع تلتقط أقل ضجة تحدث في أي نقطة من الحصن . ويقول غوسلان (كان الرجل يعتقد بأني جئت خصيصا للتأكد من حسن سير أجهزة التنصت ، فلم أخيب ظنه ، فتأكدت فعلا من حسن سير الأجهزة ، ووضعني في قارب ينقلني الى المحافظ لكي اتفاهم معه ، الا أن الرجل كان قد أبلغ بالهاتف عن وصولي وتلقى سيلا من الشتائم لأنه كشف لي عن كل شيء ، فاستقبلني المحافظ ودعاني الى الجلوس ، وظهري نحو الباب ، فقلت له (لقد رأيت التجهيزات ولا اعتقد بأنه مسموح بها وساعلم باريس بذلك) وفي تلك اللحظة طرق الباب ودخل احدهم الى المكتب وهو يصرخ (لقد ضقت ذرعا بهذا اللباس) فاستشرت وتعرفت على مفوض للشرطة ، المختص بالقضايا الفنية ، وكنت قد التقيت به

في وزارة الداخلية ، وكان متنكرا بلباس عقيد من فرقة الأمن الجمهورية ، فلمحني وشحب وجهه . . . .)[٥] .

وبعد عودة غاستون غوسلان الى باريس أثار فضيحة كبرى .فقد وضعت أجهزة الاستماع من قبل وزارة الداخلية دون أن يكون للجنرال ديغول علم بذلك . وبعد أن تحدث غوسلان مع رئيسه وصديقه أدمون ميشليه ، أوضح هذه الفوضى لاوليفيه غيشار الذي كان بالنسبة للرئيس ماكان غوسلان للوزير . فوعد غيشار بأن تفكك اجهزة الاستماع حالا . وبصورة مدهشة اعلنت صحيفة لوموند في عددها الصادر يوم الخامس من اذار (مارس) ، عن تأجيل نقل السجناء الجزائريين الى جزيرة ايكس ، وتقدمت بفرضية (ان بعض التجهيزات الجديدة في حصن ليبدو لم ترض تماما السلطات ، التي قامت مؤخرا بزيارة المواقع) . وأصبح غوسلان بعد هذه القصة العدو الاول لرئيس الوزراء ميشيل دوبريه ، الذي قطع على نفسه عهدا بأن يقضي عليه . لم يتم ذلك مباشرة لدوبريه ، فكما ذكرنا ، فإن غوسلان هذا نفسه هو الذي عمل في نيسان (ابريل) على نشر تقرير روكار حول معسكرات التجميع . .

وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩ استدعى مستشار ميشليه الى القصر الجمهوري . ويقول غوسلان (استقبلني الجنرال وقال لي عليك أن تذهب وتقابل القادة التاريخيين في جزيرة ايكس ، وسألقي خلال بضعة ايام خطابا من التلفزيون، أعطي فيه حق تقرير المصير للجزائريين ، وأريد منك ان تسبر ردود فعل بن بللا والآخرين قبل ذلك . ثم حدثني الجنرال عن الخطوط العريضة لخطابه) .

فسافر غوسلان سرا ، اذ أن ديغول الح عليه بالا يحدث أحدا عن مساعيه ، حتى ولا لميشليه أو لدوبريه .

والحقيقة أن الاعلان بأن الدولة على وشك استشارة الارهابيين ، في جو الاضطراب الذي يسبح فيه جيش الجزائر في ذاك الخريف ، كان سيؤجج العواطف .

وفي جزيرة ايكس ابلغ غوسلان السجناء بالسؤال الذي طرحه الرئيس ، بعد أخذ الحيطة والحذر الشديدين ، وجر قادة الجبهة الى سطح الحصن حيث لا يخشى من انبوب فصدير بفشي الحديث الذي دام خمسا وأربعين دقيقة ، وكان ردهم الايجابي مؤيدا . ومع ذلك فان زيارة المبعوث الخاص من القصر الجمهوري ، لم تبق سرية تماما ، فقد أخذ رئيس الوزراء علما بأن غوسلان يتفاوض مع قادة المتمردين فوق اسطحة الحصن ، وأراد اعتقاله (الا ان اتجاه الرجل المشبوه كان القصر الجمهوري) فصبر دوبريه[٦] .

اختلفت الردود على خطاب السادس عشر من أيلول (سبتمبر) حول تقرير المصير . فوافق اليسار

---

٥ ـ شهادة غاستون غوسلان .

٦ ـ رواية غاستون غوسلان .

الشيوعي ، وانقسم الحزب الديغولي ، وصرخ اليمين المتطرف ، وأدانه الحزب الشيوعي في البدء ثم دار دورة كاملة ، فاذا كان جان جاك سيرفان شرايبر لا يرى في المواقف الديغولية (سوى أمواج مزبدة[7]) . فان كلود بوردیه یعرب عن فرحه ويقول (لقد اعترف ديغول بحق الاستقلال للجزائريين)[8] .

أما الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، فقد أعربت عن ارتياحها بلسان فرحات عباس ، بأن يتم الاعتراف بمبدأ حق تقرير المصير ، وأعلنت عن استعدادها للمفاوضة ، وسمت احمد بن بللا ممثلا فوق العادة مزودا بكامل الصلاحيات ، الا ان ديغول رفض هذا العرض . فسجين جزيرة ايكس مخصص لدور أكثر سرية . . . .

في الواقع ، لقد أعطى ديغول أكثر مما يمكن أن يسمى صيغة . لقد اعترف بلسانه ، بأن الوقت قد حان ليرتفع صوت الجماهير الجزائرية . وفي الوقت نفسه صدر كتاب يعطي قواما لهذا المنعطف السياسي . ففي تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٥٩ ، نشر روبير دافيزي كتابه (الجبهة) الذي اصدرته دار النشر (ميتوي) . فقد ذهب الى تونس في العام الفائت بعد خروجه من فرنسا ببضعة أسابيع ، حيث قابل ، وبرفقته صاحبه الذي كان في تونس قبله ، مسؤولين من جبهة التحرير ، وذهب ايضا الى الحدود الجزائرية ، والتقى باللاجئين والجنود ، وأجرى حوارات معهم ، وسجل تلك البديهية : بأن الشعب الجزائري برمته قد دخل الحرب . هذا مع العلم أن أغلب الفرنسيين في تلك التاريخ لم يروا في جبهة التحرير سوى جهاز سياسي متمركز في الخارج ، ولا يمارس سلطته في الجزائر الا على عدد محدود من الزمر المسلحة ، وأن الشعب الجزائري ، يبقى بعيدا عن النزاع ، دون أن يشارك فيه . وتمكن دافيزي بدعم من اتحاد فرنسا التابع للجبهة ، من جمع شهادات مباشرة . وكان للكتاب وقع كبير فخصص له آراغون في مجلة فرانس نوفيل ، مقالا مؤثرا قال فيه(إن ما يهم أولا وقبل كل شيء هذا الشعور الخارق ، خارق هنا في كل الروايات المحسوسة المؤثرة ، بأن الشعب هو الذي أراد الحرب ، وأن من يقومون بها اليوم اضطروا للقيام بها لأن شعبهم كان يلح عليها) ، وهناك شعور آخر ، الخجل (أي بلادي ، أي وجه عملوا لك . ها هي تلك البقعة على خدك ، ها هو هذا الوحل على ثوبك ، وهؤلاء الذين يحملون القتل والحرائق ، انهم يحملون وجهك ، وباسمك سيعلنون عن وصولهم)[9] .

في الثاني من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٩ قدمت لجنة اودان في « شهادات ووثائق » النتائج النهائية للتحقيق حول اختفاء استاذ الرياضيات الشاب في حزيران (يونيو) . وتذكر اللجنة هذه المرة اسماء محددة ، وكان الاتهام دقيقا ايضا : لقد عذب أودان في مركز الابيار من قبل زمرة خبيرة تميز منها الضباط

---

٧ ـ الاكسبريس ، ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩ .
٨ ـ فرانس اوبزرفاتور ، ٢٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩
٩ ـ (بعض استخدام لكلمة فرنسا) ، فرانس نوفيل ، ١٥ اوكتوبر ١٩٥٩ .

موق وفولك ، والملازمان ايرولان وشاربونييه ، وآخرون . وفي يوم الواحد والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٥٧ ، وخلال جلسة تعذيب قام الملازم شاربونييه بخنق موريس اودان[١٠] ، وأخرجت تمثيلية تعاون فيها الجميع لتمويه جريمة القتل وتحويلها الى فرار . وأخيرا قامت السلطات المدنية والعسكرية ، سواء في الجزائر أو في باريس ، بتغطية الجريمة والمسرحية الهزلية ، وأعلنت لجنة اودان في نهاية مرافعتها بأنها لا تجهل (خطورة الاتهامات التي وجهتها وأنها تقوم بذلك علنا ، لانها مشكلة من رجال مسؤولين أخذوا على عاتقهم مهمة تنوير البلاد بقضية مأساوية وبكل الظروف التي رافقتها . وكما طالبت زوجة اودان التي تنطق باسمها ، وكما طلب المحامون الأساتذة بوركر وبراون ونوروب وشابليه ، فان اللجنة تنتظر الآن من فرنسا ان تقيم العدالة) .

فرد وزير العدل قائلا (انه من الواضح ان الفاعلين بنشرهم مثل هذه الأخبار ، التي لا يمكن ان تكون الا تجريحا أكثر من كونها بحثا عن العدالة الحقيقية ، وأن مؤلفي هذه التعليقات انما يضرون بالقضية التي يدعون الدفاع عنها) . ويقول النائب الديغولي (حزب الاتحاد من أجل الجمهورية الجديدة) كريستيان دولا مالين في سؤال شفهي لوزير الدفاع (الى متى تستمر بالسماح بأن يتعرض الجيش الفرنسي ، الذي يفترض بك ان تكون المدافع عنه ، للشتم القذر يوميا من قبل ارذال خونة لبلادهم دون عقاب) . وتعلق صحيفة لوموند التي نقلت هذا السؤال (ان اسلوب هذا السؤال يكفي لاعطاء الحكم على صاحبه) . وذكرت الصحيفة بأن دولامالين هو صاحب مشروع قانون يوصي بالحكم على الصحفيين المخربين بالاشغال الشاقة . والواقع ان صحيفتين فقط نقلتا مطولا نتائج تحقيق لجنة اودان : لوموند حيث نشرها جاك فوفيه واعطتها كل ابعادها ، وصحيفة ليبراسيون ، ففي هذه الصحيفة التقدمية ، اهتم جهاز التحرير كله وكرّس وقته لقضية أودان الى درجة أنه أهمل أخبار اليوم ، وفيما كان الصحفيون يغطون قضية أودان ، كان سد مالباسيه قرب فريجوس ينهار ، ويؤدي الى موت عدة مئات من الأشخاص ، وفي اليوم التالي صدرت الطبعة الأولى من ليبراسيون دون أن تتحدث كلمة واحدة عن هذا الحدث .

لم يمر قرار نشر نتائج التحقيق دون أن يخلق بعض الصعوبات بين الحزب الشيوعي الفرنسي ولجنة أودان . ذلك أن الحزب الشيوعي كان قلقا تجاه تنامي تنظيم لا يشرف عليه . تخوف بأن يضر هذا التزاحم حركة السلام . فمن رأي الحزب الشيوعي الفرنسي أن جميع النشاطات المناوئة للحرب يجب ان تمر بهذه القناة دون غيرها . الملف يجب ان ينشر في (فرانس نوفيل) . الا أن لجنة اودان ، التي تضم عدة آلاف من الأعضاء بدأت تلعب دور (المنظم الجماهيري وبصورة خاصة في الأوساط الجامعية ، ولم يتراجع اعضاء اللجنة من الشيوعيين ومن غير الشيوعيين ، وكشفوا بانفسهم عن هوية القتلة)[١١] .

---

١٠ ـ لوصل بول تيجن هذه الأشياء الى بيير فيدال ناكيه .
١١ ـ شهادة بيير فيدال ناكيه .

١٢

السقوط

(يبدو أن اهتمام الشرطة بنا يزداد شيئاً فشيئاً) ، تلك هي الجملة اللامبالية ، التي بدأت المقال الافتتاحي للعدد (١١) من (الحقيقة . . . [1]) والنبأ صحيح : فقد كان فرانسيس جانسون ومعاونوه الاساسيون - نواة الشبكة - يعرفون أنهم ضمن منظار أمن الدولة ، فلا بد ان يترك نشاط ثلاث سنوات من العمل السري بعض الآثار في الملفات ، وصوراً في بطاقات الأمن واسماء في اللوائح . فالمخبرون المنتشرون لصالح جانسون ؛ والضجة التي يبهر بها في سان جيرمان حفلات عشائية ، والاشاعات التي يسر بها (اصدقاء يريدون لنا الخير) وحزمة من القيل والقال تتجمع وتتلاقى وتتكاثف لتنسج قناعة : ان أمن الدولة يجهز الحملة ، والآثار الملموسة لا تنقصه .

في أيار (مايو) ١٩٥٩ ، غادرت كوليت جانسون المستشفى الذي قضت فيه ثلاثة أشهر تحت العلاج ، وذلك اثر الاصطدام الرهيب بسيارتها . وأقلق راحتها في اليوم نفسه الذي عادت فيه الى البيت مفتشون من أمن الدولة ، طلبوا ما لديها من أخبار عن فرنسيس جانسون . فقد ثبت لرجال الأمن منذ عام ١٩٥٨ ان (للاستاذ) علاقة بجبهة التحرير في فرنسا ، وأصدرت الشرطة مذكرة بحث عنه . فمثلت كوليت دور الزوجة المهجورة ، وادعت انها تجهل كل شيء عن الرجل الذي هجر بيت الزوجية .

وفي الصيف ، لاحظ بعض اعضاء الشبكة بأنهم ملاحقون : ظلال في مدخل بناية ، سيارة مشبوهة تلح أن تظهر في مرآة السيارة ، ضجة غريبة في الهاتف . أهو شعور ناجم عن الهوس برجال الشرطة أم انه احساس قائم على أساس حقيقي ؟ فبالنسبة لهؤلاء النساء وهؤلاء الرجال الذين كرسوا أنفسهم للعمل السري منذ شهور وربما منذ سنين ، يجر التوتر المتراكم ونقص النوم المستمر الى أطوار متناوبة من التهيج والركود ، حسب الحالة النفسية والجسمية لكل منهم ، وحسب طباعهم أيضاً . فكل منهم يفسر بصورة مغايرة عن غيره الأوضاع غير الطبيعية التي يلاحظها . فالأكثر تشاؤماً يحضر حقيبة ثيابه ويجعلها جاهزة دائماً . والآخرون تعودوا الحياة السرية يدخلون في الرقابة ، ويعتقدون بأن أياً كان لا يستطيع لمسهم ويهزأون بالخائفين .

---

١ - الحقيقة لاجل . . . ١٢ تشرين الاول ١٩٥٩ .

في نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٩ ، لاحظت هيلين كوبيا ، وهي التي لا تميل بسهولة الى الشعور بالقلق ، بأنها مراقبة ، فهجرت شقتها في شارع أكاسيا واستبدلت سيارتها ، وسكنت مع جانسون في شقة استؤجرت احتياطا في شارع بيرتيه . ولكن وبعد بضعة أيام ، وبينما كانت تسوق سيارتها ، حاملة فيها (٢٠) مليون فرنك (قديم) تلقتها قبل قليل ، والى جانبها ديدار فوزي ، وكانا متوجهين الى عيا (للأموال) ، توقفت سيارتها على الرصيف على بعد بضعة أمتار من المبنى ولاحظت تراقب المنطقة . من الواضح أن الرجل الذي كان يسير بجيئة وذهابا امام المبنى والذي ينهمك في تأمل واجهة التمديدات الصحية ليس على موعد غرام . فانطلقت الشابتان ، والسيارة ما زالت محملة بحملها المورط ، وأسرعت هيلين كوبيا ، ثم اسرعت أكثر ، وسمعت صفارة شرطي السير : وحررت بمخالفة تجاوز السرعة المحددة . . .

وبدا ان المراقبة قد اختفت أثر هذا الحادث ، وهذا فن أيضا . تترك الفرنسية تأخذ راحتها وتقول لنفسها ، انني ضحية هلوسة . فعادت الفتاة ثانية الى شقتها في شارع أكاسيا .

أعطت الملاحقات غير المرئية ثمارها . وكانت هيلين كوبيا ، مرة اخرى تقوم بعملية نقل ومعها جيرار ماير في سيارة رينو صغيرة ، فحدث عطل في اطار السيارة ، وغيراه . انطلقا من جديد . وكيف لهما ان يعرفا بأن الثقب في الاطار جاء نتيجة ضربة بندقية صيد بالخردق . وان صورة قد أخذت لهما بينما كانا يغيران العجلة ، وكبرت الصورة وأضيفت الى ملفهما في شارع سوسي (مقر أمن الدولة) .

في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٩ ، استدعيت سيسيل ماريون الى مقر أمن الدولة ، وطلب اليها بيان سبب سفرها الى المانيا ، فقد كانت فعلا قد عادت منذ أيام قلائل من دوسلدورف ، وبدلا من أن تأخذ السيارة المحملة من المرآب السري المعهود ، استلمتها أمام فندق بارك هوتيل ، حيث تركها بوعرير شخصيا . فاستغلت المخابرات الخاصة التي كانت تلاحق القادة الجزائريين في المانيا هذه الهفوة ، وكانت السيارات التي تجتاز الحدود غالبا موضوعة تحت المراقبة . وحررت سيسيل حقها ، واحمر وجهها وغضت طرفها ، واحتجت بأن حياتها العاطفية تهمها وحدها فقط . ولم يخدع أحد بهذه الحيلة ، الا انهم تركوها تغادر المقر . ولم تكن دعوتها للحضور سوى مناورة تخويف ، يترصد رجال الأمن ردودها ونتائجها . ربما لا تكون كلمة ترصد هي الكلمة المناسبة . اذ ان رجلين من رجال الأمن تمركزا امام باب سيسيل الكائن في شارع بول فيمان فأخطرت جاك فيبه بذلك واتفق الاثنان على أسلوب معين ، على أن تتبع الممثلة مسارا محددا ، وان تتوقف مرات عديدة خلال ذلك في بعض المقاهي ، على ان يراقب فيبه الأوضاع عن بعد . ومنذ أول مقهى ايقن تماما ان الرجلين لا يتركان صديقته قيد أنملة .

أما حداد حمادة ، فقد كان هو الآخر موضع اهتمامات ملحة ، لقد كان رجلا سريا لا مثيل له ، فهو لا يستخدم ابدا ، لا السيارات الخاصة ولا سيارات الأجرة ولا يتحرك الا بالمترو ، واتخذ الحذر المعروف ، وهو الصعود في آخر عربة والنزول في آخر لحظة ، وترك أول قطار يمر دون أن يركبه وذلك لكشف من يلاحقه . . . وقد كان ملاحقا فعلا ، الا انه تمكن ان يضيع في الضواحي العمالية ، ولم يكن لاختبائه الا

مؤقتا ، فقد انطلقت الملاحقة بعد ذلك بقليل .

وقد سبب تراكم هذه الوقائع ، حلق جويوحي بأن الاعتقالات وشيكة فرد جانسون باتخاذ بعض الاحتياطات . وطلب من كوريل ان يجد له محلياً رسمياً من الشبكة . ثم خطرت له فكرة بأن يسبب الضياع لملاحقيه ويهزأ بهم ، فتناسى محفظة في احدى صالات السينما ، وبها بعض الوثائق ، دفتر عناوين نقل اسماءه من دليل الهاتف ، ووثائق مرورة باسم جان لوي ادومون . اما الصورة التي لصقت على بطاقة الشخصية فهي صورة نقلت من تلك التي تزين احدى علب السكاير السويسرية، تسلى السيد (جوزيف) بهذه العملية كما تسلى بها جانسون ، وكانا مرتاحين وهما يتصوران رجال أمن الدولة ، يدقون ابواب هذه العناوين واحدا بعد الآخر .

واخيرا ، دعا جانسون عشية عام ١٩٦٠ ، بضغط من اصدقائه ، الى اجتماع عام في الصالة الخلفية في مقهى في قرية أنغان ، وكان جدول الاعمال هو كيفية التصرف في حال الاعتقال ؟ لقد كان الجميع تقريبا حاضرين ، وتركت المناقشات في نفوس المشاركين ذكرى اليمة . وكان جو الاجتماع صاخبا ، يصرح البعض بأن التصرفات تتميز باللاوعي ، ويطالبون باتخاذ اوامر أمنية شديدة وينتقدون (السلطة الفردية) بينما كان يريد آخرون القرار حالا دون انتظار ومن بينهم مونيك ديراكور ، وهي من اولى المنتميات الى الشبكة ، واعلنت مونيك بأنها توقف حالا كل نشاط غير قانوني . ولم ترد أن تجد نفسها في السجن ولديها طفل يجب تربيته . فأخذ جانسون الحديث ، في هذا الصخب ، وأعطى بعض التعليمات ، وقال : (اذا لاحظتم بأن الشرطة لا تملك دلائل كافية ضدكم، انكروا كل شيء . حاولوا ان تخرجوا من الورطة . اما الآخرون فعليهم ان يتحملوا الاعمال التي تتهم بها العدالة سياسيا) . وقد احترم الجميع هذه القاعدة ما عدا بعض الاستثناءات .

وللحقيقة فان جانسون ، وان كان يعرف بأن شبكته مراقبة ، فانه لم يكن يعتقد بأن الاعتقالات الواسعة النطاق وشيكة . لقد تعرف امن الدولة على هذا أو ذاك من حملة الحقائب . ولكن هل توصل الى تمثل تلاحم العلاقات ؟ كان جانسون لا يعتقد بذلك ، وهو على حق بالنسبة لتلك الفترة ، فهو يعتبر على الصعيد السياسي بصورة خاصة بأن ليس من مصلحة ديغول ان يقدم لنفسه محاكمة كبرى لفرنسيين تحالفوا مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية، اذ ان اثرها على الراي العام الدولي سيكون كارثة ، وستتحول المحكمة في فرنسا الى منبر سياسي . ان من الضرورات التي يخضع لها جانسون ، وهمه القائم ، هو اعطاء عمله صبغة جماهيرية . ولم يكن يتصور مكانا افضل من قاعة محكمة لا سماع صوته . الا انه لم يكن يأمل بأن توافق السلطة له على هذه الخطوة . ان هذا التحليل يتميز بالدقة الا انه بلا شك ، لا يغفر التناقضات الداخلية في الحركة الديغولية حتى تقديرها فهناك فرق بين دوبريه وميشليه .

(لوتامبور دولابايسل) ، هو مقهى كائن في الساحة التي تحمل هذا الاسم . ويتميز بأن عدة قاعات وطابقا اول يسهل اللقاءات السرية وكانت الشبكة تستخدم المقهى بين الآونة والأخرى . وفي هذا المقهى

خطط لاستقبال (الشخصيات الكبيرة) القادمة من المانيا . يوم ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٠ . وقد تم عبور عضويين من اللجنة الاتحادية . احدهما (بيدو) مسؤول التنظيم بواسطة سيارتين احداهما (٤٠٣) تفتح الطريق ، يقودها جاك اودوار وهو مساعد مخرج سينمائي ، ويرافقه جان كلود لوبير . أما السيارة (الناقلة) فيسوقها فيبه وترافقه علوريادي هيريرا . وكان من المتوقع وصول الركب عند الساعة السابعة مساء . وبعد الظهر اتصلت احدى فتيات الشبكة هاتفيا بفيرا هيرود ، صديقة علوريا دي هيريرا ، التي تسكن معها في الشقة الكائنة في شارع كلود برنار . لكي تعرف الى اي مكان يتم الوصول إلا أن هاتف الشقة كان موصولاً بمركز الاستماع . اذ ان فيرا هيرود ، موضوعة تحت المراقبة منذ عدة اسابيع . ويؤكد ذلك تقرير لأمن الدولة ، يذكر بأنه في السابع عشر من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٩ لوحظت فيرا وهي تدخل سيارة سيمكا فيرساي تحمل الرقم (س ف ٥٠٧٧) متوقفة في شارع انتوان بورديل"[٢] .

لا يمكن أن يفاجأ الانسان اذا كان بجوار مقهى (لوتامبور) ، الذي يعج بالناس بصورة غير عادية عند الساعة السابعة من مساء يوم ٢٧ كانون الثاني (يناير) . لم يلاحظ جاك اودوار عند وصوله اي شيء مشبوه فأوقف سيارته على طول الرصيف ، وكذلك فعل فيبه الذي انزل الجزائريين على بضعة أمتار من رفيقه . فأخذ جاك شاربي احدهما الى بيت الممثل الكوميدي فرانسوا روبير ، الكائن في منطقة سوق الخال ، اما وجهة الثين فقد اوقفت سيارة تاكسي وركبت مع الجزائري الآخر واخذته الى بيتها الكائن في شارع (لي ترواقرير) واكتفى رجال الشرطة المتربصون بأخذ رقم السيارة ، ثم اعطاهم السائق بعد أن استجوب ، عنوان شاربي .

وبدأ التسابق في ساحة الباستيل :

عاد فيبه الى سيارته ، بينما انطلق اودوار مبتعدا فركض حالا أربعة رجال نحو سيارة عادية ، وانطلقوا خلف جاك اودوار ، الا ان جاك تنبه الى ذلك ، ولاقى صعوبة كبرى في التخلص منهم ، فقد اضطر ان يتخلى عن سيارته وان يهرب الى صالة سينما في الشانزيليزيه ، تتميز بأن لها مخرجين ، أما أعضاء الشبكة الاخرون ، الذين كانوا عائدين في مقهى (لوتامبور) : دومنيك داربوا وفيراهيرود فقد تمكنا من الهرب . الا أن الشرطة تعرفت على مسكن شاربي وسجلت رقم سيارة اودوار .

وعند ظهر يوم الجمعة ١٩ شباط (فبراير) غادر فرانسيس جانسون ، وجاك فينيه ودومينيك داربوا ، وسيسيل ماريون ، الى بيت ريفي لا يعرف الا القليلون عنوانه . . . استؤجر خلال الشهر السابق في قرية لوثينه ، الواقعة غرب باريس واستدعي (أركان حرب) الشبكة لتدعيم الأمن اثر الاحداث الجديدة ، وكان على هيلين كوينا ان تلتحق بالمجموعة خلال يوم الست .

وفي ذلك اليوم نفسه ، الجمعة ١٩ شباط (فبراير) أخذ حداد حمادة لنفسه أمسية راحة ، وتعشى في

---

٢ - مصدر خاص .

بيت صديق قديم له سعيد حنون الذي يقطن في الشارع (٨) أورميسون ، وشاركهم علاوة الدقتي هذا الاحتفال ، وبعد العشاء ، قرر الثلاثة ان يحتسوا القهوة في الخارج ، وتوجهوا نحو ساحة الباستيل القريبة منهم ، ودون أي عجلة ، صعدوا شارع بومارشيه ، ودخلوا احدى المقاهي ، عند تقاطع الشارع مع شارع بادولامول ، وما كادوا يسندون أذرعهم على الطاولة حتى أحاطت بهم فرقة من رجال الشرطة شاهرين مسدساتهم . فأخرج حدادة حمادة ، بطاقة هوية جميلة باسم غي بن سيمون ، الا أن الشرطة كانت تعرف من هو ، فاقتيدوا الى شارع سوسي (مقر أمن الدولة) .

كان منسق اتحاد فرنسا موضوعا تحت المراقبة المشددة منذ صيف ١٩٥٩ ، ويذكر تقرير لأمن الدولة أنه قد لوحظ يسكن بيوتاً في شارع لابروييير في تموز (يوليو) وفي شارع موجيرار في آب (اغسطس) الا أن حمادة كان يغير دائما مكان سكنه ، وكانت الشرطة تفقد اثاره ، كما أن الشرطة كانت مقتنعة بأنه من مناضلي الجبهة ، وليس رجلا عاديا ، الا انها تجهل منصبه الحقيقي لكن النور انبثق في أواسط تموز (يوليو) ، ففي ذلك التاريخ صعد ولد يونس رئيس منطقة مرسيليا الى باريس ، حيث نقل الى الجنوب ، إثر الاعتقالات الواسعة التي تمت في عام ١٩٥٩ ، وذلك لكي يعيد تنظيم البنية الاقليمية . الا أن ولد يونس لم يشعر بالاطمئنان في مرسيليا ، ولم يكن على خطأ ، فكل ما يمس جبهة التحرير في هذا القطاع كان مصابا بالنخر ، فعلم أمن الدولة ، من مخبره المحلي ، بأن ولد يونس سيعود الى العاصمة ليلتقي برئيس الاتحاد ، وهكذا تم التعرف على حمادة الذي كان مشتبهاً به أصلا . وفي المساء نفسه وكان يوم جمعة اعتقل رجال أمن الدولة عليان حيمي رئيس ولاية (باريز - الوسط) والعديد من المناضلين والكوادر الذين كانوا موضع مراقبة مشددة طويلة

وفي يوم السبت ٢ شباط (فبراير) أيقظت دقة جرس عنيفة هيلين كوريا من نومها ، ففكرت بأنه موظف الغاز ، الذي أعلن عن مروره ، والذي بسببه أجلت سفرها مع رفاقها لكي لا يبقى المنزل فارغا ، فقد كان فارغا عندما مر قبل ذلك لتسجيل رقم العداد ، وبدون ان تنتبه الى الوقت هبت من فراشها ، وفتحت الباب قليلا ، فرأت ثلاثة رجال ، أكثر حقيقة من العادة ... ، فاستيقظت فجأة وفهمت ، وحاولت اغلاق الباب ، الا أن طرف حذاء انزلق بصورة طبيعية ومنعها من ذلك (شرطة ... اتركينا ندخل) وبدون انتظار الموافقة اقتحم زوار الصباح المدخل وهم يشهرون بطاقاتهم الأمنية .

(ألديكم مذكرة ؟) .

فأجاب الذي يبدو وكأنه الرئيس : لسنا بحاجة لذلك ، بالجرم المشهود . - (أي جرم مشهود؟ . انكم في بيت مواطنة سويسرية ، سأعلم سفارتي ...) . بالفعل كانت الشقة قد اشتريت باسم مواطنة سويسرية ، وبدأت المناقشات وطالت وهيلين كوريا تمنع الشرطة الاقتراب من باب يقود الى الغرفة الثانية ، فلم يجرؤ مفتش الشرطة على القيام بحركة خفيفة ، اذ أنهم مقتنعون بأن شخصاً ما ربما يكون مسلحا في الغرفة الثانية ، ثم ان هذه الفتاة العدوانية المسيطرة على نفسها ، فرضت عليهم الاحترام .

ولكي تنبه هيلين المارة وتجمعهم ، وتكسب الوقت ، أخذت تصرخ بأعلى صوتها (النار . . النار . .) . الا ان المفتش الرئيسي ردع الجيران الذين هرعوا عن الاهتمام بهذا الحريق وقتا أطول .

دق جرس الباب عند الساعة الثامنة ، فأسرع أحد الرجال بخفة ، وأمسك بقوة بقبضة الباب وفتحه فجأة ، وأمسك بالدخيل من قبة معطفه ، ودفعه بقوة الى الداخل ، امام فوهة مسدس . . . وكان مستخدم الغاز .

فهرب الرجل دون أن يسأل ابن العداد . وجرى الوقت ، وكانت هيلين كورينا تنتظر مكالمة هاتفية من الين شاربي وهي تأمل ان تستطيع تحذيرها ، وعاد الرجل الذي ذهب ليأتي بالأوامر وقال :

(انتهت الكوميدية ، انها ليست سويسرية أكثرمني ، للعب) فتقدم المفتشون وامسكوا بهيلين التي كانت تخبط برجليها ، وتخمش بأظافرها ، وتعض . وسحبتها الصحافة التي تحب مثل هذه الأشياء (الثمرة فأحيط بها . وقيدت يداها خلف ظهرها وتقدم رجال الشرطة نحو باب الغرفة الثانية ، دافعين بها الى الأمام مستخدميها كترس ، ودخلوا الغرفة بحذر . لا شيء ولا شخص ، وبعد أن أضنوا بخيبة أمل عادوا الى التفتيش الدقيق ، فسمع جرس الهاتف ورفع أحد المفتشين السماعة ، وفهمت الين شاربي التي كانت في الطرف الآخر وقطعت المخابرة . واستمر التفتيش ووجد المحققون مبلغ عشرين الف فرنك جديد ، ومسدس عيار ٦,٣٥ وهويات مزورة ، ووثيقة من جبهة التحرير ، ومجموعة كبيرة من المفاتيح ، والأهم من ذلك ثلاث مفكرات مليئة بالملاحظات . الا انها كانت كلها مرموزة ، الا موعدا واحدا كان مسجلا بوضوح ، ليوم الغد الأحد ٢١ شباط (فبراير) (زوايال جريج الساعة العاشرة ، قصيرة القامة ، تدخن سيكارة ، منديل أحمر) . انتهى التفتيش عند الظهر واقتيدت هيلين كورينا الى مقر امن الدولة .

في المساء في قرية لوتيه ، أخذ القلق بجانسون ، حيث لم تتصل صديقته بعد . اذ كان عليها ان تغادر باريس ، حالما يسجل مستخدم الغاز رقم العداد ، فاتصل هاتفيا بالشقة في شارع آكاسيا ، فلم يجبه أحد ، وحاول الاتصال بشارع كلود بيرنار ، حيث تقطن فيراهيروه وغلوريا دي هيريرا ، السكون نفسه ، اذ انهما اعتقلتا منذ الصباح .

وفي ساعة متأخرة من الليل تمكن جانسون من الاتصال بالين شاربي التي روت له حكاية الاتصال الهاتفي الغريب الذي قطعته . فعقد فرنسيس وفيتيه وسيسيل ماريون ودومينيك داربوا ، مجلس حرب مستعجلا ، وكان واضحا أن حملة اعتقال واسعة النطاق قد بدأت ، وبالرغم من الساعة المتأخرة من الليل ، قرر جانسون الرحيل ، فوصل في الساعة الثالثة صباحا ، يرافقه ثلاثة من رفاقه الى سان شيرون ، فدق جرس باب السيد بول فلامان ، مدير دار النشر (لوسوي) الذي لم يظهر دهشة أكثر من المعقول ، فاستضافهم ، وأدلى بدلوه ، حيث أنه حلق اللحية التي كان جانسون قد أرخاها ، واستغلت سيسيل ماريون الفرصة وصبغت شعرها أحمر ، أما دومينيك داربوا فصبغت شعرها أشقر .

بعد أن ناموا بضع ساعات ، عاد جانسون وفيتيه الى باريس لتقدير الخسائر اما الفتاتان فقد عادتا الى منزل قرية لونيه .

وفي صباح يوم الأحد ، وجد جيرار ماير ، فقرر جانسون ان اول شيء يجب عمله هو التأكد بأن هيلين قد اعتقلت فعلاً وها هما ماير وفيتيه ، يسيران ببطء في سيارة في شارع آكاسيا ، ويلاحظان بعد الرقم ١٧ ـ رجلين في سيارة متوقفة ويبدو عليهما انهما يترصدان ، وهكذا تحول الشك الى يقين ،وأعلم ماير جانسون بأنه على موعد في الساعة العاشرة في مقهى روايال بيربير ، لتلقي بريد الشرق الذي يمكن التعرف عليه من فولار أحمر ، وكانت هيلين كويتا قد عهدت اليه بتلك المهمة منذ بضعة ايام ، وبعد مشاورات دامت بضع دقائق ، اتفق الرجال الثلاثة بأن ماير يستطيع الذهاب الى الموعد دون مخاطرة فكيف لرجال الشرطة ان يعرفوا بهذا الموعد ؟

وصل جيرار ماير قبل الموعد بقليل الى المقهى ، ودعا احدى ضباط الاتصال الى هناك ، جاكلين كاريه لكي يناقش معها قضية اخرى ، وعندما فتح الباب تنبه بأنه قد القى بنفسه بين فكي الذئب (انهم في كل مكان) على الطاولات وعلى الرصيف ، متخفين تماماً ، فيما عداهم كانت هناك زبونتان هما : جانين كان ، التي تنقل الأموال المجمعة في مولوز ، وجاكلين كاريه ، التي استدعاها ماير نفسه ، وفكر ماير بسخرية (هكذا لا يمكن ان نضيع بعضنا) فاقترب من صديقته وهم الثلاثة بالخروج بكرامة ، الا أن الصالة فرغت وراءهم وعندما وصلوا الى الرصيف اعتقلوا ـ (*)

كان جيرار ماير قد سافر برفقة جان كلود بوبير الى بوردو ، لتوزيع مجلة (الحقيقة . . .) وكان بوبير يسوق السيارة المستأجرة ، ولم يكن من خيرة السائقين على ما يبدو ، ولا نعرف فيما اذا كان متعباً ، او عصبياً ، أو شارد الذهن ، فمهما يكن فان السيارة تركت الطريق قرب قرية ميراند ، وأصيب بوبير ببعض الكدمات ، فكتب له الطبيب دواء فوضع ماير الوصفة في جيبه ، وكانت الوصفة ما زالت في جيبه عندما اعتقل وحين سألته الشرطة من هو بوبير أجاب : رجل وجدته في الطريق ونقلته ولا بد ان أمن الدولة لم يكتف بهذا الجواب ، فحضر رجلان منهم الى الرقم ٣ شارع فرانسوا بونفان ، حيث يقطن بوبير ، وكان في البيت ، ويدون اي مشكلة اعلن للمفتشين (انني أتحمل كل مسؤولية ، تحيا استقلال الجزائر) .

والآن الى التالي :

ـ هل انت السيد شاربي ؟

عندما سمع شاربي اسمه رفع رأسه ، فرأى ان سبعة رجال قد أحاطوا به في صالة الفندق حيث كان ينهي طعام الفطور ، يوم ٢٠ شباط (فبراير) .

---

* ـ شهادة جيرار ماير .

- قوى أمن الدولة ... تفضل بمرافقتنا الى غرفتك .

كان شاربي يرتاح ، منذ أسبوع ، في فونت رومو في البيرينيه بعد أن أنهكته سنون الحياة المرهقة ، وكان أبوه النقابي الثوري وأخوه الذي كان يقدم بعض الخدمات في المناسبات للشبكة ، قد جاءا من تولوز لقضاء العطلة الاسبوعية ، ولم يثمر تفتيش الغرفة والحقائب . فحذره قائد المجموعة .

- لدينا اوامر بنقلك الى باريس .

- حسن ، هل استطيع توديع عائلتي .

- بسرعة .

فاستغل شاربي الفرصة وهمس في اذن اخيه (ترو ٥٥ - ٧٨) وهو رقم هاتف الدريه تورن الذي سيأخذ علما ويخبر ابن شاربي .

منذ قضية مقهى (لوتامبور دولابانسيل) والشرطة تلاحق شاربي عن كثب . ويذكر تقرير الأمن الذي قدم لقاضي التحقيق مثلا (ان شاربي روقب وصور يوم ٥/ ٢/ ١٩٦٠ في شارع تيرن في باريس ، بينما كان يتصل بعليان حيمي رئيس ولاية (باريس المركز) ، ولحق بهما بعد قليل جزائري آخر لم تحدد هويته ثم لحق بهما دومينيك داربوا) .[٦]

ولكي تتمكن مجموعات أمن الدولة من تحقيق مثل هذه (الملاحظات) زودت بمعدات متطورة ، وكانت تميل بصورة خاصة الى الشاحنات الصغيرة المغلقة التي يمكن تمويهها على شكل شاحنات نقل ، بالاضافة لكونها عملية للتصوير العادي والسينمائي .

وبعد أن اعتقل شاربي في قرية فونت رومو ، نقل في سيارة بيجو (٤٠٣) عادية الى مدينة بيربنيان ، واستقل القطار في مساء اليوم نفسه الى باريس ، يحيط به اثنان من المفتشين وعندما وصل الى رصيف محطة اوسترلتز (باريس) فجر يوم الأحد ٢١ شباط ، (فبراير) سلمه ملاكاه الحارسان الى زميلين باريسيين ، وانتهى به المطاف الى شارع سوسي ، مقر أمن الدولة . وعندما كان شاربي في القطار ذهب الى المرحاض وابتلع كل ما استطاع من صفحات مفكرته ، الا ان الدفتر ، للأسف كان أكثر من معدته .

في الحرف (ب) سجل شاربي ، بيرجيه جورج ٤ شارع فوبورسان مارتان ، فاعتقل الفنان الكوميدي في بيته ، ووجدت الشرطة ثلاث ورقات كاربون يقرأ عليها جبهة التحرير الوطني . خطأ قدري ، واعتقل في ظروف مطابقة روبير دنانك ، وهو مصور وصديق بيرجيه ، وكان محبا لأموال الجبهة ، ومثله مثل صديقه كان اسمه مسجلا على الصفحات ، عسيرة الهضم ، من دفتر شاربي .

---

٦ - تقرير في ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٦٠ مصدر خاص .

وتمكنت نخبة رجال أمن الدولة ، التي كانت تتابع حداد جادة ، منذ شهر كانون الثاني (يناير) من التعرف على أغلب الأماكن التي كان يلجأ اليها ، وهكذا فان القائد الجزائري كان تحت المراقبة يوم ١٧ شباط (فبراير) ، أي قبل يومين من اعتقاله ، وذلك بينما كان يدخل مبنى كائنا في ٤٦ شارع تيرد . توافق لم يأت صدفة : فهذا العنوان هو المسجل أمام اسم هنرييت كونت في دفتر شاربي ، وهنرييت كونت هي الممثلة صديقة المدربة توران ، وهي مثله من الممثلات السابقات في (غرونييه دي تولوز) ، أما توران ، فقد اسرع ، حال تلقيه هاتف شقيق شاربي ، الى غرفة الخدم في شارع تيرن التي كان حداد عادة يلجأ اليها ، وحرق كل ما يمكن ان يورط ، ولم تعتقل هنرييت كونت بل وضعت تحت مراقبة ظاهرة ومشددة .

اتصل توران بكثير من الحذر مع سيسيل ماريون التي عادت من لوتيه . وكان يلتقي بها في منزل كاترين سوفاج ـ ما العمل ؟ فأجابته سيسيل (ليس لدى الشرطة ، أو تقريبا ليس لديهم ، أي شيء ضدك او ضد هنرييت . اما انا فسأحاول الفرار الى سويسرا ، اعتمد علي ، وعليك القول انني انا التي طلبت اليك ان تعيرني الغرفة ، ولا تتراجع عن قولك .) مضى اسبوعان والفنانان يعيشان في رعب الفجر المخيف . وفي النهاية وصلتهما مذكرة دعوة للحضور الى مقر أمن الدولة ، موجهة الى هنرييت كونت ، وذلك يوم الثلاثاء الاول من آذار (مارس) ، وما أن دقت الساعة التاسعة حتى كانت الفنانة هناك ، وفي نهاية صبيحة هذا اليوم ، حضر توران بدوره ، وطلب مقابلة المفوض الذي وقع المذكرة ، فادخل الى مكتبه : فقال توران ، الذي كان يمثل أصعب دور لعبه في حياته الفنية : السيد المفوض انني هنا لمعرفة الأخبار ، فهناك اشياء غريبة تحدث ، لقد قرأت في الصحف ان سيسيل ماريون عميلة لجبهة التحرير الجزائرية . انه لشيء رهيب . انها صديقة لي . وما هو رهيب اكثر هو انني اعرتها غرفة او بالاحرى ، غرفة صديقتي هنرييت .

فأجاب الشرطي الذي لم يتأثر قطعا بهذه الفقرة المسرحية : حسنا لنذهب ونر هذه الغرفة . وكان التفتيش الذي جرى في شارع تيرن فاشلا تماما ، والسبب واضح . وذكر تقرير الأمن (بأن اوراقا احرقت الى جانب المغسلة)[٢] فقال توران منتصرا ، اترون ، لا شيء .

فأجاب الرجل : ربما ، ولكن بالانتظار ، سنحيلك الى قاضي التحقيق .

(أنني سعيد برؤيتكم ، فقد سرقت سيارتي) هكذا استقبل الممثل الكوميدي بول كروشيه مفتشي أمن الدولة الذين طرقوا بابه فجر الأول من آذار (مارس) . وقد تعرفت الشرطة على منزله الكائن في ٣٣ شارع هاكسو ، بينما كانت تتبع آثار حداد وفتش رجال الشرطة المنزل ، وفي غرفة النوم ، قاوم باب الخزانة فحطموه ، معتقدين بأنهم كشفوا مخبأ ، فمال الاثاث الى الامام وكاد يقع عليهم ، وانفتح الباب اخيرا ، فاذا بفراغ واسع امامهم . فحذرهم كروشيه (لا تخاطروا بلا فائدة ، فلن تجدوا شيئا هنا . . .) فاعتذر الرئيس عن الازعاج ، متفهما الموقف ، ومتأثرا بصفعات مضيفه وهمس في اذنه (سيد كروشيه ان ابنتي مشتركة في

---

٢ ـ مصدر خاص .

المسرح الوطني . . . (هذه اخر المناورات ، فاقتيد كروتيه ، الى شارع سوسيه ، الا انهم اطلقوا سراحه بعد توقيع محضر استجوابه مباشرة ، لكن أمن الدولة صحح هذا الخطأ ، بعد فترة وبعث به الى الزنزانة مثل الآخرين .

كان اسم المخرج التلفزيوني جاك تريبوتا مسجلاً ، اسود على ابيض ، في اسفل وثيقة صودرت في بيت هيلين كوينا ، في شارع اكاسيا . فهو وزوجته استعملا جنادا حمادة . الا انه كان يجهل كل شيء عن الشبكة . لكن تريبوتا وزوجته ، اوقفا رهن التحقيق وكذلك الامر بالنسبة لكريستيان غراما الطالبة في كلية الطب .

وفي ثانوية لافونتين سان جامس في نويي ، استغرب الكثيرون غياب ميشلين بوتو ، يوم الاول من آذار (مارس) عن دروسها بعد الظهر ، ذلك ان المدرّسة قد غادرت المدرسة صباحا سرا برفقة رجلين . وكانت معروفة في ملفات الشرطة (بانها عنصر متطرف) كما كانت اجتماعات (اللجنة من أجل السلام المفاوض عليه في الجزائر) تجري في بيتها في سيفر . وتم التعرف على ميشلين كعضو في الشبكة منذ مطلع كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ .

في الخامس من الشهر نفسه ، التقت فيرا هيرود (حلوة وراءهما اثنين من خبراء الملاحقة) ، بهيلين كوينا وميشلين بوتو في مقهى (البولونيس) في شارع سان ميشيل . وبحول الحيران (غادرت النسوة الثلاث المقهى المذكور على متن سيارة الآنسة بوتو ، وتوجهن الى نويي سورسين ، وعند ملتقى شارع مابو وشارع مونتروزيه ، نزلت فيراهيرود من السيارة ، ودخلت في مبنى في شارع مونتروزيه ، وعند عودتها كانت فيراهيرود تحمل كيسا من القماش المقلم ، وركبت في السيارة . وبعد ان انتهت الآنسة بوتو بان سيارتها كانت ملاحقة قامت بجولة طويلة في غابة بولونيا ، وفي وقت ما ، اعتبرت بانها لم تعد ملاحقة ، وتوجهت الى ٢٤ شارع لوكازنو في سورين ، وصعدت هيلين كوينا ، وهي تحمل الكيس الى داخل المبنى . الا انها نزلت بعد لحظات فالشقة التي قصدتها لم يكن فيها احد على ما يبدو ، وانزلت بوتو بعد ذلك رفيقتيها عند محطة مترو بورت دوفين(٨) » . ان دقة هذا التقرير تجعل من الصعب جدا الانكار . فاعتقلت ميشلين بوتو .

(ان الادارة تعتذر ، لان جاك ريال الذي كان سيلعب دور شخصية بيل قد وقع ضحية حادث صدام بعد ظهر اليوم ، وسيقرأ دوره عامل الديكور والثياب) حسب هذا الاعلان ، الذي جاء قبل افتتاح الحفلة الاولى لمسرحية (كارلونا) بلحظات امام الجمهور المحتشد ، الذي كان يتدافع امام مسرح هبرتي السابع مساء الثالث من آذار (مارس) ، وكان ريال سيلعب دور مفتش الشرطة في الصالة ، امام الشخصيات الباريسية . الا ان ريال كان رهن التحقيق منذ الصباح في مقر امن الدولة . فقد كان قائد

٨ - تقرير امن الدولة المؤرخ في ٩/٣/١٩٦٠ محضر خاص .

عندما سمع ريال بالاعتقالات الاولى تخلص من الـ ١٨ مليون فرنك (قديم) ، والثلاث سبائك الذهبية التي ما زالت في بيته ، ودفن كثره عند تل فاليريان (مقبرة الشهداء) ، وبالرغم من انه كان من رجال المقاومة الفرنسية ، فإنه لم يكن يهتم كثيرا بالرموز . ومنذ ذلك الحين وهو ينتظر القدر الذي كان يعتقد بأنه طبيعي ولا يمكن تجنبه . ويذكر تقرير ملاحظة فيراهيرود وميشلين بوتو (٢٤ شارع لوكاربو في سورين) وهو عنوان ريال ، كأحد المخابيء الرئيسية للاموال . وبعد ظهر يوم ٢ آذار (مارس) وبينما كانت فرقة مسرح هنري السابع تتمرن على (كارلوتا) للمرة الاخيرة ، طلب ريال على الهاتف ، وكانت زوجته ايفون هي المتحدثة (تعال بسرعة انني مريضة . . .) .

وتذكر الممثل ، لقد كانت بصحة جيدة هذا الصباح ، لا بد وان الشرطة في البيت . فاتجه مسرعا نحو سيارته ، وعندما وصل الى سورين فهم كل شيء عندما قالت زوجته : (لقد مر فانسان ويريد استرجاع المال باسرع ما يمكن) (وفانسان) هو جانسون الذي يمر راكضا في باريس في محاولة لترتيب الامور ، وتابعت ايفون : لقد غضب كثيرا لانك طمرت المال ، وسيمر لاخذه الساعة الثامنة مساء اليوم .

فقال ريال : حسنا سأذهب وأجلبه ، وصعد في سيارته وما كاد يدير المفتاح ، وينظر في المرآة ، حتى (رآهم) في سيارة بيجو سوداء تسير على مهلها ، ثلاثة رجال يحدقون في نوافذ الطابق الثالث ، فانبطح ريال على أرض سيارته عندما مرت سيارة الشرطة على مقربة منه ، فتجاوزته ، وتوقفت بعد قليل ، فنزل احدهم وتوجه نحو البواب ، وتحدث اليه وصعد في السيارة ثم ابتعدوا .

عاد الكوميدي واخبر زوجته بما رأى ، واتفقا على ان تذهب زوجته لتأخذ المال . وتوجه هو الى المسرح ، ليلعب دوره حتى النهاية . وكان موضوعا تحت المراقبة المشددة ، وبعد انتهاء المسرحية اخذ يبحث عن بيير لازاريف ، ممول المسرحية ، ليعلمه بأنه ، سيتغيب على الاغلب عن الافتتاح ، الا انه لم يجد مدير صحيفة فرانس سوار .

عاد ريال الى منزله وكان ملاحقا طيلة الوقت ، وعندما وصل الى هناك ، قالت زوجته (لقد اتى فانسان والمال معه الآن) ، فلو تأخر جانسون بضع دقائق لوقع على رجال الشرطة الذين يحرسون المدخل الآن ، واخيرا ، وفي الساعة السادسة صباحا قرعوا جرس بابه . وبعد تفتيش طويل ودقيق دون جدوى ، دعي جاك وايفون ريال الى التزود بثياب دافئة وبالمال لمصروفها الخاص ، اذ أن غيابها قد يطول . ومن مقر أمن الدولة اتصل احد المفتشين بالهاتف بلازاريف وقال له (ان ريال قد اصطدم بسيارة ، وانه لن يكون جاهزا لبعض الوقت .) .

كان هذا الاعتقال ، هو الأخير في سلسلة الاعتقالات هذه ، وبعد شهر من ذلك قبض على البين

شارع في بيت مواطن بلجيكي ، كان رقم هاتفه مسجلا في مفكرة هيلين كوينا »[9] واتهمت دونيز بدوا بالتعاون ، لانها قدمت غرفة لتكون مستودعا .

أما في مكاتب أمن الدولة فكان الجميع يفركون أيديهم أمام هذا الصيد المعجزة ، الا انهم كانوا مجبرين بأن يلاحظوا بأن السمك الملاّح (القبطان) أهم من كل صيد آخر ، فالسمك الكبير ، مجموعة تقريبا من جانسون وفينيه ، وسيسيل ماريون ودومينيك داربوا ، الأربعة الأكثر نشاطا في الشبكة ، هو الذي انقذ أمن الدولة بحقي حين ، بعد الزيارات التي قامت بها يوم السبت ٢٠ شباط (فبراير) الى منازل هؤلاء . وقد تم التعرف على سيسيل ماريون وجاك فينيه ، اللذين لم يكن لدى المحققين شيء هام ضدهما ، في منتهى (للعبور دولا باستيل) وكان رجال الشرطة ، كما ذكرنا ، قد سجلوا السيارة التي يقودها اودوار ، وتبين أن المالكة قد اعارت اسمها فقط ، واشترت السيارة بناء على طلب صديقتها سيسيل ماريون التي قدمت لها فيما بعد ، الشخص الذي سيستخدم السيارة فيليب فنيو صحفي في مجلة (ايكيب).

أما بالنسبة لفرنسيس جانسون ، وان لم يكن عند المختصين في أمن الدولة أي شك بأنه الرأس المفكر للعصابة، فلم يكن عندهم عنه ملف ذو قيمة . ويشهد على ذلك هذا التقرير الذي يقول (لقد تعرف على جانسون كل من براهي العمارات : رقم ١٧ شارع اكاسيا حسب المحضر رقم ٢١٧٨٤/١٧٨ شارع بيرنيه والمحضر رقم ١٧٨٣ باعتباره يساكن السيدة كوينا المسماة كلير الاز ، وفي الوقت ذاته كانت الشقة في شارع اكاسيا تحت تصرفه منذ عام ١٩٥٨ ، صودرت في هذه الشقة ، وثائق تهم مجموع الشبكة الفرنسية التي تعاون الجبهة . ان جانسون معروف منذ زمن بعيد من دوائرنا بعلاقاته مع مسؤولي الجبهة ، وقد تم البحث عنه بلا جدوى خلال عام ١٩٥٩ بهدف الاستماع الى اقواله . وقد ثبت أن فرنسيس جانسون وهيلين كوينا يعيشان معا منذ عام ١٩٥٨ في مبنى سيفران في ايسي لومولينو) .[10]

وهكذا نرى أن الحصاد هزيل ، بالنسبة لرئيس شبكة كان محط اهتمام بالغ ، الا انه لم يكن من مصلحة امن الدولة ان تسجل كل شيء في تقاريرها ، مهما كانت هذه التقارير سرية . ومهما يكن من امر فان رجال أمن الدولة بدأوا التحقيق بفضولية شديدة .

كانوا كلهم يعرفون ، بانهم سيصلون ، ان عاجلا ام آجلا ، الى ماوصلوا اليه . فيحسب كل منهم المخاطر ، ويخشى قليلا ، الا أن تصاعد (المهات) ، وتسارع الوتيرة ، والارهاق ، والتصرف الفطري ، بينما تصبح الملاحقات البوليسية اكثر وضوحا ، كل ذلك يقود طبيعيا الى ١١ شارع سوسيه مقر أمن الدولة وهنا

---

٩ ـ انه تطابق استثنائي ، فالرقم الذي كان مسجلا على المفكرة ، هو نسخ مرموز لرقم آخر ، ليس بينه وبين رقم الشارع أية علاقة . وكذلك الأمر مع العنوان البلجيكي .

١٠ ـ مصدر سابق .

هم فيه . يسيطر عليهم الخوف (فرواية الخرخرينة قابعة في مكان ما في ذاكرة كل منهم) والجهل لدى العديد منهم (جهل من وقع ومن نجا) وللعديد نقص بالتجربة ، فالغالبية ليس لديها عن القضية سوى معارف سطحية قرأتها في الكتب .

(اننا لا نغيد النساء عادة ، ولكن معك ، لا بد من الحذر) فتلقت هيلين كوبنا هذا التفسير وكأنه تأبيل من المديح . فقد اثبتت في شارع اكاسيا ، بأن الجرأة والحيلة لا تنقصانها . وفي شارع سوسيه ، بقيت كما هي . اقتيدت الى مكتب . فلمحت فيرا هيرود ، فلم تتفوه بكلمة ، ولم تلق نظرة أو إشارة ، ولم تتحرك أية واحدة منهما . وبدأت اللعبة . المفتشون (مهذبون) وهم يظهرون ذلك بالخاح مشوه . نحن هنا على أرض فرنسا ، والآنسة كوبنا الفتاة التي تخرجت مؤخرا من الجامعة ، ليست من تلك اللواتي ، يقطع عضو من اعضائهن ، او يعتدى على شرفهن قسرا ، والاسئلة مباشرة . أين فرنسيس جانسون ؟ وكذب واضح . فلان تكلم للتو ، فلا تتعبي نفسك بلا جدوى . اي والله ، انها تتعب ، فعندما ينسحب أحد المحققين للغداء ، يتظاهر الآخر بالصداقة (انك لم تبلغي الثلاثين من عمرك بعد ، وانت جميلة ، فلا تخاطري بالسجن عدة سنوات . بحادثة) فكان الجواب مباشرا وقاسيا (عدة سنوات من السجن ، سأكتب خلالها كتابا . . .)

اتبعت هيلين كوبنا الاسلوب الاسهل والاكثر فعالية فاعترفت (بانها ساعدت جبهة التحرير الوطني) ، اذ لا فائدة من الانكار ، اما عن الباقي فلم تبس بكلمة واحدة ، حتى أن رجال الشرطة تظاهروا باحترامها ، (كنت هادئة عرضوا علي كومات من الصور ، وعددوا اسماء اماكن ربما ارتدتها ، فلم اجب) وارتسمت ابتسامة عابرة على ثغرها حين ذكرها رجال الامن ، كيف غررت ملاحقيها ، العام الفائت ، عندما توقفت لتسأل احد رجال الشرطة ، امام اعينهم ، عن الطريق للوصول الى عنوان كاذب ، ونقل الرجل الى الامن مباشرة ذلك العنوان . . . واستمرت اللعبة ساعات وساعات ، وقيل لها فيما بعد وكأنهم يغرونها بأكلة لذيذة ، بأنها ستتمكن من اللقاء بجيرار مايير دون شهود ، ولم يكن الوعد كاذبا . فاقترب جيرار منها ، حالما لوحظوه وقبلها ، هامسا في اذنها (اسمعي زقزقة مكبرات الصوت) .

انتهى الدلال ، وأصبح الاخراج اكثر دقة . فصعدوا بها الى الطابق الثالث ، حيث تصعب الأمور على ما يبدو ، وتقول هيلين (فقال لي الرجل النحيل الجسم الذي يشبه عازا في الحقوق . . . موق ، انهم ليسوا مثلنا ، وسترين ذلك) ، والح الآخر الذي كانت تبدو عليه القناعة بشرف المهنة (على كل اذا قررت ، فعليك ان تروي لنا) وكأنه يريد أن يقول (لا تتكلمي الآن امامهم لاننا سنظهر وكأننا اغبياء)[11] وتكرر المشهد في الطابق الثالث ، حيث كان هناك رجلان بثياب مدنية فطلب احدهما الى الآخر ان يخرج من الغرفة

---

١١ ـ لقد صاغت هيلين كوبنا كتابا قصة اعتقالها بناء على طلب المنظمة الجزائرية ، وهذه بعض مقتطفات الحوار والروايات المختارة من المخطوطة الكاملة .

وخلع سترته ، واقترب مستعرا كمية صور جديدة واسئلة مماثلة . . . فقالت هيلين في نفسها (هذه المرة سيكون لي نصيبي من التعذيب) ولكن ذلك لم يحدث وانتهت الجلسة . وكتبت هيلين فيما بعد (في عام ١٩٦٠ لا تعذب في باريس فتاة مجازة في الآداب ، متهمة بالتعاون مع الجبهة ، كان ذلك من حصة الجزائريين المجهولين من الحي الثالث عشر ، او الشيوعيين الفرنسيين في الجزائر) .

ان لم تتعرض الفتيات ، بصورة عامة ، لتعذيب حقيقي ، فقد عومل الرجال بصور مختلفة ، ووقع للدور الاول على جاك شاربي ، وكان الكل ينتظرونه ، وعند وصوله الى فون رومو ، كان استقبال المفوض سيريللي له صاخبا (اه ، ها هو العزيز شاربي) كما كان استقبال مرؤسيه اكثر صخبا :

- قل لي هل قرأت كتاب (الغرغرينة) .

- نعم .

- أصدق القول هل ما جاء فيه هو الحقيقة؟[١٢] .

وبالرغم من هذه الصراحة الواضحة . . بدأ شاربي يتظاهر بالبراءة التامة ، لا لانه فكر بان اقواله مقبولة ، بل لانه يأمل الحصول على معلومات عن مصير جانسون ، ومدى الاعتقالات . وبدأت الدوارة تدور . فهناك الوحش ، الذي تكاد عيناه تنزفان دما ، يتبع المثقف القلق ، الذي يدفع ثمن القهوة عند الاستراحة ويترك محله الاكسبريس تتدلى من جيبه ، وكانت الردود تتطاير على ارتفاع منخفض . سؤال : العرف جانسون ؟

جواب (هنري جانسون كاتب الحوار السينمائي ؟ طبعا اعرفه) . واخذت كرة الطاولة تتطاير بحيوية . . . (حر نفسك ايها الفنان سيريك شيئا) ونزلت كل الفرقة الى المرآب (اتعرف هذه السيارات) وكيف لا ، ان شاربي لا يعرف غيرها ، وهو الذي ادار قسما هاما من حظيرة سيارات الشبكة . فادرك شاربي خلال لحظات مدى حملة الاعتقالات ، فكل هذه الارقام كانت بالنسبة له هويات شخصية ، وها هو يقدر ما ضاع ، وما يجب انقاذه .

انزل المفتشون البرادي ، وها هو الان يظهر على الشاشة ، تصوير هواة ، فقد كانت الصورة غير واضحة ، الا انها مضخمة ، ان الجزائري الذي كان يسلمه شاربي مغلفا في شارع نيرف ليس الا عليان حيمي ، شاربي يتنكر . . . صفعات ، ويكرر الانكار . . . لكمات ، الا انه يصر بجرأة على الانكار . فاقتيد مرة اخرى . . . باتجاه القبو ، كان هناك رجل مقرفص ، له شعر قذر ، وشعتان متورمتان مشققتان . انه حداد حادة رئيس اتحاد فرنسا ، فلك الرجل الذي كانوا يسمونه (السيد جان) فطرح السؤال نفسه على

١٢ - شهادة جاك شاربي الذي كان قد نشر بدوره (الجزائر في السجن) عن دار نشر مينوي ١٩٦١ .

المناضلين . من هو الآخر ؟ سكوت . وانت سيطالة الرشاش لتعالج فقدان الذاكرة عند الجزائري . فرسم غمزة عين وكأنه يضحك[١٣] أما شاربي فتلقى ضربة في بطنه وبكى .

وتبعت تلك الاهانات (اخلع ثيابك ، وكان شاربي مرهقا ، فأغمي عليه . وعندما عاد وعيه وجد نفسه ممددا على الأرض عاريا ، وتوالت اللكمات ، وضربات القضيب وصدم الجمجمة بمشع التدفئة ، وبدأ المناضل يتهاوى ويبهم ببطء بعض الاعداد وهو يقول في نفسه عندما اصل الى الرقم عشرة سأقول لهم شيئا ما . الا أن رجال الامن الذين لم يتصوروا بأنهم قاربوا الهدف الى هذا الحد . توقفوا عند الرقم خمسة . وخطر ببال رجال الامن ان يضحكوا ، فدعوا موظفين ليتأملا عراه (هذا القلو الذي يلاط ، برغبته ، من قبل العرب) وفجأة عادت الذاكرة بشاربي الى عام ١٩٤١ ، في أحد معسكرات التجميع في المعهد المتلري الفيشي ، كانوا اربعة ، يجبرهم مدير المعكسر أن يتعروا ويستعرضوا انفسهم امام رفاقهم (انظروا ، انه يهودي) وتتوالى الصرخات ، يهودي ، او عربي ، ممهور بالنجمة أو بالهلال (بامكانك أن ترتدي ثيابك ، أيها العبي) الى التالي . . . .

في الحقيقة ، يجد رجال امن الدولة انفسهم في موقف متناقض ، فالمعلومات المتوفرة لديهم دامغة ، وقد توصلوا الى التعرف على مقاطع عديدة من شبكة جانسون ، وتفرعاتها وغاياتها ، الا أن الخيط الذي قادهم الى ذلك هو الجبهة ، ولم يتوصلوا فعلا الى تحديد دور الفرنسيين الموجودين بين ايديهم ؛ أهم مجرمون ؟ ان هذا التأكيد لا يقبل التردد ، فقد ألقي القبض على جيرار ماير ، وجاكلين كاريه وجانين كان (بالجرم المشهود) . أما هيلين كوينا ، وجاك شاربي وفيرا هيرود وميشلين بوتو فقد هبت روائحهم منذ زمن بعيد ، كما تم التعرف على العديد من المحامي والسيارات ، الا ان الوثائق التي تدعم الاتهام كانت قليلة جدا ، فالقسم الرئيسي من الأموال اجتاز الحواجز والحدود ، والملفات الفردية الشخصية لكل من المشبوهين هزيلة جدا .

ومكن ذلك ، (ركائز) الشبكة من اتخاذ مواقف مشابهة لموقف هيلين كوينا (تبعا لنفسيتهم والتعب الذي يعانون منه والطاقة العصبية لكل منهم ، والخوف الذي يشعر به) . فجيرار ماير كان له هوسان ، هما كتم أحد عناوين جانسون واخفاء عنوان غرفته الخاصة التي اخفى فيها بعض (المواد) . فقد رجال الشرطة أعصابهم ، وعطلت الضربات واللكمات . ان هذا الشخص الذي يدعي بأنه مواطن بلجيكي يسمى كزافيه مابيل (حيث لا يظهر في كلامه أية لكنة) يثير فضولهم وأعصابهم . عرضوا عليه صورا لجانسون في الشانتزيليزيه برفقة بعض الجزائريين ، وصورة هيلين كوينا تقود سيارة ، ولكن دون أن يقدموا وثيقة دامغة ارتفعت حدة الصوت فاختار ماير كسب الوقت ، اذ ان الحجز الاحتياطي محدود بثلاثة أيام ، وذلك بترجيه التحقيق نحو هويته ، فعرف بنفسه ، واعترف بأنه فار من الجندية ، فلم يصدقه احد . فاستدعي ضباط من

(١٣) لقد قال حداد عادة الى المؤلفين ان (هذا كان لا شيء ، فيما لو كنا نعلقه) .

عملوا معه في المكتب الثالث في قيادة الاركان الى مقر امن الدولة فأكدوا اقواله . وهكذا مضى اليوم الاول . اما اليوم الثاني فقد خصص للبحث عن مسكنه ، فرفض في البدء الافصاح عنه . إلا أنه لمح في حديثه بأنه كان يراسل امه بانتظام ، فأرسل بعض المفتشين حالا الى النورماندي ، لاستجواب السيدة ماير ، التي قالت بأنها راسلت ابنها فعلا .. عندما لجأ الى سويسرا .. وهكذا مر اليوم الثاني ، ثم اتت (المجابهة) مع هيلين كورينا ، ومكبرات الصوت ، والبحث الدقيق في ورقة حساب فندق في مرسيليا (اعتبرها المفتشون بأنها اثبات بأن ديبوتيم كان يحمل كضابط ارتباط) كل هذا ابتلع الايام الثلاثة دون أن يمس قلب الموضوع .

ثم أن اختصاصيي امن الدولة يشعرون بضيق نفسي تجاه هؤلاء المثقفين، الذين يختلفون تماما عن (ضيوفهم العاديين) فيسجلون مندهشين معتقدات جان كلود بوبير الذي لم يعد يخشى لومة لائم . ويشاهدون، مضطربين نوعا ما، تمثيلة الكوميديين، والسينمائيين من (مجموعة شاربي). فلا يحتاج تريبوتا للف والدوران، فقد عرف بوجود الشبكة يوم اعتقاله، وكل ما فعله، انه استضاف من بين مائة رفيق استضافهم، جزائريا عرفه عليه صديقه بول كروشيه . وهذا الاخير التزم بدوره ، التزاما كليا ، بقواعد التقنين في الحديث، يحمد عليها ، فقد كان مفتاحه ضائعا في جيب منسق لنشاطات الجبهة في فرنسا، وهذا واقع ثابت، انتهى الحديث عنه. أما جورج بيرجيه فقد اصر بأن الكربون الذي صودر في بيته قد ضرب على الآلة الكاتبة من قبل شخص ثالث مجهول.

أما استجواب توران فكان اكثف بكثير من الآخرين ، فقد طحنه المفوض سيربتيلي واثنان من مساعديه طوال يومين متتاليين ، بالرغم من تكراره الاحتجاج بأنه حضر من نفسه الى دائرة الأمن ، وعرضت عليه صور وصور اخرى ، وكما كان متفقاً عليه لم يتعرف توران الا على سيبيل ماريون ، التي كانت اذاعتا تطنان في سويسرا حينما عند استجواب زميلها (هذه هي تلك الساقطة ، التي ورطتني ، اتعرفون اين هي ؟) وكان المحققون يأملون بكل حرارة ان يكتشفوا عنوانها، وهنا ايضا لعب الكوميدي لعبته ، فقد تمكن من أن يخلق بصورة شيطانية الاضطراب في نفس احد المحققين.. فقد التقط اسمه عندما تلفظ به احد زملائه ، وهو اسم لا يسمع الا في جنوب غرب فرنسا ، وتعرف الكوميدي على المنطقة ، وعند العودة الى التحقيق ، بادر المحقق بالقول :

- الست فلاحاً ؟ انا تقريبا ابناء المنطقة نفسها .

- كيف تعرفت علي ؟

- نحن ايضا لدينا ملفاتنا .

وشعر رجل الأمن بالقلق ، بأن يكون اسمه مسجلا في قائمة سوداء، فغير بحذر اتجاه الحديث، واخيرا وأمام هدوء الكوميدي الذي تناوبت فيه السخرية والغضب، لجأ رجال الامن الى المساومة، فاستجوبت هربيت كونت صديقته امامه : اربع ساعات متتالية وهي واقفة، وكان تقديم لمائة تبغ للفتاة مشبوعا دائما

بصفعة تطيرها من فمها ، لعبة صغيرة كبيرة ولكن دون نتيجة . . . . ستار ، نهاية .

عندما يمضي الزمن ، تصبح الرواية انقى ، وتطفو النوادر . ويتذكر بول كروشيه ذلك المفتش الذي جره الى مقهى في زاوية الشارع . ويقول له بوداعة (أنا الداعي) الا ان النوادر ليست الا زبد القلق ، نوع من الدفعه الماضي الذي ولى ، فجاك ريبال ، وان كان كوميديا بارعا ، (لقد لعب دور المراقب في مسرحية سة الكالوريا ، ودور المفتش في مسرحية كارلوتا ، فهو ايضا ، المحاسب الاساسي لأموال الجبهة ، واسمن قريبة اصطادها امن الدولة في شتاء عام ١٩٦٠) فهو يروي قصته منكمشا على نفسه ، وعينه متصلب وعيناه تدوران في محجريها ، ودون ان يظهر على وجهه ظل ابتسامة ، انه لا يروي الأحداث ، بل يصف شعور العزلة وربما شعور الحقد ، والاهانة ، والخوف بأن يقع الانسان ضحية خفة الآخرين ، أكثر من وقوعه ضحية افعاله . والصورة التي بقيت في ذهنه ، هي اولا ، قاعة انتظار رمادية ، مليئة برجال سمان ، ضخام الجثة وكأنهم مصارعون متقاعدون وبعد ذلك تترك هذه الصورة الجدية ، وبدون صورة انتقالية ، ليصبح الانسان دوامة او دريئة ، ثم الخدر في الاعضاء الذي يفرض عليه ، وهذا ما يعيه عليه رجال الشرطة بعد قليل ، اذ أن هؤلاء الذين اجبروك على الانتظار ساعات طوالاً ، يصبحون مستعجلين فجأة ومستعجلين جدا .

ـ هل انت شيوعي ؟ الا أن ريبال لا يجيب ، فقد القي القبض عليه مرتين خلال مظاهرات قام بها الحزب الشيوعي الفرنسي .

ـ أنت شيوعي ، انتا نعرف ذلك جيدا .

فهل يعترف ريبال بأنه لم يعد عضوا في الحزب الشيوعي منذ زمن طويل ؟ الا أن تلك قضية تخصه هو والحزب الشيوعي دون غيرهما وها هو التاريخ يتحدد :

ـ هل كنت منتميا للمقاومة الفرنسية ابان النازية .

ـ نعم .

ـ والمقاومة . . . اين مارستها ؟

ـ في مجموعتي مارسوان وفيني ، التي قادها ضباط من الجيش الفرنسي والجيش السري.

ـ هل حاربت ايضا في وحدات القناصة الشعبية .

ـ نعم .

ـ لم يكن جميلا عمل هذه المنظمة اليس كذلك ؟ كانت تحب سرقة البنوك .

ـ . . . .

- حسن ، لنتحدث عن اليوم ، اين جانسون ؟

- . . . . . .

- بينك ، كان حزينة الجبهة ، لا تنكر ، الم تنصب بالجنون لتخزين هذه الملايين ؟

- . . . . . .

- وكل هؤلاء الفتيات الجميلات اللواتي يتواعدن في منزلك لا بد وانكم تسليتم كثيرا .

ويقول ريبال (وفي النهاية ، رفعت وعليت وارتفعت الى الطابق الثالث ، وقذفت من المصعد ، وبسرعة النفاثة وصلت الى مكتب واسع ، وجوه جديدة ، ومظاهر الترتيب الهرمي . كانت رائحة القيادة ظاهرة) . ووجد ريبال امامه احدى الفتيات الجميلات ، اللواتي كن يجتمعن في بيته عدة مرات في الشهر لعد الدراهم . ولا بد وانها ايقنت بعدم جدوى اضاعة طاقتها في بارود شرف لا فائدة منه ، فهمهمت بأن حاك ريبال لم يكن مجهولاً بالنسبة لها . عند ذلك استسلم حاك للامر الواقع ، وبعد عشرين دقيقة من التفكير ، اخذ يفاوض اعترافه جملة بجملة ، محاولا تخفيف الاتهام على زوجته ، وتصغير حجم الحقائق التي مرت في بيته . وسمح له بمقابل ذلك ان يطلب وجبة طعام على حسابه ، فحملت خادمة المقهى القريب الطعام وعلقت قائلة (بائع سجاد آخر) ، مما يقطع ما بقي لك من شهية . . . .)[64]

ولم يحصل رجال الشرطة في (أفضل) الحالات ، وبصورة عامة ، سوى على تأكيد معلومات موجودة لديهم ، ذلك ان اعضاء الشبكة ، تستروا على الجوهر . وكذلك لان اساليب التحقيق . . . لم تتجاوز ما عاناه شاربي . كما اثبت المحققون ايضا بأنهم ، على طريقتهم قليلو الحديث . فقد عرضوا سيلاً من الصور والافلام ، والتقارير الدقيقة دون ان ينجح المتهمون في تقدير مستوى استنتاجاتهم بدقة . الا أن شيئا واحدا ثابتا ، هو ان الاشاعات التي ذكرت بأن جانسون قد حظي - دون علم منه - بتغطية من مقامات عليا ، كانت محانية لا أساس لها . فكل آمال الامن وهدفهم الوحيد هو اعتقال رئيس الشبكة ، والا فان كل العمليات التي قاموا بها سترتدي طابعا يشبه الفشل ، ولم يحقق رجال الامن في هذا المجال اي تقدم ملحوظ ، بينما التزم المتهمون ، اجمالا ، بالتعليمات التي اتفق عليها في الغالب . وتحمل الاشخاص الذين تورطوا اكثر من غيرهم المسؤولية السياسية عن اعمالهم دون تفصيلات اخرى ، بينما حاول الاقل تورطا تبرئة انفسهم .

ولوحظ ان هناك نوعا من الاستقرار وعدم الدقة في تصرفات رجال الشرطة ، اذ انهم يريدون المحافظة على المستقبل ، فجدران السجون تسمح بتسرب ما يجري فيه ، والمحامون ثرثارون ، فحرص كل المعلومات على المتهمين بعدلا اعطاء معلومات كافية للهاربين حول مدى تقدم البحث عنهم ، الا ان الاختلاف الفردي في هذا الاتفاق التكتيكي ، لم يكن ضعيفا ، فقد هدد الرجل الذي استجوب شاربي بكتاب (الغرغرينة)

---

٦٤ - لقد كتب حاك ريبال مذكراته لاستخدامه الشخصي ، كما فعلت هيلين كوبت ، وقد سمح لنا ان نقرأ هذه المذكرات .

كما لاحظنا ، ونرى بالمقابل ان الرجل الذي قدم محضر التحقيق لريبال ، والذي سجل التصريحات السياسية ، التي امر ريبال ان ينهي بها المحضر ، يشعر بالحاجة بأن يؤكد بينه وبين سجينه (نحن هنا في امن الدولة لا نلجأ الى التعذيب ، نعم التعذيب يجري في مخافر الشرطة) . الا أن الممثل الكوميدي يعترض في امن الدولة أو في غيرها ، هنا يعذب الجزائريون أما الآخر فقد انكر ، وكأنه يريد أن يقنع نفسه . ولا ننسى ان الحواجز التي اقامها المستوطنون في مدينة الجزائر قد سقطت ، فلم يبق قطاع عسكري او قمعي في منأى عن التناقضات التي تعصف به .

ومن شارع سوسيه الى رصيف اورلوج ، الى الزنزانات والسجون المؤقتة ، ومراكز التجميع ، والقذارة ، والبول والغائط ، والجدران العفنة ، حيث تغطي عبارات تحيا جبهة التحرير ، عبارات عاشت الحركة الوطنية الجزائرية ، والعكس ، وحيث نجد اسم ديغول مرفقا بكل الصفات المبهرة ، الى جانب جورج وبيل قبل « عميل مخابرات » و « زوجتي عاهرة » ! وفي قطاع الرجال ، كان جزائريون لم تعد وجوههم سوى جروح مفتوحة ، يئنون دون توقف . وكان الحرس قساة ، بصاقهم كثير ، وقبضاتهم سريعة . اما عند النساء فكانت المعنويات افضل من ذلك ، فتركت كريستيان غرافا العنان لنفسها ورفضت الطعام ، وصرخت في وجه سجاناتها ، بانهن سيرين فيما بعد وان اصدقاء ذوي سلطة سيتدخلون قريبا لصالحها ، وكانت تقول اي شيء لكي لا تستسلم لليأس .(١٥)

بعد رصيف أورلوج يأتي دور قصر العدل ، ربع ساعة من السير على الاقدام من ممرات الى سلالم ، الى ممرات ضيقة ، والنفاق ومن صالة لأخرى ، الى مكتب القاضي باتيته الذي يقع في وسط هذه المتاهة ، ويعرف المتهمون تماما بطاقته الشخصية عن ظهر قلب ، فهو يتمتع بسمعة الغلي في جبة القاضي ، وبرز بصورة خاصة في حق قضية كتاب (الغرغرينة) بقدر الممكن وأكثر من الممكن ويعتقد العارفون والعاملون بأنهم امام شبح ، وقد ورد اليهم بأن الجبهة قد حكمت على باتيته بالاعدام ، وان المحاولة قد تمت فعلا ، وهكذا لم يدهشهم الحوار الذي اختصر الى آخر حد (السيد . . . المولود في . . مهنته . . . انت متهم بالمساس بأمن الدولة الداخلي والخارجي) وبين القاضي لزواره الاخيرين ، (أمام خطورة حالتكم ، طلب القضاء العسكري التحقيق فيها) ولا يزيد على ذلك كلمة واحدة بلا جدوى ، الا أن الكراهية الرهيبة تبدو على ملامحه .

وتقول هيلين كوينا (الشرطة ، وأمن الدولة ، والاستجوابات ، لم ترعبني ، الا أن هذا الرجل الشيطاني ، الجالس خلف مكتبه ، جعلني ارتعد) .

وفي الطريق الى السجن ، في سيارات الشرطة ، تتوجه النساء الى سجن روكيت ، اما الرجال الذين

---

١٥ ـ لم تكن التهم الموجهة الى كريستيان غرافا (تنظيم الاقامة) تهما خطيرة ولكنها ادهشت شارع سوسيه . لقد قال تقرير لامن الدولة رقم (١٧٢٣) بعبارة انها (اظهرت احتقارا عميقا لممثل السلطة) وقد افرج عنها فيما بعد لعدم المسؤولية .

تبدأ اسماؤهم بحروف الالف الى اللام (حسب الترتيب الابجدي الفرنسي) فيتوجهون الى سجن فرين ، والباقون يتوجهون الى سجن (لاسانتيه) ويتكدس كل هؤلاء مثنى مثنى في قفص عمقه ٨٠ سنتمترا وعرضه ٤٠ سنتمترا . وينعطف السائق بسرعة ويدفع بحمله في كل الجهات . وفي النهاية ، يأخذ كل رقم حسابي رقما خاصا ، ورقم زنزانة ورقم قسم ، ارقام اربعة ، عقبات اربع تخلق مسيرة المناضلين .

الجزء الثالث

على الصفحات الأولى

١٩٦٠

١٢

أبواق الشهرة

لم يكن الصحفيون ، في أواخر شباط (فبراير) وأوائل آذار (مارس) ، في ضيق لاعتداءات أو حيرة ، فالمتطرفون في الجزائر ، بالرغم من هزيمتهم ، أكثر ثرثرة من برلمان تنازل تماما عن واجباته ، والمظاهرات الفلاحية التي انطلقت من أمبان ، التهمت على شكل هبات ، البلاد بأسرها . وتفجرت القنابل الفرنسية في روغانه ، وكان واضعو القنابل ، ارهابيو مرييان ، الذين أجلت وأجلت محاكمتهم ، يحاكمون في مرسيليا بغياب محاميهم ، الذين فروا الى سويسرا أو هم في المعتقلات ، واستعرضت العدالة الفرنسية عضلاتها ، وصدر قرار بتمديد فترة حجز المشتبه بهم احترازيا ، وكان اليسار يكافح من أجل علمانية الدولة . أما ديغول فقد بدأ ، بعد إقامة قصيرة في منطقة لانغ دوك (بجولة طويلة)، حيث لاحظ بأن شال قد سجل نقاطا ضده ، وها هو يحلم الآن بقوة جزائرية ثالثة . ويتساءل فيما اذا كان قد استعجل بفتح مستقبل تقرير المصير - المبدأ الذي أعلن فرحات عباس موقفه المؤيد له يوم ٢٩ شباط (فبراير) . كلا . . . بالتأكيد لا يمكن العودة الى أول السطر . وها هي باريس تستعد لاستقبال السيد خروشيف ، والأرض تهتز في اغادير ، وفي البلاط نلاحق الفضائح الأميرة مارغريت والمصور توني .

ومع كل ذلك ، فإن شبكة جانسون تحتل المكانة الأولى في الصحف اليومية الكبرى الطبعة تلو الطبعة ، وللحقيقة كانت تنشر أكثر في صحف فرانس سوار وباري بريس منها في لوموند (التي بقيت في موقف الترقب ، حسب أدبياتها الخاصة).

أما وزير الداخلية فقد تأخر في نشر الأنباء - حيث يبدو بديهيا ان امن الدولة يفضل العمل ، قبل أن يتكلم - وكان عليه الانتظار حتى يوم ٢٤ شباط (فبراير) ليصدر بيانا رسميا ، يعلن عن موجة الاعتقالات الأولى ، فكانت الاندفاعة . ونشرت باري اكسبرس بعنوان على عرض ثمانية أعمدة : الشرطة تلقي القبض على عشرة باريسيين مأجورين لجبهة التحرير ، من بينهم أساتذة وفنانين ، وفنيين من الاذاعة والتلفزيون الفرنسي . أما فرانس سوار ، فعنونت الأنباء (المسؤول الأول عن جبهة التحرير في فرنسا يعتقل في باريس ، كما اعتقل معه عشرة فرنسيين من بينهم ممثل ، ومدرستين).

كانت كل مثيرات الفضيحة مجمعة في هذه العناوين (مأجورون) ها هو الدافع الذي يريد من يشاغة

الجريمة. ان هؤلاء الرجال والنساء ليسوا الا مرتزقة مأجورين، هو اهم يباع ويشترى. ولهذا فانهم أكثر خطرا، وأكثر جنونا. وفي اليوم التالي ماذا نقرأ؟

(حدادحاده يقول: ان هؤلاء الفرنسيين الذين اعتقلتموهم هم جمهوريون اكثر مني)[1] ولكن للأسف تفند تقارير الشرطة ذاتها، والتي نقلت على طول أعمدة الصحف وعرضها. هذه(الروائب)التي لا تتجاوز خمسمائة فرنك شهريا. فمن يفقد ضميره وروحه من أجل مبلغ زهيد مثل هذا؟ وتعبر أسلوب الطرح بسرعة وحل محله مبرر آخر أقل وقاحة الا انه يحتوي على مغزى أبعد؟

إن هؤلاء الناس، ذوي المميزات الكبيرة، مجازون من الجامعات، ومثلوا على خشبات المسارح وغنوا في الاذاعة، تحولوا جميعا الى خدم للجزائريين أي الى عرب للعرب(خدم للخدم)، وهنا يظهر في هذا السقوط، نوع من الفساد الخلقي مرافق بانحطاط مخيحي. وهذا ما يلخصه موريس كلافيل بهذه العبارات المتميزة بقذارة جنسية لم يسبق ان سمعت مثلها قبل طوفان نوح، فيقول: (لقد تعرف «اليسار الصغير» تجاه جبهة التحرير بشكل يمكن أن أسميه(أنثوي)فقد عراه ببطء ودون ضجة، العنف والدم وكل ما هو بدائي في القسوة)[2].

وبما أن الصحف تتحدث عن الخضوع الأنثوي، فلنبحث عن المرأة، انها حاضرة وبأغلبية ساحقة. وعدت صحيفة باري بريس في عددها الصادر يوم ٢٧ شباط-فبراير- ٦٠ امرأة بين ٨٠ شريكا للجبهة، منذ بدء الأحداث ونشرت شريطا من صور (باريسيات جبهة التحرير الوطني)، اللواتي تم استجوابهن في مقر أمن الدولة شارع سوسه. وأطلعتنا الصحيفة قصصا غريبة. منها أن (دونجوانية جزائريين) كلفوا بمهمة إغراء بناتنا وزوجاتنا (سألنا المختصين في أمن الدولة، لم قدمت كل هؤلاء الفرنسيات دعمهن للارهاب؟ فأفاد هؤلاء بأنهم يعتقدون بأن ذلك يقع في اطار تكتيك منهجي اتبعته جبهة التحرير، التي بحثت بأسلوب مريع عن دعم نسوي في فرنسا. ولماذا؟.. ذلك أن للمرأة نصيباً أكثر من الرجل بأن تمر دون ان تنتبه الشرطة لها... فمنذ سنتين تقريبا، في آب ١٩٥٨ اكتشفت الشرطة التكتيك العاطفي للجبهة، وقد كشفت لهم ذلك وثائق صودرت في بيت سيسيل دوكوجي الكائن في ١٧ شارع لوسيان سامبكس. وسيسيل دوكوجي عشيقة رئيس الولاية الثالثة. اشترت الجبهة شقتها بمليوني فرنك وتعددت العلاقات الفرنسية الجزائرية من هذا النوع. وقد اعترف شاب جزائري اعتقل في ذلك الحين بأن التعليمات تعطى للارهابيين خلال تدريبهم، أن يبحثوا في فرنسا عن عشيقة فرنسية، وقد تمكن فاتنون جزائريون جميلون وذوو ألسنة معسولة

---

١ ـ هذا هو عنوان باري بريس في ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٦٠ وعلى ثلاثة أعمدة. وبمجرد انه لاحت أول فرصة كذب حمادة هذا الذي نسب اليه.

٢ ـ مقال ظهر في نوفو كانديد في ٢٩ آذار (مارس) ١٩٦٢ تحت عنوان عام (الخطيئتان ضد فرنسا)هاتان الخطيئتان كانتا خطيئة فرانسيس جانسون (الذي أدانه موريس كلافيل) وخطيئة جان ماري فلسان، مفجرة البلاستيك (حسب اعتراف الدريه فروسار).

ومزودون بالمالركيا يجب ، من القتك في صفوف بعض المسكينات). هذا ما نشرته بعض الصحف .

ونشرت قوائم بأسماء (الضحايا)دعما لهذا القول، وظهرت في القوائم كيفما كان دون رابطة ، أسماء ريموند بيشار مناضلة من الحزب الشيوعي الجزائري ، استشهدت في الجبال وسلاحها بيدها ، ودانييل مين ، وهي فتاة تطوعت ممرضة في الجبال أسرت مع مجموعة من المتمردين وجوزيت أوغي أم عائلة شريفة(أفراها) الجزائري عمار عطية ، ولنسمعها تبرر تعلوتها(أن الفرنسيين لا يمكن ان يصلوا الى كعب العرب). وأخيرا ويصورة خاصة أنيت روجيه وهي طبيبة شيوعية ، وعنصر فعال في شبكة مرسيليا ، اعتقلت قبل أربعة أشهر بينما كانت تنقل مسؤول ولاية جنوب فرنسا .

إن الجملة لا يمكن ان تكون عدوانية ، ويمكن أن نفهم ان بطبيعة الانسان قليلاً من العواطف ، وقليلاً من الحديث الذي لا معنى له ، يعلق بالقارىء . فبالتأكيد ان كل الجزائريين ليسوا قوادين ، وكل النساء اللواتي لا يهتم بهن أزواجهن لسن عاهرات ، ولكن ،كما توحي الصحافة(الكبرى)، عندما يلتقي هؤلاء بهؤلاء يكون الاعجاب المتبادل أعنف ، فالهدف إذن هو إظهار هؤلاء النسوة تافهات ووضعهن في اطار معيار معين ، أكثر من توضيحه ، فتلك وسيلة وليست غاية ، التزام بمناهضة الاستعمار ؟ . . .لا، هذا لا يعقل ، إنه نداء الجسد مناضلة ، وعاشقة ؟ . . . لا تخلط بين النوعين ، فالشرك منصوب أحسن مما يبدو فان سكتت المناضلة أو دافعت عن نفسها ، فهذا يعني أنها اعترفت ، وان ردت على كل هذه القذارات بملائكية مثالية ، فهذا يعني أنها تتجنب تناقضات حقيقية ان سر الصحافة الكبرى هو في خلق الامتحان عن طريق الجزء الأسفل من الجسم .

ولكن للأسف ومرة أخرى يا للأسف . . . فمجموعة المعتقلات الأخيرات لا يمكن ارجاعها الى هذا النموذج السهل . فهل يختلفن عن اللواتي سبقنهن ؟ ربما ولكن وقبل كل شيء ، غير العدو من اسلوبه(يبدو أن الجبهة ، قد غيرت اساليبها منذ تلك الفترة فان هي ما زالت تبحث عن شريكات مرسيات ، فانها تلجأ الى الاغراء أقل من لجوئها الى الايديولوجية وباستثناء بعض الحالات ، فإن الفتيات اللواتي اعتقلن مؤخرا لم يكن عشيقات للارهابيين ، إنهن ينتمين الى الأوساط اليسارية المتطرفة ، إنهن مدرسات ، ومؤلفات وفنانات نشطن عن قناعة أكثر مما فعلن عن حب). وفتشت صحيفة فرانس سوار،[3] بلاجدوى (في حياة غلوريا دي هيريرا القائمة بأعمال التطويع)، فها هو بواب المبنى رقم ٢٥ شارع كلود برنار يجيب باقتضاب لا مثيل له ، وصاحب المطعم القريب لا يعطي المصحفيين سوى هذا المؤشر الهش :

إن السيدة هيريرا والسيدة هيرود تأتيان غالبا الى هنا وتتعشيان سوية وتأكلان الحساء وتشربان البيرة . أما التحقيق في حياة ميشلين بوتو والذي جرى يوم السبت التالي[4] فقد ذاب بتفاصيل من هذا النوع .

---

٣ ـ فرانس سوار ٢٨ ـ ٢٩ شباط (فبراير) ١٩٦٠ .
٤ ـ » » ٥ آذار (مارس) ١٩٦٠ .

المتهمين الى القيام بنشاطاتهم ، هؤلاء الناس يحبون الجزائريين ، ولكن ، لكن وبعد ذلك ؟ . . .

وبما أنهم لم ينشطوا من أجل المال أو لأسباب جنسية ، وبما أن جنون الايديولوجية يحركهم ، فإن الكل يرغب بأن يعرف أي معتقد أو اية كراهية أو أي تفكير ، أو أي حدس ، هو المتغلب . وهنا الفراغ ، الفراغ التام . اللهم الا تفنيد هزيل شاحب لكتاب (الجزائر الخارجة على القانون) نشرته باري بريس[5] حيث يكتشف كاتب المقال في الكتاب ما يفاجئك (ثلاثة أجيال من المؤرخين برعوا في معقولية مدرسية) ويهبط بسوطه و (الفظاظة التي تفوح من كل فقرة) ،ويشجب (النوايا السيئة) فهل قرأ الكاتب (سارتر) لجانسون ؟ والذي يتحدث فيه عن الرواتب التي تدفع للعرب . . . وينهي كاتب المقال بحملة سخرية (رحة بالفلاسفة !) النتائج دسمة ، الا ان المادة هزيلة .

كان لا بد من الاكتفاء بهذه القلة ، خلال الأسبوع الذي تلا بيان الوزارة ، واحتاج وصول النقاش الى القمة ستة أشهر بكاملها ، فعلى اليمين يأتي جان بوشيه المعلق الاذاعي الذي تقع عليه مهمة تحطيم (جزائري الأطفال الذين يغمدون خناجرهم في ظهور جنودنا . . . والذين يتمنون انتصار جبهة التحرير ، كما كان آخرون يتمنون انتصار المانيا) في (ظلام اللاوعي والتعفن) الذي تسقط فيه البلاد .[6] أما على اليسار فسيحدث تحول تاريخي حقيقي ، متنوع ومتهيج ومتنافس وخصب .

اما بالنسبة للساعة الراهنة ، فقد عسكرت الصحافة الحرة واليسار على خطوط التماس ، إلا أن رجلا خاطر بكسر هذا الصمت ، فلم تكن من عادته ان يترك الموضوع يفتر ليمسك به ، فمنذ الثالث من آذار (مارس)خصص كلود بورديه المقال الافتتاحي في مجلة فرانس اوبسرفاتور لسؤال (لماذا يساعدون جبهة التحرير ؟) ، فصدم هذا المقال بعمق مناضلي الشبكة ، ذلك أنهم يكنون لكاتبه ، احتراما حقيقيا ، ولأنهم ، بأسلوبهم الخاص ، يقولون بانتمائهم الى التقاليد الموروثة عن المقاومة الفرنسية ، التي يجسدها العضو السابق في المجلس الوطني للمقاومة ،[7] أما كلود بورديه فانه يتذكر ، بأنه تمكن بصعوبة ، ان يفرض على جيل مارتينه (المدير السياسي) وعلى هكتور غالار رئيس التحرير ، مقالا كان يريد ان يكون مفهوما إنسانيا ، ويبين مع ذلك البعد بين (حملة الحقائب) واليسار المحبذ للقانونية ، او حتى جناحه الأكثر تطرفا . ويقول بورديه (ان معركة هؤلاء النساء وهؤلاء الرجال ، ليست معركتنا ، الا اننا نعرف أيضا بأنهم أناس شجعان ، مخلصون لا غاية لهم ، أي يستحقون الاحترام) وبعد ان يقول هذا يتهم (انه من الواضح ، نظرا لطبيعة الجماهير ، بأن الرجال والنساء الذين يساعدون جبهة التحرير ، يفقدون كل رصيد في معركة الكفاح من أجل السلام) وبمعنى آخر ، ان أصدقاء جانسون هم ، ان لم يكونوا عرضيين موضوعيين ، فهم على الأقل

---

٥ ـ باري برس ، ٢٧ شباط ١٩٦٠ .

٦ ـ أرسال ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٠ جملة تقول (هؤلاء الذين يتمنون ان تنتصر جبهة التحرير) ، ويشير بشكل خاص الى جان بول سارتر لقد حاول عناصر اعضاء الشبكة فيما بعد الحصول على الشريط المسجل عليه هذا القول ، ولكن دون جدوى .

٧ ـ المجلس الوطني للمقاومة ، اسس في ٢٧ أيار (مايو) ١٩٤٣ ولقد مثل كلود بورديه في هذا المجلس حركة (كومبا) .

يجزئون يساراً يحاول إعادة بنائه ببطء ، ويتابع بورديه أن اليسار لا يمكن أن يتبرأ منهم (فكسله وحوله أو بكلمة فلك الحذر التعيس الذي كافحت الحرب من خلاله ، له نصيبه من مسؤولية استمرار هذه الحرب وبالتأكيد وفي كل الأحوال يتحمل مسؤولية أساسية في خيبة الآمال ، والقرف ، والجزع الذي شعر به فتيان وفتيات أثارتهم الحرب القذرة ضد شعب ، والغاية حرمانه من الحرية . فبتخليهم عن الكفاح من أجل السلام باعتباره ثرثرة ووهماً ، وبهروبهم نحو الكفاح السري الذي تقوم به الجبهة ، بكل أخطاره ورومنسيته ، فكأنهم اتجهوا نحو النشاط الجدي الوحيد)

كل الأمر هنا ، وهذا تقرأ بين السطور (فبالنسبة لأكثر اليساريين جرأة ، يشكل أنصار الدعم للجبهة ، طليعة ضائعة لا سمعة لها ، أما بالنسبة للآخرين من كل الاتجاهات فإنهم ليسوا إلا خونة مندفعين .)

***

عندما نشر مقال كلود بورديه ، كان فرنسيس جانسون في باريس ، فقد دخلها بينما كانت الحمية البوليسية في أوجها ، وكان جاك فيبه أقل واحد من أعضاء الشبكة موضوعاً في بؤرة النظارة الأمنية ، فهو المسؤول عن زاوية القوارب في جريدة (إيكيب) الرياضية . ويختفي خلف لقب فيليب فيو ، وسمحت هذه الهوية الرسمية المزدوجة له ، بأن يكون نفس الشبكة دون أن يخوض في السرية ، وعليه اعتمد جانسون ، الذي أجبر على التقليل من تحركاته (وهكذا يستمر فرنسيس في لعبة البوكر ويسمح لنفسه بضربات خطرة ، كالزيارة التي قام بها إلى بيت جاك ريبال لاسترجاع الأموال « القديمة » المودعة في سورين) ، فتخلى جانسون عن الأعمال الأساسية في ترتيب (البيت) لجاك فيبه ، فأرسل فيبه عائلته إلى الريف ، وتأكد من عبور دومينيك داربوا ، ثم سيسيل ماريون إلى سويسرا ، ثم توجه بسرعة لمناقشة الأوضاع مع عمر بوداود ، فتصرف مع زعيم الفيدرالية بمنطق ، وقال (إننا نحبكم كثيراً ، ولن نتخلى عنكم لا أن لنا بيتنا التي يجب علينا حمايتها ، فرتبوا أعمالكم وأوقفوا نشاطكم) .

اتصل فيبه عند عودته من ألمانيا بمجلة إيكيب ، ليعلمها بأن زاويته ليست جاهزة . فحذره رئيس التحرير بأن رجال أمن الدولة استفسروا عنه ، وأن جاك غودبه (مدير المجلة) قد أعطاهم عنوانه ، إن السرية تفرض نفسها الآن . فلجأ فيبه ، الذي كانت لديه وثائق وهويات مزورة زوده بها جوزيف ، إلى شارع لاسبيد في شقة شارلوت ديلبو ، بطلة المقاومة الفرنسية ، وأخذ يراقب باشتباه بالغ نوعيات المترو . إلا أنه تبين له بأن الفقراء الذين ينامون هناك حقيقيون . وساعده اثنان من نشطاء الارتباط ، جاك أودوار وماتيه ساتعلا خلال الأسابيع التي تلت في ترتيب شؤون البيت ، ودفع أجور المحلين ، وبيع حظيرة السيارات وغير ذلك . . . وانقطعت الجسور مع الجبهة خلال ثلاثة أشهر ، بينما استمرت الأموال في اجتياز الحدود عن طريق كورييل ، كما أن أغلب الزمر الحدودية بقيت فاعلة .

بقي فرانسيس جانسون مختفياً في بولونيه - بيانكور في منزل كريستيان فيليب ، وكان اهتمامه الأساسي أن يحد من الخراب ، وبالطبع أن يقدر مداه ، إلا أن رجلاً واحداً باستطاعته أن يصل إلى ملفات التحقيق

وبالتالي لن يكتشف الطرق التي يسلكها أمن الدولة ، وهذا الرجل هو المحامي (الرسمي) للشبكة ، رولان دوما ، وهو ليس يساريا بالتأكيد ، إلا أنه ليس يمينيا متطرفا ، فهناك شارع في ليموج يحمل اسم والده الذي أعدمه الالمان بالرصاص . كما أنه يحتفظ من مشاركته في المقاومة في ليموزان ، بروح شعبية لم يعيرها بجاذبه المهني . فكأنه صحفي كان يتذوق الخبر النادر ، والفضيحة ، والقضايا غير العادية (بصورة خاصة تهريب الأخبار) . في عام ١٩٥٦ انتخب نائبا (كإشتراكي مستقل) منتم الى الى الاتحاد الديمقراطي الاشتراكي الذي يتزعمه فرانسوا ميتيران . وصوت في البدء ، بتعقل الى جانب غي موليه ، بما في ذلك على السلطات الخاصة ثم هرب ، سابقا بذلك معلمه بيير ماندس فرانس . ثبت أموره وأصبحت له مكانته ، شجاع بما يكفي لينسى كل ذلك ، وكان يعرف تماما بأنه يخاطر بمهنته وبحريته ، عندما استقبل مونيك ديزاكور التي نزلت عنده ، دون موعد في جزيرة سان لوي ، قائلة : (هناك حملة اعتقالات وجاسوس ينتظرك في مقهى قريب) .

- قولي له بالا يأتي هنا ، فذلك خطر جدا سأذهب الى قصر العدل ثم اتصل بكم .

وفي قصر العدل ، لا يتردد القاضي باتيه في اللعب بالكلمات والسخرية (الاثبات بأنهم يؤلفون شبكة ، هو أنهم وكلوك كلهم دفعة واحدة) .

الحجة يصعب الرد عليها ، كما ان اختيار المشبوهين الأكثر تورطا (ما عدا فرانسيس وجاكلين كاريه اللتان اختارتا جيزيل حليمي) ، يدعو الى الاستغراب فعلا ، وترافع (مجموعة دفاع الجبهة) الأساتذة بن عبدالله والصديق وفيرجيس وبوفيلار وكورنجي وورازيافسكي وزافريان وغيرهم ، عن (قضايا الجزائريين) ، أو بعض المحامين الشيوعيين مثل جو نوردمان وليو ماتاراسو بعد موافقة الحزب الشيوعي . اما رولان دوما فهو شاذ ، فكان عليه ان يضاعف الحذر والاحتياطات ، في الوقت الذي هاجت وماجت حملة صحفية عنيفة ، لأنه يلتقي (بموكل) تفتش عنه كل شرطة فرنسا ، وأخذ يرتب بنفسه المواعيد في أماكن احسن اختيارها بذكاء ، وكان أكثرها روعة تحت صديق ، متوقف على رصيف السين . كانت لقاءات متهورة ، الا انها مثمرة ، فها هو دوما يقول (كلما توسع التحقيق كنت أحيط جانسون علما بذلك ، لكي يأخذ الحيطة والحذر تبعا لهذا التوسع ، كانت اهتمامات الدولة تتركز على المقربين منه ، وتوصلت الى أعلمه بتطور الملف خطوة بخطوة ، ثم أنه كان من المهم جدا ان يشعر المعتقلون بأن النشاط ما زال مستمرا خارج السجن) .

ولكن ما الذي دعا محاميا مشهورا أن يلقي بنفسه بهذه المغامرة مخاطراً بأن يطرد من نقابة المحامين ؟ يجيب رولان دوما على هذا التساؤل قائلا (في تلك الفترة لم أعد مدافعا تقليديا ، وانفتحت عيناي على طبيعة الدفاع السياسي ، فلا يمكن ان يصبح الرجل محاميا في قضية سياسية دون أن يلتزم بها بكل كيانه ، في البدء ألهمت دافع التعاطف والانسانية ، ثم انحزت حتى انضممت الى معسكر الضحايا)[٨] .

---

(٨) مقابلة مع رولان دوما اجريت في آب (اغسطس) ١٩٧٨ .

قامت بين جانسون ووكيله ثقة عفوية ، مع العلم بأن العلاقات بينهما لا ترجع الا لبضعة اشهر . ففي نهاية عام ١٩٥٩ ، استقبل دوما الآنسة كريستيان فيليب كمبعوثة ، قدمتها له صديقة صحفية مشتركة ، فأعلمته بوجود شبكة ، دون اسم ، وأسرت له بأنه في حال وقوعه ، وهو امر ممكن ان لم يكن اكيدا ، فإن المناضلين الفرنسيين الذين يقدمون الدعم لجبهة التحرير ، يتمسكون بمبدأ الدفاع الفرنسي . فهل يقبل في الوقت المناسب ان يؤمن هذا الدفاع ؟ وفي مرحلة أخرى شرح له كوربيل ، الذي كان الدافع الى هذا السعي ، بتفصيل أوسع كيفية سير العملية وأهدافها ، فطلب دوما مهلة بضعة أيام للتفكير ، إلا أن رفضه للاضطهاد الاستعماري ، وخصوصا منذ الحرب في الهند الصينية ما زال قويا جدا . وكان قد جرب كثيرا ، على الأرض الجزائرية المحتلة في المستعمرات الفرنسية ، وقد امتنع كثيرا عن التصويت ضد من موليه ، ووجه العديد من الأسئلة الى بورجيس مونوري (بالرغم من معاتبة روبير لاكوست الذي كان صديقا لوالده) . وكان جوابه القبول . في تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٩ كلف كوربيل كريستيان ، بتنظيم أول مقابلة بين جانسون ومحاميه ، فسحر جانسون دوما الذي قال عنه (إنه بطارية كهربائية حقيقية ، يقود مثل المجنون) ، أما كريستيان ، التي اكتشفت الرئيس ، فقد حكمت بأنه ثقيل الظل ، إلا انها تزوجته فيما بعد .

وفي تلك الفترة ، في نهاية ذلك الشتاء من عام ١٩٦٠ ، لم يبق لجانسون ارتباط آخر غيرهما مع العالم الخارجي ، وحالما ثقلت تعليمات تدابير الأمن ، أصبح جانسون آخر رجل يفكر المناضلون الجزائريون الاتصال به . لقد كان يتمتع في أجهزة الصحافة بسمعة واسعة ، وإن كانت مكتوبة (بالأحمر) . اما على صعيد النشاط العملي ، فهو مشلول ، ومحروم من كل إمكانيات التدخل ، مجبر على عجز يثقل عليه بشكل فظيع ، وبما أنه لا يستطيع التحرك ، فانه سيكتب ، ويستغل مباشرة الشهرة التي اكتسبها مؤخرا ، ويحاول محاربة الأطروحة القائلة بأن الشبكة قد فُتّت .

أما تفنيد (تحليلات) صحيفة فرانس سوار ، او صحيفة باري بريس ، فعلى هذا المستوى ، ان الفضيحة وحدها ترد على الفضيحة ، وقد اختمرت في رأس جونسون الضربة السرية . لا ، ان ما يقلقه اليوم ، هو ما يفكر به اليسار ، هذا المزيج من التسامح الذي يعبر عن الأشياء ، هذا الارتياب السياسي ، الذي يعلنه كلود بوردييه ، فقرر ان يكتب الى فرانس اوبسرفاتور (وكتب في الزاوية اليسارية العليا من مسودته « لتذكر » بالتهم الموجهة الى بوردييه ، بتقديم العون للمتمردين) ولم ينشر المرسل إليه الرسالة ، بل اكتفى بالاعلام بوصولها في بضعة سطور ، في نهاية الافتتاحية التي نشرت في العاشر من آذار (مارس) وها هي في ما يلي ، مقاطع من تلك الرسالة : (. . . تقولون بأننا نتحرك نتيجة اليأس) .

(وهنا أيها العزيز ، كلود بوردييه ، أتوجه الى كل نزاهتك نزاهة الرجل ، نزاهة المقاوم : فكلتاهما معروفة تماما ، إنها من صفاتك . ولا بد من أن تصححوا الخطأ ، فلا الأصدقاء ، الذين اعتقلوا ، ولا الذين ما زالوا يمارسون نشاطاتهم ، يستحقون ان نلبسهم طاقية الحمار هذه . إننا لسنا يائسين إطلاقا ، ولم يبرح أي شعور بالمرارة ، لا اليوم ولا في الماضي ، أعمالنا . . . إنكم تتحدثون عن الهروب وتتحدثون عن

الروحية ، انني اود ان اقول لكم ، وبكل المحبة التي تربطنا ، والتي لم يؤثر فيها شيء ، بنظرنا ، بأنكم لم تروا الصواب ، ان موقفنا موقف سياسي ، وقد شرحت ذلك مرارا) .

(... إن لدينا عقيدة ، أيها العزيز كلود بورديه ، وإننا نناضل من أجل قضية ، انكم تعرفون ذلك ، وتعرفون أيضا بأن اليأس لا علاقة له بقضايا من هذا النوع ، إن مقاومتنا تبدو لنا أقل حظا من تلك التي اكتسبتم سمعتكم وشهرتكم من خلالها . ومع ذلك تذكروا أيها العزيز ، كم كان عدد رجال المقاومة في فرنسا ، حوالي عام ١٩٤١ ؟ فهل كنتم في حينه في (طريق مسدود) ، بحجة أن عملكم كان يجري (وسط لا مبالاة الأغلبية) و (لا يؤدي) الى إيقاظ الوعي ؟ كلا ، إنكم لم تقبلوا ذلك أبدا ولم تعتقدوا به مطلقا ، فكيف تريدون منا ان نقبله ، نحن الذين اخترنا ان نقدم العون لشعب يجابه جلاديه منذ خمسة أعوام ونصف ؟ ... (...) لقد أردتم ، أيها العزيز كلود بورديه ، بأن تبينوا بأنكم متفهمون قدر الإمكان ، إلا أن هنالك شيئا يجب فهمه : إن كل ما قمنا به ، انما قمنا به لأسباب سياسية ، وان معركتنا ، وإن لم تكن معرككم ، هي أيضا مثل معرككم ، معركة سياسية ، إنني افهم انكم قد لا تكونون موافقين على اتجاه سياستنا ، الا انني لا افهم من أين أخذتم الحق بتجنب المشكلة ، واعتبارها سلفا بأنها لا تستحق ان تستقطب انتباهكم) . طلقة نار في الفراغ ، فالأعمدة الصديقة في مجلة فرانس اوبسرفاتور ، أثبتت أنها غير مضيافة ، وطرحت هيئة التحرير المناقشات الى زاوية رسائل القراء ، حيث يبين احد القراء من شيربورغ عن قلقه ، اما رسالة جانسون فقد أخذت طريقها الى سلة المهملات . فهل خافت هيئة التحرير من القمع ، ام من مصادرة العدد ؟ بالتأكيد لا هذا ولا ذاك : فإن مارتينيه وبورديه ، يضاعفان الأسئلة ، والاستفزازات ، قد تكون مكلفة ماليا ، عندما يخبران بأن اللغف الموجود بين أيديهما متين ، ولكن في هذه الحالة بالذات اعتبرا بأن الأمر لا يستحق التعب ، لا لأن المسافة بعيدة جدا بين مناضلي الشبكة وجمهور المجلة فربما كان العكس أصح ، والخطر برأيهما هو العكس أيضا : انهما يخشيان بأن تتحول الجهود المستمرة منذ أشهر وسنين لخلق يسار جديد ، هذه الجهود التي قادت بعد اسابيع من رسالة جانسون الى تأسيس الحزب الاشتراكي الموحد ، اذن ، بأن تتحول هذه الجهود الى هبة من الاندفاع والحماس الشاعري لدى الأقلية . وكان همهما في تلك المرحلة وأكثر من أي وقت مضى ، ان يسبقا ، أنصار العون المباشر للجزائريين ، وإن كانوا أقلية ، فإن العدوى ممكنة ، ويبدأ جدل ما لبث ان تحول الى محاكمة للنوايا والحالات النفسية الموجودة .

***

عندما لا تسمع القرقعات ، لا يبقى سوى القنابل . لقد قذف فرانسيس جانسون قنبلة يوم الخامس عشر من نيسان ابريل ، وكان دويها مسموعا هذه المرة ، فعقد مؤتمرا صحفيا سريا ، مؤتمرا صحفيا بكل معنى الكلمة ، وليس لقاء سريعاً مع بعض المناصرين او المؤيدين ، حضر المؤتمر مصوران ، وحوالي خمسة عشر صحفيا من بينهم صحفي فرنسي واحد ، [٩] وديع المظهر لاذع القلم ، عيون ساخرة ومشية لا مبالية ، إنه

---

٩ ـ كان بول ماري دولاغورس حاضرا ايضا ، ولكنه لم يحمل شيئا ، وكانت الصيغة الاعلامية التي وضعت ضمن تحقيق عن الفارين ، قد ظهرت في الاكسبريس ، وكلفته فيما بعد التوقف الاحتياطي عن العمل

جورج أرنو، مؤلف رواية (ثمن الخوف)، محقق صحفي في كل المجالات وعلى مختلف الأصعدة، فهو الأستاذ الفعال الناتج عن النظرة الثاقبة والتجربة العميقة، رجل العلم والأدب وكرم الأخلاق. لقد استهوته فكرة إصدار مقال خاص لفرنسا كلها، وسحرته جرأة فرنسيس جانسون. إلا أنه اكتوى أيضا، منذ زمن بعيد، بنار التفكير بالمنطقة الجزائرية: فهو الذي نشر بالمشاركة مع فرجيه ملف جميلة بوحيرد. فعندما طلب منه صديقه جورج برالثي من صحيفة تريبون دي لوزان حضور المؤتمر، قبل الدعوة فورا. فقد أبهجته السمات التآمرية التي اتسم بها المؤتمر، بدلا من ان تردعه. إلا انه يجهل بأنه قد اشترى بطاقته الى السجن. ويعترف أرنو في عام ١٩٧٨ (بأن الرحلة كانت من أحلى الرحلات التي قام بها في حياته).

كانت كريستيان فيليب، قد اتصلت، بناء على مبادرة من جانسون، بهنري كوريال لكي يؤمن الترتيبات العملية لعقد المؤتمر، ووقعت مهمة إيجاد الشقة. ونقل الصحفيين المدعوين على دينار فوزي، على أن تعاونها إيزابيل فيشباك في سويسرا. اما جورج أرنو فقد ذهب مباشرة ودون وسيط الى المبنى الكائن في - ١ - شارع شين، العنوان الذي جهد الأمن كثيرا للحصول عليه. فقرع الصحفي جرس باب منزل السيد هنري ر. وقال، كما هو متفق عليه (إن علي أن أشارك في اجتماع الأساتذة).

ودخل، ولم يكن يعرف جانسون، كما أن جانسون لا يعرفه، ولم يريا بعضهما الا مرة عابرة. وكان أرنو متشوقا لاكتشاف هذا الحليف (للمتمردين)، الذي يهزأ بأمن الدولة في بيت بورجوازي. يقول أرنو (استقبلنا شاب وسيم دمث، لا سمات خاصة تميزه، أسمر نحيف، متوسط القامة، ببدلة جميلة وعيّنة تناسبها). وكان جانسون قد حضر جيدا كلمته [١٥] فرسم السياسات المؤيدة للجزائر الخارجة على القانون، وشرح كيف وصل الى القيام بمهمة التكتم لصالح جبهة التحرير. ويقول أرنو الذي كان يرقب كل حركاته (عندما يتحدث، تجاب ابتسامتك، حيوية النظرة، ان هذه الحيوية ليست نابعة عن شعور بالقلق، اما حركاته ومواقفه فتؤكد البديهي، ففي هذا الموقف الذي أقل ما يمكن ان يوصف به هو أنه مغامرة يبقى الأستاذ هادئا وكأنه نبي). هادىء نعم الا أنه قاطع: (لقد حول اليسار الى خرافة، حجة أن الرأي العام لم يكن ناضجا، وكانت هناك حقائق لم يكن مستعدا لسماعها. فكان لا بد من مراعاة صحته، وتجنب الصدمة. الا ان دور اليسار لم يكن ولا يجب ان يكون تابعا للرأي العام ان دوره هو ان يقول له الحقيقة مهما كانت مرة، وان يعرضها وان يطرحها، تلك هي المسألة). ادهشت المفاجأة أرنو وزملاءه (فقد جئنا كلنا أو تقريبا كلنا، لنسمع مبررات، مرافعة فات أوانها)، كان الجميع يتوقون الى اللقاء بمحارب سابق، وها هم أمام قائد يقود الحرب. فالرجل الذي لم يعترف له كلود بوردية إلا بدور الشاهد، يتحدث عن نشاطه، نشاطه الحالي الذي لم يتوقف:

(ما عدا ثلاثة أو أربعة اعتقالات، فإن الباقي من التنظيم لم يمس، وما زال يقوم بمهمات النقل

١٥ ـ يجد في الملحق (في آخر الكتاب) النص الكامل هذا التصريح وقد استخدمنا خارج هذا النص تقرير جورج أرنو المنشور والمتعلق بالحادثة التي اجريناها مع هذا الأخير.

والاتصال ، ونقل اموال اتحاد فرنسا التابع لجبهة التحرير الى الخارج)

وجاء الحديث عن الأموال، فقد صادرت الشرطة ثلاثة عشر مليون فرنك قديم وهذا مبلغ هام . . .

هام ؟ ـ هذا لا شك فيه، ١٣ مليونا. إلا أننا نخرج من فرنسا كل شهر أربعمائة مليون .

ـ لما زال هذا يتم ، وأنتم الذين تقومون به ؟

ـ الآن ، وما زلنا نحن .

وأجاب جانسون بسرعة على قضية الأجور التي يدفعها الجزائريون ثم أوضح بأن الشبكة قد لعبت دورا كبيرا وهاما في إقناع الجزائريين بعدم نقل حرب الجزائر الى الأرض الفرنسية ورفض بعنف كلمة (خيانة)

(إن حرب الجزائر هي مجابهة بين شعب وبين فاشية ، هذه الفاشية التي تهدد غدا ، فرنسا نفسها) .

مضت ساعة ، وكان جانسون قد رافع من أجل المستقبل ، ورسم الماضي : (لا بد وأن تكون الروابط غدا ، وعندما تكون الجزائر قد استقلت بينها وبين فرنسا ممكنة ، وكنت لوحدي أتصدى للقيام بهذه المهمة وكان من الضروري ان تقوم منظمة فرنسية ، وتنضم الى جانب الجزائريين دون ان يكون لها روابط تبعية معهم) .

أما عن الأساليب :

(يريد البعض ان نتبع « الأساليب الشرعية » و « الواجبات العامة »)

إلا أن الشرعية قد ماتت ، فعندما لم يعد هناك مجتمع وطني فرنسي ، فالمجتمع الفرنسي يحتاج الى إعادة النظر في بنيانه على أسس جديدة ، وحسب طروحات جديدة ، وتبعا لأهداف جديدة ، ان حكامنا اناس ليس لديهم روح المسؤولية ، فهم مهانون من قبل موظفيهم المكلفين بتنفيذ اوامرهم ، إنهم لا يحكمون انهم لا يفكرون . (وهناك ضرورة إنسانية ، فخمسة عشر بالمائة من الجزائريين مجمعون في معسكرات ، حيث يموت وسطيا ، كل يوم ، وحسب التقارير الرسمية ، طفل من كل ألف شخص ، وهذا يعني ان ألف وخمسمائة طفل حكم عليهم بالاعدام ، ان الثورة الجزائرية ليست رأسا متقدما وحاسما للاشتراكية في العالم الثالث فحسب ، فعن طريقها ، وبدعمها فعليا ، سيتمكن اليسار الفرنسي من بعث نفسه ومن مجابهة اليمين المتطرف وأن يقوم بثورته الخاصة) .

وعندما أنهى جانسون مؤتمره الصحفي ، اعتذر بسخرية بأنه المغادر الأول ، وفي الخارج قال أحدهم (إنني أرثي لحال القضاة الذين سيحاكمون هذا الرجل) ، أنهى جانسون . . . وبدأ أرنو ، أين نشر ما كتبه ؟ يقول أرنو (كان لي الخيار بين ثلاث صحف : فرانس سوار ، وباري بريس ، ولوموند . فاخترت

هذا الترتيب . لأنني كنت أريد أن أسمع صوتي للعالمية . رفض بير لازاريف في فرانس سوار . أما بيير شارني رئيس تحرير باري بريس فأعلن قبوله . فبالرغم من أن بير شارني يصب جام غضبه على مناضلي الشبكة ، أكثر من أي من زملائه الصحفيين ، فقد هوى تحت سحر الأغراء بالنبأ . فكتب جورج أرنو مقالة يوم ١٧ نيسان (ابريل) يوم عيد الفصح ، وسلمه يوم الثامن عشر ، ونشر المقال في عدد التاسع عشر من الشهر ، وكان مقالا دقيقا ، مختصرا ومعبرا ، تحت عنوان يحرك (اعترافات غريبة للأستاذ جانسون) وهكذا نجحت عملية (الجمهور الواسع) فقد استخدم جانسون طاقة الفضيحة ليحولها لمصلحته .

من الطبيعي أن الحلقة أغلقت ، ولم يبق على أرنو ، الذي كانت جيوبه تشكو من عجز مزمن ، إلا أن يقبض أجره ، ويحتفل بالمناسبة . ولكن للأسف وكما يغني ليو فيريه ، الزمن صعب ، فشارني يحتفظ له بالمفاجأة، لقد فصّل رئيس التحرير لمقال أرنو مقدمة كتب فيها : تحت عنوان (النية مولد سامية) ، برمتها بكامله يقول: لقد وصلتنا الوثيقة المنشورة أدناه بواسطة جورج أرنو كاتب رواية (ثمن الخوف) . أن هذا الرجل ملتزم بالمعركة السياسية ، واتخذ مواقف بعيدة جدا عن مواقفنا تجاه القضية الجزائرية . إننا نجهل الأسباب التي دعت السيد فرنسيس جانسون الى أن يسر بهذا الحديث الى جورج أرنو ، وكذلك الأسباب التي دعت جورج أرنو بأن ينقلها إلينا . إلا ان رسالتنا كصحفيين تلزمنا بأن نضعها تحت أعين قرائنا . . . ويبدو ان هذه التظاهرة تهدف الى ان تشيع ، في الصحافة الفرنسية ، بعض الطروحات التي تحاول جبهة التحرير وحلفاؤها ، ان يدعموا بها هجومهم الأيديولوجي الجديد . أن القراءة الواعية لهذا المقال تكشف هذه الطروحات : انزلاق الحرب على الصعيد الأيديولوجي ، واتهام فرنسا بالنازية ، وتدويل الحرب الجزائرية على الصعيدين المعنوي والأيديولوجي ، يضاف الى ذلك طبعا النية بإثبات أن الجبهة وحلفاءها لم تضعف نتيجة لعمليات الشرطة . اننا واعون تماما للأهداف الدعائية التي تظهر في تصريحات جانسون ، إلا أننا نعتقد بأن من يريد ان يبرهن كثيرا . . . والواقع ، وبعد التصريحات التي أدلى بها فرانسيس جانسون ، سيكون من الصعب تقديمه ، هو وأعضاء شبكته ، بأنهم مثقفون وديمقراطيون صالحون في تناقض ايديولوجي بسيط) .

حذر . . . شارني هذا . . . حذر . . .

حذر وأخرق . جورج أرنو الذي هب قائلا : كيف وثيقة ، ماذا يعني ذلك؟ فأرسل حالا تصحيحا نشر يوم ٢٢ نيسان ويقول (. . . انه ليس كما جاء في تقديمكم ولحسم له ، تهمة ما كلفت بها ، بل عمل قمت به) إلا ان الصحفي لم يصل بعد إلى نهاية المطاف في المفاجآت التي تنتظره ، فقد اعتقله رجال أمن الدولة فجر اليوم التالي في بيته ، تهمة : التكتم على مخربين ، واتجهوا به الى مقر أمن الدولة ، ومنها الى سجن فرين ، فانفجر أرنو بضحكة قوية واسعة ، متشفية : هذه الحكومة التي لم يكن عليها الا أن ترفع الهاتف وتوقف المقال ، أو أن تصدر أمر مصادرة أخرى ، لتوقف توزيع باري بريس ، هذه الحكومة ترتكب الخطأ الذي لا يصدق باعتقال صحفي لرفضه الوشاية . عظيم جدا . يقول جانسون (من الوقت الذي

عشته سجينا في شارع لاسييد ، لم تبق لي ذكرى أحلى وأجمل من صورة جورج آرنو وهو يصعد الى سيارة الشرطة متفجرا بالضحك) وعاد شاربي ثانية الى لازمته . ويعد ظهر اليوم الذي اعتقلت الشرطة صحفيها ، نشرت باري بريس مقالا وصفته بأنه (كائن متهور مليء بالحنق والتمرد والاندفاع (. . .) مهووس بالحاكيات ، يبدو وكأنه يجد في العدوان المستمر تجاه القضاء نوعا من اللذة السوداء الجنونية) . إن المرء ليعتقد أن رئيس التحرير لم يستخدم هذا الرجل الشيطاني المراوغ الذي اوثق توقيعه في أسفل مقال (عفوا، وثيقة) . إن حبر هذا اليوم ، اليوم الثالث والعشرين من نيسان (ابريل) من النوع الثابت . كما ان السطور الأخيرة ، للتاريخ يجب ان لا تنسى . . .

(إن كل شيء قد بات واضحا الآن ، إن الهدف هو القيام بحملة دعائية ضد حرب الجزائر ، حملة اعترف الحزب الشيوعي نفسه بأنه لم يستطع القيام بها) لقد لعب الخط مع جانسون ذلك المساء .

السيد دوريسيفيه ، قاضي التحقيق العسكري الذي ورث الخطأ الوزاري (وما زالت امامه على مكتبه ملفات متهمي شهر شباط ـ فبراير ـ والتي أخذت من القاضي باتيبه) ، هو قاض متواضع ولبق ، متعود على جنود الفرقة الأجنبية الفارين ، وعلى المحاسبين المرتشين ، أكثر من تعوده على الرافضين من أحياء باريس والضفة اليسارية لنهر السين بالذات ، لقد كان يعتبر ديغول متطرفا ، فكيف يرى آرنو إذن . . . إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يعامل زائره باحترام ولباقة ، ويستحق الحوار الذي جرى بينهما ان يذكر هنا .

ـ إنني يا سيد آرنو بعيد كل البعد عن الوصول الى مستواك الفكري ، فالأفضل أن تمل بتمسك الأجوبة .

فأجاب الصحفي : أنكم بنظري ، أكثر كفاءة من محكمة عمل ، أو من لجنة تحكيم أدبي ، إنني مستعد للتفاهم معكم استعدادي لشرح موقفي أمام لجنة تحكيم لاختيار ملكة الجمال او امام منتدى فلاحي .

إلا أن كاتب المحكمة لم يفهم معنى منتدى فلاحي : فقال الصحفي : لا بد وأنك تعرف الاحتفال الذي يتوجونا فيه أجمل العجول .

ـ ليس لطيفا منك أن تنعتني بعجل .
ـ أنت ؟ لا . . . أنت ستكون الجزار .

وأملى الكاتب بكل جدية :

(في أيار (مايو) ١٩٥٨ ، وفي قصر أورسيه (مقر مجلس الوزراء) عقد الجنرال ديغول مؤتمرا صحفيا ، دعاني الى حضوره السيد دو بونغال ، وكان مؤتمرا متمردا . ان ثقة الجنرال ديغول بي مقدسة كما ان ثقة جانسون كذلك ، ولم أش به) . وأبلغ القاضي الى المتهم شهادة رئيس تحرير صحيفة باري بريس التي تنتهي بهذه السطور (لقد اعتقدت بأنه من المفيد ان أحذر أبناء البورجوازية ، من الاخطار التي يتعرضون لها ، بقبول تقديم خدمات لأناس لا يعرفونهم) وهنا استدار جورج آرنو نحو كاتب المحكمة وأملى عليه بجدية

أكثر مما سبق :

« إنني أسف أن أرى شاربي ، الذي يزيد وزنه على المائة كيلوغرام وكل عضلة فيه جبانة الى هذه الدرجة . . . »[11]

وعبر مائتا صحفي ، خلال شهر واحد ، عن تضامنهم بعريضة جاء فيها : (الصحفيون الموقعون أدناه ، يحتجون على تجريم واعتقال جورج أرنو ، بتهمة عدم الوشاية . فإن أي واحد منهم ، لو استجوب او الادلاء بأسماء الصحفيين الأجانب الذين حضروا هذا المؤتمر ، حول المؤتمر الصحفي الذي عقده جانسون ، لرفض إعطاء عنوان فرنسيس جانسون الشهيرة على الموعد ، وليس اليسار فقط ، بما في ذلك بيير شارلي الذي كان توقيعه هو الذي يحمل الرقم إنما قاعدة مهنية قطعية) وكانت كل الأقلام المائتين .

اما السيد ميشليه ، وزير العدل ، فهل بدأ يفهم انه منذ الرابع والعشرين من شباط (فبراير) أخذ يلعب بلا حذر بمحمل من البترو عليمين ؟ .

---

(١١) جورج أرنو . (محاكمة) دار نشر مينوي ١٩٦١ .

١٤

«الشبيبة تلتزم»

تدعمت منذ تلك الحين فعالية شبكة جانسون ، فألقت الدعاية المستمرة المترايدة حول اسم الرئيس ، ولعبة الملاحقة الايديولوجية والبوليسية التي يلعبها جانسون ، ظلا من الحماية على هؤلاء الذين تابعوا نشاطهم حول هنري كوريل . وكانت كريستيان فيليب ، تؤمن الاتصال بين الشيوعي المصري والوجودي الفرنسي . وكلاهما كان يشعر بأن شيئا ما يتحول ، وان هذا «الرأي العام» ، الذي طالما تحجج به يسار جبات ، أخذ يتصدع . وأتت أعنف هزة من الفئة الأكثر حساسية والأكثر نشاطا طبعا ، تلك الفئة التي تتبلور فيها التحولات الجديدة لأي مجتمع : ان الشبيبة تتحرك بسرعة ، بسرعة قصوى ، الى درجة تبعث على الاعتقاد باكتشاف آلاف المريدين التلاميذ المجهولين (للأستاذ) الموضوع على هامش المجتمع .

وانطلقت العدوى عندما كشفت السلطات يوم / ١٨/ آذار ، انها قبضت على شبكة تعمل على تهريب الرافضين تأدية خدمة العلم وايوائهم والمجندين الفارين منها ، وأن هذا التنظيم كان على علاقة وثيقة بشبكة جانسون ، ودخلت حركة (المقاومة الفتاة) بصخب في الصحف وعلى امواج الأثير . اما المسؤولين ، الذين تعرفت عليهم دوائر المخابرات العامة ، فهم قس يدعى الأب كريستيان كور اعتقل في مدينة مونلوسون ، وطالب من كلية الطب في مدينة كليرمون فيران ويدعى هوبير كورتي ، والأهم هو الموسيقي دييغو ماسون الذي موجيء على الحدود الفرنسية السويسرية عند نقطة أنماس - جنيف ، بينما كان ينقل على متن سيارته جنديا فارا هو جان كريسي . الا ان الشرطة ، حورت الواقع قليلا عند نشره ، فقالت أن العسكري والشخص الذي يساعده على عبور الحدود ، قد اعتقلا في القطار وهذا ما يخالف الحقيقة ، ويهدف بوضوح الى التمويه على تعزيز المراقبة القائمة على الطرق [1] .

أما بالنسبة للأب كور فقد بينت الصحافة مطولا ، الدور المقلق الذي تلعبه بعض البيوت الدينية ، التي اصبحت ملجأ ، بل ومحطة دوارة للفارين من الجندية من كل نوع ، وعادت الصحف بقرائها الى قضية

١ - شهادة ديغو ماسون .

(البرادو) التي غزت الصحف في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٨ . الا أن الصحافة ركزت الاضواء على ديبغوماسون، الطالب اللامع للموسيقار أوليفيه ميسيان ، الذي حاز على الجائزة الاولى لموسيقى الحجرة والبيانو، ولما يبلغ بعد الرابعة والعشرين من عمره . فكل هذه العبقرية تبهر الانظار، خصوصا ان ديبغوماسون يرث منه : فأبوه، اندريه ماسون ، رفيق درب الفنانين السورياليين وأحد كبار الرسامين في ذلك الحين ، وهو الذي وضع رسوم رواية (العزاء) التي كتبها صديقه اندريه مالرو.

ويرسم تقرير للشرطة هذه الحلقة من تلك السلسلة فيقول :

يصل الجندي الفار عادة الى محطة أنماس ، دون حقائب ، بواسطة القطارات التي تنقل التلاميذ والعمال من وادي أرف ، ومن جنيف . وسان سيرغ أوكولونيه ، ويتوجه الى بيت يقع في حي قبل لاغراند، ويعطي كلمة السر ويلتقي من ينقله ، ويقوده عندئذ ، تبعا للظروف الى الحدود السويسرية ، اما بياص مليرولا ، أو عن طريق احدى نقاط الحدود الثانوية ، المتواجدة على طول خط الحدود بين أمبيل ومولات ، وبيير أيوشيه . ويوجد بين قبل لاغراند، ومايرولا قطاع من الفيلات المتواضعة ومبان صغيرة للأجرة، ويبث حائط بحديقة تسمح بالتقدم في وضح النهار عبر خط الحدود، الذي يدل عليه جدول يمكن اجتيازه على الأقدام، فيتأكد الناقل بأن الفار قد اجتاز خط الحدود . ولم يبق على هذا الجندي الفار الا ان يتقدم للشرطة السويسرية لتنظيم تواجده ، أو التوجه نحو نقطة الاستقبال في فيلا شين بورغ التي تقع على بعد عشرة دقائق مشيا على الأقدام، من الحدود السويسرية الفرنسية، ومنذ تلك اللحظة يصبح بأمان[2] . . .

فما هو عدد الذين اختاروا المنفى ؟ وكم عدد الشباب الذين لم يذهبوا اليه متمردين وعادوا مع ذلك منه بحكم الفارين من الخدمة ؟ وكم هو عدد الذين هجروا الدراسة والأهل لفترة غير محددة ، وهم يجهلون متى وبأي ثمن سيتمكنون من العودة الى الحياة القانونية ؟ لقد بدأت معركة الأرقام قاسية ، غير واضحة المعالم . فلنبشر عندما عن الصحيفة الناطقة باسم جبهة التحرير الوطني ، التي تطبع في تونس، تقول هذه الصحيفة بأن عدد الذين رفضوا الخدمة العسكرية لان ضميرهم لم يقبل بالحرب ،والموجودين في سويسرا بلغ اربعمائة رافض، وأن سبعمائة فار لجأوا الى البلاد الاسكندنافية ، وسبعمائة رافض آخرين يتواجدون في البلدان المجاورة لفرنسا[3]. أما محررو (الحقيقة . . .) ، التي صدر عددها الخامس عشر في ٢٤ آذار (مارس)، فهم يذكرون رقم ثلاثة آلاف، ويأخذ جانسون بهذا العدد ايضا عندما يعقد مؤتمره الصحفي، وتبين وزارة الدفاع بدورها ان الخط البياني للفرار لا يظهر بتزايده، وتقدر عدد الفارين الذين قاموا بعملهم لأسباب سياسية بمائتي شاب لا اكثر.

وعلى أية حال، ومهما كانت دقة الاحصاءات (وان كنا نميل الى رقم يتراوح بين ثلاثمائة واربعمائة كعدد للرافضين الحقيقيين) فان هناك شيئا اكيدا . هو ان الجدل الايديولوجي بدأ حول الرفض والفرار من

---

(٢) باري برس ٩ آذار (مارس) ١٩٦٠ .
(٣) المجاهد ٥ شباط (فبراير) ١٩٦٠ .

الجندية ، الذي لم يكن الا في بدايته ، فشمل بسرعة كبرى عشرات الآلاف من الاشخاص . واحتوى هذا الجدل ، نظرة ناقدة ومرة ، على موقف اللامبالاة الذي تميز به الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي في الفترة بين (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦) والقرف تجاه خيانة القيادة الاشتراكية . وانتهازية تورير والاكتشاف الذاتي والاعتباطي للواقع الاستعماري ، وشك حثيث مؤلم حول امكانية العالم القديم بانتاج الثورة ، وكلها عناوين لم تكن قد ظهرت من قبل . وكان لصدور كتابين في آن واحد هما : (الفار) لموريين (صدر عن دار النشر مينوي) و (الرفض) لموريس ماشينو (دار النشر ماسبيرو) ، دور كبير في توسيع هذا التيار . اما (موريين) فليس الا جان لوي هورست ، الضابط السابق في القوات المسلحة الفرنسية في المانيا ، الذي وضع نفسه منذ عام ١٩٥٨ ، ومع جيرار ملير في خدمة شبكة جانسون . وقد اختار له جيروم ليندون ، مدير (دار ميتوى) هذا اللقب تخليداً لذكرى أحد المقاومين الفرنسيين . أما موريس ماشينو فقد رفض الخدمة العسكرية . وشرح كلاهما ، قبل صدور كتاب (الصحراء في الفجر) لنويل فافريلير[٤] ، بأية طرق وباية منعطفات ، وصلا الى اتخاذ القرار بمحاربة (الحرب القذرة) وبالتالي رفض الجيش الذي يقوم بها . فصودر الكتابان حال صدورهما طبعاً . الا ان المصادرة تعني الاعتراف ايضا ، وتبودلت حالاً النسخ المتوفرة . ويقول جيروم ليندون (لقد قادنا كتاب موريين الى محاكمة ، المحاكمة الوحيدة في كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٦٩ ، مما سمح لنا باصدار كتاب آخر هو (التحريض على التمرد) وهذا كتاب لا يمكن مصادرته ، الا انه عبارة عن تحرير عن المناقشات والمرافعات القضائية) .

لقد تغيرت بعمق ، خلال خمس سنوات ، طبيعة التمرد نفسها . فلم تعد المسألة ، كما كانت بالنسبة للرواد الاوائل المنعزلين (او المهجورين بالاحرى) ، من امثال اليان ليشتي او سيرج مانياه . ان يعرض المرء قانونيا رفضه ، وان يدفع ثمن هذه الجرأة بسنين سجن وصمت .

نشرت قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩ ، كتيبا بعنوان (شباب يخدمون مصلحة فرنسا) واحصى الكتيب اسماء الشباب الشيوعيين ، الذين فضلوا السجون على حمل السلاح في معركة أخوية ومنهم كلود ديبريه : مدرس التربية الرياضية ، والدهان أميل لوراتو ، والحداد فيربان مارات ، وعامل الكهرباء ليناندر ليتوكار ، وابوه عضو اللجنة المركزية ، والفني الميكانيكي جاك اليكساندر ، وغيرهم مثل فرانسيس رانقا وجان فاندر ، وجيلبير بليفيس وكلود فوازان . . . ويقول جاك دوكلو في مقدمة الكتيب (ان كل هؤلاء الشباب رفعوا اصواتهم ليقولوا بكل بساطة وبشجاعة «لا» للحرب في الجزائر) انهم رفعوا اصواتهم . . . فهذا امر مؤكد ، ولكن ليس لفترة طويلة ، الا انهم يحللون القرفصاء ، في قسطينة وفي لامبيز ، وآخرون في سجن الجزائر ، وعددهم ستة وعشرون رجلا ، لزموا الصمت لشهور وسنين ، رمز اصم لاحتجاج محترق .

اما الفئة الشابة المطلوبة للخدمة الالزامية ، فلم تكن مرشحة للاستشهاد بل للعمل . وتلك هي بنية

---

(٤) دار نشر ميتوي ، وروى نويل فافريلير في هذا الكتاب كيف فاز وحديه فورا امياء من الثوار ١٩ آب (اغسطس) ١٩٥٦ .

جنيفة قلعت . والاثبات على ذلك . . . (حقيبة صغيرة كان يضمها ديبعو ماسون الى صدره بقوة عنهما أطفل . ويسخر الصحفيون قائلين ، لقد وجدت الشرطة فيها توزيعات تنمو بعيدة كل البعد عن موزاوت ، وهي في الواقع بعيدة حقا عنها ، فهي بريد حركة المقاومة الفتاة) التي تمركزت قيادتها في المانيا ، بينما تعمل نقاط اتصالاتها جيدا في سويسرا . ويقول تقرير الشرطة بان جانسون قد ساهم في تأسيس هذه الحركة في ربيع عام ١٩٥٩ . وثبت من التحقيق ان هوبير كورتي الطالب في جامعة كليرمون فيرانو هو المرسل اليه الذي كان سيتلقى الوثائق المصادرة . وانه تعرف على الأب كور خلال الصيف السابق في ورشة العمل في صد غرانقال في منطقة اوفيرينه . ما عدا ذلك كان التحقيق يراوح في مكانه ، والمصادرات لا تقود الى شيء . وقد اعترفت ادارة المخابرات العامة دليلة في ١١ آذار (مارس) بأن الاعلان عن هذه القضية جاء سابقا لأوانه ، كما اعلنت ربما لتخلص نفسها من انتقادات رميلتها في امن الدولة ، بان تحقيقا يجري في صفوف المخابرات ، لمعرفة سبب افشاء هذه المعلومات ، الذي اتى في غير زمانه ، ولم يتفهم ديبعو ماسون القابع في سجن انسي بأن اعتقاله ليس الا ربحا في النهاية ، فقد حرقت حلقة من السلسلة ، الا ان الرمز الفرنسي (ج . ر) الذي يعني المقاومة الفتاة ، اخذ ينتشر بسرعة حيث أخذ به المناضلون المعروفون والمجهولون .

اما قصة هذا الرمز فهي طويلة ، وأول مرة لفظ به ، أو تم تصوره ، جرت في منطقة ايفردون (على شواطيء بحيرة نوشاتيل) في نهاية خريف عام ١٩٥٨ ، كانوا ثلاثة : جان لوي هورست ، الذي لقب فيما بعد باسم موريون ، وجيرار مايير ، الملقب جيو ، ولوي اوران ، وقد عقد الاجتماع في بيت أوران الذي يعتبر الأب الروحي لهم جميعا ، وهو شيوعي ، عامل ، أرسل الى لواء المدفعية ٤٥٨ ، ولنذكر ، بانه رفض لخيار المتوسط منذ عام ١٩٥٦ ، وربطته الصداقة في سويسرا بحالة بيرتليه الملقب لوسيان ، المراسل الرئيسي في لوزان لشبكة جانسون ، وأخذ الفارون الثلاثة يفكرون ، وهم يعتبرون انه لا بد من تجميع الجنود التائهين الذين وجدوا في انفسهم الشجاعة للفرار ، والذين يشكلون رصيدا ثمينا جدا غير مستخدم ، ويدور العديد منهم في دائرة مغلقة بدون عمل ، وبدون مستقبل ، وبدون حاضر ، وضعهم في تنظيم مستقل ، وخرجت العبارة خلال النقاش ، ومضت سنة بين النقاش والعمل .

ويروي جان لوي هورست هذه الطريق على طريقته الخشنة (كشيوعي كان لي موقفي الطبقي ، فاطر الزبون ، وجماعة الشبكة كانوا يعتبرون بان قواعد الامن تتطلب منهم الاقامة في الفنادق الكبرى ، وكنت أرتب عملية عبور كل اسبوع ، وعبر طريقنا على اقل من خمسين مترا من ثكنة لقوات الامن الجمهوري ، وبعد ساعة من هذا المرور ، وعلى بعد مائة كيلومتر منه ، كنا في فندق من الدرجة الاولى ، نتناول افخم المأكولات ، والشعر بأنني لست مرتاحا ، لم أن بيروقراطية بعض الجزائريين كانت تزعجني ، كما كنت اغضب من وجوهي الشبكة وكذلك من التشيع المسيحيين ، وعلى رأسهم بيرتليه ، وفي تلك الاونة قدم العجوز[*] الذي كان يأتي غالبا الى سويسرا ، ليسوي بعض القضايا المصرفية ، فخصص لي يومين كاملين .

[*] لقب ورني العطار متحمسو هذا الجيل الى هنري كورييل

وتحدثنا خلالها وبصورة خاصة عن تجميع الفارين من الجندية وبعد ذلك بفترة ، دق دافيزي المسمار الاول ، واقترح علينا ان نتدخل خلال مهرجان الشبيبة العالمي في فيينا ، فتدخلنا بالرغم من تصادم قصير مع بول لوران ، وبعد العودة من فيينا ظهرت ملامح المشروع . وأخذ كوريبل يوجه نحونا ، عن طريق دافيزي العديد من الشباب الذين يريدون الفرار من الجندية او العصيان . وبالرغم من مخاوف بيرتليه ، الذي يرى في كل هذه التصرفات نوعا من وضع اليد من قبل الشيوعيين على الدعم لجبهة التحرير الوطني، التقيت بعمر بوداود ، الذي دعم اتجاهي واقترح أن يقدم لنا الدعم المالي من قبل اتحاد فرنسا . وهذا ماكنا مضطرين لقبوله . فكان هدفنا أن نعيش على مساعدات واشتراكات المناصرين).

وواضح ان هذه الولادة لم تتم بدون ألم وتقلصات، فقد اتفق على مبدأ اقامة تنظيم يضم العصاة والفارين، الا أن بيرتليه كان لديه حدس واضح، بأن كوريبل يقدم جماعته اي الشيوعيين او المناصرين للشيوعية . أما روبير دافيزي الذي كان تقديره أكثر اعتدالا فيقول متنبها (في ذلك الوقت ، كان الاتهام بالعمالة لموسكو عملة شائعة) ولكن هل كان كوريبل يبذل الجهود فعلا لعملية تطويق؟ (لقد كانت عند هنري كوريبل افكار لا يتراجع في الاعراب عنها لكل من يريد سماعها ، ويحاول تطبيقها على مرأى ومسمع من الجميع ، وكان يقول دائما : لا تدعوا أحدا الى الفرار من الجندية ، اذ لم يكن لديكم مهمات محددة تسندونها اليه).

وبالرغم من هذه المماحكات، التي أدت الى نزاعات عديدة فيما بعد، فقد عقد مجلس تأسيسي أسس الحركة رسميا في أيار (مايو) ١٩٥٩ ، وكان جانسون، وكوريبل ودافيزي وبيرتليه من بين الحضور، فقرروا تسمية (المقاومة الفتاة Jeune Résistance) ، تراتبها من القدماء: هورست ، مايير ، أوران ، لوكا، لودمعورف وغيرهم . وتم الاتفاق على نشر الافكار في مجلة (الحقيقة . . .) وان يتم التمييز بوضوح بين العصيان والدعم. كانت وجهة النظر هذه تحظى بالاغلبية في الشبكة ، الا انها لم تحظ بالاجماع . وها هو آتيين بولو ، الذي لجأ الى المغرب ، يتمسك باعتقاده : (يقود الحزب الشيوعي نحو الدعوة للفرار من الجندية ، لبعض الشباب من عمال وفلاحين، الذين لا يريدون القيام بالحرب . واعدادهم كبيرة ، الى الدخول في مغامرة لا يستطيعون الخروج منها . فمن السهل بالنسبة لنا نحن المثقفين أن نعبر الحدود الى البلاد الاجنبية ، والعمل فيها . أما بالنسبة للآخرين، فالقضية اقل سهولة بكثير ، بالاضافة الى ذلك ، فان العفو لم يشمل يوما حالات الفرار من الجندية . وكنت اعتقد بأن من الضروري اتخاذ موقف اكثر مرونة ومختلف نوعا: فاذا اراد البعض أن يفروا او يعصوا، فليعرفوا بأننا سنأخذهم على عاتقنا، شرط ان يلتزموا فعليا معنا ، انني لم اكن ضد الحرب ولكن مع القيام بما في الطرف الاخر) ولم يكن موقف جان فيه مختلفا عن هذا الموقف.

ومع ذلك فقد انطلقت العملية وكذلك تقررت المعركة السياسية من جديد . وبين هنري كوريبل، خلال اتصالاته مع المسؤولين في والمقاومة الفتاة وبصورة خاصة مع جان لوي هورست) ، نال الأمر غير مرض في باريس ، وحرض الفارين على تحويل استقلالهم الذاتي الى استقلال تام تجاه جانسون وتجاه بيرتليه

فانقسمت المجموعة على نفسها ، وبصورة عامة كان الحد الفاصل الذي يقسمهم يضم الشيوعيين في جانب، وغير الشيوعيين في الجانب الآخر، ما عدا لوى أوران الذي يخالف بين انهاله القديم وطبيعته المتحررة - وكان من نتائج المناقشات، التي غالبا ما كانت متوترة بلا فائدة، وجود معطيات جديدة : لم تشهد شبكة الدعم حتى تلك التاريخ أية تجاهات سياسية ، وان (المقاومة الفتاة) بالرغم من وجود خلافات شخصية، تخفي غالبا بقناع صراعات مبهمة ، تحتوي صراعاً على السلطة ، وربما كان ذلك لان هؤلاء الشباب يشعرون (بوعي أو بدون وعي) بأن القضية الجزائرية تتحرك وان رهانا ما يرتسم .

كان عددهم عشرة رجال لا أكثر، يناضلون ويتصارعون ، وحضرت نسخة اساسية للطباعة (المقاومة الفتاة - العدد الاول). وتجمعت خمس شهادات تشرح اسباب العصيان . واصبح ديغوماسون ، الذي نسي الحذر ، باعتبار أن النار مست جناحيه بسبب الخدمات التي قدمها أبو عزيز، ضابط اتصال الحركة .

وفي نهاية ١٩٥٩ ، بدا بأن السلطات السويسرية أخذت تتضايق من هذه التحركات الظاهرية ، فأرسل جان لوي هورست الى فرانكفورت لتهيئة قاعدة للانسحاب .

لقد فعل فعلا حسنا ، ولم يكن الانذار بلا جدوى . ففي كانون الثاني (يناير)، أبعد جاك بيرتليه، وتبعه لوي أوران بعد قليل، فانسحب الجميع وتواجدوا في المانيا، حيث حرروا (كتيبا - برنامجا) جديدا مؤلفا من ١٦ صفحة (المقاومة الفتية تشرح موقفها)، صحح المعضلات قوي اللهجة (لقد شل خجل المسؤولين السياسيين وتخوفهم اليسار الفرنسي اكثرهما أثر في ذلك تحفز الجماهير . أما الشباب، فلأنهم هم الذين يقومون بالحرب، ولانهم هم الذين يتحملون فعلياالفاشية الموجودة في جيش الجزائر، ولانهم يشعرون بأن مستقبل بلادهم مسدود ، كانت لهم القدرة اللازمة لتطوير حركة رفض ثورية . فان عرفوا كيف ينظمون ، وان استطاعوا اقناع من هم اكبر منهم سنا، فانهم سيعبرون من الرفض الى المقاومة النشيطة، ويستطيعون تحقيق يقظة الشعب الفرنسي)

ويعطي المسؤولون عن المقاومة الفتية انتماءهم الى تمرد الجنود الاحتياطيين في أعوام ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ، الا ان اللهجة كانت لهجة الثائر أكثر من كونها لهجة احتفال بذكرى ، ويقولون : انهم يحذرون اندفاع الشباب ويدعونهم الى الصبر والحذر بحجة الواقعية ، ويعظونهم : (ثقوا بمنظماتكم ، فان لديها التجربة ، لا تفقدوا الصبر ، سوحد اليسار وبعد ذلك سيكون السلام في الجزائر ، اذهبوا واعملوا ما تستطيعون هناك ، اما نحن فسنرسل لكم الهدايا . . . ان الظروف المواتية لقيام الفاشية بعيدة عن ان تكون متوفرة حاليا في فرنسا ، ومتوفرة أقل من ذلك شروط قيام المقاومة ، ولا بد ان يكون الرجل رومانسيا أو يائسا أو مسؤولا لكي يستطيع التفكير بذلك) . فهل هم رومانسيون أم واقعيون . هؤلاء الذين أكدوا : (بأن العمل الثوري انطلاقا من رفضنا ، نحن الذين لا يمكن ان تقوم الحرب بدوننا، هو وحده القادر على أن يقود الى المفاوضات في الجزائر، ومن هنا يجب ان تتم وحدة اليسار ووقف تقدم الفاشية والحفاظ على الصداقة بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي) فهل هم رومانسيون أم واقعيون، أولئك الفتيان (الذين ما زالوا يكررون

حديثهم منذ أربع سنوات ، والذين انتظموا تحت تهديد الفاشية الكثافة المستعدة للوثوب ويضيفون: ان ساعة المقاومة قد دقت).

فهل نقدر اليوم كل ما احتوى هذا النداء من مخاربة التقاليد، وهل نقدر كم كانت الصورة التي يقدمها هؤلاء الشباب غريبة في عام ١٩٦٠ ؟ . يساريون متطرفون ، زمرة صغيرة بدون شك ، مليكس ، ولكننا الآن وبعد عشرين عاما نعرف تماما ماذا كان يعني هذا ، فقد أتت بعد ذلك التاريخ أحداث أيار ١٩٦٨ . وتمرد الشباب المشهور :

صدر الكتيب بعد اعتقال ديغو ماسون ، فكر الفريق القائد (للمقاومة الفتية) الذي انضم اليه جاك بيرتليه بعد ابعاده ، أن يستغل الدعاية التي اعطتها الصحافة الفرنسية للتنظيم ، وارتؤي وضع بيان ، ودعي لاجتماع في الغابة السوداء في ألمانيا ، في فيلا يمتلكها صناعي من بالاتينا ، نازي سابق ، تائب ، أمس بالسلام . فأوفد هنري كوريل ، الذي تقع عليه في ذلك الحين مسؤولية الدعم الفعلية . أحد مساعديه . مارتان فيرليه . وعرض فيرليه مبررات معاكسة للمبررات التي طرحها كوريل منذ بضعة اشهر . ودعا الى التقارب بين الفاريين من الخدمة والشبكة . ولم تكن الأسباب التكتيكية لهذا التحول معقدة اطلاقا ، فحليفة جانسون يعتبر بأن الأوضاع قد تغيرت ، سواء على المستوى الفكري أم على المستوى الأمني ، وقدم نفسه ليكون العمود الفقري للمجموعة ، الا أن ممثلي (المقاومة الفتاة) طلبوا مهلة للتفكير ، وجرى لقاء ثان في مايانس في مبنى قدمته الشبية الاشتراكية الالمانية ، وحضره كوريل شخصيا ، وعبّروا بالأغلبية عن ارادتهم في الابقاء على استقلالهم بالرغم من مراجعة شديدة في الاتجاه الآخر ، قدمها جان لوي هورست .

ذلك هو وضع (المقاومة الفتاة) عندما عرف الجمهور بوجودها . ووصفتها اجهزة الاعلام بأنها هيئة اخطبوطية تدعو الى العصيان وتموّنه . اما الواقع ، فانهم حفنة من المناضلين يعومون بصعوبة ، معزولين محرفين ، وانه لمن الخطأ مع ذلك تسجيل ذلك على أنه سبيل للسخرية ، فالمهم ان يعلن عن كل هذا وأن يعرفه الجميع بصرف النظر عن الفضائح ، وعن وجود الشبكات السرية ، حتى وان كانت الشرارة التي تحرق السهل صغيرة جدا .

إلا أن السهل يابس ، وللتأكد من ذلك يكفي القاء نظرة الى عالم الجامعة فقد قطعت مطالب الطلاب النقابية والقضية الجزائرية بعضها البعض ، بسبب خطيئة ميشيل دوبريه . فقد صدر قرار وزاري بتاريخ ١١ آب (اغسطس) ١٩٥٩ بانهاء تأجيل اثني عشر الف طالب مؤجل . ويقول جاك بلانسيه في صحيفة لوموند (ان هذه التدابير تأخذ شكل الاعتقالات الجماعية لهؤلاء المثقفين ، الذين يغذي العسكريون ضدهم حقدا تقليديا[*] . فاستجابت قطاعات واسعة من الجامعة للاضراب الذي قرره الاتحاد الوطني لطلاب

* لوموند ١٣ - ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩ .

فرنسا ، يومي الاربعاء ١٦ والخميس ١٧ آذار (مارس) ١٩٦٠ ، بالرغم من الصدامات التي سببها الطلاب اليمينيون المتطرفون عند ابواب كلية الطب . فتراجعت السلطات ، الا انها تأخرت قليلاً في التراجع . فحدث نوعان من النضج ، نضج سياسي : الاول عهد العموميات الانسانية . ونضج تنظيمي : فقد نبه النقابيون الطلاب الى انهم ، في الواقع ، الحجر الوحيد المتحرك على رقعة الشطرنج المتجمدة . الى ذلك ليس مجرد مغامرة عابرة ، فالشبيبة الطلابية تشكل من هنا فصاعداً ، قوة ، لا من حيث العدد فحسب ، ولا لأن موجات التكاثر السكاني تتدافع ، بل لأن المجتمع الفرنسي ، يتحمل في اعماق عمقه تحولات لا عودة عنها ذلك ان اصطلاح (البورجوازية الصغيرة) قد تغير في المعنى وفي الثقل ، فمن لا يرى في هؤلاء الرافضين ، سوى ابناء ابائهم يريدون البقاء بعيداً عن الخطر ، ليس الا أصم لوجياً فوجي ، ومن يتفلسفون حول الصراع بين الأجيال ، انما هم متأخرون خمسين عاماً عن يومنا .

عقد في ليون في ١١ نيسان (ابريل) المؤتمر التاسع والاربعون للاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، وبحضورة خاصة بعد ليال من النقاش الأدبي العالي ، انتخب رئيس الاتحاد ، بيير غوديه طالب في السوربون وممثل الاتحاد العام لطلاب الآداب[7] . أما القواعد التي تم على أساسها الاقتراع ؟ فهي الجزائر . ولا ننكر بأن النقاش تناول علمانية التعليم ، والامتحانات ، ومشاكل التعاون وكل ذلك ، الا ان المجابهات تركزت على نقطتين . اولاً : جدوى نشر كتيب ، أوصى به المؤتمر الثامن والاربعون الذي عقد في غرونوبل ، وكتبه شارل جوسلان بعنوان : النقابة الطلابية والقضية الجزائرية ، ويتحدث عن انعكاسات الحرب على الشبيبة من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٦٠ ، ويذهب الكتيب الى أبعد من ذلك ويضع قائمة بأسماء الطلاب الجزائريين المعتقلين والمفقودين ، ، ويوضح مدى تدني نسبة التلاميذ في الجزائر ، داعماً الحديث بالأرقام . باختصار فالكتاب يزيد من حدة ميل هذا الانزلاق الوعي ، الذي يقوده الى فضح التعذيب والى الدعوة للاعتراف بحقوق سكان المستعمرات بالاستقلال ، فتقرر في النهاية نشر الكتاب ولكن بأعداد محدودة .[8]

أما النقطة الاساسية الأخرى فقد طرحها غوديه قبل شهر ونصف . وكان يوم الحادي والعشرين من شباط تقليدياً هو يوم مناهضة الاستعمار ، فاقترح الاتحاد العام لطلبة الآداب ، اعادة توثيق العلاقات رسمياً بين الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، والاتحاد العام للطلبة الجزائريين[9] . فاعتبر البعض هذا الطرح فضيحة واستفزازاً . فقد حل هذا الاتحاد ومنع منذ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٨ ونقل مقره الى سويسرا ، ولا يجهل احد بأن هذا الاتحاد قد اقترب تدريجياً من جبهة التحرير الوطني حتى بدا وكأنه فرعها الجامعي ، فاستقبلت الطبقة السياسية ، بما في ذلك اليسار هذا المشروع الجريء ببرود ، وعندما استشار بيير غوديه مانديس فرانس ودياً عن رأيه حصل على الجواب التالي :

---

٧ - الاتحاد العام لطلاب الآداب ، كان الى جانب اليسار بكثافة ، باستثناء قسم اللغات (الانكليزية ، الاسبانية)
٨ - سنستخدم في الصفحات التالية هذا الكتيب غير القابل للوجود لو التبديل .
٩ - الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين .

(لو كنت رئيسا للوزارة لأصطررت لاتهامكم بالتعاون مع العدو)[10]. ومع ذلك أكدت (٧٣٪) من الاصوات في مؤتمر ليون هذا الاتجاه . أما البيان الختامي للمؤتمر فلم يحد عنه وقال (ان طلبة فرنسا ، يعبرون عن ارادتهم باتخاذ جميع التدابير التي من شأنها ان تسهل المصالحة بين الطلاب الفرنسيين والطلاب الجزائريين ، كمقدمة للمصالحة بين فرنسا والأمة الجزائرية . أيا كان النظام السياسي الذي ستختاره هذه الامة ، وللتعايش السلمي بين الشعوب ...) ان هذا النص يخرق بالتأكيد الكثير من المحرمات ، الا أن اسم جبهة التحرير الوطني بقي محرما . اذ أن يمين الاتحاد لن يتحملها . كما أن اتحاد الطلبة الشيوعيين[11] لم يظهر حماسا بل انه جر الاتجاه نحو الوراء ، باتجاه طروحات دفاعية باسم وحدة التنظيم الطلابي ، وكذلك اتحاد التربية الوطنية[12] . وهو أول شريك ومفاوض للاتحاد . وهما ما زالا يحتفظان بارتباطات وثيقة وقديمة مع المصالية . وهكذا نفهم لماذا ترتدي قضية اعادة العلاقات المحطمة مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أهمية خاصة ، فالقضية تتطلب اللقاء بالطلبة الجزائريين ، وبالتالي فهي تتطلب ضمنيا تفضيل جبهة التحرير الوطني . وعلى هذا الأساس تم تسمية غوديه . ويروي لنا ذلك هو شخصيا اذ يقول : اني ما زلت احتفظ بذكرى رهيبة ، عن ليلة كاملة من النقاش ، تأرجح خلالها تمثلو (الأقلية)[13] بين جان ماري دوبون رئيس اتحاد ليل[14] وهو اتحاد قوي ، اداري جدا ، ويميني . وتوجه الخيار نحوي لاسباب سياسية ، وبصورة خاصة بسبب اقتراحي الخاص بالاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

وتغيرت الامور بسرعة غريبة منذ شباط (فبراير) ، كما أن الجو تغير بصورة ملحوظة . فحيت الصحافة السياسية قرارات مؤتمر ليون ، والتهب حماس موروفان لوبيك ، الذي لم يكن يوما من المتطرفين ، فقال (انهم لم يكتفوا بالنضال من اجل تأجيلهم الضروري (هو ليس ميزة ، كما يؤكدون بحق ، بل انه حق) بل انهم وجهوا نداء أخويا للعرب من ابناء جيلهم ، وفي ظروفهم نفسها (يا طلاب جميع البلاد ...) أه لو أصبح هذا النداء حقيقة ، ولو استطاعت جدية هؤلاء الشباب ، ان تتغلب على طفولة هؤلاء الشيوخ[15] ، ولم يكن الاثر صغيرا في الاجهزة نفسها . فالمجلس الوطني للحزب الاشتراكي الذي كان منعقدا في الفترة نفسها ، سادة الاضطراب ، واضطر غي موليه ، الذي وجد نفسه في موقف صعب ، أن يقسو في خطابه على الجنرال ديغول . وفي اتحاد الطلبة الشيوعيين ، أعرب (رأسا) الحركة سيرج دوباكي وفيليب روبيريو ، بتعقل ، عن عدم موافقتهما على (تطرف) غوديه ، فقد كانا يخشيان بأن يعتبر النقابيون الطلاب شركاء لفرنسيس جانسون . الا أنهم فوجئوا خلال لقاء مع لوران كازانوفا ، باحتجاجه على تعقلهما

---

١٠ ـ مقابلة اجريت مع بيير غوديه ، تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٨ .
١١ ـ اتحاد الطلاب الشيوعيين U. E. C .
١٢ ـ اتحاد التربية الوطنية F. E. N .
١٣ ـ كانوا اكثرية في الواقع ، ان الاصطلاحات القديمة حول الاكثرية والاقلية بقيت سارية المفعول .
١٤ ـ الجمعية العامة .
١٥ ـ (نحيا الطلاب) ، كنار انشينيه ، ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٦٠ .

(ان موقفه موقف شجاع ،ولا أحب ان يقال عنه بأنه يمس بعظمة الوطن ، فالمصلحة الوطنية شيء موجود أما (العظمة الوطنية) فليست تعبيراً ماركسياً ، وكذا بالنسبة لتوريز. وزاد كازانوفا احتياراً في حدة كلامه فأضاف (أنا، لو كنت شاباً، لأحببت أن أحمل حقائب جبهة التحرير الوطني)[١٦].

توافق تاريخ العلاقات ، بين الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا والطلاب الجزائريين مع تاريخ الكفاح الذي قاده الجناح اليساري في الاتحاد الطلابي . ولم يكن الاتحاد من قبل سوى نقطاعية ودية تموه (لاسياستها) المعلنة ما تموهه ذاتها . فاشتعل روبير شابوي ، نائب رئيس الاتحاد المكلف بلجنة ما وراء البحار ، الفتيل ، عندما أعلن بحرارة تشجيع الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، للمؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين ، الذي عقد يوم التاسع من تموز (يوليو) ١٩٥٥ في قصر لموتواليته . وبعد ستة أشهر من ذلك ، قام ألف من المتظاهرين في مونبلييه يتقدمهم الرئيس الفخري للاتحاد العام للطلبة[١٧]، جان مارك موسرون مناصلي اتحاد الطلاب الجزائريين ، من الاحتياج في سوق العمل . فتبادل الطرفان الضربات ، ولم يكن ذلك إلا بداية . فقد طالب الطلاب الجزائريون ، في شهر آذار (مارس) ١٩٥٦ ، باستقلال بلادهم . ودخلت الحرب قاعات المحاضرات في جامعة الجزائر . فأعلن الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا (فرع الجزائر - المستوطنون) الاضراب يوم الرابع من أيار (مايو) احتجاجاً على القرار الذي يسهل دخول المسلمين في الادارات العامة . فأضرب الطلاب العرب يوم ١٩ أيار (مايو) ووجه فرع اتحاد الطلاب المسلمين الجزائريين الاقليمي نداء تاريخيا . . . (. . . ان الأمان الكاذب الذي ننعم به لم يعد يرضي ضمائرنا . . . اننا نعلن جميعا الاضراب حالا عن الدروس والامتحانات الى أجل غير مسمى ، وعلينا ان نهجر مقاعد الجامعة ونتوجه الى الجبال ، يجب علينا أن ننضم جميعا ، وبكثرة الى جيش التحرير الوطني ، والى هيئته السياسية جبهة التحرير الوطني) .

وكان التمرد - والتصعيد - لا الكلامي فحسب ، كما يشهد على ذلك هذا المنشور الذي أصدرته (زمرة الدفاع) ، لجنة طلاب فرنسيي الجزائر الذي يقول (يا عصابة السفلة ،انكم تعتقدون بأننا سنترككم تتحركون دون أن نرد عليكم ؟ ستشرون قريبا من أفعالنا . اذ ما زال هناك طلاب فرنسيون شاعرون بالقرف ، مستعدون لجعلكم أقل تفاخرا ، يا عصابة المجرمين ، ان الأوساخ مثلكم ، يا عصابة العريان ، أيها الجرذان الكريهة الرائحة ، يجب الا يكون لها الحق أن تضع مؤخراتها المتعفنة على مقاعد جامعاتنا ، قريبا نلتقي يا قطاع الطرق ، وجهزوا انفسكم للتعرف على الارهاب المضاد ، وعندما ستسقط بعض الرؤوس ، ستكونون أقل تفاخرا في شوارع الحي اللاتيني ، لقد قرف الفرنسيون الحقيقيون من رؤيتكم)[١٨] .

---

١٦ - نقلها فيليب روبريه الى المؤلفين ، ونجد انتشار اصطلاح ، جيلنا الشيوعي ، في هذه المرحلة .
١٧ - الجمعية العامة لطلاب مونبلييه A. G. E. M.
١٨ - صدر هذا المنشور في صيف ١٩٥٦ في الوسط الطلابي عن (مجموعة الدفاع ضد التعرض النهائي لفرنسيين) .

وحاول الاتحاد العام لطلبة فرنسا (في فرنسا) المحافظة على التوازن بين فرعه في الجزائر ، واتحاد الطلاب المسلمين الجزائريين ، وكانت مهمة مستحيلة : فاحتلت قضية قطع العلاقات أو عدمه مركز الجدل ، فأيد اتحاد طلاب باريس الخصام بينما عارضه اتحاد كليات الهندسة . وفي الثالث من حزيران (يونيو) ١٩٥٦ ، صوت مجلس الادارة على وقف العلاقات بين الاتحادين الطلابيين، بأغلبية (٤٥) صوتا ضد (٣٦) صوتا ، الا أن الوضع انقلب تماما بعد شهر من ذلك بأغلبية صوت واحد . فقد تمكن فرانسوا بوريلا من جامعة نانسي، من أن يفرض نص (الاقلية) . وتم انتخاب مكتب جديد يرأسه ميشيل دولا فورنيير ، عضو الشبيبة المسيحية مثل بوريلا .

حاول دولا فورنيير أن ينقذ ما يمكن انقاذه ، أصدر الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، والاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين ، يوم الخامس من تموز (يوليو) بيانا مشتركا (وتعهد الاتحادان بالسهر على الصعيد الجامعي ، على تجنب كل عنف ، وكل موقف يتعارض مع اقامة العلاقات الأخوية والودية بين الطلاب) . إلا أن ذلك لم يعد سوى أمنية ورعة ، بالرغم من النيات الحسنة لدى هؤلاء وأولئك ، في القمة . فطلب اتحاد طلبة جامعة الجزائر ، أن يشجب الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين فرعه في جامعة الجزائر ، ويدين النداء الى الالتحاق بالثورة ، الذي وجهه هذا الفرع ، وأمهل اتحاد جامعة الجزائر خصومه خمسة عشر يوما فتدخل دو لا فورنيير واتحاد طلبة كلية الآداب في باريس ، واقترحوا أن تغير عبارة الخمسة عشر يوما ، بصيغة أكثر ليونة ، فرفض طلاب جامعة الجزائر المستوطنون ، وبينوا أنهم والحال على ما هي عليه ، مضطرون للانفصال . فكتب رئيس الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، والحزن يملأ قلبه ، الى بلهوان ، نظيره في الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين ، بما طلب إليه ، إلا أن الآخر ايضا يقوم بالمهام الملقاة على عاتقه ، فرد عليه قائلا : (إن المعركة من أجل التحرير الوطني ، ترتدي بالنسبة لكل جزائري طابع الالزام القطعي ، ولا يمكن لأي منهم أن يخطر بباله الانحراف عنها) .

أحدثت أسنان المسن تسحق كل الانفتاحات السياسية والاندفاعات العاطفية ففي الخريف عارض الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، الذي كان يشارك في المؤتمر الطلابي العالمي في كولومبو ، الاعتراف بالاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين باعتباره اتحادا وطنيا ، وذلك في الوقت الذي أعلن فيه الاتحاد الفرنسي ، عن دعمه غير المشروط لنضال الطلبة المغاربيين .

وفي العاشر من كانون الأول (ديسمبر) طلبت اللجنة الإدارية للاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين من النقابيين الطلابيين ، إدانة سياسة بلادهم وقبول شرعية التطلعات الوطنية الجزائرية ، وهددت بالطلاق بين المنظمتين .

رفض دو لا فورنيير الطلب ، يوم ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) وكتب الى بلهوان قائلا : (لماذا التزمنا الصمت حول القضية الجزائرية في الوقت الذي يبدو فيه أن المبادىء نفسها التي أكدنا عليها هنا تنطبق على الحال هناك ؟ فإذا كان الطلاب الفرنسيون مجمعين على القضية المغاربية ، فإنهم منقسمون بصورة خطيرة

حول القضية الجزائرية التي تمسهم مباشرة ، فالبعض يلبي السياسة الفرنسية في الجزائر وآخرون يدعمونها ، وإن عليكم أن تتفهموا ، بأنه من الصعب على اتحاد وطني مثل اتحادنا ، أن يتخذ موقفا حيال قضايا بهذه الخطورة ، مالم توجد أغلبية ساحقة في هذا الاتجاه أو ذاك . . . إن وحدة حركتنا ، هي بالنسبة لنا ، ضرورة أخذناها بعين الإعتبار)، وهكذا انتهى كل شيء، وصدر بيان قطع العلاقات يوم الثاني من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٧ ، فلم يفقد الإتحاد الطلابي الفرنسي ، الإتصال بنظيره الجزائري فحسب ، بل أن جميع اتحادات طلبة ما وراء البحار أعلنوا تضامنهم مع الاتحاد الجزائري .

إن هذه العودة الى الوراء ضرورية لتقدير الطريق الذي قطع ، والـ ٧٣٪ من الأصوات التي اتجهت نحو غوديه ، وضرورية أيضا لمعرفة ما كانت عليه قضية العلاقات مع الاتحاد الجزائري في وسط إهتمامات التنظيم الطلابي ، ومن هنا تحولت الأقلية الى أغلبية ، وبهذا الطريق انتصر اليسار في ربيع ١٩٦٠ . فمن هم صانعو هذا الانتصار ؟ قليل من الشيوعيين ، وقليل من الإشتراكيين : لم يهتم الحزب الشيوعي إلا متأخرا بالأوساط الطلابية ، بسبب عماليته وحذره الفكري ، وكان المسيحيون (التقدميون) هم الذين يقودون الرقصة غالبا ، أبناء عمانويل مونييه وباكوبين أكثر من كونهم أبناء ماركس ولينين ، لم يكونوا معتقدين تجاه حزب شيوعي يحترمونه في الوقت ذاته ، صلبا جدا ومائعا جدا ، إنهم روبير شابوي ، وميشيل دولا فونيير ، وجاك جوليا ، وفرنسوا بوريلا . وقد حقق هذان الأخيران عملا نادراً بتنظيم (مؤتمر وطني طلابي من أجل حل للقضية الجزائرية) في قلب معركة صيف ١٩٥٦ في باريس ، وبحضور ممثل (أكثر من شبه رسمي) عن جبهة التحرير الوطني، وقد تكون أعلمهم في مدرسة (العمل الكاثوليكي) حيث عايشوا بكل حواسهم الأزمات المتكررة : أزمة تنظيم (العمل الكاثوليكي للشبية الفرنسية)[19] الذي دمر في صيف ١٩٥٦ بتهمة التعاطف ، المندفع مع قضية (العصاة) والذي اختفى بعد استقالة رئيسه وسكرتيره . وكانت أول أزمة للشبية الطلابية المسيحية ،[20] في أيار (مايو) ١٩٥٧ ، حيث جرم التنظيم لتضامنه مع الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين . وأزمة (لا روت : الطريق) في الفترة نفسها التي رفضت فيها المفوضية الوطنية للكشاف ، أن تسمح لهذا التنظيم بنشر رسائل احد المسؤولين السابقين فيه وهو جان مولير[21] الذي مات عام ١٩٥٦ بينما كان يؤدي خدمة العلم .

كما أن هذه الزمرة نفسها هي التي أكدت ، خلال المؤتمر السادس والأربعين للإتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، الذي عقد في نيسان (إبريل) ١٩٥٧ ، الإنعطاف نحو اليسار بالرغم من تموز / ١٧ / اتحادا نقابياً (لا سياسياً) وبالرغم من الحملات العنيفة التي قامت بها الصحافة الموالية للحكومة ، ومن بينها باري بريس التي نصحت ما فيها ضد بوريلا فقالت عنه : (مناضل سابق في الشبية الطلابية المسيحية ، كان مراسلاً في

١٩ ـ العمل الكاثوليكي للشبية الفرنسية : A.C.J.F. .

٢٠ ـ الشبية الطلابية المسيحية J.E.C. .

٢١ ـ انظر روبير شابوي ، المسيحيون والاشتراكية ، كالمان ليفي ١٩٧٦ .

باريس لأحد طالب ، ساعد صالح لواتشي رئيس الجبهة الجزائرية في فرنسا ، الذي هنأه لمداخلاته في الإتحاد الوطني لطلاب فرنسا ، لصالح الإستقلال الجزائري ، والحد لواتشي وهو اليوم في السجن . . .) وبالإندفاع نفسه وعشية الثالث عشر من أيار (مايو) عام ١٩٥٨ وافق طلاب فرنسا على (المطالب الشرعية لطلاب ما وراء البحار أن يروا شعوبهم تدير نفسها بنفسها ، وتقود أمورها الخاصة بديمقراطية)[٢٢] وهكذا بدا طرح الحق في الإستقلال يظهر في الأفق .

كان بيير غوديه هو الوريث المستفيد من هذه المسيرة الطويلة . ولكن ما العلاقة مع (المقاومة الفتاة) أو مع شبكة جانسون ؟ بتيوبا لا علاقة إطلاقاً (هذا بالرغم من أن لقاء قد جرى في بروكسل بين ممثلين عن اتحاد طلبة فرنسا وعن المقاومة الفتاة) . فالنقابة الطلابية هي منظمة جماهيرية ، يجب حمايتها من أن توضع على الهامش او من أن تتحجر ، ومع ذلك فإن غوديه ، وحسب اعترافه الشخصي ، ملاحق من الداخل والخارج ، بإعداد حملة الحقائب ، وممن لديهم استعداد تام لرفض الخدمة العسكرية ، وها هو يقول (ما كدت استقر في شارع سوفلو ، "[٢٣] حتى كانت المشكلة الأولى التي علي أن أجابهها هي مشكلة ـ العصيان ـ وبصورة خاصة في الأوساط المسيحية ، التي كانت تقدم القسم الأكبر من المناضلين ، وكان استعراض حقيقي ، مؤثر ، من الرفاق الذين كانوا يقولون لي : إن أشكال العمل الحالي غير كافية ، فيقول أحدهم : إني أرفض الخدمة العسكرية . أو : أنني قررت ان اتحول الى العون المباشر لجبهة التحرير الوطني . أو أن يقول البعض : إننا جاهزون للسجون ، فماذا أنت فاعل ؟ وقد خرج بواطوتيه ، الرئيس السابق للإتحاد العام لطلبة تالسي وهو يبكي ، لقد أرجع أمر السوق ، وها هو يذهب ، لوحده اما للمنفى ، او للسجن) ويقول رئيس الأتحاد (وهكذا بدأ سباق مع الزمن ، بين مناصري العمل القانوني ، والمناضلين الذين حتازوا عتبة اللاشرعية . ولا بد أن يقبل الآخرون الأولين حسب مشيئتهم) .

لقد كان الحد الفاصل بين الفئتين هزيلا جداً ، حتى أن تحضير المفاوضات مع الإتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين ، أوكل الى جيلبير باربيه نائب رئيس الإتحاد الوطني لطلاب فرنسا ، المرتبط مع (المقاومة الفتية) ، والذي سيرفض تأدية خدمة العلم فيما بعد ، عندما يأتي دوره بأن يحارب في الجزائر ، وتم عقد الروابط بفضل تدخل طلاب سويسريين ، واجتمع الوفدان يوم السادس من حزيران (يونيو) في لوزان ، ويقول بيير غوديه (كان الجزائريون قد حضروا نصا، يذهب الى أبعد الحدود طبعا وكانوا يريدون منا أن نعلن وقوفنا الى جانب الكفاح المسلح للشعب الجزائري ، وأن نعترف بجبهة التحرير الوطني ، باعتبارها الممثل الوحيد . فناقشنا كلمة كلمة ، والحمر يساعدنا حتى توصلنا الى خطة غير هينة ، وعندما عدت الى فرنسا ، سلمت نسخة الى وكيلنا المحامي ساردا ، ونسخة الى مانديس فرانس ، وثالثة الى جان جاك سيرفان شرايبر (الذي أخذ يعيد كتابتها بصورة آلية) ، وعلقت مجلات أكسبريس ، وفرانس أوبسرفاتور ،

---

٢٢ ـ مذكرة رقم ١٦ للمؤتمر ٤٧ ، الذي عقد في مرسيليا .
٢٣ ـ المقر الباريزي للاتحاد الوطني لطلاب فرنسا .

وتيموانياج كريتيان على الوثيقة مطولا ، أما في اليمين ، فكانت ردود الفعل قليلة ، واعترتنا بالمقابل ، بحكم الجنود الفارين).

وألح البيان على ثلاث نقاط : (١ - أن الحرب أمر غير عادي ، فهي للملك عبثية وجائرة ، ٢ - ان وقف إطلاق النار لا يمكن ان يتم إلا إذا قبلت الحكومة الفرنسية الدخول في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني ، لمناقشة الأسلوب الذي يتم من خلاله تطبيق مبدأ تقرير المصير ، ٣ - ان مستقبل الجزائر هو ملك للشعب الجزائري)، وهذا هو فعلا (الأمر غير الهين) ، وقبل يومين من ذلك ، وزعت ثلاث وخمسون منظمة شبية من بينها اتحاد الطلبة ، والشبيبة العمالية المسيحية ، ومنظمة (السياحة والعمل) وكشاف فرنسا وغيرها رسالة مشتركة من أجل السلام . وكتب جاك فوفيه تحت عنوان (اليقظة) مقالا عطرا فيه الحكومة فقال : (لأول مرة تصرخ المنظمات الشبيبة سوية صرخة إنذار مشتركة ، فإذا كانت الحكومة تريد أن تستبق الأمور ، وليس استخدام القمع ، فعليها أن تسمع هذه الصرخة)[24].

تحدى جانسون وأصدقاؤه النظام والقانونية ، إلا أن هذا التحدي ، كما تشهد الإحتفالات ، ليس تبجحا فرديا ، فمن في اليسار يسجل هذا التحدي ؟ انه ليس الحزب الشيوعي ، الذي يكبح امينه العام جاك ودالو ، ولكن هناك بالتأكيد ، وفي أهل الستوريات ، من يحاولون فك الطوق الحديدي . فيحاول مارسيل سيرفان ، في شباط (فبراير) وفي مجلة فرانس نوفيل أن يفتح النقاش حول القضية الجزائرية ، ثم يعيد الكرة في نيسان (إبريل)[25] في لومانيته ويكيل أراغون المديح للمهندس باخيريف الخروتشوفي جدا ، إلا أن الأقفال تعمل ، وربما يسمع منها بعض الصرير ، ولكن لا بأس في ذلك . ويجري في السابع والعشرين من نيسان (أبريل) الإحتفال بعيد الميلاد الستين لموريس توريز في قصر الرياضة ، ويهاجم توريز في اجتماع اللجنة المركزية للحزب يوم الثالث والعشرين من ايار (مايو) الرفيقين بروستو ، وكزيجل فالريمون ، (اللذين فقدا إدارة فرانس نوفيل)، وكان ذلك تدشينا لمعركة تفجرت في عام ١٩٦١ ، وعزت بحلف اتحاد الطلبة الشيوعيين . أما في تلك الحين فلم يكن الاتحاد مرئيا ، إلا في داخل الحزب نفسه .

وكان الحدث الجديد ، في مشهد أقل ما يقال عنه أنه مضطرب ، وهو تأسيس الحزب الاشتراكي الموحد ، يوم الثالث من نيسان (ابريل) في إيسي لوموليتو . وأقيم احتفال واجتماع خطابي لا أكثر . وكان لاجتماع برئاسة لوران شوارتز ، الناطق باسم لجنة موريس أودان . والقى كل من جان بوبران باسم (منبر الشيوعية) وجيل مارتينيه باسم اتحاد اليسار الإشتراكي[26] وادوار دبيرو باسم الحزب الاشتراكي المستقل[27]

---

٢٤ - لوموند ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٠

٢٥ - لومانيته - ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٦٠ .

٢٦ - اتحاد اليسار الاشتراكي U.G.S.

٢٧ - الحزب الاشتراكي المستقل P.S.A.

كل بدوره ، كلمة بهذه المناسبة . ثم تلا كلود بورديه (نداء الى العمال) . ويأتي هذا التلاقي من مصادر متباعدة ، فقد تأسس اتحاد اليسار الاشتراكي في كانون الأول ١٩٥٧ ، وجاء نتيجة لدمج اليسار الجديد الذي أسس عام ١٩٥٥ ، وحركة تحرير الشعب التي ترجع جذورها الى الحركة العمالية المسيحية ، وقد أسست في عام ١٩٥٠ ، والحزب الاشتراكي المستقل وجاء نتيجة لانقسام حدثت في الحزب الاشتراكي في ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٨ خلال المؤتمر الخمسين لهذا الحزب . وكان وراء هذا الانقسام ، رجال مثل ديبرو ، وفيرديه ، وسافاري ، ومايير ، وهازير ، وفيليب ورو وغيرهم الذين يعارضون سياسة الحزب الإشتراكي في المستعمرات ، وهناك أيضا منبر الشيوعية ، الذي جمع حول جان بوبران ، منذ مطلع ١٩٥٨ ، مجموعة صغيرة من المنشقين عن الحزب الشيوعي [48] فماذا نرى اذا : شيوعيون ، وإشتراكيون ديمقراطيون ، وشخصانيون ، وثوريون لا مثيل لهم . . . وتكنوقراطيون ، وقواعديون ، ومنظرون ، ومن القدماء الخبرين ، ومن الشباب . . . ومن الستالينيين الذين ملوا كبتهم ، والتروتسكيين الذين تعبوا من معبدهم ، ووزراء و . . . مانديس فرانس الذي انضم الى الحزب الإشتراكي المستقل في تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٥٩ . تلك هي تشكيلة الثلاثة عشر الف عضو الذين ضمهم الحزب الاشتراكي الموحد والذين يشكلون سمكة غريبة ، تتلاقى فيها جميع الأنواع الغريبة والنادرة ، وكل ما يربطهم (النظرة المستقبلية لمن لم يعودوا يعتقدون بفكر توريز ، أو بفكر موليه ، إلا أنهم يريدون متابعة الكفاح من أجل الاشتراكية) كما يقول أوليفيه ريفولت دالون [49] ويشترك هؤلاء الرجال أيضا في رفضهم العنيف والعميق للحرب ، التي ما زالت مستمرة فوق الأرض الجزائرية والنظام الذي يقوم بها . وقد دام هذا الوفاق الذي جمعهم حتى نهاية عام ١٩٦٢ أي حتى نهاية المغامرة الاستعمارية ، وبعد ذلك التاريخ انفجرت الخلافات حول جوهر الديغولية (أهي السلطة الشخصية ، أم إعادة النظر في النظام الرأسمالي ؟ . .) وحول تطور الطبقات الوسطى (فهل تطوير البرجوازية الصغيرة الجديدة ، يعني خيانة الطبقة العاملة ؟)

إن الحزب الأشتراكي الموحد هو الحزب المستحيل الذي يحاول ان يجد له مكانا بين كبيري اليسار ، دون أن يدعو الى (طريق ثالث) يريد أن يكون أداة لتطوير الحركة العمالية التي يدعي انه مركب جديد من مركباتها لا محزبا . فالبعض يريدون بعث الاشتراكية الديموقراطية التي فسدت ، والآخرون يريدون إقامة الحزب الثوري الجديد ، ويتأقلم غالبية الأعضاء بسرور مع هذا الابهام ، فقد أصابهم بالقرف السور الشاسع ، بين النظريات المتصلبة والأمر الواقع ، الذي يظهر هنا وهناك ، ثم ان شكل هذا الحزب الذي يتميز بطبيعته التي لم تتم بعد ، وتنوعه ، وكل تلك يسحر العديد من اعضائه ، الذين يريدون فيه مجالا مفتوحا ، دون آثار مشينة من الماضي ، حيث يتركز الهوس الوحيد نحو مثالية سير الأمور الداخلية ، وباختصار يبدو الحزب الجديد وكأنه مجال جديد للمصالحة العامة (بين الماركسيين والمسيحيين ، بين

---

٤٨ ـ حول ولادة الحزب الاشتراكي الموحد ، يمكن العودة الى ذكريات ادوار ديبرو ومراسلة رولان كايرول حول الحزب الاشتراكي الموحد والمستقل الاشتراكي لفرنسا ، دار نشر (الوسوي) ١٩٦٩ .

٤٩ ـ منبر الشيوعية ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٩ .

الاشتراكيين والشيوعيين ...) ورشة تصليح، بنية تراهن على المستقبل اكثر من اعتمادها على مكتسبات محترزة.

مثلما حدث لاتحاد الطلبة ورئيسه بيير غوديه، أصبح الحزب الجديد ملاحقاً عن قرب بحملة الحقائب والفارين من الجندية. وهكذا سجلت اللجنة الوطنية السياسية للحزب في جدول أعمالها، لأول اجتماع تعقده في أيار (مايو) قضية (الفرار من الجندية) فالضرورات عادة ملزمة. وأغلب الأعضاء الجدد في الحزب هم من الأوساط الأكثر حساسية، تماماً مثلما حدث مع جانسون وموريس، فالشبكة نفسها تضم العديد من الحلقات، التي تربطها باتحاد اليسار الاشتراكي السابق (مثل جان بوميه الذي اعلن من سجنه انتماءه الى الحزب الاشتراكي الموحد، ووضع قادة الحزب في موقف حرج) وكذلك كريستيان فيليب، المعميلة الاولى لجانسون التي تحمل البطاقة نفسها التي يحملها والدها، ثم ان اسماء بيير هيسل وجان جاك بورقيير، وهما مناضلان بارزان في الحزب الجديد، ارتبطت فيما بعد في دوائر الشرطة باسم (المقاومة الفتاة) ولذا فقد دعا جيل مارتينيه، الرئيس الحقيقي للتنظيم، الى إزالة الابهام بأسرع وقت، مما زاد الوضع إبهاماً.

كانت وفود الاتحاد المحلية منقسمة على بعضها. فالقلة منها تأمل ان يحظى الفارون من الجندية بالدعم المادي من الحزب. أما الغالبية فتدعو (الى المقاومة المناهضة للفاشية في داخل الجيش، وتقف ضد العصيان الفردي الذي يقود الى المنفى). وعندما طرحت هذه المسائل، اعتبرت بأنه لا يجوز إدانة أي شكل من أشكال الكفاح، إلا انه من الواجب دعم بعض هذه الأشكال وعدم تشجيع البعض الآخر. إلا أن اعتراضاً جماعياً للمشاركة في عمليات قمعية، أو لمغادرة فرنسا، أليس من الواجب على الحزب أن يؤكد دعمه لهذا الرفض؟ وإذا حدث ذلك، ألا تسقط تلقائياً الأسباب التي دعته الى رفض العصيان الفردي، وكانت الحجة مقنعة، وأقنعت. وطالب البعض باجراء تحقيق إضافي حول هذا الموضوع. وتم الاتفاق على اللقاء مرة ثانية في تشرين الأول (أكتوبر) التالي، ونضج الخلاف خلال هذه الفترة. فكان للانقسام داخل الحزب حول هذا الموضوع آثار متناقضة في المجموعات المركبة له، فدعم الانقسام البعض منها، وزاد في انشقاق الأخرى (ما عدا الحزب الاشتراكي المستقل الذي يؤمن (بالدولة) بأنها الفضيلة الأساسية)[30].

وهكذا فإن تأجيل البت في القضية حتى الخريف التالي، يعني بأن الجناح المبدع من اليسار القانوني قد أعطى لنفسه مهلة ستة أشهر ليحول اتجاه التيار، ولينتزع من (الحلول اليائسة) سحرها، إلا أن النقابية الطلابية، والخمسة عشر ألف عضو في الحزب الاشتراكي الموحد، يملكون روابط قوية مع المجتمع يشكلون قوة فاعلة. لقد وجدوا نقطة الارتكاز، ووجدوا ساعد الرافعة. وما زال ينقصهم القوة الخامسة. ولا وهذه القوة موجودة وهي (الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين)[31] الذي انشق فيما بعد ليولد نقابتين عماليتين

٣٠ ـ لقد ابتعدت بعض الشخصيات المعادية للاستعمار مثل جيروم ليندون عن الحزب الاشتراكي الموحد لاسباب شخصية
٣١ ـ الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين . C.F.T.C.

شرط أن يعجل هذا الاتحاد العمالي ، عملية التطور التي يشهدها منذ سنوات عديدة ويتحمل مخاطر سياسة موحدة من الاتحاد العام للعمل ، وكان التعجيل يأخذ مجراه . فقد تغلغلت تدريجيا الى النقابة ، بفضل فريق تجمع حول مجلة (روكونستروكسيون : إعادة البناء) التي أسست بعد تحرير فرنسا مباشرة ، أفكار ترفض الخضوع للديمقراطية المسيحية ، ومشروع لعلمنة النقابة ، وخيار تأجيج الروح القتالية في الكفاح الطبقي ، وكانت النقابة قد درست خلال المؤتمر العام الذي عقدته في العام السابق (قضية التخطيط الديمقراطي وفي العام التالي انتخب أوجين ديكان ، أمينا عاما للاتحاد ، وقد لعبت الدور الأساسي في هذا التحول ، النقابة العامة للتربية الوطنية [٣٣] الذي كان بول فينو رئيسا لها ، وكان من فريق (روكونستروكسيون) ونقابة كيمياء (ورئيسها أدمون مير) الذي بيّن دوره المحرك الأهمية المتزايدة للفئات (التقنية) .

كان عداء هؤلاء للنظام الديغولي ثابتا لا يتزعزع ، والتقت الجسور باتجاه الطلبة منذ عام ١٩٥٨ ، وعمل بول فينو على ضم جاك جوليار الى هيئة تحرير (روكونستروكسيون) وهكذا أصبح الحزب الاشتراكي الموحد الشريك المفضل لديهم .

وهكذا تجمعت شيئا فشيئا عناصر هجوم واسع النطاق ضد الحرب في الجزائر ، وضد أخطار الفاشية ، وضد النظام الديغولي . وقام جاكسون في هذه العملية ، بمبادرات مثالية ، معتمدا على العلاقات (الخلفية) التي تربطه بالغالبية العظمى من هذا الاتجاه ، ويؤكد تحديره لم يظهر الا في ربيع تحرراته لعب دوره (الصغير) .

---

٣٣ - النقابة العامة للتربية الوطنية .

١٥
حربنا وحربهم

(إنني أراهن بأن الشعب الفرنسي سيستطيع خلال عدة أشهر ، أن يرفع رأسه عالياً من جديد) ، وأن معنويات جانسون كانت عالية جداً عندما رد بنفسه على الادانة القاسية التي وجهها السيد جان ماري دوميناك في مجلة (اسبري) : [1] « رئيس الشبكة ، بالرغم من تخفيه ، كان يعرف تماماً ما يحدث ، وهو يعرف ويرى تماماً بأن ركود اليسار ليس نهائياً . وهذا ما يعطيه مبرراً إضافياً ، لكي يهاجم ، وأن يستمر في لعب دوره كمعكر الهدوء. وأضاف جانسون في الرسالة نفسها : (أما السلام الذي نريده نحن ، فهو سلام بين الشعب الفرنسي والشعب الجزائري ، إلا أننا نعتقد بأن مثل هذا السلام ، لا يمكن أن يكون إلا عندما لا يريد الشعب الفرنسي الحصول على الهدوء والسلام، بل يريد أن يقيم مع الشعب الجزائري ، أي أن يعترف بالشعب الجزائري كشعب حر - إستحق حريته لقيامه هبة واحدة للحصول عليه).

فما هي الوسائل السياسية للوصول الى السلام ؟ . كان ذلك هو السؤال الذي يطرح في مختلف الحلقات والفئات حتى ذلك الصيف . سؤال مرن يتعدد الى تساؤلات متعددة ، بقيت دائماً بدون جواب ، أو أنها أبعدت جانباً كلما طرحت . فماذا يمكن أن نتوقع من النظام الديغولي ؟ أليس هو مدخلاً نحو الفاشية (وكانت الكلمة تتردد على مختلف الألسن) أو هل هذا النظام يمكن أن يقوم يوماً بمفاوضات حقيقية ؟ ، وماذا ينتظر من اليسار ؟ . وهل ستكون بفظه إعلاناً عن موت العادات القديمة ، أم أن اليسار سيستمر في (هذا الهدر البائس) الذي طالما شجبه كلود بوردیه ، أم أن انتصار اليسار سيأخذ مدى ثورياً قادراً على إعطاء المعارضة الفرنسية إزدهارها ثانية ، أم أنها ستتطور في عالم تغير تماماً ؟ . لقد تحدثت فرانسواز جيرو ببراعة وبأمانة ، عن الدور الاستفزازي الذي يلعبه حملة الحقائب والمتحدون العصاة حيث قالت (حسبما يقول جانسون ، إن فهمت قصده ، تجب مهاجمة الاستعمار ومحاربته في كل مكان وبجميع الوسائل ، وكأنه أحد الجروح الكبرى . لأن أي إنسان لا يمكن أن يكون حراً إن لم يكن الجميع احراراً . فالهدف الأساسي إذن ، ليس التعجيل بانهاء الحرب ، وإنما الاستقلال التام للجزائر . فكلما كانت جبهة التحرير أقوى ، كلما كان ميلها أقل لقبول أية صيغة وسط ، والتي ستكون بمثابة عملية تأخير في الأسلوب الذي يجب التعجيل

---

١ - مجلة إسبري ، نيسان (أبريل) ١٩٦٠ تقدم دومیناك الرأي نفسه في الاكسبريس في ٢٤ آذار (مارس) ١٩٦٠.

به . إن جانسون ليس طفلاً ، فقد أثبت أنه متأكد تقريباً ، من الطريق الذي عليه أن يتبعه ، بحيث يلجه كلياً . إنه شجاع ، ومحترم ، فإذا أمن الانسان به دون اللحاق به في عمله ، واكتفى دفعة واحدة بالارتياح الفكري ، والهدوء المادي ، فهو إنسان غير محترم ، وإن لم يؤمن الانسان به فعليه أن يعلن ذلك ، وأنا أعلن ذلك) . وتظهر فرانسواز جيرو نحو المجندين الفارين التفهم نفسه واللوم نفسه فتقول (قطيعة تلك الحرب التي استطاعت أن تقود ولو شاباً واحداً في العشرين من عمره الى الانتحار معنوياً لكي لا يقتل جسدياً . قطيعة تلك الحرب التي تقود كل هؤلاء الشباب الى خيانة عقيدتهم ومثاليتهم ، ان لم يرغبوا بخيانة مجتمعهم) .[1] وتأثر جانسون ، فهو الذي يجب أن يكون محبوباً ، فالمقال يحتي وداً ذكياً . وكان مرتاحاً أيضاً أن يسند إليه منطق سياسي لا ميل عاطفي .

ومع ذلك رد على كاتبة إفتتاحية مجلة الأكسبريس (فان كانت البشائر صحيحة فالاستنتاج يخيب) فيقول (انك شخصياً لا هنا ولا هناك ، ومع ذلك سمحت لنفسك أن تشجبي مواقف من لا يتبعونني ، بالرغم من أنك تقفين الى جانبي ، وهذا برأيي يثبت بأنك لست هنا ولا هناك) ثم ينهي جانسون رده بهذه الملاحظة التي لا يمكن أن يتنكر لها أي مؤمن بأفكار سارتر فيقول (إن شئنا أم لا ، فإننا نعيش في الخيانة ، ونتأثر بها حتى أعناقنا بقدر ما تكون مواقفنا متناقضة ، أما الآن فلا يتعلق بنا ، أن ينهي تناقض هذا الوضع وليس هناك من يتمتع بالسلطة التي تمكنه من حسم الموقف ، فمهما كنت قريباً من الجزائريين فإنه من الواضح أنني مازلت فرنسياً)[2] .

ويعتبر مقال فرانسواز جيرو تقدماً كبيراً فهو ينقد بدون شك نشاطات الشبكة إلا أن الأفكار تسير ، ولكي تعطي للمقال حقه دون خطأ ، تنشر مجلة (الحقيقة . . .) مقالاً طويلاً حول الفكرة القائلة : إن هناك تضامناً سياسياً وواقعياً بين الجزائريين الذين يناضلون من أجل استقلالهم ، والفرنسيين الذين يكافحون ضد الفاشية ، ويقول المقال (فإن يأمل الانسان قيام المفاوضات ثم السلام في الجزائر من جهة ، وأن يعارض الفاشية في فرنسا من جهة أخرى ، ويرفض أن يرى وأن يعلن بأن المعركة واحدة، ويرفض الدعم العملي الذي يقدمه بعض الفرنسيين للجزائريين بحجة الضرورات السياسية)، فإن ذلك يعني الانهيار قصر نظر سعش (فمن البديهي أن سحق جبهة التحرير الوطني لا يمكن أن يعني شيئاً آخر سوى هزيمة اليسار الفرنسي) . وهكذا تبين أن للعصيان والفرار من الجندية فعالية مزدوجة ، اضعاف الجيش الفرنسي وتعجيل السلام الوحيد المعقول والمناسب ، أي السلام الذي يكرس الاستقلال الجزائري بقيادة جبهة التحرير، وعلى الصعيد الفرنسي يساهم في كشط الصدأ المتراكم . ومن السهل أن يتصور الانسان بدون صعوبة بأن الطرح جر إستهجان الشيوعيين، وكان اتيين فاجون قاطعاً عندما قال (: ان حزبنا ، الذي يعارض بشدة الحرب القذرة في الجزائر والذي يفهم تماماً أزمة الضمير التي يعيشها كل فتى ، لم يعتبر في يوم من الأيام، أن الفرار

---

١ . الأكسبريس ١٠ آذار مارس ١٩٦٠
٢ . رسالة لم تنشر .

وسيلة قادرة على وضع حد للنزاع، وقد يبقى حزيناً دائماً، وعلى العكس، مخلصاً للمبدأ الذي وضعه لينين : وهو أن كل جندي شيوعي يجب أن يذهب الى كل الحروب عدا في تلك الحروب الرجعية، ليتابع الكفاح من خلالها»[4]. كما استقبل المقال استقبالا سيئاً لدى اكثر الديغوليين إفتتاحاً فهاجم فرانسوا مورياك، في زاويته (مذكرات) بشدة فرنسيس جانسون، وقال عنه بأنه يهذي أكثر من كونه خائناً. (فهو يشجع لدى الخصم هوساً قومياً، يخشاه عندنا، وهذا ما يبدو لي أكثر أشكال الجنون جنوناً). [5] كان الشيوعيون والديغوليون يشكلون العنصر المسيطر في ذلك الربيع المضطرب. قوتان متصلبتان ثابتتان، تأتي التيارات الجديدة لترتطم بها أو تدور من حولها. أما الجدل فكان يدور في مكان آخر، في معزل عن الهيئات السياسية السائدة، عن طريق الصحافة الحرة، (التي كانت صحيفة لوموند دليلها، وصحيفة ليبراسيون منارتها)، ومجلات الرأي الأسبوعية، ومجلات أخرى. أما الفئة المثقفة اليسارية فكانت تبذل الجهود، وتعبد وتحرق وتشجع، أنها تنفذ مهامها.

عبر موريس دو فيرجيه عن الرأي المعادي لجانسون في مقال لا يترك عنوانه مجالاً للشك (الخيانتان). خيانة حملة الحقائب وخيانة متظاهري الجزائر العاصمة. ويؤكد الأستاذ دوفيرجيه (أن حرب الجزائر ليست حرباً غير عادلة، بالمعنى الذي يعرفه فقهاء الأخلاق، الذي يجبر على الخيار بين واجبات المواطن وواجبات الأنسان. أنه لمن المؤكد بأن الفرنسيين أقاموا هناك نتيجة لغزو يرجع تاريخه الى مائة وثلاثون عاما، إلا أن العرب أيضاً أتوا نتيجة لغزو، ولكن قبل عدة قرون، فإذا كان التقادم يعطيهم حقاً، فهو يعطي الحق لنا أيضاً... فليحذر الجميع في اليمين المتطرف واليسار المتطرف أيضاً: فهناك حدان لا يجوز تعديهما إذا أراد المرء أن يبقى عضواً في المجتمع الفرنسي فمساعدة جانسون ورفاقه أو موافقتهم جريمة، وجريمة أيضاً من نمس سابقتها الموافقة على أعمال هؤلاء الذين يريدون تحويل الجيش الى حرس من الطغاة ومساعدتهم). [6] (من الطبيعة نفسها)، مساواة وخلط بين الفئتين المتطرفتين، خلق لدى مختلف الفئات اليسارية، بما في ذلك الحزب الشيوعي، شعوراً خانقاً من الحنق. فاحتج روبير دلفيزي، وجيرار سينزو (من سجنه)، وموريس مانسيو وجيروم ليندوف وبيير فيدال ناكيه الى هوبير بوف ميري.

إلا انه ما من شك، بأن موريس دوفيرجيه، كان يترجم في الواقع، الشعور السائد في إدارة صحيفة لوموند، التي تتبع الجنرال ديغول الى درجة الحراجة عن طوره ولم تتردد الصحيفة وبجرأة أحياناً، في نشر المعلومات الثابتة الخاصة بإنتهاك حقوق الأنسان والتعذيب، وكان مناضلو مختلف اللجان يلاقون الترحيب الحار فيها، وبصورة خاصة من رجال مثل بيير فيانسون بونتيه او روبير غوتيه. إلا ان الحذر الشديد كان القاعدة العامة، وكانت الصحيفة تعامل المعاملة نفسها كل من سحرهم الخروج على القانون. فجماك فوفيه

---

٤ - الأومانيتيه، ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٦٠. كان توريز قد استخدم هذا الأستشهاد عام ١٩٥٩.
٥ - الأكسبريس، ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٦٠ (راجع ملاحظة موريالك ت ٣٩).
٦ - لوموند ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٦٠.

مثلاً. وقبل أن يصدر دوفيرجيه (الفلاوه) لجأ الى أسلوب مماثل عندما قال (إن هاتين الجريمتين، الفرار والتعذيب، هما نتاج ثانوي لحرب ليست بحرب).(٧) فرد جيرار مليير من سجنه وطلب الى محاميه رولان دوما أن ينقل رده. إلا أن صحيفة لوموند لم تنشر هذا الرد. لأنه، كما قال جاك فوفيه للمحامي (المجيد للفرار من الجندية يصعب علينا نشره، لا لأننا نخشى لزعاجات السلطة، بل لأننا، نحن بالذات، فلنقول بما يخص الحدود التي لا يجوز أن يتعداها قراؤنا الشباب). ومن الواضح أن دوفيرجيه لم يكن يعبر عن رأي فردي.

ويلاقي جانسون، بالمقابل، عند (عائلته) في مجلة الأزمنة الحديثة، دعماً نادر المثل وبدون تحفظ تقريباً. فقد كانت مجلة سارتر، أن تتبنى وجهة نظر (الحقيقة . . . .) بدفع من مارسيل بيجو، وكلود لانزمان، وديونيس ماسكولو. وتقول المجلة (ان اليسار يختنق تماماً من كثرة الاحترام، وكأننا أمام رواية ألبرسوف، لا يستطيع القول للملك بأنه عار تماماً. فاليسار مهتم جداً بالتهرب من الاتهام بالسلبية، وكأن وقف هذا الاجماع المائع الذي يعيشه مواطنونا ويتوحلون به، ليس الواجب الأول اليوم، فهو يحاول أن (يفهم) السياسة الديغولية، لكي يكتشف فيها أي شيء إيجابي، فقد اعتقد اليسار بأن السراب بحيرة ماء، ويريد أن يقاسمه الجزائريون هذا الضلال) لا لأن فريق مجلة (الأزمنة الحديثة) يبعد امكانيات قيام مفاوضات قبلها رئيس الدولة، بل لأنه يتساءل ما هي العوامل التي من شأنها أن تجبره على التفاوض؟ فهل هو النشاط المستقل الذي تمارسه اليسار، أم المقاومة التي يتمسك بها الجزائريون؟ وبما أن الوضع على ما هو، فإن نتيجة تفرض نفسها هي: أن الوقت قد حان للاعتراف (بالتضامن السياسي) بين اليسار الفرنسي والجبهة الجزائرية (فالادعاء بحجة لا مبالاة الجماهير، لرفض ذلك، ناجم عن تخل غريب عن المسؤولية وخلط غريب بين الرضوخ والحقيقة).

(اليسار المحترم). تعبير خرج من ريشة مارسيل بيجو الهازلة في مجلة (الأزمنة الحديثة)، فانتشر وتردد كثيراً. فهو يذكر بواحدة من أشهر الروايات السارترية. يعرف الجمهور عن ظهر قلب عنوانها (بنت الهوى المحترمة). ونجد الصدى في العدد ١٦ من مجلة (الحقيقة . . .) التي تعلن (أن من واجب اليسار أن يكون وأن يتحرك) وبمعنى آخر الا يكتفي بالكلام، وأن يقدم للشعب الجزائري مساعدة ملموسة. وذلك لكسر الحلقة المغلقة (أن سلطة الجنرال ديغول ترتكز على تناقض أساسي، فهي مرتبطة، في الوقت ذاته، باستمرارية الحرب، وبالمقولة بأن ديغول وحده القادر على وضع حد لها . . . فكيف الخروج من هذا الطريق المسدود؟ بما أن هذا النظام لا يريد سوى شيء واحد هو الا تطرح قضية وجوده، فيجب أن يكون الاحتجاج بحد ذاته عملاً. وبما أن هذا النظام يفتقر الى المبادئ، فإن اللغة الوحيدة التي يمكن أن يفهمها لا يمكن أن

٧ - لوموند ٢٢ نيسان (أبريل) ١٩٦٠.

٨ - إن تاريخ هذه الرسالة غير المنشورة هو ٣٠ نيسان (أبريل) ١٩٦٠، وهي موجودة في أرشيف الآنسة دوماس.

٩ - الأزمنة الحديثة، آذار (مارس) ١٩٦٠.

تكون لغة النظريات ، بل لغة تبين العمل الموجه ضدهم ».[١٠]

وبهذا الأسلوب نفسه ، يوجه جانسون الى سارتر رسالة طويلة يشرح فيها كيفية التضامن مع جبهة التحرير الوطني وأسلوب هذا التضامن فعند الاتفاق على مبدأ التضامن ، فإن هذا المبدأ لا يمكن أن يبقى معلقاً : فإن ما يهم هو العمل . وكان من الصعب على سارتر أن يرفض هذه المرافعة ، وسجل فهرس مجلة الأزمنة الحديثة لشهر أيار (مايو) الرسالة كموضوع من موضوعاته [١١].

إن بين موريس دوفيرجيه ، ومارسيل بيجو (وسطاً) متعدد الأشكال مختلف الألوان ، فجان ماري دوميناك ، مثلاً ، ليس بعيداً عن دوفيرجيه عندما يتنبأ (أن تحويل صراع جبهة التحرير الوطني والجيش الفرنسي الى نزاع داخلي في فرنسا نفسها ، يعني بالضرورة وبالضبط إتباع منطق الفاشيين . ويتيح الفرص للجيش بالتدخل في فرنسا لسحق مواقف اليسار ، وفصله عن المشاعر الوطنية والقواعد الشرعية التي طالما اعتمد عليها الجمهوريون الأصلاء) إلا أن مدير مجلة (اسبري) لم يكتف بذلك بل قدم بديلاً غير سياسي عفوياً فقال (إنه بين الكلام الذي لا جدوى منه واللجوء الى السلاح ، سبيلاً آخر ، فبما أن طريق المقاومة الثورية طريق مسدود ، يبقى طريق المقاومة غير العنيفة . والعصيان المدني والاحتجاج السلمي العنيد) .[١٢]

إلا أن هذا الخيار (والمقاومة الروحية) تركت المجندين بلا حول ولا قوة . فعندما رفض جان لوميير ، في الجزائر ، دعم سياسة التعذيب ، إقتيد الى السجن ، فما بالك بمن يفر من الجندية أليس هو أكثر من غيره (معارضاً مسالماً) . كلا ، يقولها جيل مارتينيه في فرانس أوبسرفاتور .[١٣] فإما أن يكون العصيان إحتجاج نضالي يحكم على العاصي بأن يلتزم في الجانب الآخر ويضيف (أن الشباب الذين يفرون الى الخارج يلقون المساعدة والعون ، إلا أنهم يستخدمون في الوقت ذاته ، وتحدد لهم مهمات معينة للقيام بها كعبور الحدود ، أو تقديم المساعدة الفنية والادارية . . .) ، أما على صعيد المقاومة الفرنسية البحتة فإن الفرار من الجندية ، إن لم يكن كبير الحجم ، فلن يكون فعالاً عملياً . وليس هناك من هدف محدد يقدم لهؤلاء الفتيان ، وسيتم الاحتفاظ بهم ، إحتياطاً ، بدون أي نشاط ، يعانون الغور اللاذي حتماً . وهكذا يضطرون إما للاندماج في حياة البلد الذي استقبلهم . . . أو الاتجاه نحو شبكات الجبهة) .

وهنا بيت القصيد ، حيث يضيف جيل مارتينيه ، بأن مشكلة الفارين من الجندية هي مشكلة

---

١٠ ـ الحقيقة لأجل . . . حزيران (يونيو) ١٩٦٠ ، لكنها حررت في نيسان (ابريل) .
١١ ـ تحمل المخطوطة نص جانسون تاريخ ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٦٠ .
١٢ ـ اسبري أيار (مايو) ١٩٦٠ .
١٣ ـ فرانس أوبسرفاتور ، ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٦٠ .

العلاقات (بين الأشتراكية الفرنسية والقومية الجزائرية) وتلك عبارة أوحت لجانسون بالتعليق التالي : إذا أخذنا بعين الأعتبار ما يمكن أن نعرفه عن الثورة الجزائرية من جهة ، والمواقف التي اتخذها اليسار الفرنسي منذ خمس سنوات من جهة أخرى ، إلا يحق لنا أيضاً أن نطرح مستقبل العلاقات بين القومية الفرنسية والأشتراكية الجزائرية ؟) [١٤] وأما زعيم الحزب الأشتراكي الموحد فقد عرض طرحاً معاكساً تماماً فقال (إذا كان خصومنا أنفسهم ، فإن القضايا التي ندافع عنها ليست متطابقة ، نحن نكافح من أجل إقامة الديمقراطية الأشتراكية في بلد عالي التصنيع ، بينما يكافح (العرب) لتحويل بلد متخلف إقتصادياً بوسائل تتناسب مع واقعه ، وبصورة خاصة بتأهيل سياسي عالي المستوى) .

وكان جان دانيال (من مجلة الأكسبريس في حينه) هو الذي دخل قلب التناقض وبأسلوب عنيف ، وذلك في دراسة كتبها لمجلة (أسبري) [١٥] " فشل الصعوبات الأساسية ، وجلب الأنتباه قبل كل شيء الى (أن اليسار الفرنسي ليس معادياً للأستعمار بجوهره ، وهو بلا شك يؤمن بالمساواة ، أي أنه يعارض الأستغلال الاقتصادي ، إلا أنه ، ليبرالي أيديولوجيا ، وهذا ما قاده الى الوقوف إلى جانب سياسة دمج الجزائر في المجتمع الفرنسي) ويستخلص من ذلك بأن نفي موليه ليس شذوذاً في الحركة العمالية الفرنسية ، وأن الديغولية (مثلها مثل أي نظام رجعي ، يمكن أن تجد نفسها مجبرة أن تقدم فرصة سياسية يمكن أستغلالها من قبل الوطنيين الجزائريين .....) ويوجه جان دانيال السؤال لجانسون (ان الأنزلاق الفكري الواضح ، يعود الى استحالة التفكير بأن يتم القضاء على الأستعمار على يد الرجعية ، نأمل إقامة الاشتراكية في فرنسا بفضل حرب الجزائر . فإذا كان اليسار ضرورياً للجزائريين في معركتهم فإنهم سيعثرونه من جديد) .

وبمعنى آخر ، فإن جان دانيال يتساءل فيما إذا كان الثوريون الجزائريون قد استردوا الثورة الجزائرية وجهودها بأفكار الثوريين الفرنسيين ، باسم ادعاء بالأممية يمسح الأبعاد العربية الأسلامية للحركة التحررية في المغرب ، وإن كان ذلك يتم عن طريق أكثر الثوريين شجاعة وتفانياً . يقول جان دانيال في نهاية مقالته (إنني أخشى أن يكون ملاصقنا قد إنتهوا الى تقديس جبهة التحرير الوطني كما قدس المتقفون المتأثرون الحزب الشيوعي ، منذ بضع سنوات خلت ، أنه البحث القلق عن مطلق ما ، إنه إعتبار جبهة التحرير القوة الوحيدة اليسارية المنظمة) .

عندما كان جان دانيال يكتب هذه الخطوط ، تلقى إدانته للمرة الثالثة بالمساس بأمن الدولة (لكتابة مقالات لمجد جبهة التحرير الوطني) ولم تكن هذه القرابة هي الوحيدة ، في تصرفات السلطة ، فقد صادرت فرانس أوبسرفاتور ، والأكسبريس في الوقت الذي كانت المجلتان تدينان وتحرمان القرار من حسبه .

---

١٤ - وجدت هذه الروية في ملاحظة على رسالة لسارتر نشرت في الأزمنة الحديثة .
١٥ - أسبري - أيار (مايو) ١٩٦٠ .

لم تكن هموم فرانسيس جانسون وهموم جان دانيال من النوعية نفسها ، فالأول كان يقاتل وظهره الى الحائط ، ويكاد يكون لديه الوقت الكافي لكي يتأكد من صلاحية المقولات التي تستفزه ، فكيف يكون الدخول في جدل طويل لتثبت ضروراتها العملية . فربما تقوم الفئة اليسارية المثقفة الأكثر جذرية والأكثر أمية ، بمحاولة فعلية لعملية تحويل ايديولوجي للواقع الجزائري ، بالاسلوب نفسه الذي تبحث فيه عن خيط يقودها بين الأفكار الخيالية ، التي توجهها نحو فيدل كاسترو وباتريس لومومبا . وربما يعيب البعض على حلة الخطاب تحالفهم مع الجزائريين ، وأحياناً محاولة ضم الجزائريين إليهم ، إلا ان الشبكة تسير سيراً حسناً ، فلهم إذن أن أعضاءها يعملون وان فعالية نشاطهم ملموسة . بالرغم من المحاولات الرامية الى الاقلال من أهميتهم وتحويلهم الى رموز أو الى شهود .

ودفعت هذه الحجة الملزمة ، حجة ضرورة الاسراع ، دفعت جانسون الى أن ينهي بسرعة ، بعد إقامته في سويسرا ، كتابه (حربنا) ، فقد كتبه بسرعة عندما كان (سجيناً) ، في شقة في شارع دونون مرلوج ، منذ مطلع حزيران (يونيو) ، فكان يكثف ويجمع ويهضم كل احداث الأسابيع الفائتة (ويحصر الأرضية) . كلا ، إن من إندفعوا في دعم الجبهة لم يخاطروا لعقدة ما . إنهم أناس سعداء يحبون الحياة ويحبون مهنهم ، فإن اعتقدوا بأنهم مضطرون للمشي فوق الزهور ، فلم يكن ذلك بروح ثأرية . وإن قبلوا الحياة الخفية السرية فلم يكن ذلك حباً بالانعزال والعيش على الهامش ، وإن بقوا معزولين لفترة طويلة ، فلأن الطعام الذي تقدمه السياسات الكبرى ،كالتوملزال (البروليتاريا بالمرق) ، ولذلك وإخلاصاً منهم ، فقد تبنوا الموقف الأقل راحة ، وها هم يقولون (وكان علينا في الوقت ذاته ، ان « نخون » الفرنسيين بالانضمام الى الجزائريين ، وأن « نخون » الجزائريين بتصميمنا على البقاء فرنسيين) .

إلا أن الصعوبات قد مرت ، ولكن بثلاثة شروط على الأقل ، وهي ان الاستنفار الجماهيري الذي بدأت تظهر ملامحه يجب ان لا يكون مارقش ما تلبث ان تنطفيء ، ثم أن تتجسد التطلعات نحو السلام بكفاح سياسي من اجل الاستقلال الجزائري والشرط الثالث أن تربح السباق الذي يجري ضد الزمن ، فهذه الشروط ضرورية لابعاد خطر الفاشية عن فرنسا ، وبما يتعلق مستقبل العلاقات الفرنسية الجزائرية ، وعلى المدى البعيد مستقبل الاشتراكية (فإذا تمكن الجزائريون من إنجاح شكل مناسب من أشكال الاشتراكية في بلدهم ، فإن جميع شعوب أفريقيا ستجد فيه تأكيداً قاطعاً لكل هذه الامكانية . وسيبلورون أكثر من أي وقت مضى لتحقيقه في بلادهم ولصالحهم ، وإذا إضطرت الجزائر بالعكس الى التوجه نحو الشرق دون تحفظ ، فإن أفريقيا كلها ستميل وتنفتح ، بسبب الفجوة التي تكون قد خلقت ، نحو اشتراكية مستوردة) .

وانتهى كتاب (حربنا) يوم السادس من حزيران (يونيو) وصادرته الشرطة يوم التاسع والعشرين من الشهر نفسه بعد أن صدر عن دار النشر (مينوي) . وكان جيروم ليندون قد ضاعف الاحتياطات (الى درجة انه لم يذكر اسم المؤلف ، الا على شقين ، هنري جانسون ، وفرنسيس دوجون) وذلك خشية تسرب الخبر في المطبعة ، كما أن ذلك سمح له بأن يوزع العديد من النسخ الى مراسلين اخبارهم . لقد صادرت السلطات

الكتاب تماما ، الى درجة أن مجلة (فيريتيه ليبيرتيه) اعادته بحرفيته في عددها الصادر في تموز (يوليو)[١٧] .

كان جانسون منهك القوى ، بعد أن انهى كتابه ، ولم يكن يستطيع الهرب من الشعور بالسجن ، الا عندما كان يقوم بنزهات قصيرة مع كريستيان فيليب خلال الليل . فقرر المحامي رولان دوما ان يقدم لهما يوم عطلة . وفي أحد أيام الأحد ، بينما كان الناس في الصلاة ، استقل الشابان القطار الى فرساي ، واختلطا بجمهور السواح امام القصر ، وكان محامي الشبكة ينتظرهما . فتوجه الثلاثة الى فارانج فيل على شواطئ نورمانديا ، عصر يوم من الرمل والريح ومياه البحر . وقفة لا اكثر ، كتلك التي سمحت بها شخصيتا كاموثارو ... بو لنفسيهما ، بينما كان (الطاعون) يحوم حول المرفأ . واحتفظ جانسون بذكرى حية عن هذه النزهة ، وتبنى لقبا جديدا لنفسه خص به رولان دوما وحده دون غيره ، ولم يتمكن الاختصاصيون في الاستماع ابدا ، من التعرف على (الدكتور فارانج) الذي كان يتصل غالبا بالمحامي

في مطلع الصيف ولد امل عابر عند الفرنسيين ، فقد توجه رئيس الدولة يوم الرابع عشر من حزيران (يونيو) الى (قادة التمرد) وكانت جملة واحدة لا اكثر ، إلا انها كانت كافية لتلهب الرأي العام (انا ننتظرهم هنا لكي نبحث معهم مخرجا مشرفا للمعارك التي ما زالت مستمرة ، ولتسوية مصير السلاح ، ولتضمن مستقبل المقاتلين) ، فاعلنت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، يوم ٢٠ حزيران (يونيو) عن قبول اللقاء المقترح ، وسمت وفدها الأول : بومنجل ، وبن يحيى . الا أن اقتراح الجنرال ديغول ليس إلا افتتاحا محدودا ، كما ان مناصري الجزائر الفرنسية ، الذين عقدوا ندوة في فانسين ، حصروا التدبيل بلا فائدة . فحال وصول وفد الجبهة الى اورلي نقل الى مقر محافظة مولان ، واصطدم ممثلا (المتمردين) بجدار من صخر ، وعوملا معاملة خشنة ، ففهما حالا بأن الحكومة الفرنسية تأمل التوصل الى وقف النار ، دون أي تنازل سياسي ، ولم تدم خطوة مولان الا اربعة أيام .

كان ديغول يضيع الوقت ، الا أن اليسار لم يتوصل الى استغلال هذا الخطأ . واتفق على القيام بتظاهرات يوم ٢٨ حزيران (يونيو) (اليوم قبل الأخير للمحادثات) ، ولكن عندما اقترح جان بوبير ، الذي يوجه الحزب الاشتراكي الموحد ، على ريمون غويا ، ممثل الحزب الشيوعي ، بتلاقي مظاهرات خاصة ، تهرب غويا بأنه يحرص استفزازي ، وهكذا مر يوم الثامن والعشرين من حزيران (يونيو) دون حدوث شيء يستحق الذكر . أما على الصعيد النقابي ، فكان الجو افضل ، فقد أعلنت النقابات (الاتحاد العام للعمل ، والاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين ، والاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، واتحاد التربية الوطنية) عشية وقف محادثات ، في بيان مشترك عن (تصميمها ، بأن تتصدى بكل الوسائل المتاحة ، لكل محاولة ولكل انقلاب يهدف الى افشال تصيب السلام في الجزائر) . وهكذا بدأت تتجسد الجبهة النقابية التي ظهرت ملامحها الأولى في شباط (فبراير) الماضي ، فعقدت الاجتماعات الموحدة في المحافظات ، كالاجتماع الذي عقد في

---

١٧ . فيريتي - ليبرتي ، ظهر العدد الاول في ايار (مايو) ١٩٦٠ ، كانت تحرر من قبل لجنة موسعة

فروتويل قبل ثلاثة أسابيع ، وعبأت بحضور جماهير العمال هذا التلاقي . وحاولت الروابط البارزية من كل الاتجاهات النقابية ، بما في ذلك (القوى العاملة) أن تدفع سوية بثقلها باتجاه السلام والوصول الى المفاوضات . ولاحظ رئيس الدولة ، عندما زار النورماندي بأن شعبيته لم تمس ، الا أن الوصول الى تتيجة بات ضرورة ملحة . ولم تكهم الجماهير الا بصعوبة احاديث ديغول الملتوية ، ولم تلاحظ التلميح الى أعمال التعذيب (بعض الأحداث المؤسفة التي يجب ان تقمع) . واعربت هذه الجماهير عن تململها . وكتب بيير فيانسون بونتي ، الذي كان يغطي رحلة ديغول لصحيفة لوموند (من المفروض ان يفكر الجنرال ديغول بعد عودته من النورماندي بأن الوصول الى السلام أياً كان الثمن يحظى بالاولوية ، وان اقتضى الوصول اليه الى مفاوضات سياسية مع جبهة التحرير ، وحتى اذا تطلب الامر دفع ثمنه باستقلال الجزائر)[17] . وكان الخريف قاسيا .

وكذا كان رأي جانسون ، الذي اسرع في كتابة كتابه (حربنا) ليسمع مرافعته من يريد سماعها ، قبل ان تتسارع الحركة الجماهيرية ، وقبل أن تتسارع الوتيرة السياسية ، وقبل أن تبدأ محاكمة اعضاء الشبكة . ونظر جانسون الى حصيلة أربعة أشهر من الجدل : انه لم يقنع ، وما زال بعيدا عن ذلك . فالغالبية العظمى من اليسار الناضل ، خارج اطار الحزب الشيوعي ، تجد نفسها في مجلة الاكسبريس او في مجلة فرانس أوبسرفاتور . انه لم يقنع إلا أنه سجل بعض النقاط . فقد سجل نجاحا وفرض بعض الاحترام . ولم تعد شتائم باري بريس وفرانس سوار حول ميول حملة الحقائب الجنسية أو المالية الآن إلا شيئا مهترئاً . وانطلقت النقاشات الفكرية ، وشعر جانسون انه يشغل فيها مكانا رئيسيا متقدما ثلاث سنوات على غيره ، الا أنه أقل أهمية جغرافيا (اليسار المتطرف) .

ثم أنه استطاع ان يؤثر على اولئك الذين يصعب التعرف على ميولهم ، او توقع تصرفاتهم ، والذين يمكن ان يقوموا بأي شيء ، وهم الطلاب والشباب والجنود وهنا يكمن قلقه من تصرفاته ، بقدر ما يقلق من عمله السري . ذلك أن هذا التأثير يصعب كشفه ، او تقدير مداه ، وهكذا اتخذ هذا التأثير بجدية . ثم أنه توصل نسبيا الى قلب الادوار ، فلم يعد هو الاقلية الهامشية ، الذي يتخذ موقف الدفاع ، بل (اليسار المحترم) فبالرغم من انه ملاحق كان يبدو مع ذلك مهاجما ، (بمساعدة مارسيل بيجو ومجلة الازمنة الحديثة) . ويشهد على ذلك اعتراف جاك فوفيه الذي يهاجم بعنف التيار الاحتجاجي الوقح الذي يسميه (اليسار البسراوي) فيقول :

(منذ قليل كان اليسار التقليدي متهما من قبل اليسار الجديد . اما اليوم فان اليسار الاول والثاني قد خلطا - بالمعنى الحقيقي والمجازي للكلمة - من قبل (ما فوق اليسار) المجتمع في مجلة الازمنة الحديثة)[18] .

---

١٧ - المصدر السابق ، انظر أيضا مقال بيير فيانسون بونتي في لوموند ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ .
١٨ - لوموند ١٢ تموز (يوليو) ١٩٦٠ .

فماذا حدث بالنسبة للنشاطات الفعلية للشبكة ، بينما كانت النقاشات تشتد ؟ ، لم يكذب فرانسيس جانسون عندما قال خلال مؤتمره الصحفي بأن العمل ما زال مستمرا ، وكان نصف المليار فرنك (قديم) التي يحولها اتحاد فرنسا شهريا تدعم بانتظام حساب الجبهة في سويسرا ، ما زال المسؤولون الجزائريون يجتازون الحدود دون عقبات . وتطبع الدعايات وتوزع ، فالجهاز يسير سيرا حسنا من الناحية التقنية ، وكانت عمليات الاعتقالات التي قام بها امن الدولة حادثا خطرا ، الا انها لم تكن كارثة ، ومع ذلك لم تكن الشبكة في مأمن من صعوبات من نموذج آخر ، فأدت إعادة تنظيم القيادات الى نزاعات دخلت فيها الاعتبارات الشخصية والصراعات على السلطة ، والاهم من كل ذلك الخلافات الشخصية الجدية ، ففي الواقع ، احتار الجدل حول طبيعة الثورة الجزائرية الشبكة ايضا ، الا ان مبدأ تقديم المساعدات العملية لضحايا الاستعمار لم يمس اطلاقا ، ومع ذلك فان شكل العلاقات مع الجبهةوعتواهامن جهة ومع اليسار الفرنسي من جهة اخرى ، قد شحنت بدرجات مختلفة .

في أيار لحق جانسون بجاك فيتيه ودومينيك داريوا وسيسيل ماريون في بيت قريب من لوزان ، كانوا يتظاهرون بأنهم في عطلة ، الا أنهم كانوا يعانون من الضجر القاتل ، بانتظار اشارة من بوداود ، الذي سافر الى تونس لكي يناقش مع (القمة) اعادة تنظيم البنية كما يجب . واخيرا ظهر ، وتم الاتفاق على موعد في زوريخ ، وذهب جانسون وفيتيه الى هناك ، وكانا مختلفين ، فلم يكن لجانسون سوى رغبة واحدة هي العودة الى فرنسا والقيام بنشاطاته . اما فيتيه فكان يعتقد بانهم (مؤشرون تماما) وان الجزائريين لن يقبلوا بأي شكل كان مثل هذه المساعي . فاقترح اعادة تنظيم شبكات العبور ، التي انشأها ، نحو جنيف وبروكسل ودوسلدورف ، وتنسيق النشاطات من الخارج ، كما فعلت الجبهة غداة ١٣ أيار (مايو) ، الا ان بوداود كان عنيدا ، لا ، لا ، لا ، فلا يجوز أن يضع جانسون قدمه مرة ثانية في فرنسا ، اما بالنسبة لاقتراح فيتيه ، فقد حل النظر فيه الى ما بعد ، وبما ان الصحفي كان في عطلة اجبارية ، فقد ذهب الى تونس وقام بتحقيق صحفي عن جيش التحرير الوطني واللاجئين ، لحساب الناشر الايطالي فيلترينيلي .

ولجأت المجموعة المنفية الى بيت في جنيف بعد ان شعرت بأن طوق الشرطة السويسرية يضيق حولها ، وقرر جانسون ، الذي لم يعد يحتمل البقاء ساكنا ، ان يخالف التعليمات وعاد الى باريس . الا أنه عاد يكتشف بأنه ، على أرض الواقع ، شخص غيرمرغوب فيه ، فليكتب (حرنا) او يغذي جدلا حزبيا ، أو يتوجه الى الرأي العام ، فكل ذلك مفيد ، ولكن لا يحق له ان يلمس شيئا ، فبعد ان بردت العلاقات بينه وبين بوداود ، حد جانسون تماما بالنسبة للشبكة .

كان هنري كوريل هو الذي يشرف على مجمل نشاطات الشبكة بموافقة الجزائريين (كان في البدء يديرها بالاتفاق مع جانسون ، الذي اعتبر نقل السلطات هذا على انه أمر مؤقت اقتضته الضرورات الفنية) وكان كوريل قد بدا يهيء نفسه لتحمل هذه السلطات ، وتشهد على ذلك العديد من المحادثات التي كانت تجري ، كما كان يشعر بأن هناك ضربة قوية ستنزل بالشبكة ، وانه من المناسب ان عاجلا أو أجلا أن يحصر

البديل . ومن أجل هذا بدأ هنري كوريل الذي يعتبر (المتعهد الثانوي للشبكة) بتجميع النواة الشيو
المصرية التي كان يترعمها . ثم ضم اليه جورج ماتيي (الذي أدلى بالتصريحات الصاخبة اثناء ادلا
بشهادته في محاكمات الجزائريين الذين حاولوا اغتيال جاك سوستيل) وكان الحديث الذي جرى بين ماتي
وبين (غيوم) هو الأمر الصعب جدا (كان توزيع « الحقيقة . . . » لا يشبع رغباتي ، فتحدثت عن ذلك ا
بلزا ، الذي اعلمني بأن هنالك شبكة اخرى مستقلة ، وجرى الاتصال في مقهى على مقربة من سو
لاپاغود[69] وأعلمني غيوم - كوريل حالا كيف ان الشيوعي الحقيقي هو الذي لا يكتفي بالهتاف (السلا
للجزائر) وبين لي بأن الاخوة قد طلبوا منه ان يقيم نموذجا تنظيميا آخر ، لأن مجموعة فرنسيس قد حرقت
ولم تمض بضعة ايام حتى بدأت بالاهتمام بشبكات الفرار وكنت اول واحد من ابناء جيلي يتعاون مع
المحجوز)[70] .

يشعر الانسان في لهجة الذين عملوا مع كوريل نوعا من التبجيل والاحترام والمحبة ، فقد كان كوريل
يمثل بالنسبة لهم الرجل الذي بقي من نوع اختفى، هذا النوع من البلشفيين الاوائل. ثوريون محترفون
وأميون لا يلينون، وكان لانضمام ماتي الى الشبكة الجديدة دور كبير في توسيعها، فتطوع المخرج جان ماري
سيرو الذي تعرف عليه عن طريق سارتر، حيث كان سيرو قد أعطاه مشروعا لرواية، وقام سيرو بدوره
بتطويع جان دوفانجان احد مديريه وهو عضو سابق في اليسار الجديد، ثم عضو في اتحاد اليسار الاشتراكي،
بسبب كلمة بارون التي كانت تسبق اسمه، ثم انضم بعد ذلك الى حلقة كوريل شاب متعاطف يدعى
مارتان فيرليه. وكانت القيادة العامة منذ مطلع عام ١٩٦٠ تتألف من ثلاثة (ضباط) دائمين تقريبا ماتي
المسؤول عن الاموال، وفانيجان عن الشبكات، وفيرليه الذي يتابع تطور (المقاومة الفتاة). أما في الخارج
فكان روبير دافيزي وجان لوي هورست، هما اللذان يقومان بدور المراسلين شبه الرسميين للفريق الجديد،
وهكذا كانت البنية الجديدة جاهزة لأخذ مكان الشبكة عندما جرت عمليات الاعتقالات الواسعة .

قام كوريل أيضا بلم المناضلين الاوائل الذين رأوا بأن الوقت قد حان لكي يخرجوا من مخبئهم ،
وهكذا اعتبر اتيين بولو ، بعد ثمانية عشر شهرا من البحث الاجتماعي الريفي في الغرب ، بأن أمن الدولة قد
نسيه ، وأن بامكانه ان يعيد ارتباطه بالشبكة ، فوجد أن الشبكة قد تغيرت ، وها هو يقول (مع كوريل ،
كانت مرحلة جديدة من التنظيم ، فقد كان هنالك توزيع حقيقي للمهمات ، واحتياطات دقيقة ، لم تكن
متبعة تماما دائما ، ولكن أكثر من ذي قبل ، وكان ايضا هنالك الناس اكثر من ذي قبل أيضا : كان التطويع اكبر
كميا ، أما نوعيا فكانت تلك مسألة اخرى ، كثير من الشباب ، الشبان الصغار في السن ، مليئون بالرغبة

---

٦٩ - سينما باريسية مشهورة (للفن والبحث والتجربة)
٧٠ - شهادة جورج ماتي .

في العمل . إلا أن الخبرة تنقصهم ، وهناك صعوبات كبرى في اتباع القواعد الأمنية . فقد عرفت بعضاً منهم كان يعتقد انه في الغرب الامريكي ، لان بين يديه سيارة سيتروين لاول مرة .)

كان الشيوعيون هم الغالبية في قواعد الشبكة ، وكان منهم المنتمي للحزب ، ومنهم من لم يكن منتميا . وليس رجلاً من نوع كوريل الذي يرفض مصادر اخرى . فقد اعتاد الحوار ، واحترف السياسة ، بحيث عرف بأن حركة ما تربح اذ هي تساعت في التوزيع . أما الشيوعيون فهم (اقاربه) ، وهم بالنسبة له غريزيا ومنطقيا أفضل النوعيات ، فهذا الرجل النبوة ما زال مؤمنا . فبالنسبة له يوجد نوعان من البشر: الشيوعيون والآخرون (وهذا لا يعني انه يحب الآخرين) وكان في الشبكة حتى ذلك الحين الكثير من (الآخرين) انطلاقا من الوجوديين ووصولا الى قسس الارسالية الفرنسية ، اما الشيوعية ، فلم تقدم بالمقابل للشبكة عددا يتناسب مع قوتها .

في القمة ، لم تتم الاتصالات ايضا ، فمن المؤكد ، منذ فشل المفاوضات السرية التي تمت في عام ١٩٥٨ ، لم تعد هناك جدوى من النقاش مع اعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي . إلا أن كوريل بقي على اتصال مع فيكتور لودوك وجان برونتو ، اللذين لم يكن يجهل بانهما يمثلان التيارات الناقدة ، وربما التيار الصاعد في الحزب ، ويحلل جان توفانتجان بدقة مغزى هذا الموقف (لم يكن يرغب في دعم هذا التطور الداخلي في الحزب الشيوعي ، بل على العكس ، كان يريد الحصول على دعم جديد ، اي فعالية متزايدة ، فكان رجل مثل لودوك يبدو انه قادر على استقطاب قوى اضافية ، التي باعتبارها ذات جذور شيوعية ، ستكون اكثر تنظيما ، اما النقاش بين الاتجاهات الداخلية في الحزب الشيوعي فلم يكن مشكلة كوريل ، وكان العالم الثالث مشكلته الحقيقية ، وغالبا ما كان يردد : (ان السياسة الفرنسية لا تخصني شخصيا) .

لا تخصه ، نعم ، الا انها تهمه ، الى درجة انه استغل تناقضاتها . لم يكن هدف كوريل بالتأكيد ، تشجيع المحاولات الناهضة لتوريز ، التي كان يقوم بها مارسيل سيرفان ولوران كازانوفا . الا انه يتابع مع ذلك هدفا سياسيا محددا لا يمكنه بلوغه دون ان يتطور الحزب الشيوعي الفرنسي (وكان يحسب انه لو سمح الحزب ولو ضمنيا لفئة هامة من مناضليه بدعم الجزائريين ، فانه من الممكن ان تميل جبهة التحرير نحو الماركسية)ولكان من الممكن على الأقل لتزيين هذا الغلاف الصلب من الحذر ، الذي أصبح اكثر قساوة منذ ان صوت النواب الشيوعيون على السلطات الخاصة .

ان ما جرح جانسون عند وصوله في نهاية اذار (مايو) الى باريس ، هو كونه خارج نطاق كوريل ، ولاحظ بان تطويرا جديدا قد تم ، والجاها آخر قد حدد ، وان المهام قد وزعت من وراء ظهره ، بحيث تعددت كثيرا متطلبات السرية والتدعيم ، ولم يستطع ان يتخلص من الشعور بوجود تلاعب . وما جرحه أعمق من ذلك هو أن كل هذه الامور تمت بموافقة الجزائريين . ولم تكن العلاقات بين كوريل وجانسون علاقات عمل فحسب ، وتبين هذه الرواية التي ترويها ديدار فوزي ذلك : تمت قبل الاعتقالات بزيارة لمصر ،

وفوضني كوادر منظمتي[٤٩] ، الذين كانوا في السجون ، بأن أطلب من جانسون ان يساعد فنيا ، في عودة كوريل الى مصر ، وذلك بتزويده بجواز سفر جيد ، وقبل جانسون ذلك ، الا انه أخذ يشرح لي ، خلال اكثر من ساعة ، أية خسارة سيشكل سفر كوريل على نشاطه وكان متألما جدا) وفي النهاية لم يغادر كوريل فرنسا ، وربما كان جانسون يحلل في كتابه (حربنا) (الخيانة) التي حكم عليه بها ، كان يشعر بأن اخوته ورفاقه قد خانوه نوعا ما .

من المؤكد ، بأن تاريخ الشبكة ، بالنسبة للشباب الذين انضموا اليها في عام ١٩٦٠ ، كان يبدو وكأنه تاريخ ما قبل التاريخ ، شيء مضى بسرعة ، والآن وبعد مضي حوالي عشرين سنة ، وبالرغم من معرفتهم لمدى اتساع الاعتقالات التي تمت بصورة خاصة عام ١٩٥٩ ، ما زالوا يؤكدون بقطعية ، بأن العمل الحقيقي قد بدأ مع كوريل ، ذلك ان هؤلاء الشيوعيين المتعصبين ، والشيوعيين المنشقين والماركسيين الليبيين والماركسيين المتحررين ، قد انضموا الى النضال ، في الوقت الذي ترددت فيه كلمة الثورة شبابيا ، ودارت على كل الألسن . لقد سحرتهم صورة كوريل المنشقة الأصلية ، الصورة التي تذكرهم بالماضي الذي لم يعوروا وبالمنطق الوعود ، وبحرضهم على رفض الوجودية (البورجوازية الصغيرة) وقدمها الى المطالبات الخارجية وهكذا فانهم كانوا يسوون حساباتهم مع طبقتهم الاجتماعية . فقد أرضت صرامة كوريل العقائدية وتمسكه ودقته وصبره التربوي وتجربته في الحياة السرية لدى هؤلاء الشباب ، حاجتهم للايمان والمخاطرة .

ويتفق فرانسيس جانسون والمقربون من كوريل ، بأن الجدل والاتهامات حول الخلاف بين الرجلين ، يندرج في عداد القصص العادية ، اما المحتوى السياسي لهذا الجدل ، فلا يمكن الا ان يجلب انتباهنا ، ويقول روبير داهري : (لقد كان واضحا بالنسبة لكوريل بأن كفاح الجزائريين لم يكن ثورة بمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، باعتبار ان الطبقة العاملة لا تقودها ، ان هذا الكفاح لا ينطبق مع الاطار التاريخي للثورة كما تمثله ، وكان هنري يشبهها بتمرد فلاحين طردوا من أراضيهم ، اما فرنسيس فكان يدعم طرح فرانتز فانون ، وينضم الى فكرة الثورة الفلاحية ، وهي فكرة مستوردة من الشرق الأقصى وامريكا اللاتينية .

ولم يكن هنري يرى امكانية قيام الثورة في فرنسا ، الا عن طريق الحزب الشيوعي الفرنسي ، بينما كان فرنسيس على العكس منه ، يعتبر بأن الثورة الجزائرية قادرة على ان تسبب تحطيم الجمهورية الخامسة والرأسمالية الفرنسية معها) .

وتؤكد ديدار فوزي على هذا الحكم بما يخص الالتزام السياسي لكوريل واصدقائه : « لا بد من مرور فترة طويلة ، وبذل جهود كبيرة ، لكي يتمكن شعب مستعمر متخلف من الاستقلال لبناء الاشتراكية ، ان

٤٩ ـ يتعلق الأمر هنا بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) وهي واحدة من المنظمات الشيوعية المصرية ، أصبحت فيما بعد (الحزب الشيوعي المصري الموحد) بعد اندماجها مع منظمات أخرى

حرب التحرير من السيطرة الاستعمارية ، تضعف الامبريالية بمجموعها . حتى وان كانت هذه الحرب حرب فلاحين تقودها البورجوازية الصغيرة لا البروليتاريا ، وان دعمنا لجبهة التحرير لم يستند على مستقبل الثورة الجزائرية .

أما جانسون فانه يعبر عن استياءه الشخصي من المناقشات ، في المراسلات التي تبادلها ، قبل بضعة اشهر من وقف النار ، مع البعض من رفاقه المعتقلين في سجن فرين ، ويقول في رسالة كتبها الى جان كلود بوبير (لن يسامحني احد لايماني بالثورة الجزائرية ، الا انني لم أؤمن بها . ولم أكن بحاجة للايمان بها ، كنت اراها ترتسم وتأخذ شكلها وتتطور يوما بعد يوم ، وكنت اتابع خطوة خطوة هذا النضج العظيم في القاعدة ، الذي هو أكثر بكثير من تطبيق نظريات ماركسية (الشيء النادر في عصرنا) ذلك انها اختراع جديد للماركسية)[٣٢] .

وتترجم رسالة اخرى موجهة الى جيرار مايير التحليل نفسه والمرارة نفسها فتقول (لقد فهمت من كثرة العقبات والتخريب ، كيف يمكن للبعض ان يدعموا الكفاح الجزائري ، بينما يحتقرون الشعب الجزائري ، اي بانكار كل اهلية ثورية له . لقد سمعت من بعض مسؤولي اتحاد فرنسا بانهم فلاحون مهانون ، ورأيت رجالا آمنوا بالشيوعية ايمانا مطلقا ، ويرفضون مع ذلك ، بأن الثورة يمكن أن تقوم في بلد متخلف ، ان لم يلعب الحزب الشيوعي الفرنسي دورا رئيسيا فيها)[٣٣] .

وبعد ان حرر جانسون كتابه (حربنا) جمع لقاء واحد الرجلين وجها لوجه ، فرش جانسون كوربيل بسيل من الاسئلة ، وكان ما يقلقه بصورة خاصة ، هو ما بدأه زميله قبل ان تجري حملة الاعتقالات ، الشيء الذي كان يجب ان يتقاسمه المبادرة فيه . الا ان كوربيل اكتفى بالعموميات الودية والمطمئنة ـ بالرغم من معرفته بوجود كريستيان فيليب ، التي كانت تعرف تماما كل تصرفاته ، باعتبارها كانت مرتبطة في السابق ، الا ان التوضيح لم يتم ، الا شيئا واحدا : بالنسبة لما يهم التنظيم العملي لعمليات الدعم للجزائريين ، لم يعد لجانسون علاقة به لاسباب امنية . لكن الخلاف لم يكن في هذا المجال ، ولم يعد كوربيل في نفسه ـ لاسباب سياسية ـ اية اوهام حول (اشتراكية) جبهة التحرير ، كما انه لم يعد اية اوهام حول بعث اليسار الفرنسي ، دون تدخل حقيقي من الحزب الشيوعي الفرنسي . اما جانسون فكان على العكس منه ، مقتنعاً بأن برميل البارود الجزائري يمكن ان يؤدي الى ردود متتابعة مسلسلة ، شريطة الاهتمام به ، وتلك هي كل المشكلة .

---

٣٢ ـ ورسالة غير منشورة مؤرخة في كانون الثاني ١٩٦٢ (من الارشيف الشخصي لفرانسيس جانسون) .
٣٣ ـ تاريخ الرسالة السابقة نفسه ومصدرها نفسه .

١٦
المثل السيء

بينما كان النقاش محتدماً طيلة ربيع ١٩٦٠ وحتى الرابع عشر من تموز (يوليو) ، كانت الانباء القضائية والبوليسية تتصدر الانباء بفقرات متتالية فقد علم ان آلين شاربي ، التي كانت تختبيء في شقة احد اصدقائها الباريسيين ، عرف مكانها واعتقلت وسجنت في الروكيت (سجن النساء) ، وفي الاسبوع نفسه ادينت دونيربارا بدورها ، الا انها تركت حرة ، وفي الرابع عشر من نيسان (ابريل) سمح لاسقريه توران ، وهنريت كونت ، وبول كروشيه ، وفلوريادي هيريرا ، باجتياز عتبة سجنهم مؤقتاً . وكان التحقيق الذي يقوده المقدم ربسيميه ـ ذلك الذي اعطانا آرنو عنه صورة لا تنسى ـ يراوح في مكانه على مهل ، يقطعه احياناً الصمت ، واحياناً اعلانات مبادىء لا نهاية لها ، فاذا استمرت الامور على هذا النحو ، فان الملف سيكون جاهزاً بعد سنوات ، وكان بديهياً ان الحكومة لا تهتم بذلك ، الا قليلاً جداً فيما أن تجريم المتهمين ثابت في أغلب الحالات ، فسيصدر الحكم عليهم ليكون عبرة ، بدون الدخول في التفاصيل . ولتسهيل الامور صدر امر يلغي الفوارق بين المساس بأمن الدولة الخارجي ، والمساس بأمن الدولة الداخلي ، فعلق روبير بادينتير على ذلك قائلاً : (عندما ندمج بين الخائن والمعارض ، فاننا نخلط بين فرنسا ونظامها السياسي القائم)[1]

كانت السلطات مقتنعة بأن المتعاونين الفرنسيين مع (الارهابيين الجزائريين) يلاقون الحنق الاجماعي ، بحيث تكفي الاشارة اليهم واستغلال الفضيحة ، ثم أن السلطة ما زالت مثقلة بحلفاء الامس الهائجين ، الذين اقاموا الحواجز في الجزائر ، فقبل ان يلقوا العدالة ، تعتبر السلطة بأن الحذر يقتضي تقديم وزن ثقيل معادل لاتجاه اليمين .

وهكذا كانت شدة الاحكام الصادرة ، منذ القضايا الاولى التي قدمت للمحاكم ، متناسبة عكساً مع ضعف الاتهام . وكان من سوء حظ سيسيل دوكوجي ، التي اعتقلت في آب (اغسطس) ١٩٥٨ ، انها دشنت هذه الحلقة السوداء . وشرحت المتهمة امام المحكمة العسكرية بسخرية سجلها كل الصحفيين ، بأنها لا تتكلم اللغة العربية ، وانها لم تكن اطلاقاً في سر أصدقائها الجزائريين . فقالت باري بريس[2] معلقة ، ها

(١) النظام الصادر في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ ، نشر تعليق روبير بادنتر في الاكسبرس في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ .
(٢) باري بريس ١٤ اذار (مارس) ١٩٦٠ .

هي وقاحة كبرى ، فهل كانت سيسيل تجهل بأن (الحكومة قد أصدرت ، بناء على توجيهات من الرئيس ديغول ، امراً بالتعجيل في الحكم وباصدار الاحكام الاكثر شدة ؟) وتلفت الاثبات دون تأجيل ، فقد حكم عليها بالسجن خمس سنوات ، واعتقلت ثانية خلال الجلسة ، بينما اطلق سراح زميليها (اللذين اعطيا شهادات اقامة لجزائريين) وليس هناك خطأ قضائي ، فالمتهمون مجرمون ، فبالرغم من ان ملفات التحقيق كانت بصورة عامة بعيدة كل البعد عن القناعة الثابتة لدى الشرطة والقضاء ، فان القضاء لا يخطيء ، ولذا سمح لنفسه ببعض الحرية في اتخاذ الاجراءات وسير المحاكمة .

ودعت محاكمة جرت بين ٣ أيار (مايو) و ٣ حزيران (يونيو) الناس الشرفاء بدون خوف فقد مثل جيرار سبيترز المدير السياسي لمجلة الطريق الشيوعي) امام القضاء . وهو مجرم لأنه يعرف المتهم الفار جيرار لورن . وهذه كل جريمته . أما جيرار لورن فهو متهم ، بأنه اختفى مبلغ اربعة وأربعين مليون فرنك (قديم) يعتقد انها ليست له بل لأبت الحسين المسؤول عن ولاية باريس والضواحي ، فجيرار سبيترز متهم اذن ، من الناحية القانونية ، بانه على اتصال بشريك مفترض لوكيل جمعية اشرار . وبمعنى آخر ، ان سبيترز مشتبه به بالتعاطف مع الجزائريين ، ولا يمنع شيء من التفكير ، بأن هذا التعاطف قد أخذ شكلا نشيطا . ولكن ايضا لا يمنع شيء من التفكير بأنه بقي أفلاطونيا . كل هذا لا اهمية له . كان ملفه فارغا ، بالرغم من ان الجرم ثابت عليه ، وكانت قاعة المحكمة تغص بالحضور .

وقبل الوصول الى هنا ، كان الدرب طويلا صعباً ، فقد أعلن سبيترز الاضراب عن الطعام ، حتى وصل الى درجة الهلاك (من ٢/٢٧ الى ٣/٢٠) . ولم تنقص الوسائل الاخرى :

فقد عقد اجتماع خطابي للمطالبة باطلاق سراحه يوم ١٤ آذار (مارس) في صالة هورتيكولتور ، دعا اليه جيل مارتينيه ولم يسفر عن أية نتيجة . ووجه كلود بوردية ودانيال ماير وجان بول سارتر وشخصيات اخرى ، برقية الى الرئيس ديغول يوم ١٧ آذار (مارس) بدون جدوى ، اما القادة الشيوعيون ، فانهم لم يرفعوا طرف أصبعهم . فالمعارضون هم أما مزورون او خونة ، وهذا شيء مفروغ منه ، وذهب الامر بفي دوكولوتيه ، في مجلة فرانس نوفيل ،[٤] الى الادعاء بان النزاهة المالية لسبيترز ولورن لم تكن خالية من بقع قذرة ، اما جمعية الانقاذ الشعبي الفرنسي فقد رفضت الانضمام الى حملة الاحتجاجات وبررت ذلك بقولها (ان من بين افرادها العديد من الشيوعيين الذين لم يفهموا كيف يكون لنا ان ندافع ضد رجل غير متفق مع موريس توريز)[٤] وعندما التقى ايلي بلونكور ، المناضل الاشتراكي السابق ، ورئيس لجنة الدفاع عن سبيترز مع جاك دوكلو يوم الثامن عشر من آذار (مارس) في محاولة اخيرة ، اصطدم برفض لا عودة عنه ، والأبشع من ذلك هو ان كلود فو محامي سبيترز ، وعضو الحزب الشيوعي الفرنسي ، اعتذر عن التوكل عنه ، بناء على تعليمات من الحزب ، الذي استقال منه بعد بضعة أيام .[٥]

---

(٣) فرانس - نوفيل ، ٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٩ .
(٤) الطريق الشيوعي ، ايار (مايو) ١٩٦٠ .
(٥) شهادة فاتي وجيرار سبيترز .

منذ الجلسة الاولى ، أصاب فيرجيس الذي يرافع عن أيت الحسين الهدف (ان اعترفتم بصحة الاتهام ، اي حمية اشرار ، فان ذلك يعني بانكم حكمتم بأن رئيس الدولة يجري محادثات مع اشرار) . كانت فترة عصيبة بالنسبة للمحكمة فقد قدمت جامعة السوربون عددا كبيرا من الشهود من بينهم : مارسيل بروناف من زعماء حركة (القناصة والانصار)[6] السابقين ، ولوران شوارتز رئيس حمية اودان وفيكتور نابيه استاذ في التاريخ . كان سيتزر احد طلابه الذي قال انه يضمن اخلاق المتهم . ويذكر المحامي أربغي الذي حل محل كلود نو في آخر لحظة ، بانه ترافع مع والد سيتزر في معسكرات الاعتقال النازية في بوشنفالد ، ويبين بطلان دعوى المحكمة ، وطالب بكل بساطة تبرئة موكله . الا ان المحكمة[7] هي أحد أجهزة الحرب ، لذا حكمت على سيتزر بالسجن ثمانية عشر شهراً وعلى لوران بالسجن عشر سنوات غيابيا ، وعلى أيت حسين بالسجن عشرين عاما مع الاشغال الشاقة . واعربت مجلة (الطريق الشيوعي) عن حنقها على هذا الحكم . ونقل هذا النوع من القضايا الى القضاء العسكري ، الشيء الذي اصبح يتم آليا . فقالت (ان كل هذه الاحكام صدرت بموافقة الاغلبية ، التي يفرها القضاء العسكري ، لا بالاجماع واننا متأكدون بأن جيرار سيتزر كان سيخرج بريئا لو ان قضيته طرحت امام القضاء المدني)[8] .

وتابعت الحكومة اسلوبا لم تعد تقبل الرجوع عنه ، وهو البدء بضمان دعاية واسعة لقضايا التعاون مع العدو ، وبعد ذلك ، العمل على تجميع فرنسيين وجزائريين في قفص واحد ، ثم تضع سلما خاصا للاحكام ، كما اثبتت ذلك محاكمة دوكوجي ، وسيتزر ، التي تعطي فكرة واضحة عن هذا السلم : خمس سنوات سجن (لشيء صغير) ثمانية عشر شهرا (للاشيء) ، اللهم الا اذا كان لقناعات رجال امن الدولة وزن امام المحكمة ، مما يشكل تهديدا جديدا للقانون الفرنسي .

إلا أن الاعتباطية ، التي تمت ممارستها في المكان والزمان المناسبين ، تميزت بفعاليتها ، فذلك هو المبرر الاساسي للانظمة (القوية) الا أن ذلك لا يصلح هذا الفصل من السنة ، فوزير العدل لا يرتكب مخالفة لنص القانون ، وخطيئة ضد روحه فقط ، بل انه وضع نفسه في مأزق كبير ، فقد كشفت محاكمة أرنو التي بدأت يوم ١٧ حزيران (يونيو) في روبي نوعية الاسلحة التي تعطيها جنح (الرأي) ، للمتهم . ان الدفاع هو الذي يقود المناقشات ، والعدالة هي التي يشار اليها باصبع الاتهام ، وتتحول خطورة الاتهام الى استخفاف وهزء .

وفرض جورج ارنو على نفسه تدريبا قاسيا ، كتدريب بطل رياضة او نجم سينمائي ، وأعطى لدخوله المحكمة اهتماما خاصا ، وكرر كل وقفة وكل نقطة وكل معترضة بدقة متوحشة ، فدخل ضاحكا وهو ما يزال في الكواليس ، ودفع القاضي ، وهو مغمض العينين ، في الشرك الذي نصبه له الكاتب ومحاميه فيرجيس وسلم

---

(٦) القناصة والانصار F.T.P كان سيتزر نفسه متمردا
(٧) المنبر الدائم للقوات المسلحة .
(٨) الطريق الشيوعي ، حزيران (يونيو) ١٩٦٠

رأسه. فرفض دفعة واحدة طلب اعلان ان المحكمة غير مؤهلة للنظر في القضية، وطلب اخلاء سبيل آرنو مؤقتا، اللذين قدمها له. فأقلت زمام آرنو، الذي كان قويا ثابتا في موقعه، وأملى على كاتب المحكمة بأنه لم يضع القنابل في مقهى (كافتيريا) في الجزائر العاصمة، كما أنه لم يسرق ابراج كنيسة نوتردام. ولم يبق رفاقه في الخارج دون حراك، وكان جان ماري رفيه (مدير الكازار) يبعث، كل يومين الى قاضي التحقيق باقة بنفسج.[9] وتشكلت لجنة دفاع من اعضائها مارسيل اوكلير، وبافان اودوار، وكلود ايتيه، وارمان غاتي، ومارسيل ايغريش، وجوزيف كيسل، وفريدريك بوتشير. وقدمت مجموعة الدفاع عن الجزائريين الدعم للجنة. وكان الهدف طبعا فرض محاكمة سياسية وأجلت الالتزامات المهنية الى مرحلة اخرى.

دخل جورج آرنو قفص الاتهام، وكان التهم المدعى ظاهرا على وجهه: (ما من شك، اننا في هذه الحرب، والتي نحن على خطأ فيها، عندما نخدم الانصاف والحق والعدالة، فان ذلك يشكل دعما غير مباشر للمتمردين، ان ذلك لا يدينني بل يدين هذه الحرب).

وكان المستشار بوت الذي يرأس الجلسة رجلا ذكيا، ففهم حالا بأنه هو المدان، واستسلم للحكم الصادر عليه... فتابع آرنو قائلا:

(أيها السادة لقد كتبت عن التعذيب، فأدنت لذلك وسأدان، أيها السادة، انني كتبت حتى اليوم استنادا الى وثائق، اما منذ ذلك التاريخ، فقد رأيت ورأيت رجالا يأتون الى قربي، الى السجن نفسه الذي انا فيه، خرجوا لتوهم من ايدي الحركيين، او رجال امن الدولة. رجال طبعت البقع، على أجسادهم نتيجة للضرب، محمرة احيانا وزرقاء احيانا اخرى، وعظامهم محطمة، ورأيت اصابع طفل منهم، كالوا له الضربات حتى أصبحت شفته ترتجف كلما تكلم، آثار جروح جديدة، الآثار البشعة التي يتركها التعذيب بالكهرباء، جراح لا حياة فيها، ذهب الجلد، وبقي اللحم الحي، أوبعة جروح).

كانت كل الصحافة الكبرى الفرنسية والدولية حاضرة، ترص صفوفها، كثير من الاصدقاء، وعدد لا بأس به من الخصوم، وتوالت غمزات العيون، ونظرات الحقد. الا أن آرنو كان قد انطلق وليس هناك من يستطيع وقفه وتابع... (قلت، ايها السادة، بأن هذه الحرب مدانة، انها كانت وجهة النظر التي ننظر فيها اليها. من وجهة نظر اليسار للاسباب التي ذكرت، ومن وجهة نظر اليمين لانها حرب خاسرة منذ الآن) وتوقف (الخطيب) لكي يأخذ نفسه، وهو يحدق النظر في قضاته ويقول لنفسه: (لم يتغير وضع هذه الصدور المنتفخة المحملة بالاوسمة، الا قليلا، لقد وصلنا الى الحد الحرج. لم ينطقوا كلمة واحدة. يكادون يترنحون او يتفجرون غضبا. حان الوقت الآن اتوقف، ولكن (تبا) لقد انهيت ما اريد قوله او

---

(٩) لقد اكد الضربة ثوران هذه الطرفة.

(*) المتطوعون من شمال افريقيا في الجيش الفرنسي.

تقريبا انهيت ، اذ ان الباقي ليس الا مكرراً[10] .

وتابع أرنو :

(ان اقول لكم فيما اذا كنتم تشعرون بأنكم مؤهلون للحكم علي . ولكن اذا اعتبرتم بأن ذلك من اختصاصكم ، فانكم لن تحكموا على قناعاتي ، ولكن على حجة بالـة ، أريد بها معاقبتي بسبب هذه القناعات) .

واعتبرت المحكمة نفسها مؤهلة .

وعندها بدأت محاكمة ثانية . هي محاكمة الرقابة الصحفية ، واخذ جورج أرنو يطالب ، بما يطالب به كل صحفي يحترم مهنته : فعلى كل صحفي ان يعطي معلومات أكيدة ، وان يكون شريفا تجاه مخبريه ، وان يكتم اسماءهم ان اقتضى الامر ذلك ، بتوالي الزملاء ، من كل الاتجاهات ، على قوس المحكمة ، وبينوا انهم كانوا سيتصرفون بأسلوب المتهم نفسه ، وهكذا توالى ، جان بيرنار دورون من صحيفة لوروور ، وجوزيف كيسل وكلود استيه رئيس تحرير صحيفة ليبراسيون ، وايفان اودوار من باري بريس ، وانتوين فونتين من فرانس سوار ، وروجيه بريوريه ومارسيل هيدريش من مجلة (ماري كلير) ، وادلى اثنان من مديري الصحف بشهادتيهما خطيا ، وهما روبير لازوريك (لوروور) ، وبيير لازاريف (فرانس سوار) ، وكذلك جان بول سارتر ، وجيروم ليندون ،وفرانسوا ماسبيرو ، وبيير فيدال ناكيه ، وتحدثوا عن الصعوبات التي يلاقونها في تحرير الحقيقة بين قراري مصادرة . وابدع فرانسوا ماسبيرو في البلاغة ، ولعب بسيف السخرية ببراعة ، ودعمته بصورة واضحة دقة الكتبة المختزلين دون ارادتهم .

السيد ماسبيرو : لقد كان علي ان اطرح على نفسي العديد من المشاكل ، التي هي باعتقادي مشاكل كل المثقفين الفرنسيين تجاه الحرب في الجزائر . اقول (مثقف) لانني مثقف ، وأنني فخور لكوني مثقفا من عائلة مثقفة أصيلة ، كل افرادها استشهدوا من أجل فرنسا .

(بعض الضحكات في القاعة) .

المحامي فيرجيس : السيد ماسبيرو نشر كتبا ، تمت مصادرتها طبعا ، وهي من تأليف رجال مطلوبين جدا ، ومطلوبين من الشرطة ايضا ، الدكتور فرانز فانون[11] والسيد موريس ماشينو . فهل يخطر ببال السيد ماسبيرو ان يفشي للشرطة الملجأ الذي يعرف بأن ماشينو او فانون هما فيه؟ .

السيد ماسبيرو : انني اتلقى كل يوم تقريبا مخطوطات تهم الجزائر ، واغلبها من شباب من عمري .

---

(١٠) قضيتي . المصدر السابق .

(١١) والسة الخاصة للثورة الجزائرية) تحت المصادرة .

الرئيس وقد فقد الصبر (حقا . . .) .

السيد ماسبيرو : (ان فرانز فانون من ستي تقريبا ، وهذه المخطوطات تطرح مشكلة الحرب في الجزائر ، وهي ، ليست دائما بالعبارات نفسها ، وأسلوب أرنو نفسه ، الا أنها تقترح احيانا بعض الحلول . وهي تعبر عن الاعجاب بالشعب الجزائري ، وانه يجب مساعدة هذا الشعب . ولذلك تقترح هذه المخطوطات حلولا فعلية ، ويجب علي ، مهنيا ، ان اتساءل ما قيمة هذه المخطوطات : ان كانت تقدم لقرائنا البناء ، او انها تغني التراث الأدبي . الا انه لم يخطر في مطلقا فكرة الذهاب الى مخفر شارع دانتون (وهو اقرب مخفر بالنسبة لي . . . ضحكات في القاعة . . . وان اقول من اين اتت هذه المخطوطات ومن هم أصحابها ، أو ما ينوون القيام به ، واعرف احيانا ما يفعلون . فاذا اتتني مثلا مخطوطة من فرانسيس جانسون ، فالسؤال الذي اطرحه على نفسي هو فيما اذا كانت هذه المخطوطة تحمل شيئا جديدا ، وفيما اذا كان علي ان أطبعها أم لا ، ولا أطرح على نفسي ابدا السؤال فيما اذا كان علي ان اذهب الى الشرطة ، لاقول لهم من أين اتت هذه المخطوطة ، واذا حدث وطبعتها ، فمن الممكن أن التقي بجانسون وأدفع له حق التأليف ، كما فعلت بالنسبة لفانون او بالنسبة لماشيو . ولن ادفع ضميري الى أبعد من ذلك) .

ولم يكن بيير فيدال ناكيه اقل تصميما من ماسبيرو ، فتحدث عن المراحل المتتالية لمهنته الحديثة (الأدبية) : (قضية اودان) ، (المفقودون) . حيث يصف نحو ثلاثة آلاف جزائري ، بقيادة الجنرال ماسو ، بدون أن تكذب السلطات المدنية او العسكرية الاحداث التي اوردها .

وها هو أرنو يب في قصه :

(السيد الرئيس ، اريد منكم ان تقولوا لهذه الشخصية الجالسة امامي ، والذي يقبع كالخنزير ، ان يتوقف عن توجيه اشارات التهديد للشاهد .

- التي لم اتحرك اطلاقا ، اني من معوقي الحرب وآسف . . الا ان جاك فيرجيس ينهي النزاع موبخا المحرض (معاق كبير هذه ليست مهنة) وهكذا تم الانقلاب ، وكما لم يحدث ذلك من قبل . وها هم المناضلون من أجل الجزائر الجزائرية ، وفي قلب النظام الحكومي ، بحراسه ، وقواعده ، وقضاته ، يفرضون الوتيرة التي يريدونها ، وحلول اهوائهم والخطاب الذي يريدون ، وبعد أن نسيت عدم وشاية أرنو بفرانسيس جانسون ، فها هو موسى قبايلي وبشير بومعزة ، ضحايا (الغرغرينة) وقد اقتيدوا من سجن فرين ، الى المحكمة للادلاء بشهادتهما ، فتحولا الى وكيلي نيابة ، هذان الرمزان ، هذان الرجلان المُجردان ، يتحدثان ، ويتظاهران ويتحديان ، وها هو قبايلي يقول بيها لمخبر الشرطة (يا لها من مفارقات ، يعاب على جورج ارنو سكوته ، أما انا فأسجن بتهمة التشيع لانني وشيت بقاتل ولد عويدة)[١٢] .

---

(١٢) مسؤول (مجموعة جبهة التحرير الوطنية) اغتيل بالسنة السابقة.

ويتساءل بو معزة بالقوة نفسها (عندما يلتقي البعض في سجنهم رسائل بأن قريتهم قد دمرت ، وان زوجاتهم قد انتهكت أعراضهن ، وانه قد قضى على اخوتهم وأهلهم ، فانه من الصعب على هؤلاء السجناء ان لا يتساءلوا فيما اذا لم تكن فرنسا هي المقابل للجزائر) وحاول رئيس المحكمة كل جهده بأن يمنع السؤال حالا ، الا ان السؤال طرح ، ولم يعد احد يعرف اسم المحقق واسم المسؤول .

وبدت العودة الى القضية السوداء المطروحة عليها ، اي قضية المشاركة (الموضوعية) من قبل المواطن آرنو مع المتمرد جانسون ، تافهة جدا . وها هو بير شاربي رئيس تحرير الصحيفة التي نشرت المؤتمر الصحفي للمتمرد ، يسير نحو الاستشهاد كشاهد اتهام ، وتبين ان العملية التي يخضع لها مؤلمة جدا ، وكانت لازمة محزونة تتردد من الدفاع كله : لماذا انت خارج القفص ؟

المتهم : انك لم تكن بحاجة الى التخلي عني كما فعلت .

السيد شاربي : انني اخالفك الرأي كليا . . .

المتهم : اذا سمحتم يا سيادة الرئيس ، بقي سؤال اريد ان اطرحه على الشاهد .

الرئيس : طبعا تفضل .

المتهم : بصوت ناعم رقيق : شاربي . . . ؟ الا تخجل من نفسك

شاربي : (بصوت منخفض) : اطلاقا . . . لا . . . .

المتهم (وقد ظهرت على وجهه علائم الفرح يستدير نحو القضاة وهو ضاحك)

اتسمعون انه لا يخجل . . "[١٣١] (وضجت القاعة بالضحك) .

واستمر المشهد على هذا الاسلوب . طويل جدا بالنسبة لشاربي ، قصير جدا بالنسبة للجمهور . وعندما طلب او صديق الكلام لاحظ جورج أرنو على وجهه (ضحكة تنقط سما) .

المحامي : سيادة الرئيس : اريد ان تسجلوا بأن الشاهد شاربي لم يؤد القسم .

الرئيس : يسجل ، احلف اليمين ، والبدأ . . . »

(فهزت ضحكة كبرى القاعة وبدأ الشاهد من جديد ومنذ البداية وفي ساعة متأخرة من الليل وبعد ان صدر الحكم بوقت طويل شوهد شاربي في مختلف المقاهي القريبة في روبي ، وكان يشرب الكحول القوي ويتحدث الى نفسه . . .) .

---

(١٣١) في (قضيتي) يعترف أرنو ان الحزب الآخر كان حاضرا (الستم ترون انه خجل) .

فحكم على أرنو بالسجن سنتين مع وقف التنفيذ ، فهل هذا كثير كثمن لمثل هذه الذكريات ؟ اما التهمة (عدم الوشاية) فلم يحاكم بها يوما أي صحفي، ولم يستخدم النص المبرر الا مرة واحدة خلال مائة وخمسين عاما(١٤).

ان الاغراء قوي بأن تذكر مرات عديدة ، مثل هذه الأحداث الطريفة ، مثل هذا الحوار بين بيير شاربي والمحامي كروجي ، وقد نفذ صبر الصحفي (استاذ لو لم نكن في قاعة محكمة لحطمت بوزك) .

المحامي (بيرود) : سيدي العزيز لو كنا خارج المحكمة لما تحدثت اليك(١٥) .

بصرف النظر عن كل ذلك فان محاكمة أرنو تسجل انقطاعا اساسيا . نرى فيه فرانسوا ماسبيرو يتحدث بكلمات مكشوفة تقريبا ، ويمجد حملة الحقائب ، ونسمع فيه بيير فيدال ناكيه ، يخرق محرمات الجمهورية داعما حديثه بالشهادة الحاضرة . ان كل ذلك لم يكن ممكنا لان الشهود والمتهمين جديون ، او لان العقوبات المتوقعة لا تنذر بخطر محلق . انها مؤشر ، مؤشر إضافي ، مؤشر بأن الجمهور يتضح بسرعة ، وسيكون قريبا ناجحا تماما . مما لا شك فيه ان القوة تبقى للقانون : فقد حكم يوم التاسع والعشرين من حزيران (يونيو) على سيدة من مدينة ليون تدعى جوزيت اوغيه ، بالسجن سنتين لانها استضافت اركان جبهة التحرير في منطقتها . ولكن الا يجوز لنا أن نقول بأن القانون لا يبقى الا للقوة ؟ . وكان ذلك بديهيا في محكمة الجزائر العاصمة . حيث جرت محاكمة هنري اليغ بين ١٣ و١٦ حزيران (يونيو) في جلسات مغلقة ، وادعت السلطات القضائية بوقاحة ، بانها تحاكم موريس اودان غيابيا . وحصد اليغ حكم عشر سنوات سجن وانقذ رأسه مع ذلك في بلاد تعج بثلامذة ومريدي السيد لاتس . ولكن في فرنسا ؟ ماذا يمكن ان نسمي الحكم الذي صدر في ليل ، يوم الخامس والعشرين من ايار (مايو) حيث كانت لجنة اودان قد قدمت شكوى ضد صحيفة لافوادونور (فقد ردت الصحيفة ، بتوقيع جورج رامس ، عضو منظمة الجيش السري فيما بعد ، بوقاحة على براهين اللجنة) حيث انتهى الامر برد الشكوى ، وتبني قرار يعلن بأن الأمناء الاربعة للجنة ، ليس لديهم ما يؤهلهم لتمثيلها ؟

ان القضاء هو أيضا ساحة معركة ، وها هم المساجين انفسهم يرفضون التخلي عن المعركة . وبصورة خاصة المعركة ضد الحرب ، وها هو الأب كريستيان كور أسقف مونلسون ، والواعظ العسكري سابقا ، الذي تقدم للمحكمة العسكرية في ليون اليوم الثامن من تموز (يوليو) ومعه ديغو ماسون ، يعلن عن مسؤوليته التامة والكاملة عن توسيع حركة (المقاومة الحرة) بهذا الشكل :

النائب العام :

---

(١٤) لقد الغت محكمة الاستئناف المحاكمة ، بشكل كامل تقريبا ، دون ان تعيدها من جديد .

(١٥) اسقطها المؤلفان من جورج أرنو.

ـ هل تقبل بأن يفر جندي مسيحي من الجندية .

ـ كان خوري (بلدة دارس) فارا .

ـ هل يمكن ان يكون واجب المسيحي غير متوافق مع واجبات الفرنسي ؟

ـ في الواقع اعتقد ذلك .

وهكذا حكم بالسجن لمدة سنة على رجل الدين ، وسنتين على الموسيقي الشاب ، الا أن هذين المتهمين هما أيضا شاهدان ضد السلطة .

مراقبة ، عقاب ، ومراقبة ، ان مساعد العدالة القاسية ، هي الشرطة اليقظة . وكانت مخابرات امن الدولة يقظة . ويا للأسف ، بالنسبة لها طبعا ، فقد حدث ، في هذا المجال ايضا ، انقلاب مماثل للذي وصفناه في الصفحات السابقة . فقد قامت باعتقالات ناجحة ، الا انها ارتدت شكل تأكيدات لأقوال فرانسيس جانسون ، والتأكيد جلياً بأن الاعتقالات الناجحة التي جرت في شهر شباط (فبراير) لم توقف المساعدة الفرنسية لجبهة التحرير . ذلك ان الشرطة استمرت في اكتشاف فروع وتفرعات اخرى متنوعة جغرافياًواجتماعياً ، وكل ذلك يتم بوتيرة مدهشة . فلم تعد المشكلة مشكلة القضاء على مجموعة صغيرة ، انهم جيش لا ينتهي . يوم العاشر من ايار (مايو) ١٩٦٠ عادت لورانس باتاي الطالبة في كلية الطب من السينما ، وعند بابها جلس مخبران على الأرض ، وعند رؤيتها نهضا : (الآنسة باتاي ؟ ـ شرطة) .

دخل الجميع الى المنزل ، وقام الشخصان بتفتيش غرفة الفتاة بهدوء ، بهدوء تام الى درجة انها لم يوقظا جدتها التي كانت نائمة في الغرفة المجاورة ، الا ان التفتيش لم يعط شيئا . وفي مقر امن الدولة في شارع سوسي ، كان لدى الشرطة شيء ما تزيه لها . شيء كبير الحجم تفوح منه رائحة الشحم : تسع حقائب تحتوي على مائة وسبعة وعشرين رشاشا . وقد صودر السلاح في غرفة طالبة اخرى المانية الجنسية تدعى انجي هرشولتز ، وتقطن في غرفة صغيرة في الطابق الرابع في ٣١٦ شارع سانت هونوريه . عندما دق رجال امن الدولة على بابها بأدب ولكن بتصميم : كانت عندها ضيفة سمراء اللون خضراء العينين ، زينة حريق ، اسم تعرفه كل الشرطة الفرنسية ، لأن أخاها ، عمر ، الذي حكم عليه بالاعدام غيابيا ثلاث مرات ، والمقيم الآن في المانيا ، قاد (من الداخل) ولفترة طويلة ، جهاز القوة المسلحة التابع لجبهة التحرير (المنظمة الخاصة) التي يقودها في أوروبا رابح بوعزيز ، ووجدت الشرطة في غرفة زينة الكائنة في ٢٩ شارع لاميال ، وثائق من بينها ، حسب ما ذكر بيان امن الدولة (صور وعناوين بعض رجال الشرطة ، ومخططات للنشآت البترولية في المنطقة الباريسية وفي جنوب فرنسا ، رسمت عليها الطرق المؤدية اليها ، لتسهيل عمل المخربين ، وكذلك عدد من الساعات التي يمكن استخدامها لصنع قنابل موقوتة) .

وأخذ رجال الامن بالتحقيق مع لورانس باتاي :

(اتعرفين تلك الفتاتين ؟ اتعرفين هذه الاسلحة ؟) ففتحت المشتبه بها عينيها وفاها . . . (انا تمسك بمراسل بوعزيز في باريس آيت مختار ، وقد شوهدت معه يوم ١٧ نيسان) (ابريل) الا ان لورانس انكرت بكل ما اوتيت من قوة .

انها تكذب فماضيها النضالي حافل بصورة استثنائية . ففي ربيع ١٩٥٨ كانت لورانس تعمل مع قريبها ديغوماسون في اطار مجموعة يقودها روبير دافيزي، وكانت المجموعة على اتصال برابح بوعزيز دون غيره . تهتم بالقضايا المالية (وتتذكر ، مثلا ، بانها سلمت المبالغ في حي غني لامرأة ارسلها هنري كوريل ، انيقة جدا ، يرافقها احد المناضلين الذي يتنكر بلباس سائق البيت الكبير) . وشاركت في عمليات عبور الحدود ، وعندما خرج دافيزي من الاطار ، بقيت لورانس باتاي على اتصال مباشر مع بوعزيز ، بمعزل عن اية مجموعة أخرى ، وقامت بمساعدة ديغوماسون باصدار (وثائق الجبهة) بمعدل الفي نسخة توزع كل شهر ، وكان الجزائريون يقدمون لها النصوص ، ويترتب على الفرنسيين تحضير الطبعة الأصلية وجميع الصفحات وتحضير الوثائق .

وكانت الشرطة تجهل حتى وجود المنظمة السرية . وبوعزيز ؟ . . . كانت مسؤولياته الحقيقية سرا لا يباح به . وكذلك عندما قامت لورانس باتاي ودافيزي بنقل عمر حريق الى الحدود الالمانية ، كان اخو زينه بالنسبة لها مجهولا تماما . والواضح بأن قواعد الامن دقيقة جدا ، وأكثر دقة مما كانت عليه في شبكة جانسون وكان الحذار اكثر كثافة ، كما كانت التعليمات تقضي بعدم استخدام اللقب نفسه في مكانين مختلفين .

وهكذا كانت لورانس باتاي ، تتابع حتى عام ١٩٦٠ دراسة هادئة ، وإلى جانبها حياة اخرى مليئة بالاخطار ، ولم تكن مرتبطة بجانسون ولا بكوريل ، وهكذا اجتازت شهر شباط (فبراير) دون مشاكل ، واتى الانذار الاول ، بينما كانت تقود آيت مختار في سيارة خطيبها اندريه باش (الذي ستقلقه الشرطة مثلما اقلقتها) فقال لها الجزائري فجأة (انتبهي لقد سجل شرطي رقم سيارتك) فأسرعت ودارت ثم دارت وضاعت في باريس .

وبعد شهر ونصف من هذا الحادث اصبح بامكانها ان تتأكد بأن آيت مختار لم يحلم ، ومع ذلك فان دقة حدسها ، منعت الشرطي من تصوير السيارة وشاغليها ، فصورة رقم سيارة ليس الا اتهام بسيط ، واخذت لورانس تتكر وتتكر ، وحوالي الساعة الثانية صباحا ، وصلت انجي هوشولتز وزينة حريق الى مقر أمن الدولة ، وكانت زينة تبدو وكأنها فتاة بورجوازية من شارع باسي تحمل كتبا لأنوي . وعند الفجر طلبت فنجانا من الحليب والقهوة والكعك ، وعندما تأخر طلبها صرخت (كيف ، انها عملية قتل جماعي) فظهرت القهوة والحليب والكعك حالا . . . اما لورانس فقد أخذت تطمئن كلما تقدم التحقيق ، وفي النهاية بدا ان المحققين قد عادوا بخفي حنين . فكل ما استطاعوا اثباته هو انها تناولت وجبة الغداء مع طالب طب متمرن في مستشفى سان لوي، صديق لكريستيان غراما الذي القي القبض عليه ثم افرج عنه لعدم وجود اية تهمة ضده .

ليس هناك فعلا ما يستحق الذكر ، ويرسل لنا الى الاعمال الشاقة ، وبعد سبعة اسابيع من الاعتقال في سجن روكيت ، اطلق سراحها لعدم وجود تهمة ضدها ـ وكانت فترة القاعد السرية[16] .

أما فرنسا اي رجل الشارع فيها فكان يتساءل بماذا تحكم هؤلاء الفتيات .

كانت الساعة الحادية عشرة والنصف مساء يوم الاثنين السادس من حزيران (يونيو) عندما خرج دانيال ماكو وهو يحمل حقيبة بيده من محطة المترو عند زاوية شارع ريفولي ، في ساحة كونكورد ، وتوجه نحو التكسي الوحيد الذي كان متوقفا على الرصيف . ودانيال ماكو شاب في العشرين من عمره ، فتى جدي ، وطالب داخلي في ثانوية جانسون دوسايي ، في الصف التحضيري لمسابقة الدخول في المعهد العالي للكهرباء ، أما قناعاته السياسية فقد كانت معروفة من الجميع ، يساري ، ومسيحي ورع (وملتزم) ، انتخبه رفاقه في الثانوية ممثلا عن الصفوف العليا الحضرية في الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، من عائلة معروفة ، ابوه وأمه مدرسان في الثانوي ، ويقطنان في منزل ريفي في مونمورانسي ، والواقع يقال بأن دانيال ماكو ليس لديه ما يخفيه وخصوصا شخصه الكريم ، فكيف للمرء الذي يبلغ طوله مائة وتسعين سنتمترا ان يفعل ذلك ، وهو يُرى من بعيد . . .

مد دانيال يده نحو باب السيارة ، الا أن أحدا ما دفعه بعنف الى الخلف ، وطوقه من خصره . وكان قد لاحظوته الى الرجلين اللذين كانا يتبعانه منذ وصوله الى محطة ليون (في باريس) ، فما كان منه الا ان غاص مسرعا في محطة المترو ، الواقعة عند رصيف لارابيه ، وغير خطه عدة مرات ، دون ان ينجح في التخلص من متابعيه . فألقي في سيارة . . . وبعد قليل كانت اعترافاته تتصدر عرض الصفحات الأولى للصحف اليومية الشعبية .

كان في الحقيبة (٣٧) مليون فرنك (قديم) وهي الحصيلة الشهرية لجباية الأموال من اتحاد جنوب فرنسا التابع للجبهة الجزائرية . تسلمها الطالب في مرسيليا ، في المبنى رقم ١٨ شارع تيفولي وكان قبل ذلك قد دق على الباب ، وبعث السيدة التي فتحت له ، ان يكون اسمها دانيال جوبلان ، كما هو متفق عليه ، فاعطاها دانيال ماكو كلمة السر متبوعة برقم ، وفي الداخل وجد رجلين احدهما فرنسي ، هو لوسيان جوبلان ، الاستاذ في التربية وعلم النفس ، والآخر جزائري . فعد هذا الاخير رزمات الاوراق المالية باعتناء ، ورتبها في الحقيبة ، واخذ من فوق آلة كاتبة بضع وريقات ومغلفا مغلقاً ، ووضعها في الحقيبة ، وأوضح للفتى الطريق الذي يجب ان يتبعه للوصول الى محطة القطارات (سان شارل) في مرسيليا .

كانت السبعة والثلاثون مليوناً تشكل مبلغاً ضخماً ، خصوصاً وأن دانيال ماكو إضطر لحك أعماق جيوبه ، لكي يدفع فرق سعر الدرجة الأولى في القطار السريع . . . إلا ان الشيء الذي يؤثر تأثيراً عميقاً لدى الجماهير ، هو محتوى المغلف المغلق ، الذي كشفت عنه نشرة وزارة الداخلية : فقد كان فيه ضبط الأعدامات

---

(١٦) رواية لورانس بلتاي.

التي نقلتها الجبهة ، قائمة بأسماء (المحكوم عليهم بالأعدام من موظفي الأمن ، ومن أعضاء و الحركة الوطنية الجزائرية ، وعمال جزائريين مناهضين للجبهة أو مرتدين عن دفع المبالغ المفروضة عليهم من قبل الجبهة) [٧] . ولم يستطع رجال الشرطة إخفاء دهشتهم ، فقد تعرفوا على دانيال ماكو كواحد من الخمسمائة متظاهر (لاعنفي) (ألف حسب منظمي المظاهرة) الذين تظاهروا يوم الثامن والعشرين من أيار (مايو) على طول أرصفة شارع ماتينيون ضد معسكرات الأعتقال . [٨]

صحيح أن دانيال ماكو يخضع لتعليمات لجنة العمل المدني اللاعنفي (هذه اللجنة التي تخلت عنه حال اعتقاله) إلا أنه صحيح أيضاً بالقدر نفسه أنه كان يجهل محتوى المغلف المغلق (الذي هو في الواقع أكثر روتينية مما إدعت النشرة الرسمية) ، وغير مجرب (فطبخه) رجال أمن الدولة بمهارة (أنك فتى طيب ولم يكن بإمكانك أن تشك بأن القضية تتعلق بعمليات قتل) . . . وتهاوى الشاب في النهاية ليلة الأربعاء ، وكشف بأن رفيقاً له في الثانوية نفسها يدعى لوك بروسار ، رشحه لهذه (المهمة) . فأعتقل بروسار ووصفته الصحف ، بدون أي ظل للشك ، بأنه عرضي (إبن أحد الأداريين الكبار في أبيدجان ، يبلغ العشرين من العمر ، مربوع القامة ، وجهه نحيف ، زادت من نحافته لحية رفيعة حمراء ، كانت عيونه تشع بالحيوية بشكل يدعو للغرابة بحيث يبدو وكأنه في تربص دائم . أشتهر في ثانوية دوساي بتهكمه وسخريته اللاذعة . وكان يتلقى بريداً ضخماً : رسائل واردة من الحركات اليسارية المتطرفة ، كما كان حتى فترة أخيرة عضواً في اتحاد اليسار الأشتراكي ، إلا أنه كان على وشك الأنتماء للحزب الشيوعي عندما أعتقل . وكانت رفوفه في المهجع مليئة بالكتب والمنشورات المتنوعة ، وكان ينهل من هذه الوثائق ليغذي المحاضرات التي يقيمها كل أسبوع تقريباً بحضور حوالي مائة من الطلاب اليساريين . كما كان يعلق على أحداث الجزائر بطريقته الخاصة .) [٩]

هذه المرة مسه هذا المفسد ، ولم يكن ماكوسوى النفس الضائعة ، وبالأضافة لكل ذلك كان يمارس مسؤولية وطنية ، فهو رئيس اتحاد الصفوف التحضيرية للمعاهد الكبرى ، أحد فروع الأتحاد الوطني لطلبة فرنسا : درست الشرطة قضاياه الشخصية بدقة ، وبعد تجميع الأمور بقي أسمان في قاع الغربال ، كانتا مسجلين بتهور في دفتر صغير .

وفي الساعة السادسة من صباح يوم الجمعة ، كانت ماري مادلين دوبوا ، وكذلك جان بول ريب ، بدورهما معتقلين . لمن يستطيع المرء أن يشتكي ؟ فالشقراء ماري مادلين ، ميلين كما يدعوها الرفاق ، هي ابنة عقيد متقاعد ، يعتبره أهل نيس رجلاً نبيلاً جداً ، ذا ثقافة عالية . كان قد ألقي ، قبل خمسة عشر يوماً

---

(٧) بيان نشر على الرأي العام في ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ .

(٨) أدى هذا الاحتجاج الى مسيرة اولى في ٢٨ نيسان (ابريل) امام حصن فانسين.

(٩) باري بريس، ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ .

من اعتقال ابنه عاصرة بعنوان (المتمردون الروحيون مثال : ريفارول)[٢٠] وميلين في الثامنة عشرة من عمرها ، طالبة في كلية الآداب واللغات الشرقية . أما رفيقها جان بول ريب ، فهو مسجل في كلية الحقوق ، ومعروف في الوسط الطلابي بأنه عضو في الحزب الأشتراكي الموحد ، وأخيراً ، وفي اليوم التالي وقع طالب ثان من طلبة الحزب الاشتراكي الموحد[٢١] ، هو جان جاك بورشيه وهو طالب في مدرسة البصريات التطبيقية ، وقع في أسنان مشط أمن الدولة .

منذ يوم الأحد ١٢ حزيران (يونيو) والصحافة (الكبرى) لا تتعب ، مثلها مثل رجال الأمن ، كانت تبحث عن « رأس » الشبكة . ولم يكن دانيال ماكو (الذي كان يصلي كل يوم في كنيسة المدرسة) ارهابياً مقنعاً ، إذن فلتكن ميلين الفتاة المعقوق (واعظة) الشلة ؟ . وسارت الفرضية لفترة ما ، فهي التي كانت ستلقى الحقيبة ، على ما يبدو ، من دانيال ماكو في أحد المقاهي في حي باليه روياك ، ومع ذلك فان العقل المفكر والمنظر ، وصاحب العقيدة ، لا يمكن أن يكون آخر غير لوك بروسار . ولكي يتأكد قطاعل باري بريس من ذلك ، غامروا ، مثلما غامر السيدان ستاقلي وليفنغستون في الغابة ، في تنقيب أعمال ثانوية دوساي ، وكان تحقيقهم رهيباً (٤٣٠٠ فتى يشكلون طيماً كتلة ضخمة من العنف) وكانت الثانوية بالنسبة لهم تنتمي قليلاً الى حي القصبة والى شيكاغو (في الثانوية اثنتا عشرة عصابة تتاجر بالسكائر والويسكي ، فهم يشترون اللتر بخمسة وثلاثين ويبيعونه بخمسة وأربعين ، وبعضهم يبيع قمصاناً من الكشمير ، والأحذية الأيطالية التي يهربونها من الخارج) وهناك همهمة وهمسات عن المخدرات . . . والآن . . . (ما هي السياسة التي تعيب بالعدوى هذا الوسط المتعفن بعصابات التهريب والسرقة) . أما البيئة المجاورة فإن ملصقات (المقاومة الفتاة) التي تطالب بانهاء الحرب موجودة على الجدران في كل مكان ، وتشكت رسالة مغفلة من أحد آباء الطلبة ، بان إدارة المدرسة ، المناصرة للشيوعية ، تسمح بأي خروج أو دخول[٢٢] ، وباختصار أنها مزبلة .

كانت التحليلات الاكثر تأتي من منبع آخر ، فقد أكتشفت الشرطة ، عن طريق المخابرات العامة ، بأن أجتماعاً هاماً شارك فيه أربعة وستون طالباً ، قد جرى في مطلع شهر حزيران (يونيو) في كنيسة أنجيلية في شارع أخر ، وكان جدول الأعمال متمحوراً حول العصيان والفرار من الجندية ، وبمساهمة ممثلين من حركة (المقاومة الفتاة) ، وكاحتياطات أمنية ، سمى الحاضرون بعضهم البعض بأرقام علقوها على صدورهم ، وكان المعتقلون من بين هؤلاء الأشخاص ، وعندما استجوبت الصحافة الراعي فرنسيس بوسك ، المسؤول عن الكنيسة ، أجاب بلا مبالاة (أن القاعدة عندنا هي أن نترك الحرية لمن فتحنا لهم أبوابنا) ، ومن عنده بصورة خاصة ، انطلقت التعليمات للقيام بمظاهرة لا عنفية وعنده أيضاً أعلن اضراب عن الطعام لمدة

---

(٢٠) باري بريس ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٠

(٢١) طلاب من الحزب الاشتراكي الموحد ، قطاع طلبة الحزب الاشتراكي الموحد .

(٢٢) باري بريس ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٠

ثلاثة أيام ضد معسكرات الاعتقال.

أعلنت شرطة أمن الدولة، يوم الثالث والعشرين من تموز (يوليو) أنها تبحث عن شخص يدعى (السيد بول) وصفته كالتالي (خمسة وثلاثون عاماً ، شاربان خفيفان ، كرش ، لا يفارقه الغليون) ، وهو الذي يؤمن، على ما يبدو ، الاتصال بين الطلاب المتهمين وجبهة التحرير ، إذ أن هؤلاء الطلبة الذين استجوبهم قاضي التحقيق براونشفيك أكدوا تأكيداً قاطعاً : بأنهم لم يكونوا على اتصال اطلاقاً بمناضلين من جبهة التحرير ، وسجل قاضي التحقيق المتسامح بأن هؤلاء الشباب قد ارتكبوا ، بتفكير مثالي ، أعمالاً لم يكونوا قادرين على تقدير مدى خطورتها . ووافق على اطلاق سراحهم مؤقتاً (ما عدا لوسيان جويلان الذي بقي في السجن بسبب سنه) .

لعبت الشرطة في هذه القضية لعبة سيئة ، أولاً لأنها سارعت باعتقال ماكو بدلاً من ملاحقته عن بعد ، فقد غشي الفنشان ، المكلفان بملاحقته ، اعتباراً من محطة القطار ، على أساس أخبارية لم يعرف مصدرها الا بعد سنة ، إن يضيعاه ، ولم يكونا يعرفان اسمه بعد . وثانيا لأنها جمعت عناصر القضية : زمرة الطلاب ، و (المقاومة الفتاة) ، واجتماع الكنيسة الانجيلية ، والسيد (بول) إلا أنها لم تكتشف أي دليل قاطع .

أما القضية الحقيقية ومفتاح القضية ، فها هي : [23] اهتمت مخابرات أمن الدولة والصحف اليومية بكثرة بميلين دوبوا ولوك بروسار ، وقليلاً بجان بول ريب ، ولم تهتم اطلاقاً بجان جاك بورشيه . وكان بورشيه (هو الرأس) الذي لم يجدوا له أثراً . عندما كان مانديس فرانس رئيساً للوزارة ، كان بورشيه في السادسة عشرة من عمره ، فانتسب الى الحزب الراديكالي ، وناضل في لجنة طلابية مناهضة للاستعمار ، ثم مر بعد ذلك في الحزب الاشتراكي المستقل ، ليصل الى الحزب الاشتراكي الموحد . أما عمله (نصف السري) فقد بدأ في عام ١٩٥٩ بتوزيع مجلة (الحقيقة ...) ومجلة (شهادات ووثائق) ، وفي عام ١٩٦٠ تجمعت حوله نواة من الطلبة اللاشكليين (الرافضين لتمثيل الأشكال المشهورة في الفن) وأخذوا ينتقلون مرحلة الدعاية الى مرحلة المعونة العملية . والتقى بورشيه بجورج ماتي الذي أصبح صديقه و (معلمه)، وأصبحت عمليات الايواء وتلقي الرسائل لحساب الجبهة نصيبه اليومي . وساهمت الاعتقالات التي جرت في شباط (فبراير) ، في تسهيل عمليات التطويع ، فتوسعت المجموعة وتنظمت ، وجابهتها مباشرة قضية العصيان ، فدعته حركة (المقاومة الفتاة) من فرانكفورت الى الانتهاء الى حركة الفارين من الجندية ، إلا ان بورشيه ورفاقه، كانوا يريدون الحصول على المزيد من المعلومات، حول التوجهات واحتمالات الخلافات، وفكروا بأنه من المفيد المحافظة على استقلالهم الذاتي . وفي هذا الاطار، يرتدي الاجتماع الذي عقد في الكنيسة الانجيلية مغزى مضاعفا، فقد وضعت فيه الخطوط الرئيسية لشبكة سرية للفرار من الجندية ، ومركز

---

(٢٣) شهادات، جان جاك بورشيه ، وجان بول ريب.

للدعاية ضد الخدمة العسكرية في الجزائر، ومن ناحية أخرى فقد شرح لوي أوران ، الذي جاء خصيصاً لحضور الاجتماع ، أفكار (المقاومة الفتاة) ، وحاول جاهداً أن يعطي صورة فعلية عن هذه الحركة التي كانت آنذاك مجرد رمز.

ولكي يتمكن جاك بورشيه من التفرغ لدوره كمنسق ، فقد تخل بلجان بول ريب ولوك بروسار ، عن المهام النقابية ، التي كانت تقع على عاتقه ، في إطار إتحاد طلاب الصفوف التحضيرية للمعاهد العليا . وكان الشابان يقومان في الوقت ذاته ، بنشاطاتهم القانونية ومهماتهم اللا قانونية . وكانت التعليمات تعطى لهم دائماً عن طريق جورج ماتي الملقب راؤول . وبالضبط وقبل عيد الفصح طلب راؤول منه القيام بخدمة عاجلة ، وهي نقل أموال من مرسيليا ـ حيث كان لوسيان جوبلان وروبير بونو يجمعان الأموال للجبهة ـ الى باريس وفكر المسؤولون في البدء بارسال ميلين دوبوا ، التي كانت مستعدة بصورة عامة ، إلا أنها كانت مثل رفاقها منهمكة في الامتحانات ، فعدم الذهاب الى الامتحان سيكون في الواقع خطأ وتهوراً . وهكذا اتصل لوك بروسار ، بسرعة ، برفيقه دانيال ماكو ، الذي كان قد أنهى الامتحانات التحريرية للمسابقة ومازال أمامه عدة أيام قبل بدء الامتحانات الشفهية . وبامكانه أن يستغل هذه العطلة ، ويحمل حقيبة ، وبدا له أن الأمر معقول ،فوافق مبدئياً على أن تعطيه ميلين التفاصيل فيما بعد وان يعطيه السيد (بول) وهو جورج ماتي ، درساً في أستراحة محطة القطارات ، حول اكتشاف الملاحقين ، والمرور من رصيف الى آخر ، وتغيير حافلات المترو ، وكيف يجب أن يغير قدر الامكان وسائط النقل .

إلا أن دانيال ماكو ، التلميذ الواعي ، شعر وهو في القطار الذي يقوده من مرسيليا أنه ملاحق ، وعندما وصل الى محطة ليون (في باريس) ، طبق حرفياً الدرس الذي تعلمه من (السيد بول) ، وأجبر رجال مخابرات أمن الدولة على سباق ماراتون مرهق ، الى درجة أنه كان على قاب قوسين أو أدنى من ربح اللعبة ، عندما اقترب من التكسي المتوقف في شارع ريفولي . فاستقر اختفاؤه (عصابة بورشيه) ، وأكد اعتقال لوك بروسار هذا الشعور . وأخذ بورشيه وماتي
يدرسان معاً ، يوم الجمعة ، التدابير اللازمة للتخفي ، وأثبتت هذه التدابير فعاليتها ، باعتبار أن الشرطة كانت غير قادرة على توسيع حلقة بحثها ، وتأرجحت في تقدير نشاطات هؤلاء الشباب بين ا هو أكثر وما هو أقل من الحقيقة . وكان التأرجح مائلاً عند اليسار . أما الصوت الأكثر حرارة فكان صوت موريان لوبيك الذي يقول : (أن يعذب رجل مثل اليغ ، ويختفي رجل مثل أودان ، او يلقي رجل مثل بومنجل نفسه في الفراغ للخلاص من جلاديه ، وأن يلاحق رجل مثل جورج أرنو بجرم عدم الوشاية ، وأن يصبح الكذب والخطأ والصمت أسلحة طبيعية ومقبولة وقانونية ، فإن كل ذلك لم يعد اسماً ولا ظروفاً مخففة ، انه شر ، إنه الداء الذي لا مبرر له ، فلا تندهشوا إذا عانى الآف الفرنسيين من هذا الداء ، إذ أنهم حساسون ولأنهم يؤمنون بالأخلاق ، وبصورة خاصة ، وأقول ذلك بأعلى صوتي ، لأنهم يحبون بلادهم . فإذا كان بعض الفتيان ، ومن خيرتهم ، يفضلون العدالة على الدراجات النارية ، والحقيقة بدلاً من التسلية ، لأنهم لا

يريدون أن يقولوا فيا بعد (لم أكن أعرف ذلك) ، لقد ضاعوا في غمرة أهوائهم ، إن الخطأ يقع على هذا الجيل المعنوي الذي قذفتموهم فيه أكثر مما يقع على عاتقهم) [٢٤] ورد روبير دوموتالون بالأسلوب نفسه في صحيفة تيموانياج كريتيان [٢٥] ، على مجلة فرانس كاتوليك ، التي شجبت روح العدمية الطلابية فقال (تقولون أنهم فقدوا معنى الشرف وحب الوطن ، أما الواقع فإنهم فقدوا الوسيلة التي تسمح بالجمع بين حب الوطن ومعنى الشرف واحترام التآمر السياسي) .

أما الحزب الاشتراكي الموحد الذي ينتمي إليه الثالث من المتهمين ، فلم يجد الكلمات الأقسى لكي يتملص من هؤلاء ، واعتبر الحزب بأن الاعتقالات (تبرهن بأن دوائر وزارة الداخلية قد نجحت في التغلغل الى بعض المجموعات السرية ، التي كانت موضع مراقبة رجال الأمن ، منذ زمن بعيد وغالباً ما أصبحت هذه المجموعات بؤراً للاستفزاز التي يجب على المناضلين ضد الفاشية أن يطرحوها جانباً الآن أكثر من أي وقت مضى) [٢٦] .

اما أقسى حكم صدر فكان من جان جاك سيرفان شرايبر ، وتكشف الافتتاحية التي كتبها ، التزاحم السياسي السائد بين الحل الجذري والاغراء الابتداعي ، ويحتج مدير الأكسبريس ويتساءل كيف يمكن أن يتواجد أرباب للفكر اليساري يدفعون مريديهم الى السير في طريق الفرار من الجندية ، أو تقديم العون لجبهة التحرير الوطني، في الوقت الذي يهتز فيه ديغول ، ويستيقظ الرأي العام ، وتتلاحم الجبهة النقابية ، ويستمر الاتحاد الوطني للطلبة. إن الطلاب المعتقلين ليسوا إلا عقولاً استخف بها . إنهم (ليسوا موضوع هذا النقاش) إن الفلاسفة هم الذين لا يجوز معذرتهم (فإذا أظهرنا تجاههم أي تسامح ، وإذا ساهمنا بأي موقف مشكوك فيه يشترك طالب واحد يتبع مثلهم ، وغالباً نصائحهم ، فإننا سنكون ملومين) [٢٧] .

شعر جانسون بأنه مصاب بالصميم فرد من عزلته (إنكم تقولون ، ها هو الدم يعود الى العروق ، ، ها هو الأمل ، ، المعركة السياسية تأخذ شكلاً وهيئة . . ، أنني أعتقد بذلك فعلاً ، ولكن من أين أتت هذه اليقظة ؟ التي تقولون بأن سببها يرجع ، ولجزء حاسم منها ، للشبية الطلابية ، وهنا أنني معكم بدون تحفظ ، ولكن أليس باستطاعتكم أن تأخذوا من ذلك درساً ؟ أنني بالتأكيد ، لا أعتقد بأنني أعرف هؤلاء الشباب أكثر مما تعرفونهم ، إلا أنني كلما اتيحت لي الفرصة أن ألتقي ببعض منهم ، تولد لدي شعور يدفعني الى الاعتقاد بأنكم لم تحسبوا حساباً لتعليلاتهم ومبرراتهم الواقعية ، هذا من جهة ، ولأفاقهم

---

(٢٤) كانار انشينيه ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ .
(٢٥) تيموانياج كريتيان ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ .
(٢٦) لوموند ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ .
(٢٧) الاكسبريس ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ في عدد ٧ تموز، اجاب اندريه ماندوز على جان جاك سيرفان شرايبرات (كتابتنا تهرب منا وتختارنا . ان التصميم هو حق لاولئك الذين يقرأون) .

الحقيقية من جهة أخرى . إنكم على حق بالاعتماد عليهم ، والمراهنة عليهم : إلا أنني أعتقد بأنكم ما زلتم بعيدين كل البعد عنهم . وهل تعتقدون بأن هؤلاء الذين لا يتفقون معنا ، سيدينوننا بالعبارات نفسها التي استخدمتها؟ إنهم أيضاً يعرفون أن يتخذوا قرارهم لوحدهم، وعلى كامل مسؤولياتهم ، قابلين بكل مخاطر قرارهم ، فعندما غاصت أجيالنا (جيلي وجيلك) في غياب يائس ، رأوا فينا ، سواء كنا متفقين معهم أم لا ، أخوة لهم ، لأننا نبحث مثلهم ، ولأننا وان حددنا موقفنا ، فلم نحاول أن نعتبر أنفسنا أمامهم أو حتى أخوتهم الكبار الأبكار) .

إن هذا ليس إلا تعبيراً عن إيمان راسخ ، بدون مبالغة ، وينهي جانسون ، الذي كان مقتنعاً بأن رئيس الدولة لا يأخذ المفاوضات التي تجري في مولان بجدية ، حديثه متحدياً فيقول (أنني أراهنكم ، بأن وملكتنا ، أن لم يمسك ، هذه الأيام طرف الحبل الذي مد إليه بمعجزة ، وإنا أمر على التفكير بأن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، وجيش التحرير،سيحشران نفسيهما خارج المعركة ، فإن الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا هو الذي سيدعو في تشرين الأول (أكتوبر) القادم الى الفرار من الجندية ، ويصادق على العون لجبهة التحرير الوطني)[28] .

كان التنبؤ مغامرة ، ولكن ، ومنذ حزيران (يونيو) وبعد أن تلاشى الأمل في المفاوضات ، بدت التظاهرات المعتدلة و (الجمهورية) كاليوم الوطني من أجل السلام ، الذي نظمه اليسار في ٢٨ حزيران (يونيو) ، بأنها لا تتناسب مع عمق المأساة المستمرة . وتشتت الادانات الموجهة للطلبة المعتقلين ، وكما حدث في مرحلة سابقة ، وبعد فترة من التوتر والانقباض ، تمددت المناقشات والتفحت ، أضف الى ذلك بأن السلطة ارتكبت زلة كبرى ، فلا بد أنها اعتبرت ، بأن تمثيل إتحاد الطلبة ، لن يصمد طويلاً أمام مواقفها المتسارعة في التصعيد . فألغت السلطة المساعدات المالية التي تقدمها للاتحاد وفروعه . مما حمل الماء الى طاحون بورشيه وجانسون ، ان صح القول : إذ أن هذا التدبير ، يعني الاعتراف بأن المنظمات الطلابية والشعبية ليست إلا مفرخة لتنظيم حملة الحقائب ، ومرة أخرى يحذي القمع السلطوي ما يسعى الى تدميره ، وها هو قائل أودان يحصل على وسام ، ونشرت سيمون دوبوفوار ملف جيلة بوباشا ، التي عذبها المظليون عذاباً وحشياً ، وبالتعاون مع جيزيل حليمي ، تغلغلت الى اكثر الآذان صمماً ، وأصبح إنتهاك شرف جيلة رمزاً . ودعي الطلاب الذين تقدموا لشهادة الدراسة الثانوية في امتحان الفلسفة للتفكير في موضوع جميل (ما هو رأيك في البربرية ؟) .

---

(٢٨) رسالة غير منشورة مؤرخة في ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ .

١٧

واجبات عطلة الصيف

لا بد وأن يسافر الفرنسيون لقضاء عطلة الصيف مهما كانت الظروف ، ولن يمنعهم من ذلك سوى زلزال أرضي أو غزو ألماني . ولا يسلم أحد من هذا التقليد ، بما في ذلك المناضلون المداومون . فبعد الرابع عشر من تموز (يوليو) عام ١٩٦٠ ، أخذت (الحلقة الثانية) ، تلك الحالة من المتعاطفين ، التي تغلف وتغذي النواة التي يديرها كوريل ، تفقد كثافتها الاساسية . وكانت هذه العطلة بالنسبة للمتفرغين لشؤون الشبكة ، تعني خمسة الى ستة اسابيع من الاعمال الشاقة . يقول أتيين بولو : (لقد قطعت في شهر آب (اغسطس) ثلاثة وعشرين الف كيلو متر . وأتذكر بأنني قمت خلال سبعة ايام ، برحلة من باريس الى كولونيا ثم الى باريس ، ثم باريس كوبلانس باريس ، وعند عودتي طلب كوريل مني أن أسرع الى مرسيليا لنقل ثلاثين مليون فرنك (قديم) ، وبقيت ثلاثة ايام بلياليها دون أن تغمض عيني وأسير على الشبهات) ويقول ديدار فوزي (وجدنا انفسنا قليلي العدد لنقوم بجميع المهمات ، ودون أن نهتم بمسؤولياتنا الخاصة . كنت اعمل كثيرا مع (البارون) ، ولكنني كنت اقوم الى جانب ذلك بعبور الحدود ، وهذا ما كان يزعج هنري ويخرجه عن طوره ، خصوصا وأنني كنت أؤمن الاتصالات مع بعض المسؤولين عن الجبهة ، وأتذكر انني تحولت الى سائقة تكسي لعمر بوداود) .

اننا رأينا أنه من الضروري التذكير بهذه الوقائع العادية قبل الحديث عن النقاشات السياسية الداخلية ، التي جرت خلال ذلك الصيف ، لم يكن مناضلو الشبكة ثرثارين أصيبوا بالهذيان ، ولا محططين في غرفة ، وليس هناك من أحد قام منهم متأرجحا بحركة مكوكية بين العمل الواقعي المجسد والمبادىء التي لا يجوز المساس بها ، وكان آخر المنتمين الى تنظيمهم مثل جورج ماتي ، يميلون الى اعتبار الشعب الفرنسي في حالة خمول يستحيل شفاؤها ، وان العمل التقني المقدم للجزائريين هو وحده الذي يحسب له حسابا ، وأن الخلافات والحسابات السياسية لا تشكل الا مضيعة للوقت .

لم يكن هنري كوريل من هذا الرأي اطلاقا ، فكان يحول بصبر وثبات أفكاره الى واقع تنظيمي . وكان يفكر باقامة تنظيم يتمفصل حوله دون ابهام ، الدعم الفعلي لجبهة التحرير الوطني ، وكفاح الجماهير من أجل السلام . تنظيم سري ، لانه مجبر على اللجوء الى الاساليب اللاقانونية ، ولكنه تنظيم منفتح بحيث

يستطيع جر وتسييل العديد من اعضاء الاحزاب الكبرى، (وبصورة خاصة الحزب الشيوعي الفرنسي)، الذين يرغبون في الالتزام اكثر فاكثر ضد الحرب دون الانفصال عن احزابهم ، وبالتالي منظمة فرنسية بحتة ممولة من قبل اعضائها ، وذلك للتخلص من كل ابهام حول الانتماء الى الشبكة والانتماء الى الجبهة الجزائرية . وهكذا تجسد مشروع (الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار) التي يمكن أن تمتص شبكة جانسون وتجمع هذه القدرات الكامنة التي كشف عنها هيجان ذلك الربيع .

وحصل كوريل ، عند قيامه بهذه المهمة ، على دعم قطاعين مناضلين الاول : المسيحيون اليساريون ، حيث لم يبخل روبير دافيزي بأي جهد للدعاية للحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار في (الخارج) ، أما في (الداخل) فقد قبل روبير ودونيز بارا أن يقدما دعمهما شبه الرسمي ، وأن يتصدر اسمهما الاعلانات الدعائية للحركة الجديدة . كشخصيات قريبة من الحركة السرية وغطاء لها . والثاني : الشيوعيون ، فمنذ اللقاء الاول في مقهى شارع سان جاك ، وكوريل وفيكتور لودوك يلتقيان بانتظام ، فيعلمه منسق الشبكة عن تقدم عمليات التطويع بين اعضاء الحزب الشيوعي . أما لودوك الذي لا يريد ان يضر بالكفاح السياسي الصعب الذي يقوده لاقلمة الحزب الشيوعي الفرنسي مع الاوضاع الراهنة ، فانه كان بالمقابل مفوضاً من مجموعة الرفاق التي يتحدث باسمها ، لقبول هذا النموذج من التنظيم الذي يلعب دور المفصل ، والذي اقترحه كوريل . وجرت اتصالات أخرى اقل اهمية ، وخصوصاً مع جان بروتو الذي أحاط كوريل ، مرتين ، علماً بالأوضاع السائدة في الحزب . واستعلم منه عن الوضع السياسي والعمل للشبكة[1] .

وقدر هنري كوريل ، لكي يعلن عن تأسيس الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار بصورة رسمية مرضية ، ان يدعو الى عقد مؤتمر تأسيسي يعقد في سويسرا . دعي اليه ممثلون عن حملة الحقائب من باريس والاقاليم وعن موزعي (الحقيقة) . وموفدون من حركة (المقاومة الفتاة) ومتعاطفون . وكلف جان فانجان بالترتيبات العملية للمؤتمر ، وجان فانجان هو احد طلبة عالم النفس السويسري المشهور جان بياجيه ، حافظ على علاقات وطيدة في سويسرا ، وتمكن من الحصول على الموافقة بعقد المؤتمر في بلدية سان سيرج . وكان عدد الحاضرين ذلك اليوم ثلاثين مندوباً ، يمثلون جوهر الدعم الفرنسي للجبهة الجزائرية ، مجتمعين في الصالة البلدية ، وكانت أركان قيادة هنري كوريل بكاملها حاضرة ، مدعمة بروبير دافيزي عن (المنفيين) ، وجان لوي هورست مراقباً باسم (المقاومة الفتاة) وجاءت دونيز بارا ايضاً . وباختصار كان كوريل سيد النقاش .

وجد فرانسيس جانسون وجاك فينيه نفسيهما في موضوع الاقلية ، ولم يبق امامهما الا الانصياع . فاضطر المضطر لابعادهما عن الاطار العامل . الا انهما لم يكونا مع ذلك بدون حجج . وما زال جانسون

---

(١) شهادة فيكتور لودوك وجان بروتو . الاول تعرف على كوريل بواسطة فرنسوا مالسبيرو ، والثاني بفضل اليزابيت ماتان .

حتى اليوم يصنف تأسيس (الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، باللامعقولية) (٢) ولديه ثلاث حجج ، الاولى على ما يقول ، أمنية : فعقد اجتماع من هذا النوع يعتبر ضلالا . أما كوريبل فيدعي العكس ، ويرى أن التوسيع الذي تم يؤمن للشبكة نوعا من الفراش الواقي . والحجة الثانية : على المستوى السياسي الفعلي حيث يؤكد جانسون ان (مفصلا) مثل الحركة بين العون للجبهة والمعارضة الجماهيرية للحرب ، لا يمكن أن يقود الا الى تخفيف قوة العمل الطليعي الذي قام به الفرنسيون المتضامنون مع الجبهة ، والى الاصطفاف الى جانب شعارات مائعة ، يرددها اليسار (المحترم) : (كالسلام دون تحديد دقيق) .

ويرد كوريبل وجماعته بأنه دون وصلات ذات مغزى . أي بدون نشوء تطور في الحزب الشيوعي ، والنقابات العمالية ، والحزب الاشتراكي الموحد ، فانّ العمل الطليعي الذي تم لن تكون له قيمة سوى الدعم الفني الذي يقدمه للجبهة ولأنه شهادة امام التاريخ .

وينجم الانشقاق الثالث عن الثاني ، فقد كان جانسون يخشى ان تسبب (الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار) بحجة ازالة كل خلط بين المساعدة الفرنسية ، والمعركة الوطنية الجزائرية ، خللا تصعب معالجته . أما قناعة كوريبل فكانت العكس تماما . فوجود هيئة فرنسية نوعيا ، تتحدث مع الجبهة حديث الند للند ، يحافظ على الامكانيات السياسية التي تحملها ، ويضمن حرية اكبر للمناورة ، ويجبر القادة الجزائريين أنفسهم على تعميق طبيعة حاجاتهم والخدمات التي يطلبونها ، وحول هذه النقطة كان عمر بوداود ، يفضل أن ينجح جانسون . وكان اتحاد فرنسا التابع للجبهة متحفظا تجاه تأسيس (الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار) فقد كان يخشى تعقيد العمل الفعلي ، اذا لزم الامر ، للتفاوض بين منظمة ومنظمة ، ويحذر قليلا من الاستقلالية المتزايدة لكوريبل . ولكي لا نزيد في الكلام ، نكتفي بالقول بأن بوداود كان غاضباً جداً من المادرة التي اتخذها كوريبل وأسف روبير دافيزي لقسوة المجابهة فقال : (لم يأت الى سان سيرغ أي عنصر الا ليقيم الوحدة ، والبرهان على ذلك ، أن أياً لم يقبع في مكانه ، وكانت هذه العناصر غاضبة وآسفة للاتجاه واللهجة التي فرضها كوريبل على النقاش . ولم يتصاعدوا الا تجنبا لتعدد الانقسامات وتشتت من بين هؤلاء)(٣) .

ومع ذلك ، أقر المؤتمر طروحات هنري كوريبل ، وأوكل اليه قيادة العمليات ، بمعاونة (البارون) وجورج ماتي . ودعي فرنسيس جانسون وجاك فيه ودبا للمشاركة في المناقشات القادمة ، الا أن القطيعة قطعا . وها هما خارج الحلبة ، الشيء الذي لم يجر دون أن يترك مرارة ودون توتر .

وهناك وثيقة تمكن من الاحاطة بالجو والهدف السياسي للنقاش في الوقت ذاته . وهذه الوثيقة هي رسالة بعث بها جانسون في شباط (فبراير) ١٩٦١ الى كوريبل ، وليعذرنا القراء اذا سبقنا قصتنا ببعض

---

(٢) شهادة فرانسيس جانسون .
(٣) مستقى من روبير دافيزي .

الشهر ، تلك الرسالة الوحيدة التي تبادلها الرجلان منذ تموز (يوليو) ١٩٦٠ وحتى نهاية الحرب والتي تلقي على مؤتمر سان سيرغ ، والمجابهات التي جرت خلاله ، والاتجاه الذي تحدد فيه ، أضواء لا مثيل لها ، وسنأخذ بعض المقاطع من هذه الرسالة :

عزيزي جاك[4] . :

(. . . . يبدو لي اولا ، بأن خلافاتنا ، ، (دون ان انتبه الى ذلك في البدء) قامت اساسيا على مستوى المفهوم الاستراتيجي للنضال . وقد انبعث وجهة النظر الشيوعية نفسها (وبصورة خاصة الحزب الشيوعي الفرنسي) فاهتممت بجمع أكبر عدد من الناس ، على عينة انطلاق لا يمكن أن تكون ، نظرا لطبيعتها هذه ، ثورية . وهكذا فانك قد اتفقت مع الاعتداد المناهض للاستعمار للدعم ، الا انك لم توافق على التعميق التدريجي لطروحات (المقاومة الفتاة) في اتجاه التشكيك بالنظام (الرأسمالي ـ الديغولي) . ومن الواضح انه من السهل تجميع الكثير من النساء والرجال حول اهداف السلام في الجزائر ، ويمكن الذهاب الى ابعد من ذلك ، الى الدعم العملي للجزائريين ، وحتى دعم الرافضين والفارين : فالناهضون للاستعمار المناسبون يمكن أن يجندوا من بين الشيوعيين (الذين لا يريدون أن تقوم الثورة في الجزائر في الوقت الحاضر ، لأنها ان قامت فستقوم بدونهم ، والذين يخشون أن تصبح القواعد في فرنسا اكثر راديكالية ، ولأنها تدخل الاضطراب في مخططات القيادة وتفجر حذرها الشديد) ومن بين الشيوعيين الذين لا يريدون الثورة اطلاقا .

(أما بالنسبة لي فانني اعتقد بأن مثل هذه الخطة ، وان كانت مناسبة كوسط محيط (واق ومغذ في الوقت ذاته) او كوسط حاجز كخزان من العناصر المتعاطفة ، لن تشكل في أي حال من الاحوال محركا للنضال .

وحول هذه النقطة بالذات ، اتصور اننا متفقون ، كما أن تحليلاتنا لا تتباعد ، الا عندما يحين الوقت لتحديد المحرك الحقيقي للكفاح : حيث يبدو لي بأن هذا المحرك هو الحزب الشيوعي ، وان كنت متفقا نظريا مع وجهة النظر هذه ، الا أنني شخصيا ، أعتقد بأن الحزب الشيوعي ليس قادرا على لعب هذا الدور (الذي هو في الواقع من حقه) والذي يجب أن تلعبه عناصر طليعية ، تقوم بالوكالة بهذا الدور ، وتحاول أن تذكر دائما ، المناضلين من أجل الاشتراكية ، بدورهم الحقيقي . هذا بشرط الا تظهر أي أثر لمعاداة للشيوعية خلال سير العمل ، وان لا تعتبر هذه الطليعة نفسها بأنها الثورة التي تسير (اذ انها ليست الا صدى للمطالب الثورية التي تزداد الحاحا) .

. . . وثانيا ، سواء أخطأت أم لا ، حول الطبيعة الحقيقية العميقة لخلافنا ، يبدو لي بأن هذا الخلاف قد قادك الى القيام ببعض النشاطات خارج اطار عملنا المشترك ، قبل موجة الاعتقالات التي جرت في شهر

---

(٤) جاك ، هو الاسم المستعار الذي يستخدمه كوريل داخل تنظيمه السياسي ، وفانسان هو الاسم الذي يستخدمه جانسون .

شباط (فبراير) ، وطبعا ، أكثر من ذي قبل خلال الفترة التي تلتها ، ويعني آخر ، التي اعتقد بأنك اخلعت الخلافة فعلا اعتبارا من شباط (فبراير) ، خلافة جهزت نفسك لاخلعها خلال الاشهر السابقة ، الا أن عيب هذا الموقف ، انه خلق في أوساط المناضلين الفرنسيين ، في الدعم والرفض ، وكذلك في مجمل علاقاتنا مع الاخوة ، توترا رهيبا ، لم يكن له إلا أن يأخذ في نظر الغالبية ، شكل المنافسة ، توتر ، أثر بالتأكيد ، تأثيرا سيئا على مواقف كل منا تجاه الاخوة) . (ان ما يبدو لي بديهيا على ما اعتقد ، هو ان الصداقة ، وحتى المحبة ، التي ساعدت دائما تعاوننا ، يجب الا تتأثر نتيجة لخلاف من هذا القبيل ، لقد سمعت الكثير من الافتراءات الموجهة ضدي ، وسمعت العديد منها ضدك ، ولم أعط لهذه اولتلك أية أهمية ، فكلتاهما كانت بؤلة جدا .

اني أفكر بك كثيرا وآسف للايام الخوالي عندما كنا سوية فعلا ، وأكرر لك مرة أخرى صداقتي العميقة . فانسان(*) .

وبقي الخلاف بينهما هوس الجيل الصاعد . فهل هناك من آنية (وقت راهن) للثورة ، وهل هو التجاذب بين نموذج العالم الثالث ، وأحلام الشبيبة المناضلة في القارة العتيقة ؟ . وهل بقيت امكانية لقيام الثورة بينما يراوح اكبر الاحزاب الشيوعية الاوروبية في ظل أمجاده ؟ . كان جانسون يرفض الرضوخ للفكرة القائلة بأن الحزب الشيوعي الفرنسي لم يعد حزبا ثوريا ، وأن حركات التمرد في بلاد ما وراء البحار لم تصبح ثورية بعد . وبقي كوريل الذي لم يخف أوهاما حول حركات التحرر الوطني ، وحول الطلائع (الوكيلة) بقي في نظر الحزب الشيوعي الفرنسي متعصبا جاء من الخارج .

جهز مؤتمر سيرغ الحركة الفرنسية المعادية للاستعمار ، بلجنة ادارية مؤلفة من ثلاثين عضوا ، وحدد أهدافها بدقة هي : تنسيق الاعمال السرية الفردية ، واقامة علاقات وثيقة مع الاحزاب والنقابات اليسارية ، والقيام بدعاية مناهضة للاستعمار ، واخيرا (الاشراف على نشاطات شبكة (المقاومة الفتاة وتوجيهها) . وقسمت فرنسا الى ست مناطق : ثلاث في باريس ، ثم ليون ديجون غرونوبل ، ثم مرسيليا نيس تولوز ، ثم بوردو بواتيه بايون . وكان هناك الخلية المؤلفة من مناضلين ومسؤول . والمجموعة المؤلفة من خليتين ، والوحدة المؤلفة من مجموعتين ، والفرع المؤلف من وحدتين الخ . . . حتى الوصول الى المنطقة ، وهي التنظيم القاعدي .

وحددت الاشتراكات بعشرة فرنكات شهريا ، وارتؤي اللجوء ، ان اقتضى الأمر ، الى تقنيات التجسس الحديثة : تغيير الملامح ، استخدام الميكرو فيلم ، الخ . . اما بالنسبة للشبكة فلا تغيير على اسلوبها : تبقى مقسمة الى دوائر (تختص ، بالايواء ، والمالية ، وشبكات المرور ، والاعلام والدعاية ، والخدمات العامة ، والهويات ، والتمويه) ومع ذلك وبصورة خاصة بما يهم الدعاية ، الغيت دائرة توثيق

(*) الأرشيف الشخصي لفرانسيس جانسون . وهذه الرسالة لم تنشر من قبل .

سميت (غيوم) ، يديرها كوريبل تحتوي على ستة آلاف اسم ، ودائرة دعاية موجهة بصورة خاصة الى الأوساط المسيحية سميت (دائرة مارتان)[٦] .

لم يبق الا الصحيفة (الرسمية) فكان هناك تجديد واستمرار : حيث تقرر أن تحل (الحقيقة الناهضة للاستعمار) محل (الحقيقة . .) وبدا هذا القرار لاصدقاء جانسون وكأنه مزيج مشبوه من الاختلاس والتعويض ، وبدأ تحضير العدد الاول من (الحقيقة الناهضة للاستعمار) . في الواقع كان العدد صفر ، مطبوعاً على الآلة الكاتبة (وزع في ايلول (سبتمبر) ولم يوزع اول عدد مطبوع الا في مطلع عام ١٩٦١) ، عشية المؤتمر . ووضع في الفهرس موضوعان هامان .الاول تصريح ادلى به فرحات عباس لموريس ماشينو ، بحي رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فيه (فعالية) شبكة جانسون ، ويصف تأثيرها على الجبهة نفسها ويقول (في الجانب الجزائري ، كانت نشاطات شبكة جانسون مفيدة جدا ، لانها سمحت بوضع كفاحنا في اطاره الحقيقي : كفاح ضد النظام الاستعماري ، وليس ضد الشعب الفرنسي ، معركة وطنية بعيدة عن كل مشاعر كراهية الغير، وليس لها أية سمة دينية . ان هؤلاء الفرنسيين الذين يساعدوننا هم برهان حي على أن التعاون السلمي بين الشعبين الفرنسي والجزائري ما زال ممكنا).

أما الموضوع الثاني فهو (منبر حر) كتبه مجموعة من اعضاء الحزب الشيوعي ، الذين عبروا عن رأيهم بقسوة ، فقالوا (في الحقيقة ان غالبية قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي ، قد تجنبت حتى الآن القضية الاساسية وهي قضية التحالف الثوري بين البروليتاريا في البلدان الاستعمارية وحركات التحرر في المستعمرات . . . وأن الفئات التي التزمت حتى الآن في العمل ليست هي الفئات الحاسمة أن النشاطات المناهضة للاستعمار لم تزد بعد الاشكال السياسية الأكثر فعالية ، التي هي العمل الجماهيري ، هذا واقع ، ولكن من هو المسؤول عن ذلك ؟ ومن لم يستنفر الجماهير الكادحة ؟) . واخيرا ، يتوجهون مباشرة الى اميهم العام (ان موريس توريز يشوه الفكر اللينيني باستخدامه بمعناه العكسي ، عندما يوصي الشيوعيين بالذهاب الى الحرب وان كانت رجعية ، ان لينين كان يجادل تيارا مسالما ، كان يدعي بأنه يتمكن من القضاء على الحروب برفض حمل السلاح ، حل خيالي اواخلاقي بحت ، وهو لم يرد بالتأكيد ، ان يستبعد سلفا كل دعاية للرفض او الفرار من الجندية في اطار معين . ان من لا يرى السحر الذي تلقاه هذه الدعاية لدى الشباب ، ومدى تأثيرها الثوري على المجندين الشباب في الجزائر ليس الا رجلا اعمى) كان ذلك هو ما يفكر به العديد من اعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي ، وهو ايضا الرأي الذي كان يبديه سرا ، خصم توريز ، لوران كازانوفا .

لم تكن أهمية (الحركة الفرنسية الناهضة للاستعمار) تكمن في تنظيمها الذي لم تتوصل الى اختاله بصورة محسوسة من خارج الشبكة ، بل في الدعم الذي تقدمه للفئة الكبيرة التابعة للحزب الشيوعي ، الا أن بردالود ، الذي كان يشك بأن كوريبل ، قد بحث عن دعم فرحات عباس له من خلف ظهره ، والذي ما زال

---

(٦) مارتان ، هو الاسم المستعار لروبير دافيزي .

تابعا ماليا للإعانات التي وضعها المناضل المصري ، وكان مصمما أن يضع حدا لكل هذه التصرفات في أول فرصة .

أنه من الطبيعي الا يمر مثل هذا التجمع من الناس (المخربين) دون أن ينتبه اليه أحد . وكان باستطاعة المخابرات العامة أن تصف في تقرير لها وبالعديد من التفاصيل ، "توجهات الحركة الفرنسية الناهضة للاستعمار وبنيتها (دون ان تتوصل الى التعرف على أصحاب الألقاب) وكانت نتائج مؤتمر سان سيرج ، مضمنة باعتناء في التقرير الذي ينتهي بالقول (ان قادة الأحزاب السياسية واليسار المتطرف ، والحزب الاشتراكي الموحد ، الذي ينتمي اليه روحيا قادة الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار يشجعون هذه المنظمة ، وهم يعتبرون ان الحركة لا تضم اكثر من الاثنا عشر عضو ، . ومع ذلك ، فان هذه التقديرات المتفائلة يجب الا تدفع الى التقليل من اهمية الحركة . فلها في فرنسا محركون يوزعون منشورات وكتبا لا تمجد المتمردين الجزائريين فحسب ، بل وتعلم ايضا قواعد السرية والخروج على القانون"[٧] .

ونلاحظ ، أن جواسيس الحكومة ، قد اخطأوا ، فيما يتعلق بالميول السياسية لهنري كوريل ، الا انهم يشيدون ايضا ، ويبدون أن يعرفوا ، بفضائله التربوية .

بعد أسبوع من تأسيس (الحركة الفرنسية الناهضة للاستعمار) جاء دور (المقاومة الفتاة) لكي تعقد مؤتمرها الأول ، فتمكن الفرنسيون الفارون من الجندية ، بفضل (الشبيبة الاشتراكية الالمانية) من ايجاد مأوى مرة ثانية ، في بيت للشبيبة على مقربة من مدينة دراهشتات ، فقد أصبحت المناقشات الجدية ضرورة لا بد منها ، فمنذ ان استبعدت غالبية النواة القيادية في آذار (مارس) تبعية الحركة لكوريل أصبحت العلاقات متوترة جدا ، وبات واضحا ، في نهاية تموز (يوليو) ان التوضيح لم يعد يحتمل التأجيل . ففي حزيران (يونيو) ، وعندما عقد الاجتماع السري في باريس في الكنيسة الانجيلية ، عند الراعي بوسك ، هذا الاجتماع الذي سبق قضية ماكو ، اكتشف مارتان فيرليه ، مساعد كوريل لمتابعة شؤون الفارين من الجندية ، ولوي أوران ، المفوض من قبل فريق فرانكفورت بتمثيل (المقاومة الفتاة) والعمل على تثبيتها ، أنهما في وضع محرج ، وتعرض جان جاك بورشيه ، منسق شبكة الطلاب والتلاميذ لضغوط متناقضة ، الى درجة اضطرته لاتخاذ موقف حيادي وغير منحاز ، بالرغم من الصداقة التي يكنها لجورج ماتيي ، والاعجاب الذي يكنه لهنري كوريل ، وبقي طيلة اسابيع بأن فيرليه اوران ، يبذلان كل الجهود لاقامة تنظيمين متميزين ، ان لم يكونا متنافسين ، فاستفاد الاول من الدعم المادي من الشبكة ، أما الثاني فقد اقام (فروعا) في المدن الكبرى مثل ستراسبورغ وايكس وليون ، وكانت منافسات كارثية ، من شأنها أن تقدم مشهدا مؤلما من الفوضى ، في تلك اللحظة بالذات التي كان فيها استعداد الشباب ، على تقبل أي دعاية موحدة ، في أوجه . الا أن الواقع كان بعيدا كل البعد عن ذلك .

---

(٧) ستظهر (الحقيقة لاجل ...) مرة اخرى في تموز (يوليو) (العدد ١٧) وفي ايلول (سبتمبر) (العدد ١٨) . وقد تابع عدد من التنظيمات المحلية اصدار نشراته بالعنوان نفسه .

أن ، الأمر يتعلق اذن ، في دارمشتات ، بتحديد قاسم مشترك أكبر ما يمكن ، الا أن (الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار) سبقت مؤتمر (المقاومة الفتاة) وضمت اليها في مخططها التنظيمي حركة المجندين المتمردين دون أي حساب. وارتؤي في سان سيرغ فرض وصاية على (المقاومة الفتاة) وامكانية تجاوزها (كما تم تجاوز شبكة جانسون في بنية الحركة الفرنسية الناهضة للاستعمار ، وتلك تحت اسم (الشبيبة المناهضة للاستعمار) . وهكذا احتوى جدول الأعمال موضوعا واحدا : الارتباط او عدمه بالحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، فدافع لوي هورست ، الذي كان مخلصا (للعجوز) عن الانضمام . إلّا أن المعارضة كانت تسيطر على الموقف ، فهناك جاك بيرتليه ، الذي كان مؤمنا بأن فرنسيس جانسون قد نعم في سان سيرغ ، وهو ينهل من هذه القناعة ، سببا اضافيا لابقاء كورييل بعيدا عن الحركة . وهناك ايضا لوى اوران الشيوعي الانتهاء ، الا انه يعتبر أن تلاعبات كثيرة قد جرت بهدف القضاء على استقلالية (المقاومة الفتاة) وانضم العديد من وفود المناطق الى هذا الرأي . وبصورة خاصة روبير بونو (زعيم) شبكة مرسيليا ، الذي تراجع عن انتمائه للحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار .

فهل كان ذلك تخريباً للمنظمة ؟ أم كان رفضا لسلطة الكبار ؟ . . . الأمران معا . . . أما المدى السياسي لمؤتمر (المقاومة الفتاة) ، فقد جاءها من عمر بوداود الذي كان غائبا عن مؤتمر سان سيرغ (حيث اسست فيه حركة فرنسية بحتة) ، وكان بوداود حاضرا في دارمشتات ، كما كانت كلمته قوية : (انكم لطفاء جدا ، وما زلتم تتابعون حملتكم من أجل الدعوة الى العصيان منذ ستة أشهر ، وعددكم الآن خمسة عشر . ان ذلك فشل ، أما الشعار (ج . ر) (المقاومة الفتاة) فان له وقعاً عظيماً على الشباب ، وانني اقترح اعادة تنظيم كل المجموعة تحت هذا الشعار)[8] .

ان هدف المسؤول الجزائري عن اتحاد فرنسا شفاف تماما . فهو يأمل أن ينشيء تورا مضادا تجاه الحركة المناهضة للاستعمار التي تقلقه ، وأن يعمل على مرحلتين : الاولى موازنة قدرة هنري كورييل والثانية تجنب تشتت المقاومين الفرنسيين لحرب الجزائر ، الى القطاعيات متمادية ، يشغلها النقاش والجدل ، بحيث تصبح عاجزة عن تحقيق التقدم الحقيقي . ويجب قبل تحديد أية استراتيجية سياسية القيام بالتشجيع ، وبوداود هو المسؤول امام الحكومة المؤقتة عن حسن سير نشاطات الجبهة في فرنسا ، وقبل اقتراحه بالاغلبية ، على أن يتم احصاء لكل الأوضاع . وقبلت (المقاومة الفتاة) المعونات المادية من جبهة التحرير ، وخصصت هذه المعونات لتنظيم دورات تدريبية في تونس وفي سويسرا . وارتدى القرار النهائي للمؤتمر صبغة جانسونية ، (ان حركتنا اليوم هي طليعة اليسار الفرنسي ، وهي تؤكد تضامنها مع جميع الذين يكافحون فعليا من أجل السلام في الجزائر . . . . ان مثل هذه الحركة تحمل في شبابها بذور تطور المستقبل ولا يمكن ان تتوقف بانتهاء الحرب في الجزائر) . ومن الواضح ان اللهجة تختلف تماما عن البيان الذي صدر في سان سيرغ .

---

(٨) شهادة جاك بيرتليه

وبرزت قيادة ثلاثية : كوربيل للدعم ، أوران لشؤون المجندين الفارين وبيير آسيل من مناضلي الحزب الاشتراكي الموحد ، متحرر ، التحق بشبكة كوربيل دون ان يرتبط به ويبدون ان يشاطره توجيهاته ، وخصص للحركة المناهضة للاستعمار (المعدلة) .

لم يتحرك كوربيل الذي رأى الكثير في حياته ، وسجل الحكم ، ولم يكن بحاجة لمن يعيد عليه الاقتراح : ان (الحركة المناهضة للاستعمار) تلمح ، وبالرغم من انهم في دوسلدورف في موقف ضعيف الا انه يعرف بأنه قوي قادر في باريس ، واعتبر كوربيل بأنه ليس بحاجة لتلقي دروس في السياسة الفرنسية من الجبهة الجزائرية ، التي كان يساعدها بفعالية ، ولم يفكر لحظة واحدة في التنكر للخط الذي رسم في سالف سيرغ : طلب المساعدة من حق الجزائريين ، وعلى المناضلين الفرنسيين الاستجابة له بصورة متناسبة ، وما عدا ذلك فان لهؤلاء المناضلين حرية اختيار اتجاهاتهم . اذ ان كوربيل ، بثباته الذي لا يلين ، يرمي الى هدف قريب جدا : وهو نشر بيان صادر عن الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار تحضر صياغته ، يجمع بين ايديولوجيات يرنو اليها بكل مشاعره ، ولم يتكبر فيكتور لودوك عن المساهمة في تحريره ومثله فعل آخرون ، لا ، ان كوربيل لن يضع مستقبل عمله السياسي ، لأن اناسا من الضفة الاخرى من نهر الرين ينصحونه بالحاح بذلك .

لقد كان كوربيل هاماً جداً بحيث لن يجبره احد . وهكذا كتب على منطقتين وبنيتين ان تتعايشا ، واخذ شعاران يتشابكان ويتصالبان منذ ذلك الحين . (م . أ . ف) الحركة المناهضة للاستعمار و (ج . د) المقاومة الفتاة . دون أن يعرف الجمهور ، الذي لم يكن يعرف الاسرار ، تماما ما المراد بذلك .

ما عدا حلقة الحقائب ، لم تكرس الطبقة المثقفة كلها صيغها للاستمرار تحت اشعة الشمس ، فقد كانت هناك حالات استثنائية نادرة ، الا انها خصبة . بضعة رجال ، لهم علاقات مع مجلة الازمنة الحديثة ، ممن ينشرون في دار النشر غاليمار ، قرروا القيام بعمل ما أما الرابط بينهم فهو تلك الصورة عن المثقف التي يتصورونها (محتجز الجابي من قبل مجتمع، اختار ان يتحمل مسؤوليات تناقضاته)[9] وتعيش موريس بلانشو وديونيس ماسكولو وكلود لانزمان ومارسيل بيجو ، ان يكونوا معزولين الى هذا الحد منذ الربيع ، في دعمهم لفرنسيس جانسون والمجندين الفارين ، ولم يكن هذا الانعزال يثير قلقهم ، بل القناعة بأن هذا العزل الثانوي مخادع . وان هناك كنزا خفيا لا ينتظر الا ضربة معول وان افضل اسلوب للتأكد من ذلك ، هو القيام باختبار على الصعيد الوطني ، وتوزيع بيان يحاط بصخب كبير يطالب (بحق العصيان) تصادق عليه التواقيع الاكثر شهرة .

كان موريس بلانشو مؤلف (توماس المجهول) و (حصة النار) اول محرر مجهول صائغ البيان ، وشرح عنوان البيان في مقابلة صحفية مع مادلين شابسال لصالح مجلة الاكسبريس ، الا ان المقابلة لم تنشر ،

(٩) فرانسيس جانسون ، فلان سمي سارتر .

لقد قال : أقول حقا ولا أقول واجبا ، كما أراد البعض بدون تفكير عميق ، أن يكون عنوان البيان ، لأنهم يعتقدون بأن مفهوم الواجب يتعدى مفهوم الحق . . . إلا أن ذلك ليس صحيحا : فالالتزام يرد إلى أخلاقية داخلية تخطط وتصممه وتبرره فعندما يكون هناك واجب فليس علينا إلا أن نغمض عيننا ونقوم به بشكل أعمى . وهكذا فإن كل الأمور مهينة . أما الحق ، لا يرد إلا إلى ذاته ، إلى ممارسة الحرية الذي هو تعبيرها ، فالحق إذن هو القدرة الحرة التي تجعل من كل فرد ، لنفسه وتجاه نفسه ، مسؤولا عنها ، تلزمه تماما ، وبحرية . وليس هناك أقوى ولا أخطر من ذلك[10] .

لم يكن النص الذي كتبه بلانشو يصح (بالعصيان) إلا أنه يسجل بأن (مقاومة قد ولدت) وأن ذلك (قاد العديد من الفرنسيين إلى الشك بمغزى الالتزامات التقليدية) . وينتهي البيان بثلاث قناعات (إننا نحترم رفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري ونعتبره مبررا . كما نحترم تصرفات الفرنسيين الذين يعتبرون أن من واجبهم تقديم العون والحماية للجزائريين المضطهدين باسم الشعب الفرنسي ونعتبرها مبررة إن قضية الشعب الجزائري التي تساهم بشكل حاسم في القضاء على النظام الاستعماري هي قضية جميع الأحرار[11] . وأدخل ديونيس ماسكولو إلى الخلطة بعض التعديلات ، ثم عرض الوثيقة على بيجير ولانزمان ، اللذين كانا يفضلان بيانا أكثر قوة (فخمسة الاف وسبعمائة توقيع كثيرة جدا عندما تكفي السطور الثلاثة الأخيرة) ووافقوا مع ذلك على القيام بحملة تواقيع ، فوقع سارتر على البيان قبل أن يسافر في عطلة ، وبدأ التنقيب .

وكما هي العادة دائما في مثل هذه الظروف ، تلاقي المساعي بعض المفاجآت فيهرب ليوفريه ، ويوقع موريال لوبيك بكلتا يديه ، ثم يتراجع بعد أسبوع عن توقيعه ، معتبرا بأن قراءه لن يفهموا ذلك . ووقع الكثير من الكتاب والفنانين ، من سيمون دوبوفوار ، إلى بيربوليه ومن اندريه بريتون إلى ميشيل ليريس ، ومن موريس نادو وبرنار بينغو إلى ناتالي ساروت ، والآن روب غرييه ، وقدم عالم السينما نصيبا كبيرا من ألان رينه إلى سيمون سينيوريه ، وعرض المتعاطفون مع شبكة جانسون موقفا في وضح النهار ، وكذلك فعل المتعاطفون مع (المقاومة الفتاة) : روبير بارا وجيروم ليندون واندريه مانديور ، وفرانسوا ماسبيرو ، وفيركور ، وبيير فيدال ناكيه ، وباختصار كل المناهضين الفعاليين للاستعمار ، وقبلت فلورانس مالرو ابنة أندريه مالرو التي كانت تقدم للشبكة خدمات جيدة ، بأن تكون محط دعاية مرعجة لها بصورة خاصة ، حيث قال لها أبوها (أدعني إلى الحبس ومري هناك ولكن لا تكتبي العرائض)[12] . هذا ما كان عليه رد مؤلف رواية العزاة على ابنته .

---

(10) هذه الطبيعة التي رفضتها الاكسبريس كانت قد نشرت مرة أخرى في الكف الشهري ، الكامل حدا ، والذي أتلف مع الأسف : حق اللاخضوع ، الذي نشره فرانسوا ماسبيرو في الموت الثاني (يونيو) ١٩٦١ ، في مجموعة (الدفتر الحر) العدد ١٤ .

(11) نجد في الملحق النص الكامل للتصريح وقائمة بأسماء الموقعين .

لم تكن الصعوبة بالنسبة لفريق (الأزمنة الحديثة) تكمن في ايجاد شخصيات مشهورة وشجاعة ، فأناس مثل جان لوي بوري وروجيه بلان وآلان كوني وكريستيان روشفور ، يمكن الاعتماد عليهم ، وكذلك بالنسبة للأعضاء السابقين في الحزب الشيوعي الفرنسي المنحدين المعروفين ، كانوا احرارا . فالمشكلة كانت اذن الى أي مدى يحصل قطر الدائرة ، وأن عضوا في الحزب قادر ، لا على الانتحار سياسيا بضجة صاخبة ، بل على توريط الحزب الشيوعي ، وأن يتبل جناحه للقتال دون ان يطره حالاً ويدان ؟ وعند البحث كما يجب ، يجد المرء من هذه النهائج ، وأشهرهم ، بتصميمهم وروح النكتة عندهم ، وأطولهم حياة نضالية ، يجد هيلين بارمولان الصحفية والروائية ، والرسام ادوار بينيون رفيق بيكاسو ، لقد وقعا . وعلقت هيلين بارمولان (يا له من نص مريء لقد امضيناه ، ادوار وأنا ، يوما بكامله ونحن نديره في جميع الجهات . ومن ساعة لساعة ، كان يصبح اسوأ فأسوأ . الا انه الوحيد الموجود ، ويأتي في وقته[12] . فوقعنا ، ولم يستطع احد ان يسيء الا لما سببها الذي لا عيب فيه ، بل لأنها لم يتركا بالمقابل أية معركة مناهضة لستالين (فهيلين بارمولان هي التي وزعت في عام ١٩٥٦ على أبواب اللجنة المركزية رسالة العشرة المشهورة ، التي تحتج على التدخل السوفيتي في بودابيست) . انهما متعودان على مثل هذه المواقف لذا فقد خلقا داخل الحزب الشيوعي تيارا ناقدا معتمدا ذاتيا .

واذا كانت الجامعة لم تغضب كثيرا ، فان الصحافة بالمقابل لم تتطلع تماما الى العملية . ومنع هوبير بوف ميري (اللوموند) منعا باتا كل القراءات عن الخصية ايا كان لونها[13] . أما فرانس أوبسرفاتور فقد قدمت زاويتها الادبية لتواقيع بعض من كتابها ، الا أن الادارة السياسية اعترضت ، وقبل ثلاثة اسابيع من نشر البيان ، لمح جيل مارتينيه ، الذي عرض البيان عليه طبعا ، في مقال له عنه فقال (أمامي عريضة وقعها عدد من الكتاب (اندريه بروتون وجان بول سارتر ، وآلان روب غرييه ...) . وهي تكشف الكثير . ان هؤلاء الكتاب يبدأون بشجب عجز الاحزاب السياسية تجاه حرب الجزائر ، فكيف لا نجيبهم ، نحن الذين لم نتوقف يوما بعد يوم ، عن ايضاح المسؤوليات الرهيبة التي تقع على الأحزاب التقليدية اليسارية الفرنسية . الا ان هؤلاء يضيفون بأن الهدف هو اقامة حركة احتجاجات خارج اطار الاحزاب ، تعني لتخر هذه الاحزاب ، حركة مشابهة لتلك التي أيقظت الفرنسيين بين عامي ١٩٤٠ و١٩٤٤ . فمن أين أتى جيل مارتينيه بهذا (الهدف) ؟ لقد اكتفى بلانشو بالملاحظة بأن الشبكات (تطورت على هامش الاحزاب الرسمية ، بدون دعمها ، وفي النهاية ، بالرغم من عدم اعترافها) وهذا لا يشكل برنامجا ، ولكنه يعتبر امرا بديهيا .

ان ما يبرر انتقاد جيل مارتينيه ، هو في الواقع ، قناعته بأن مبادرة من هذا النوع تضر (موضوعيا)

---

(١٢) نقلها للمراقبين جان لاكوتور ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ .
(١٣) مقابلة مع هيلين بارمولان ، تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٨ .
(١٤) مقابلة مع جان لاكوتور .

بعث اليسار ، الذي يعتبر الحزب الاشتراكي الموحد رأس الحربة فيه . واتهم مارتيه أصحاب البيان بأنهم (يبعثون الى الوجود خرافة المقاومة (النقية) التي يجب أن تضم في حناياها كل آمال الثورة ، ولكنها مع كل أسف ، تقع ضحية خيانة الأحزاب[15]).

انها مراجعة ذاتية ، لا تأخذ بعين الاعتبار الا الصفة التراجعية للحركة من أجل العصيان ، وتهمل دورها النشط للعلاقات الجدلية بين الاجهزة القائمة .

ويعلق اليوم جيل مارتيه على حذر الأمس فيقول (كان في كل تلك الدفاع نابع من تربيتي الشيوعية ، وكذلك ذكرى جدل كبير حول الروح السليمة عشية الحرب العالمية الثانية . لقد حاربت شخصيا (عدم التدخل) وذهبت شخصيا الى اسبانيا ، ورأيت بعيني غرق العديد من الاشتراكيين والنقابيين المسالمين ، في التعاون ، وكل ما هو اعتراض بسبب العقيدة او الضمير كان يحيي في داخلي رفضا عفويا .

ثم أني كنت ضجرا من بداثية جان بول سارتر ومن حوله ، هذا النوع من التحويل لليسار الفرنسي ، الذي لا يستطيع القيام بالثورة في بلاده ، فيحلم في ثورات الاخرين ، لقد كانوا مناصرين للشيوعية بصورة بدائية ، ومناصرين للجبهة الجزائرية بصورة بدائية ايضا . برود مازوشية ، واضحة في مقدمة كتاب (عدن ـ الجزيرة العربية) ، فبعد ان يقولوا للشيوعيين (نحن بورجوازيون صغار) ، يقولون للجبهة (نحن العالم القديم) ، بمعنى آخر كانوا ينقلون مفهوم الخطيئة ، نحن خاطئون ونشتري روحنا (بأن نكون في خدمة) ، في خدمة الطبقة العاملة وحزبها او في خدمة العالم الثالث او ممثليه ، والآن اخير في حكمي على ما حدث لأن المؤسسة السياسية كانت بحاجة لمن يهزها ، الا انني كنت اتمنى ان يلعب سارتر في اليسار الدور الذي لعبه ريمون آرون في اليمين في القضاء على الخرافات[16]).

ان الصحفيين مثل السياسيين ، واكثر من كليهما عندما يجمعون بين الأثنين ، هم ساحة للتدخل ، وهم عملهم الذي يأكلون من أثره وفائدته . بينما يبحث غالبية الجامعيين والفنانين عن ادوات للعمل ، وعن تنظيم يجدون انفسهم فيه ، بعد أن تعبوا وهم يجرون ضمائرهم التعيسة دون ان يفرغوا قدرتهم ، وانتهزوا هذه المناسبة بأن يكونوا وان يعرضوا بهذه العملية نقص (الكينونة) في اليسار القانوني . وفي النهاية فان من وقعوا على البيان ، اما انهم يتعرضون منذ سنوات للمخاطر أو أنهم منذ سنوات يجترون صمتا إلزاميا .

وهكذا ، فان العديد من الذين كانوا يشكلون ، بالوان لاكسجين ، بين نظام حانق ويسار يختنق ، لم يأت ذكر اسمهم ، سواء لخلاف ، او لسوء تفاهم ، او للاستحالة التكتيكية في هذه القائمة التي حولها التاريخ فيما بعد الى لوحة شرف ، فلم نر اسم جان لاكوتور ، ولا كلود بورديه ولا جيل مارتيه ،

---

(١٥) فرانس اوبسرفاتور، ١٧ آب (اغسطس) ١٩٦٠ .
(١٦) مقابلة الحريت مع جيل مارتيه ، آذار (مارس) ١٩٧٩ .

ولا جان جاك سيرفان شرايبر، ولا جاك دانيال ، ولا كلود استيه ما عدا استثناء هام هو جان فرانسوا ريفيل[١٧] .

وفي نهاية آب (اغسطس) حصل ماسكولو ، الذي كان يجمع التواقيع ، على ما يرضيه ، فقد كانت القائمة قد اخذت شكلا جميلا ، وأوقف جيروم ليندون ، الذي يطبع البيان، العدد على (١٢١) لان هذا جميل ولانه سيقلق الدنيا كلها .

بقي تنظيم واحد اختصر عطلته بشكل عنيف : انهم المحامون ، فقد كان من المفروض ان تجري محاكمة مناضلي الشبكة في شهر تشرين الاول (أكتوبر) ، ولكن بهدف معاقبة اليسار المتطرف قبل البدء بمحاكمة لا غايارد ، أعلن ان المحاكمة ستتم في مطلع ايلول (سبتمبر) ، فشكل رولان دوما ، انسجاما مع رغبة جانسون، مجموعة مستقلة ، تهدف الى الحفاظ على خاصية الدفاع الفرنسي ، وكان عليه ان يتجنب الانقسام تجاه جبهة التحرير ، ولم يكن ذلك سهلا دائما ، وكذلك ليستمر وجود جزائريين وفرنسيين في قفص الاتهام نفسه ، وان يسهر على ان يحصل الفرنسيون ، الذين تصرفوا لأسباب تخصهم ، على دفاع منفصل . ولكي تزداد الامور تعقيدا ، فان درجة الاتهامات الموجهة للفرنسيين كانت تختلف من واحد لآخر ، فهيلين كورينا ، وميشلين بوتو ، وفيرا هيرود وجيرار ماير وجان كلود بوبير ، لم يكن لديهم شيء يفقدونه تقريبا ، في محاكمة سياسية ستغلق فيها الملفات وتتم المناقشات في العمق . أما بالنسبة لجاك كان أو ايفون ريبان فالحال مختلف ، ويستحق الامر أن يدرس لتبيان الى أية درجة كان الاتهام مهلهلا . أما جاك تريبوتا ، واندريه توران وبول كروشيه فانهم كانوا يودون استخدام كل ما يملكون من موهبة فنية ، لنفي مشاركتهم والحصول على قرار بالبراءة . كذلك بالنسبة لدينيز بار وأوديت هوتوليه ، فالاولى متهمة بتسليم حقيبة للثانية ، وليس عليهما سوى تهم بسيطة .

لم يتوكل دوما الا من قبل العناصر الاكثر تورطا ، وكان يناسبه بشكل ما ، ان يكون اختيار الآخرين قد وقع على زملاء آخرين ، أما هو فانه سيقود شؤونه ، وسيقودها بقوة ، الا ان ما لا يناسبه هو توكيل فيرا هيرود وجاكلين كاريه ، الأستاذة جيزيل حليمي ، التي كانت تتمتع بشخصية قوية ومؤثرة ، وكانت قد رافعت كثيرا عن الحركة الوطنية الجزائرية (المصالية) وستعطيها هذه المحاكمة فرصة التقرب من جبهة التحرير الوطني، وليس سرا بأنها لا تحب الادوار الثانوية .

اهتمت مجموعة الدفاع عن الجبهة حالا بحداد حادة ورفاقه وتوكلت عنهم ، ولم تكن المجموعة هيئة عادية ، فمنذ سنوات والمحامون المنتمون اليها يبثون الرعب في المحاكم ، وقد اتفقوا على قاعدة ثابتة : عندما لا يكون المتهمون من مناضلي الجبهة معرضين لحكم الاعدام ، فان المحاكمة تكون بدون رهان ، فمهما

---

(١٧) لا بد من الاشارة الى ان جان فرانسوا ريفيل، رغم انه كتب كثيرا في الصحف والمجلات ، فلم يكن صحفيا محترفا في ذلك الوقت.

كانت خطورة الحكم الذي يصدر ، فان المحكوم سيبقى في السجن حتى نهاية الحرب ، وهكذا فان الاسلوب الدفاعي يتلخص بخلق المشاكل والصدامات ، والخلط بين السخرية والتسفيه والوقاحة ، واثارة الصحافة ، وتحويل كل مرافعة دفاع الى مرافعة اتهام ، وخلق مجموعة من الاسباب المؤدية لنقض الحكم بوسائل متطورة ، وفي هذه المجموعة تدور الكرة من واحد لاخر ، ويقول أوصديق وبالنسبة للعبة مرر لي وامرر لك ، كأننا فريق هارلم لكرة السلة في المحاكم[18]) .

كان هؤلاء المحامون يعرفون العدالة تماما ظاهرها وباطنها فهم لم يزوروا السجون فقط بل وناموا فيها ، فقد تعرض أوصديق وبن عبد الله ، اللذين اتهما بالمساس بأمن الدولة الخارجي ، للاعتقال اداريا في معسكري لارزاك وثول . في شباط (فبراير) السابق ، فخشي زافريان وفيرجيس وكوريجي ان يتعرضوا للمصير نفسه فلجأوا الى سويسرا حيث كتبوا تقريرا لهيئة الصليب الاحمر ، حول الاساليب القضائية المتبعة في فرنسا ، وحضروا كتابا لدار النشر (مينوي) بعنوان (الحق والغضب) وبعد أن اطلق سراح هؤلاء وعاد أولئك من المنفى كانوا يعرفون انهم ليسوا الا مؤجلين ، وليسوا في مأمن من التفتيش (زافريان ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠) ولا من الاتهام ولا من الاعتقال .

كان الوجه المؤثر جدا ، هو بدون شك حالة فيرجيس ، انه مدخلة حقيقية ، ويتحدث عن هذه الشخصية جورج أرنو الذي تعرف عليه خلال قضية جميلة بوحيرد ، فيقول (لا بد وأن اعترف ، بأنني لم أعرف أن أرى فيه ، ولوقت طويل ، سوى الوحشية التي يخدمها ذكاء خارق ، وميلاً لذيذاً بأن يضرب العدو عندما يقع على الأرض ، بقوة أكبر مما يكون واقفا على ساقيه ، لديه حماس ملح دائم لاقتلاع أجمل الوجوه ، التي لا يشك بها أحد من تراثنا البطولي التقليدي ، من سماء المجد ، خدمة لقضيته ، وتصميماً على دوس العدو الشيخ ، بالضغط على الجروح التي خلفتها له الحرب ، اسراف واسع في الاهانات يضعها بصفائح كاملة على الاجزاء النبيلة من الامهات ، اللواتي ابيضت شعورهن ، وعلى الارامل اللواتي يقدسهن معسكر العدو: وكل هذا ، ولا بد من قول الحقيقة ، لمصلحة زبونه ، سواء كانت مصلحته كبيرة أم صغيرة .

(. . . وبعد ذلك ، ويوما بعد يوم ، وفي كل لقاء ، كنت اكتشف فيه شيئا جديدا . حتى أتى اليوم الذي عرفت فيه انه كان يعيش الكوابيس ، حيث فهمت انه يكن منذ اليوم الاول الذي تولى فيه الدفاع ، لتلك التي كانوا يريدون قتلها حبا اخويا يزداد يوما بعد يوم ويفقد الامل أكثر فأكثر[19] .

وصدر العفو عن جميلة بوحيرد .

جرحه الاستعمار بعمق بعد طفولة في جزر ريئيون ، ابن وأخ لنائبين شيوعيين ، يبلغ الواحد والثلاثين

---

(١٨) مقابلة اجريت مع المؤلفين ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥ .
(١٩) فيرجيس ، أشير للكتاب سابقا .

من عمره . ذلك هو جاك فيرجيس مرهب المحالكم . سمي في عام ١٩٥٩ للدفاع عن ياسف سعدي، العضو الاول للجنرال ماسو خلال معركة القصبة ، أبعد من الجزائر قبل انتهاء اجازة الاقامة التي حصل عليها بثمان واربعين ساعة[٣٠] ، دخل يوم الخامس عشر من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ في مبارزة مع مفوض الحكومة ، الذي فقد اعصابه، وسمح لنفسه ان يشتم المتهمين الجزائريين. واتهم يوم الثالث من آذار (مارس) بالمس بأمن الدولة الخارجي.

كانت المهام في داخل مجموعة الدفاع الجزائرية دوارة ، وكان بن عبدالله هو المنسق لعام ١٩٦٠ (حيث اغتيل سلفه ولد عويدة في عام ١٩٥٩) ويهتم مراد أو صديق بالقضايا المالية ، وجاك فيرجيس بالعلاقات مع الصحافة . وهكذا ارتبط بمارسيل بيجو ، لقاءات اعلامية في البدء ، فقد كانت مجلة (الازمنة الحديثة) جهاز بث ، مستقبلاً ممتاز ، ثم تلتها لقاءات ودية ، ثم لقاءات نضالية . وتحول الصحفي شيئاً فشيئاً الى متعاون ، وكان ينقل المعلومات التي يحصل عليها باتجاه زملائه (وبصورة خاصة بيير فيانسون بونتيه) وقام بأكثر من ذلك : ايواء حقائب ، أودعها عبدالله في احد الايام ، جزائريا فارا محكوما بالاعدام ، يجب اخفاؤه بأسرع وقت ممكن ، ولكن الهارب ان يجد الملجأ الامين بواسطة سيمون دوبوفوار في بيت إحدى صديقاتها[٣١].

ومع هذا كان بيجو مندهشا ومرتبكا، لقلة اهتمام اصدقائه بمحاكمات شبكة جانسون ، فقد كانت مشاغلهم كثيرة جدا ، بحيث لم يروا فيها سوى قضية عادية من بين القضايا الاخرى ، فأقنعهم بيجو بأنهم مخطئون ، وأكدت عناوين الصحف عندما بدأت المحاكمات ، الحجج التي قدمها ، وكانت هذه المحاكمات أفضل منبر قدم لليسار (اللامحترم) خلال ست سنين من الحرب . وقبل بضعة أيام من بدء المحاكمات ، قلبت مجموعة الدفاع الجزائرية موقفها كليا ، ويقول رولان دوما (هبطوا فجأة في مكتبي ، وها هو فيرجيس يقول بلا مبالاة ، يا عزيزي ، لقد تلقينا الاوامر من الجبهة ، وسنأخذ على عاتقنا الدفاع عن الشبكة ، فأجبت بهدوء ، أن مجموعتي قد حضرت العمل ، وأنه لدي أوامر ايضا) وسافر دوما في المساء ذاته الى سويسرا حيث يقيم جانسون منذ الخامس عشر من تموز (يوليو) وتناقش المحامي (وزبونه) حتى الصباح في غرفة صغيرة في ضواحي جنيف .

وحدد جانسون تعليماته (لا انفصال مع الجبهة ، ولكن يجب المحافظة على زمام المحاكمات) . وفي الوقت نفسه سافر بيجو الى جنيف ايضا موفدا من فيرجيس . وكل يتمسك برأيه ، فقبل جان كلود بوبير ، مراد أو صديق كمحام مساعد ، وصادق دوما على التكتيك الذي وضعه زملاؤه المعترون : ١ ـ اطالة

---

(٣٠) ان هذا الشيء كان مستخدما نسبيا ، فالآنسة زاهريان مثلا ، كانت هي نفسها ضحية للطرد في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٩ .

(٣١) (لوكاستور المتنكر) هو لقب سيمون دوبوفوار ، رواية مارسيل بيجو .

المحاكمة ، التي حدد لها ثمانية أيام ٢ ـ قلب الخاطرين وارهاب المحكمة ٣ ـ الاثبات بالنقض بأن الجزائر ليست فرنسا ، فأخذ (لواء الأساليب النضالية)[٢٣] يشحذون سلاحهم ، وضمت المجموعة الى (لامبها الاستاذ لوكير ، سيد الاجراءات القانونية العبقري ، حزبي منظم بالجدية ، ذو منقار ركب على رقبة طويلة ، قادر على نبش أي اجتهاد مهمل منذ هيرودوت حتى يومنا هذا ، ويضاف اليهم ميشيل بوفيار ، وكلوديين ناووري ومادري كلود زاريفسكي ، ونيكول ربن ، وهكذا تكونت مجموعة تقود الى الجنون اكثر الرؤساء ثقة بأنفسهم .

وفكر جانسون ، في لحظة ما ، تسليم نفسه ، وتقول كريستيان فيليب ، (لقد امضينا وولان دوما واذا يومين لردعه عن ذلك) وكان المحامي يعتبر (بأن العملية توظيف لرأسمال كبير بمردود ضعيف) ، وكان للمناضلين الموقوفين وزنهم ، وانتهت العطلة الصيفية للجميع .

---

(٢٣) التعبير لجان مارك تيولي ، المحرر النضالي في صحيفة لوموند ورد في مؤلفه (هذه القضايا التي تهز فرنسا) غراسيه ١٩٦٦ .

١٨

المحكمة .... حذار !

الساعة الواحدة بعد الظهر ، يوم الاثنين الخامس من أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ ، وها هي القاعة الضيقة والمهترئة في سجن شرش ميدي القديم حيث جرت يوما ما محاكمة النقيب دريفوس أمام محكمة عسكرية أخرى . لقد تحولت هذه القاعة خلال دقائق الى مشهد من مسرحية لا تصدق ، كان الساجين مكدسين في حجرتهم ، فوق بعضهم البعض ، ستة جزائريين وثمانية عشر فرنسياً وكان المستشار كورفليه الذي يصفه رولان دوما (بأنه أبهم من لبس جبة القاضي الحمراء في فرنسا) يرأس هيئة المحكمة (بعد أن تهرب العديد من القضاة من هذه المهمة) ، وكان أمامه في الطرف الآخر من القوس (٢٦) محامياً ، نعم (٢٦) محامياً ملتصقين بعضهم بالبعض الآخر ، وبدأت محاكمة جانسون ، عفوا . . . (حمادة حداد وآخرون) وعقد الجنرال ديغول في اليوم نفسه مؤتمراً صحفياً صرح فيه (طالما بقي الحديث للخنجر فلا يمكن أن نتحدث عن السياسة) .

قال المحامي أو صديق : (إذا أريد أن يكون لكل هذا معنى بالنسبة لموكلي عليان حيمي ، الذي لا يتكلم الفرنسية ، فربما سيكون من الأفضل أن يترجم له ما قيل ، ولكن قبل أن يبدأ السيد المترجم عمله ، أريد أن تطرحوا عليه السؤال التالي: هل يتكلم ، وهل يفهم اللغة العربية الفصحى ، أكرر الفصحى ، لأن عليان لا يتكلم العامية وقبل قليل لا حظت بأن السيد المترجم مرتبك في الترجمة) .

الرئيس : ستقدر المحكمة فيما إذا كان مرتبكاً .

المحامي أو صديق : السيد الرئيس ان المحكمة لا تستطيع أن تقدر ، فالمحكمة ليست مجازة باللغة العربية .

المحامي فيرجيس : هل باستطاعة المترجم أن ينقل الآن ما قرأه الكاتبان منذ ساعتين ؟ وإذا أردتم الحكم على عليان فلا بد أن يتمكن كأي فرنسي بكامل الحقوق ، من أن يفهم ما يطلب منه . . . .

الرئيس : تماماً ، السيد المترجم ، عليك أن تترجم لكل هؤلاء الناس الوقائع المسندة إليهم .

المحامي أو صديق : ولكن أريد أن تسجل المحكمة بأن المترجم لا يمكنه الترجمة باللغة العربية الفصحى .

الرئيس : ولكن ماذا تقصد بالعربية الفصحى ؟

المحامي فيرجيس : لغة عربية غير اللهجة العامية يا سيادة الرئيس .

المحامي أو صديق : أريد أن يسجل بأن السيد المترجم ، قد ترجم قبل قليل الأمثلة التي طرحتها على عليان ، دون أن يتحدث باللغة التي يتحدث بها عليان ، وأنه مع ذلك جاوب .

المترجم (بخجل) : حقاً انني لا أفهم (١) . . . .

فعلقت الجلسة خمس وأربعون دقيقة وعادت المحكمة (بقرار) «بأن كل من يتكلم العربية الفصحى يفهم العربية العامية .

المحامي فيرجيس : انه من البديهي أن هناك تشابهاً بين العربية الفصحى والعامية ، مثل التشابه الموجود بين اللغات اللاتينية ، ولكنني لا أعتقد بأن من يتكلم الفرنسية ، قادر على ترجمة نصوص ألمانية ، بواسطة مترجم روماني .

الرئيس : لقد اتخذت المحكمة قرارها وانتهى الأمر ، واستحلفكم بالله أيها السادة المحامون ألا تتكلموا في الوقت نفسه ، وهناك مزاح وضحك كثير في هذه المناقشات ويبدو لي بأنه ليس من سبب يدعو الى الابتهاج وهنا ليس سوق الهال! .

المحامي ليكير : سيادة الرئيس ، وأن قلتم بأن من يفهم اللغة العربية الفصحى يفهم اللهجة العامية ، أي العربية العراقية والعربية المغربية . . . . الخ أيا كانت ، فهذا لا يعني أن من لا يتكلم إلا اللغة العامية يفهم اللغة العربية الفصحى وبالنتيجة فإنه لا يفهم الردود ، وبالتالي فإنه لا يستطيع ترجمتها كما يجب ، وتلك هي الحال بالنسبة للمترجم الذي اعترف قبل قليل بأنه لا يتكلم إلا اللغة العامية ، وأنه لا يفهم العربية الفصحى . فكيف له إذن أن يترجم الأجوبة وهذا هو ما أريد تسجيله بدوري .

الرئيس موجهاً حديثه للمترجم : (هل بأمكانك أن تترجم بالعامية أو القبائلية ؟ لقد كلفتك بأن تترجم الوثيقة الموجودة تحت عينيك الى العامية أو القبائلية ؟
المترجم يظهر عليه الأضطراب والتساؤل . . . . ؟

---

(١) عام ١٩٦١ ، نشر مارسيل بيجو بطريق دار نشر (ماسبيرو) مختارات من (أحسن اللحظات) من المحاكمة . وقد استطعنا فضلاً عن ذلك استخدام الاختزال الكامل للمناقشة بفضل الجميل الذي قدمه لنا السيد دوماس

المحامي أو صديق : سيادة الرئيس هل تخطر للمحكمة الفكرة ، بأن تستخدم مجازاً بلغة ، أو غيرها ، ليترجم الى الفرنسية ؟ .

وساد الضحك القاعة ، كما سادها الهيجان . فنصفها من المثقفين الملتزمين والفنانين أصدقاء المتهمين ، والنصف الآخر من المتحمسين للجزائر الفرنسية . أما جميعي فكان وجهه يوحي بالبراءة والهدوء ، اجاب على أسئلة ريسقوتيه خلال الاستجواب باللغة العربية . . . أما المترجم فكان يحرك يديه معلناً عدم قدرته ، وربما كان يستطيع بكثير من الجهود حل طلاسم لغة القرآن النقية المقدمة ، إلا أن (أخوة) ملحّين أقنعوه بعدم القيام بذلك[2] أما المحكمة التي فقدت زمام الأمور ، فقد رفضت دفعة واحدة ، كل احتجاجات المحامين ، وكانت النهاية (المؤقتة) فخمة .

الرئيس : السيد المترجم ، ترجم هذا الحكم .

المترجم : انني لا أتكلم العربية الفصحى .

الرئيس : ترجمه بالعربية العامية ، التي تتكلمها ، فقد قررت المحكمة ، بأن من يتحدث العربية الفصحى ، يجب بالضرورة أن يفهم العربية العامية ، وبالتالي فيكفي أن تترجم بالعامية .

واخذ المترجم يترجم

الرئيس : هل من أسئلة ؟ ألم يحتجوا ؟

المترجم : قال (بأنه لم يفهم شيئاً) . الرئيس: من؟

المترجم : عليان .

وها هي المحكمة التي كان من المفروض أن تنتهي خلال أسبوع ، تستمر حتى . . . الأول من تشرين الأول (أوكتوبر) ، كانت لهجة هذه الجلسة الأولى ، لهجة السخرية والمرح ، وسيستمر طيلة أسبوع ، أي الوقت الكافي لكي يستطيع المحامون ، تشويه سلطة الدولة ، وتفسيخها (كما تتفسخ الجثة) ، سواء بالوقاحة أو بالاجراءات القضائية ، ولم يكن اليمين معقلاً ، واعترف بهزيمته بقلم فرانسوا برينيو الذي قال (علمت أمس بأن محكمة عسكرية ، يمكن أن تمرغ بالتراب ، وأن تفقد هيبتها ، ويمكن ان يظهر عليها بأنه غزاها الأهمال ، وبأن هيأتها مهملة . كنت أعتقد حتى اليوم بأن قضية تعاون مع قتلة ومساس بأمن الدولة الخارجي ، هي قضية جدية . إلا انني علمت أمس[3] بأن تقديم مساعدة للارهابيين تهب الانسان عيناً لامعة ، بسمة مزهرة ، ومشية فخورة . ان كل هؤلاء الفتيان والفتيات الذين كانوا أمس في قفص الاتهام

---

(٢) شهادة حداد حماده .
(٣) هذا تقرير المقابلة التي نشرت في باريس المؤرخة في ٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .

فخورين ، كأنهم رفاق عثل مسرحية لاقت نجاحاً فضائحياً . كانوا يضحكون ، ويقصون لبعضهم القصص المضحكة ، ومنظرهم يترك المرء يتلوى ضحكاً . كانوا يحيون الحاضرين والحاضرون يردون التحية . كانوا يحيون بأيديهم ويرسلون القبلات) . أما عنوان المقال فكان بأحرف كبيرة (في قفص الأتهام رئيس جبهة التحرير ينفجر ضاحكاً) .

لم يكن ذلك إلا بداية ، ففي يوم السادس من أيلول (سبتمبر) ، يخالف القاضي حكمه الذي أصدره أمس ، وذلك عندما أدخل الى المحكمة مترجمين . وبعد ان وافق على هذا التنازل ، وبما أن عليان أصبح بفهم قانونياً ما يجري ، ها هو يعلن على الأشهاد : أن السيرك قد أنتهى ، وأن الضحك الصاخب مرفوض (في هذه الظروف التي يجري فيه الدم على الشواطيء الجزائرية) (٤)

المتهور ! . . . أعلن المحامي رولان دوما ، الذي كان يبدو عليه التجهم والألم بأنه مضطر لتقديم طلب غير عادي : طلب من المحكمة أن تحي ذبيحها . إنه من المؤكد ، وللأسف أن الدم الفرنسي يسكب ولكن ما القول عن الدم الجزائري ؟ وهكذا طلب أحد عشر محامياً باسم موكليهم الأحد عشر تحية السيد كورفليه (لانحيازه وأعرابه عن آراء خطرة في القضية التي يحكم فيها) .

وقال المحامي فيرجيس (انكم على حق بأن تذكروا بأن هذه المحاكمة تجري في جو مأساوي ، وأن وراء كل من هؤلاء المتهمين مأساة تستعر في الجزائر ولكن بخصوص التذكير بهذه الأساة كان من المفروض أن تذكروها بكاملها) .

وبالرغم من المحاولات التي بذلها ممثل الدولة ، ورفضه قبول هذه الأستنتاجات ، فقد ظهرت خلال اليومين بديهيتان هما :

ان الجزائر ليست أرضاً فرنسية ، ولذا فإن المحاكم الفرنسية غير مؤهلة لمعالجة القضايا الجزائرية .

وفي عصر ذلك اليوم ، كان الجمهور (المثقف) يقلب صفحات صحيفة اللوموند ، التي ذكرت في زاوية صغيرة في صفحتها الأخيرة أن مائة وعشرين كاتبا وفناناً وجامعياً ، قد وقعوا على بيان حول (حق التمرد العسكري في حرب الجزائر) إلا أنها لم تنشر شيئاً من نص البيان ، اللهم إلا الجملة الأخيرة والتي تؤكد (رفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري) فهل كان ذلك خطأ ؟ أم كبوة ؟ أم الأثنين معاً ؟ . . .
ومهما يكن من أمر فإن الوضع الراهن الأعلامي ، كان يتطلب مقاطع أوسع : ففي ذلك اليوم السادس من أيلول (سبتمبر) حكم بالسجن لمدة عام على المجند الفار جان كرسبي الذي أعتقل في سيارة ديغو ماسون على الحدود السويسرية .

---

(٤) يشير السيد كورفليه الى اغتيال (١٢) صالحا بين مدينة الجزائر ومدينة شرشل في ٣١ تموز (يوليو) والتي كانت رداً على اعدام ٩ مناضلين من جبهة التحرير.

أما الشرطة والعدالة فكانت تسير من زلة الى اخرى ،ولا ترهق نفسها بهذه الاحتياطات ،وأصدرت محكمة السين يوم السابع من أيلول (سبتمبر) مذكرة تحقيق ضد مجهول بتهمة (التحريض على العصيان وعلى الفرار من الخدمة العسكرية) وقام مفتشو الأمن زوجاً زوجاً ، بزيارة الموقعين على البيان بهدف التعرف على قائد هذه الحملة . أما بالنسبة لمحكمة شرش ميدي ، فقد اصبح بالامكان ، في ذلك اليوم تسمية الشهود ، ولكن هل انتهت المبارزات الكلامية والمرافعات ؟ لا بد وأن القاضي كان مبتهجاً عندما ظن ذلك . إلا أنها لم تنته بعد . فما زال الوقت مبكراً ، فالدفاع لم يسمح بمثل هذا التعداد إلا ليحتج بلسان رولان دوما ضد (الضغط البوليسي) الذي وقع ضحيته بعض هؤلاء الشهود ،وبما أن المحكمة كانت مستعدة لعمل أي شيء لتحقيق تقدم ، فقد قبلت هذا الاحتجاج . إذن سارت الأمور الى الأمام . دقيقة من فضلكم : ها هو المحامي زافريان يعود الى حكم الأمس ، ويؤكد بأن المحكمة مؤهلة لتنحية رئيسها ، ويتمسك بطلب التنحية ، وها هي الأوضاع تعود من جديد ،والسيد كورفليه يصرخ (هناك شخص واحد يقود المناقشات هنا ، هو أنا) وها هو مجبر على الابتعاد عن قانون المحاكمات الى أسلوب([illegible]) .

لقد كان جاك فيرجيس بحاجة للملك ، وقال يوم الثامن من أيلول (سبتمبر) في نهاية هذه الأيام الثلاثة من المرافعات ثبت بأن الدفاع سيد الموقف ، وأن باستطاعته أن يرتب المحاكمة كما يشاء ، وأن يمدها الى سنة . . . إن ما طلب منكم منذ الأمس ، منذ ثلاث سنوات ، ومنذ ست سنوات ، والحرب مستمرة في الجزائر هو ما يلي: الحكم (سواء كنتم ترتدون اللباس العسكري أو الجبة الحمراء) على جزائريين، رجال لغتهم ليست اللغة الفرنسية، رجال دينهم الاسلام، يتطلعون بعزم الى أخوة هي الأخوة بين شعوب باندونغ[5]، الأخوة بين الشعوب الأفريقية، التي استقلت الواحد بعد الآخر. ان ما طلب إليكم هو أن تدينوا وتحاكموا هؤلاء الرجال وكأنهم سارقون أو قطاع طرق أو مجرمون. وزاد رولان دوما ووصف الرئيس بأنه (مُقال مؤجل) وطالب بكل بساطة ردّ القضية لماذا؟ . . لأن التحقيق جرى بسرعة، ولأن (بعض الشهود منتبه بهم سلفاً)، ولأن التاريخ المحدد للمحاكمة متعلق بالتاريخ المحدد لقضية لاغيارد ولأنه (لا بد من إعطاء بعض الرؤوس للمتطرفين) ، وينهي قائلاً (ربما يستحيل النظر في هذه القضية والمسؤولية في ذلك تقع على عاتقكم بسبب ، عدم التحضير لها، وعجز سلطتكم وانحيازكم).

وأصبحت جدران المحكمة منذ ذلك اليوم راشحة ، وكان القفص المشبع ينضح ويزيد عدد من فيه بمائة وعشرين متهماً إضافياً ، [6] وكان الأتصال بين الداخل والخارج يتم بالارتشاح ، وسجلت باري بريس في صفحتها الأولى عصر ذلك اليوم (جان بول سارتر وسيمون سيتيوريه ومائة آخرون يعرضون أنفسهم للسجن لمدة خمسة أعوام) وفي اليوم نفسه تأخر أندريه توران المتهم الذي أطلق سراحه مؤقتاً ، عن حضور

---

(٥) اشارة الى مؤتمر باندونغ من ١٨ ـ ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٥٥ ، الذي شارك فيه مثلون عن (٢٩) بلداً من بلدان العالم الثالث غير المنحازة.

(٦) اشارة الى جمع القضيتين قضية الـ ١٢١ وقضية فرانسيس جانسون.

الجلسة ، فقد كان يمثل دوره في العرض الأول لمسرحية (الدناشا الصغيرة) فهنا الناقد الثاقب البصر بيرتراند بوارو دليش (في المسرح كنت رائعاً وفي المحكمة أيضاً)[٧] والحقيقة تقال، بأن المجموعة كانت تبدع في المحكمة في عصر ذلك اليوم . وها هو الأستاذ ليكيير ينبش مادة من قانون القضاء العسكري تقول (عندما تكون المخالفة المطروحة تهم السلاح البري والسلاح الجوي معا، فإن القاضي العسكري الأعلى رتبة يسمى من بين السلاح البري)، إلا أن محكمة شيرش ميدي ليست مؤلفة على هذا الشكل: فهناك إذن مبرر لرد الدعوى . وهنا يضع الأستاذ زافريان يده على صدره ويعلن : (إن هذا الاشكال الاجرائي يغطي قضية خطرة جداً) ويعيد رسم تاريخ التقنية العسكرية منذ البحرية الشراعية حتى عصر الطيران مرورا بالحرس الاستعماري، وقال حانقاً (أيها السادة، لم لا يكون لطيار الحق في قول كلمته في محكمة عسكرية، بينما له كل الحق بالقاء القنابل على قرية جزائرية، أو يرش السكان المتوجهين الى اعمالهم بالرصاص ؟ لماذا؟ لتني لا أجد ما يبرر هذه التفرقة) . ثم تحدث الأستاذ أو صديق كيف أمضى خدمته العسكرية في مشاة البحرية، وشرحت نيكول رين مفهوم الأمن الخارجي للدولة . وبعد مضي أكثر من منتصف الليل ردت المحكمة كل ذلك . كما يبعد كابوس، وانسحبت منهارة من عنف الضربات، لتخلد الى النوم ان استطاعت .

كان مجموع الحساب ثقيلاً طبعاً . وبين مفوض الدولة ، الرائد لوكيم ظهيرة يوم التاسع من أيلول (سبتمبر) بأنه قد استرد قواه . وانه ضاق ذرعاً (بهذا السيل من التحقير والتهديدات الذي ينهمر ضد المحكمة) فطالب باتخاذ العقوبات ومنع الأستاذين فيرجيس ودوما من المرافعة مؤقتاً . إلا أن المحاميين المجرمين كانا غائبين عن الجلسة ولا أثر لهما . وصدر القرار غيابياً بتعليق دوما عن المرافعة أربعة أشهر ، وفيرجيس ستة أشهر . ولكن إذ أن هناك دائماً ولكن . : قرار التعليق الذي اتخذ غيابيا لا يجوز تطبيقه . وهكذا عندما عادت المحكمة للاجتماع الساعة الرابعة عصر ذلك اليوم ، دخل الاثنان قاعة المحكمة بانتصار وبنظرات ماكرة . أما الواقع فهو أن المحاميين شعرا بريح القذيفة يقترب ، فلجأا طيلة الوقت اللازم ، الى مقهى قريب في شارع رين ، . وأعلمتهم مكالمة هاتفية من الأستاذ او صديق ، بأن الطريق أصبح حراً من جديد . وعندما ظهرا في باب القاعة صرخ الرئيس غاضباً موجهاً حديثه لفيرجيس (ولكن أين كنت يا أستاذ) وعندها أجاب المحامي الذي يرجع أصله الى جزر الرويتيون بالرد الأكثر وقاحة ، والمضحك والأرذل هو توضيح يكاد يعجز عنه الكاتب اللاذع بير داك، ذلك الرد الذي مازال رولاند دوما ، نادماً لأنه لم يجده قبله (سيادة الرئيس كنت عند المتلك)[٨]

لقد تعودت المحكمة مرغمة على قذائف الوحل ، وحتى مساء اليوم التالي والمحامي ليكيير ، لا يتعصب ولا يتزعزع وهو يكيل لها حاما ، الوحل : تلك هي الكلمة التي لا يمكن ان يكون لكلمة أخرى ، ان تصف المناقشات التي ما زالت تطول ، وتلتف حول نفسها بأفضل منها . وهذه البلادة المائعة والضجر

---

(٧) رواها المدريه توران للمؤلفين.
(٨) رواية رولاند دوما.

الذي لا مثيل له . ويسر الاستاذ ليكير بأن مهمته كانت (الازعاج) . أي أن يحاصر الخصم دون خشونة ، ولكن بدقة نادرة وباهتمام مهووس بنصوص القانون . ومضت الساعة تلو الساعة والقضاة يهزون رؤوسهم برفق ، يرتاحون من القضايا السابقة ليستيقظوا ويجدوا أنفسهم مكبلين . أما الاستاذ ليكير ، الذي كان طلابه في القاعة ، يتابعون مذهولين مبتهجين منجزات مدرسهم ، فكان يلاحق الحالات اللاغية ، ويعترض على ضبط ما . . في التحقيق ، ويحتج على ذلك التفتيش ، ويشير المادة (١٠) من القانون رقم (٨) لعام ١٨٩٧ ، هذه المادة التي أدخل عليها خلال (٦٣) عاما تسعة عشر تعديلا ، ان لم يكن (٢٣) . كل منها يلقي غموضا أكثر من الآخرين . وفي هذا الاسلوب من الدفاع نصل الى المرحلة المتطورة العليا من (الترويض) ولم تعد الاستجوابات مفيدة ، وحل محلها الذهول والدهشة .

أما خارج جدران المحكمة ، فقد ازدادت المهاترات . فاليسار ما زال مستمرا في عدم الموافقة ، الا أنه لا يعرب عن عدم موافقته ايضا . او على الأقل عندما يفعل ذلك ، فانه يفعله بكثير من الاحترام . فقد قالت لومانيته (ان للسلام لدى الشيوعيين مفهوماً مختلفاً ، الا انهم يقفون الى جانب اطلاق سراح الموقوفين من رجال ونساء ، الذين يمثلون أمام المحاكم ، او المتهمين لأنهم شاركوا ، بأساليبهم الخاصة ، في النضال من أجل السلام ، أو شرفهم ، او الاقرار بعدم وجود مبرر للدعوى ضدهم)[9] . أما الحزب الاشتراكي الموحد فقد أشار (بشجاعة المتهمين وتفانيهم) للمنتمين الى شبكة جانسون ، بالرغم من أنهم (يطرحون مشكلة بين اليسار الفرنسي والوطنية الجزائرية ، بأسلوب مغاير لاسلوبه)[10] . واكتشفت السلطات العامة متأخرة ، ارتداد استمرار الملاحقات القضائية ضدها ، وللمصادفة : فقد ردت في مرسيليا محاكمة أيت روحيه ومحمد دفمي (لعيب في الشكل في تصريحات المتهمين) .

في يوم ١١ ايلول (سبتمبر) ، كانت قد مضت ثمانية ايام دون أن يتمكن القاضي كورفيليه ، من استجواب المتهمين ، فلم يرفع الحصار بعد ، ذلك ان مجموعة محامي الدفاع عن الجزائريين ، لم تكن تناضل ضد ممثل الدولة فقط ، بل كان المحامون يريدون ايضا ان يثبتوا بشكل قاطع بأنهم اللذين يقودون الدبكة ، ولكي يستطيع دوما من لعب دوره كاملا داخل الحلبة ، فقد لجأ الصديق فيرجيس ، عشية قرار تعليق مهمته غيابيا ، الى تحدي رفيقه تحديا قويا ، ليرى الى أي درجة يغامر محام (بور جواري) . فلم يتردد دوما ولم يلن ، الا ان زملاءه أخذوا يفقدون الصبر ، ومن بين زملائه زميلة تكره الانتظار مرغمة ، فطلبت جيزيل حليمي الكلام للادلاء بتصريح خاص فقالت : (بعد ثمانية ايام من النقاش ، لم يعد المثقفون والعمال والديموقراطيون في هذا البلد ، يفهمون ما يقال في هذه المحكمة . فقد كان البعض يتوقعون تأييد الافكار التي لم يعبروا عنها بعد ، وآخرون ومن بينهم خصوم يأملون شرحا عميقا وكريما . . . وربما انني اخشى الا

---

(٩) الاومانيته ، ٩ ايلول (سبتمبر ١٩٦٠) .
(١٠) بيان ١٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .

يتمكن موكلي ، في هذه الظروف القائمة أن يشرحوا بفعالية ، الأسباب العميقة لعملهم ، فانني قررت الانسحاب من المحكمة) .

يا للأسف : لقد انسحبت جيزيل حليمي ، بالضبط عندما بدأت الحلويات تظهر معالمها ، والتعبير لمالك فيرجيس ، فغابت عن الوليمة كلها ووكلت جاكلين كاربه الاستاذ دوما ، كما وكلت فيراهيرود التي أسفت لموقف موكلها ابن عبد الله ، الذي يتهم زميله (التي تتألم من قلة الدعاية) وانتهى هذا الحادث العارض .

وأنكر المتهم حداد حمادة كل أهلية للمحكمة ، الا انه وبصورة استثنائية وفي الدقيقة التي يختارها الدفاع ، كان يلفظ بعض الكلمات ، بررت لحملة الحقائب سنين من الالتزام الصامت . ولم ينس أحد يوم الاثنين الثاني عشر من أيلول (سبتمبر) وتقول هيلين كوينا (أن يكون المرء فرنسيا في عام ١٩٦٠ ، وأن يعترف به الجزائريون كأخ في النضال كان امتيازاً كبيراً) .

حداد حمادة : (نحن الجزائريين سندخل قريبا العام السابع من الحرب ، لقد عانينا وما زلنا نعاني من السيطرة الأجنبية ، ان جبهة التحرير الوطني التي يشرفني الانتماء اليها هي حركة تحرر ، انها تجمّع واسع يضم الشعب الجزائري بأكمله ، ويشهد على ذلك وجود يهود جزائريين في صفوفها ، دون تمييز في العرق او الدين او الرأي الفلسفي . انا لسنا عرقيين ، ولسنا متعصبين ولا مترمتين ، وان كنا بالفعل أعداء المستعمر الغازي ، فلنا لا نكن أية كراهية للشعب الفرنسي ، وانني احيي أخويا كل هؤلاء الفرنسيين ، الذين دفعهم حبهم للحرية الى درجة تقديم المعونة لنا ، انا لن ننسى ابدا انهم قبلوا المعاناة والالام من أجل حريتنا وعندما تستقل الجزائر ، فان الذكرى التي سنحملها من فرنسا ، لن تكون ذكرى من عذبونا ، انا مقتنعون بأن تضحيات الفرنسيين الملاحقين او المعتقلين ، أو الذين اضطروا للجوء الى المنفى بسبب دعمهم للثورة الجزائرية ، وكذلك شجاعة المجندين الرافضين للحرب المحجلة القاتلة ، ستكون خير ضمان للصداقة التي حافظ عليها هؤلاء الطلائعيون ، بالرغم من كل الظروف بين الشعبين الجزائري والفرنسي .

اما بالنسبة للاتهام الموجه اليّ شخصيا ، أي المساس بأمن الدولة الخارجي ، فانني كجزائري واع تماما بأنني لم ارتكب مثل هذا الجرم ، لسبب بسيط جدا ، وهو أن الجزائر لم تكن يوما وليست فرنسية . وليغفر ذلك أولئك الذين ما زالوا يغنون خرافة الجزائر الفرنسية ببراهين تشكل تحدّياً سافراً للمنطق ، البسيط ، ان الجزائر أمة ، ولها كل المقومات لذلك ، ونتيجة حرب جرت في القرن التاسع عشر ، لا يمكن أن تؤدي الى العكس ، وليس علينا ان نفقد هويتنا كأمة ، أو حقنا باسترجاع استقلالنا ، لأنه لو كان الامر كذلك لما كان للعديد من الأمم أن تكون حرة اليوم ، ولما كان لها الحق بذلك ، ومن بين هذه الامم ، الأمة الفرنسية نفسها . وأودّ لو عرفت ما هو رد مقاوم فرنسي على اتهام بالمساس بأمن الدولة الالمانية تدينه به محكمة هتلرية .

وكمواطن جزائري ، فانني لا اعترف الا بسلطة واحدة تستطيع محاسبتي هي حكومة بلدي ، ولذلك فانني سارفض الجواب على أية أسئلة) .

وجلس حداد ، وخيّم الصمت ، لأول مرة على القاعة ، وتحدث المتهمون الجزائريون الآخرون بالأسلوب نفسه الذي استخدمه حداد .

وعند انتهاء جلسة المحكمة قام شاب من اليمين المتطرف بالشتم والاعتداء على الصحفيين ، وشتموا فتاة جزائرية حاملاً وقال لها أحدهم (يجب بقر بطنك أيتها الساقطة) ، وكانت مظاهرة قد قامت يوم التاسع من أيلول (سبتمبر) على هذا المنوال ، وكان المتظاهرون يهتفون (الموت للفلاقة) مما احدث اضطرابا كبيرا في المحكمة ، وقد فتحت الطريق لهذا الاسلوب ، مظاهرات أقل عنفا ، حيث قام أربعة عشر مستشارا بلدياً من حزب الاتحاد من أجل الجمهورية الجديدة ، يحملون الاعلام الفرنسية وتحميهم قوات الأمن ، يقودهم السادة دوفريبه وفريبوناري وبادو ووضعوا أقواسا من الزهور عند جدران المحكمة كتب عليها (تخليدا لذكرى رجال الأمن ، ضحايا ارهاب جبهة التحرير الجزائرية في باريس) .

وقد سمحت المعتقلات (اللواتي حصلن بعد التهديد بالاضراب عن الطعام على أن تترك الأبواب بين الحجرات داخل سيارة السجن مفتوحة عند نقلهن عبر جدران الحديد التي تحيط بهن وتحجزهن عن العالم) ، فورة الكراهية هذه ، وغدا سيكون دورهن للدخول في الحلبة .

تتحمل فيرا هيرود مسؤولية خاصة ، فهي أول مناضلة تشرع علنا في عمل الشبكة وها هي تقول (انني بتقديم العون للشعب الجزائري في كفاحه من أجل استقلاله ، لم أقم بشيء آخر سوى الدفاع عن المبادىء التي تعلمتها على مقاعد المدرسة ، على أنها قيم فرنسية ، ومثلي مثل الآخرين ، حاولت في البدء ان أساعد الجزائريين بالوسائل القانونية ، الا أن هذه بدت بدون جدوى وبدون فعالية . ان القوانين تدعم نظاما ، وعندما يتغير النظام تتغير القوانين ايضا . ان النظام الحالي يديم الحرب في الجزائر ، وكان لا بد لي ان أردت مكافحة هذه الحرب من مخالفة هذه القوانين) وأكملت هيلين كوربنا على الوتيرة نفسها ، وكما فعل حداد حادة عندما حرر تصريحه بخط يده ، وعرضه على رفاقه الموقوفين مثل دفني وطربوش ، سجلت ملاحظاتها على أوراق حاول رئيس المحكمة مصادرتها فقالت (يقال بأننا بتصرفنا هذا نغذي الحرب ، وأننا نطعن الشباب الفرنسيين الذين يقاتلون في الجزائر في ظهورهم ، انه لمبرر اخلاقي فكرنا به طويلا ، الا انه لم يبد لي مقنعا . فان انحزت للحرب والقضاء على الشعب الجزائري ، فانني اكون قد خنت قضية العدالة والانسانية ، وان انحزت الى الثورة ، فانني احمون سياسة رائلة ، وان تخلفت فانني سأكون شريكة للمعسكرين معا) .

اما مع جيرار مايير ، فقد انزلت مشكلة الفرار من الجندية افكارا من السماء ، وحاصر الدفاع تماما الرئيس كوفيليه ، وجره الى اتخاذ موقف دفاعي . الاستاذ فيرجيس : (سؤالي بسيط جدا ، قلتم ان مايير فار

من الجندية . وقد عرفت خلال الحرب في القوات الفرنسية الحرة فارين وكانوا محكومين لانهم فروا من جيش فيشي ، ولانهم يحاربون من أجل حرية فرنسا ، وأريد ان يطرح على مايير السؤال ، لمعرفة فيما اذا كان هو ايضا محكوم لانه فر من جيش لا يوافق على اهدافه) .

الرئيس : المحكمة ترفض طرح السؤال .

الاستاذ أوصديق : قبل قليل قال لنا مايير انه قد تكون فكرة لديه عن التعذيب في الجزائر ، عندما اخذ علما بتصريحات موثوقة ادلت بها شخصيات سياسية فرنسية ، فهل يدخل بين هذه الشخصيات السياسية الفرنسية السيد اندريه مالرو الذي ادلى بتصريحات بهذا المعنى ؟

الرئيس: انني أرفض طرح هذا السؤال.

الاستاذ أوصديق: اطلب تثبيت هذا الرفض.

الرئيس : اثبت لك ذلك ، لا تكثروا الاستغلال في طرح الاسئلة ، والا فانني سأكون مضطرا لوقف النقاش مرة ثانية .

الاستاذ فيرجيس : هذا من حقكم سيادة الرئيس .

الاستاذ اوصديق : هل يعرف السيد مايير ان السيد دوبريه لم تطأ قدمه ارض الجزائر ، ما عدا ثلاث زيارات سريعة ؟(١١)

الرئيس : انني ارفض طرح السؤال .

الاستاذ فيرجيس : هل علم السيد مايير بأعمال التعذيب ، ليس فقط من تصريحات السيد مالرو وزير الجمهورية الخامسة ، بل ومن تصريحات السيد ميشليه وزير العدل ايضا ؟

الرئيس : انني أرفض طرح السؤال .

الاستاذة نيكول ريين : هل يعرف السيد مايير ان المحاكم لا تحب سماع الحديث عن التعذيب ؟

الرئيس : إنني أرفض طرح السؤال .

الاستاذ فيرجيس : هلا فكر السيد مايير عندما فر من الجندية بمثل لامع جرى في حزيران (يونيو) ١٩٤٠ ، عندما رفض جنرال فرنسي خدمة العدو ؟

الرئيس : لن أطرح هذا السؤال .

---

(١١) هذا لأن قتل الحكومة كان ممكنا ان يطلب من المتهمين اذا كانوا يقيمون في الجزائر.

أما جان كلود بوبير ، فقد سار الى الهدف ، وشرح سبب وجوده في قفص الاتهام فقال (في ثرتورتو وفي عفر الدرك كان جنود يرتدون الزي العسكري الفرنسي ، يجبرون جزائريين تحت التهديد بالتعذيب ، ان يحملوا علاقة جنسية مع الكلاب) . فصرخت الصحافة الكبرى في اليوم التالي : افتراءات . الا انها لم تجرؤ على التحدث عن نوع هذه الافتراءات . انه رجل مزعج هذا (البوبير) حتى بالنسبة لحزبه ، الحزب الاشتراكي الموحد . لقد قال (قُبل طلب انضمامي الى الحزب من قبل فرعي بـ ٧٢ صوتا ضد ٣٩) وأضاف الى ذلك (ان لرفاقي الفرنسيين الذين قاتلوا في الجزائر ، والذين ما زالوا يقاتلون ، ولرفاقي الجزائريين ، علي ديناً كبيراً ، دين للجزائريين لانني حملت السلاح ضدهم . أما بالنسبة لرفاقي الفرنسيين الذين قتلوا في هذه الحرب ، فانني البس الحداد مرتين ، لانهم فتية في العشرين من عمرهم ولانهم ماتوا مخدوعين)

الواقع ، ان هذا (الاستجواب) لم يكن استجوابا . فما عدا المتهمين الذين يهدفون الى الحصول على البراءة ، كان الآخرون يدافعون على انهم مجرمون ، وكان القاضي كورفيليه عشي حواجبهم أكثر مما يأمله . ويبدو واضحا بأن الامر سيستمر على هذا المنوال عدة ايام . ولكن في هذه المحكمة ، لا يمكن أن يشعر المرء بالملل ، والا فانه يتظاهر به قاصدا . في يوم الاربعاء ١٤ تموز (يوليو) الساعة الواحدة والثلث بعد الظهر ، كانت المعركة في اشدها . فانزلق الاستاذ اوصديق نحو التصعيد الصاخب ، وكشف بأن قاضيا اصيلاً وآخر احتياطياً ، ينتظر منهما ان يكشفا عن نفسيهما ، شوهدا ليلة امس يدقان الاقداح مع بيير سيدو ، احد قادة الزمرة القاتلة (الامة الفتية) ، ولنذكر بأن اسم الاخوين سيدو ، ارتبط بالعديد من الاعمال الشنيعة . فمعاشرة القاضي هؤلاء ، بينما يمارس مهامه القضائية ، يعتبر اهانة لهذه المهمة نفسها . وتجاوز فيرجيس ذاته :

الاستاذ فيرجيس : (لا بد وانكم قرأتم ، مثلما قرأت ، في بعض الصحف[12] ، بأنه عند انتهاء الجلسة اول امس ، ان مشاهدين ومشاهدات ، ومنهم فتاة جزائرية حامل ، شتموا بقذارة وهددوا ، وان الصحفيين انفسهم قد تعرضوا للهجوم ، ولم يبق الدفاع دون علم ، اذ ان الدفاع يرى كل شيء وان لم يقله حالا ، بأن بعضا من قضاتكم ، يا سيادة الرئيس ، اعتبروا بأن كونهم قضاة ، لا يمنعهم من الذهاب الى المقاهي المحيطة بهذه المحكمة للقاء بأحد الاخوة سيدو ، ذلك الذي ، لم تصدر بحقه مذكرة اعتقال (باعتبار الآخر ملاحقاً) وان يشرب المرء معهم ، يعني نوعا ما كما يقول القانون ، اخذ رشوة من احد الاخوة سيدو . . . اننا نعتقد ، ان على القضاة ان يظهروا بعض الحياء ، على الأقل خلال هذه المحاكمة ، ويجنّبونا المشهد المخجل ، بأن نرى حكاما عسكريين برفقة شخص ينتمي الى منظمة ممنوعة بتهمة التحريض على القتل) .

وكانت العثرة . . . رد مفوض الدولة من تحت وابل الصيحات (ان طلب الاعفاء المقدم من الدفاع ، لا يدخل في اطار الحالات المحددة في الاجراءات القانونية) . وتوالى المحامون واحد تلو الآخر على الرد ،

---

(١٢) وخاصة في ليبراسيون .

ولكن دون جدوى ، وتبنت المحكمة رأي الرائد لوكيم ، فنهض المحامون دفعة واحدة وخرجوا من القاعة ، وعمد رئيس المحكمة بناء على اقتراح نقيب المحامين بتكليفهم جميعا بالدفاع .

وتخلت الصحافة الأقل التزاما ، في اليوم التالي ، عن هؤلاء القضاة ، الذين لا امل في انتشالهم . وكتبت الفيغارو (بالاجماع تأسف لتصرف هذين الضابطين اللذين كان عليهما ان يمتنعا عن اتخاذ اي موقف يعبر عن تعاطف شخصي او ايديولوجي) . وقالت لورور (ها هو العمل ، عمل سيء جدا ، وانني مجبر على القول ، ولي الحق بأن اقول ، بأن الحق مع الدفاع وان المحكمة اخطأت) وكل ذلك لا يهم . . فعند عودة المحكمة الى الاجتماع يوم الخامس عشر من ايلول (سبتمبر) ، اعلنت ، ولم تكن قد أصبحت اقل سيادة ، ولا اقل تصميما من الامس ، ودون ان تبدي أي تأثر بأن الملازم شوبيه والنقيب اسيف تغيبا عن الجلسة . . . .

وبهذا الاندفاع جرت الدفعة الأخيرة من الاستجواب بصعوبات كبيرة ، فاستغلت ميشلين بوتو هذا الوضع ، لتعطي جسدا للفرضيات التافهة ، لصحافة لا تتغذى الا من ذلك ، فقالت : (ليس لدي اي سبب شخصي ، ولم يكن لدي أي سبب عاطفي للالتزام بالنضال ، أريد أن أقول في إطار شعوري بأن لدي مركزي المضمون ، ومكاناً مريحاً ومسؤوليات في المجتمع ، وشعرت أكثر بأن من واجبي الالتزام معنويا وسياسيا) .

وأدلت دونيز بلرا بشهادتها كمسيحية فقالت (كمسيحية ، أعرف عقيدة الكنيسة حول الحرب العادلة والحرب الظالمة ، ويبدو لي بأن حرب الجزائر نموذج للحرب الظالمة) .

وصادرت السلطات يوم الخامس عشر من أيلول (سبتمبر) مجلتي الإكسبرس ، وفرانس اوبسرفاتور ، الأولى لأنها نشرت رسالة لجندي (غير فار) إلا أنه جرح ، والأخرى لأنها نشرت شهادات لمجندين احتياطيين يتساءلون فيما إذا كان بإمكانهم ، أن يتحركوا في إطار الجيش أم لا . فعلقت التايمز اللندنية قائلة (ان العادات السيئة تصبح مع تقدم العمر غير محترمة ، وأنه من الصعب إيجاد أي منطق خلف كل هذه المصادرات) .

وانتهى المشهد الثاني من محاكمة جانسون بهذا الحوار الذكي :

الأستاذ دوما . سيادة الرئيس ، هل تنوون عقد جلسة يوم الأحد كما حدث يوم الأحد الماضي ، وهذا على ما أعتقد لن يرضي أحدا ؟

الرئيس : لا أستطيع أن أقول شيئا الآن .

الأستاذ دوما : إن علينا كلنا التزامات .

الرئيس : إنني أتفهم ذلك ، وسأعمل كل ما بوسعي لكي تستطيعوا الاستجابة لالتزاماتكم . إلا أنني لست حرا في تسيير النقاش . . . ليس حرا تماما بالتأكيد .

ويبدأ الفصل الثالث ، وبالرغم من انه أخطر الفصول ، فقد بدأ بحدث لطيف ، فقد حلف السيد إدوار روجون ، البالغ من العمر ثمانين عاما ، والسيد فيليكس البالغ من العمر ثمانية وسبعين عاماً، وهما خبيران في الخطوط ، حلفا بكل مقدساتهما بأن الرسالة الموقعة آ . فريمر التي وجدت عند هيلين كوينا ، كتبت بيد جاتين كان ، وبدعم قولهما ، بالاضافة الى خمسين سنة من الخبرة ، تأكيدهما القطعي بذلك ، الى ان طلب الدفاع الى السيد فريمر ادوار أن يتفضل بالدخول ، وهو أستاذ في اللغة الالمانية ، فتعرف على خطه .

ولكن ، لنتوقف عن السخرية، فقد بلغت المحاكمة القمة ، حيث كان شهود مرموقون يستعبدون للادلاء بأقوالهم ، أمام صحافة تتربص بهم ، ليتحدثوا عن السمات السياسية الأساسية التي خطها المتهمون ، فعنف رئيس المحكمة السيد كلود بورديه ، الذي يقدم شهادته بناء على طلب من جاك كلودبوبير ، لأنه تحدث عن (حرب) الجزائر .

كلود بورديه : إننا نعرف ، نحن الصحفيين ، الجهود الكبرى التي بذلها هؤلاء الشباب ، لكي يحولوا دون قيام الجزائريين في فرنسا ببعض أساليب الحرب الشاملة .

الرئيس : هل تعتبر بأن ذلك يشكل عنصرا معدلاً .

كلود بورديه : إنني أعتبر جميع الفرنسيين الذين يتعاونون مع جبهة التحرير هم عناصر معدلة ، وبوبير بصورة خاصة .

الأستاذ لو صديق : هل يعتقد السيد بورديه ، باعتباره عضوا في الحزب الاشتراكي الموحد بأن حرب الجزائر ظالمة ؟

الرئيس : كلا لا أستطيع .

الأستاذ لو صديق : فليثبت ذلك لي .

الأستاذ فيرجيس : ربما تستطيع القول : الحرب السلمية في الجزائر ؟

الأستاذ لو صديق : أريد أن أحلف ، بكل احترام ، انتباه المحكمة ، بأن كلمة (الحرب) قد استخدمها الجنرال ديغول .

الأستاذ فيرجيس : هل يعتقد السيد الشاهد بأن الحرب السلمية في الجزائر هي ظالمة ؟

الرئيس : ان الحرب التي تهدف الى السلام في الجزائر ، لا يحق لأحد أن يحكم عليها ، ولا للشاهد بصورة خاصة بمناسبة الادلاء بشهادته لصالح متهم . . .

الأستاذ فيرجيس : إن بوبير في السجن ، وقد انتسب الى الحزب الاشتراكي الموحد ، وأمامنا ممثل عن هذا الحزب ، ومن المهم بالنسبة لنا أن نعرف فيما إذا كان رفاق بوبير المتهم من قبل الحكومة القائمة ، يعتبرون أنه ما زال له مكانه في هذا الحزب .

كلود بورديه : بما أن هذا الشاب قد قبل في المحاكمة ، فهذا يعني أننا نقر بأنه يستحق أن يكون جزءاً منه ، إلا أن ذلك لا يعني بأن الحزب يتبنى كامل مواقف هذا الفتى .

كان ذاك اليوم هو يوم السبت ١٧ أيلول (سبتمبر) ، والرجل الذي يدخل المحكمة الآن ، والذي ستهز شهادته فرنسا كلها ، هو مقرر مجلس الدولة ، شغل منصب السكرتير العام لشرطة مدينة الجزائر منذ آب (أغسطس) ١٩٥٦ الى ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٧ وهو التاريخ الذي استقال فيه ، ويسمى هذا الرجل بول تيتجان .

السيد تيتجان : لقد أتيح لي ، عندما كنت أمارس وظيفتي ، أن اوي في بيتي ، وفي مبنى قيادة الشرطة ، على مرأى ومسمع الوزير المقيم والسلطات العسكرية ثلاث ممرضات مسلمات . والمفارقة في هذا الوضع ، أنهن كن ملاحقات من قبل هيئات الجبهة الجزائرية ، التي تطالبهن بتقديم العون في القصبة (الحي القديم) لعسكريين جرحى ، وكن في الوقت ذاته ملاحقات من أجهل شاطات أخرى من قبل الأوروبيين وبصورة خاصة العسكريين منهم ، فأخذتهن الى منزلي ، وبقين عندي شهراً ونصف ، وهنا نلاحظ وجود مفارقة وفضيحة ، وبكل نزاهة أقول ، انني لم اتخذ قرارا من هذا النوع ولم اتخذه سراً ، دون ان اتعرض لمشاكل خطيرة ، لا على الصعيد الشخصي فحسب ، بل وعلى الصعيد الوظيفي . لذا فإنني اعتقد طبيعيا أن يتساءل الشباب . واسمحوا لي يا سيادة الرئيس ان أقول بأن هناك خطأ بعدم تسمية الأشياء بأسمائها ، وأن لا نعطي للمعارك المعنى الحقيقي الذي يرتديه وجود الجيش الفرنسي هناك . وتكليف الجيش بمهام الشرطة التي ليست من مهامه ، مما يحرم الجيش من العنصر الجوهري لمعركته ، ومن هدف وجوده . وبما أن بعض الكلمات لا يجوز استخدامها لأنها ستستخدم بكثرة[13] فإن ذلك يطرح مشكلة أمام بعض الشباب الذين يؤدون خدمة العلم ، ماذا يعملون هناك ؟ إنهم ليسوا مكلفين بالقيام بمهام الشرطة . سيادة الرئيس ، عندما لا تصبح بعض التجاوزات الا تجاوزات شرطة ، فإن هؤلاء الشباب يتساءلون ماذا يعملون في الخدمة العسكرية ، وإن كنت أعتقد شخصيا بأن ذلك لا يبرر بعضاً من مواقفهم أو خياراتهم ، إلا أن هذا الخيار يمكن أن تمليه عليهم هذه المفارقة ، خصوصا في فترة الضياع التي يعيشونها . وأعود وأكرر بأنني لا أشاطرهم بعض الاتجاهات التي اختاروها ولكنني أعذرهم في روحي وضميري ، آخذا بعين الاعتبار ما علمت وما أعرف عما يحدث في الجزائر .

الأستاذ فيرجيس : قال لنا بوبير : (كنت جنديا في الجزائر ، وإذا ساعدت جبهة التحرير الوطني فلذلك لأنني رأيت الكثير من الفظائع) فهل يستطيع الشاهد أن يقول لنا ، استنادا الى التقارير المقدمة من مرؤوسيه خلال ممارسته مهامه : (نعم مع الأسف : مارسنا التعذيب في الجزائر ، مارسناه كل يوم ومارسناه بانتظام) ام (كلا إنها أكاذيب) .

الرئيس : هل علمت بتجاوزات أو بتعذيب .

---

(١٣) منع الرئيس على بول تيتجن استعمال تعبير (حرب الجزائر) كما منع ذلك من قبل على كلود بورديه .

السيد تيتجان : لقد كانت هذه التجاوزات والتعذيب هي السبب الذي دفعني للتخلي عن مهامي ، يا سيادة الرئيس .

الأستاذ فيرجيس : (السؤال الثاني : على علم الشاهد ، بأن أناساً قد ماتوا ، في الجزائر العاصمة ، بينا كانوا معتقلين أو أثناء التحقيق معهم ؟ إنني أطرح هذا السؤال ، خصوصا وأن الشاهد ، باعتباره أمينا عاما لشرطة الجزائر ، كان يوقع على قرارات الاقامة الاجبارية ، أو على الأقل كان يشرف عليها ، فهل كل هؤلاء الناس لحيلوا له لو أحيلوا الى القضاء ؟)

السيد تيتجان : (لقد أقسمت على قول الحق يا سيادة الرئيس يؤسفني أن أعترف بأنني أعلمت علما بأن البعض قد فقدوا ، وأنني متأكد من ذلك ، وأنني آمل ، لكي تنتهي من هذه الذكريات المؤلمة وبصورة خاصة بالنسبة لي ، أن تطال العدالة نفسها ، إذا كانت ستضرب هؤلاء الذين اضطربت ضمائرهم ، وأن تضرب أيضا كل من وسخوا شرف بلادي وشرف جيشها) .

فهرع الصحفيون إلى أقرب هاتف ، وصدرت لوموند مخصصة ثلاثة أعمدة ، ومثلها لبيراسيون ، وبعناوين ضخمة ، وزقزقت الاذاعات ، مثلما زقزقت المساري الكهربائية ما وراء البحار .

ولم يخل تيتجان ، بصوته الجهور ، وقامته المنتصبة على المحكمة بشيء : (سيادة الرئيس ، عندما كنت في معسكرات الاعتقال النازية كانت هناك لافتة كتب عليها (عادل أم ظالم فأنت وطني) ، وإنني أفهم عندما يجد البعض أنفسهم في موقف يقودهم الى الخطأ ، عندما يمارس الظلم باسم بلادهم ، وإنني أطلب مرة أخرى من عدالة بلادي ، الا تترك لهم الخيار بين وطن عادل أو وطن ظالم ، بل أن تعطيهم اليقين بأن هذا العدل هو النهائي) .

كان الوقع رهيبا ، فالرجل الذي يتحدث بهذا الشكل ليس صديقا للمتمردين ، إنه من كبار موظفي الدولة ، معتدل سياسيا ومتعصب أخلاقيا .

وأحدثت المحاكمة لهب الرأي العام ، ويكفي للتأكد من ذلك ، مراقبة ردود اليمين الذي اعترف بأن هذه الأيام كانت أياما سوداء ، وتحدث وكأنه مطوق ، فقالت صحيفة ريفارول محللة أبعاد الأزمة بمرارة (إذا كان معسكر الهمج الناطق بالفرنسية يبدي كل هذه الوقاحة ، وإذا لم ير أمامه في الأوساط الرسمية العليا سوى معارضة مائعة ، فذلك لأن هؤلاء الهمج يعتقدون ، ولهم الحق في ذلك ، بأنهم يجسدون روح المقاومة ، فذلك لأن الجو الذي خلقته في بلادنا النضالات السرية اولا ، ثم التحرير ثانيا ، وأخيرا القضاء على الاستعمار ، وضع السلطات العامة وموظفيها في موقع مهتز عندما تريد الدفاع عن النظام ، والاخلاص والطاعة للسلطات القائمة)[14] .

وجرؤ الجنرال سالان في الجزائر على نقد تناقضات السياسة الديغولية (ألم نقل للمسلمين أن باستطاعتهم اختيار عدم كونهم فرنسيين ، والآن يراد مع ذلك إدانة من يقاتلون من أجل الاستقلال)[15]

---

(١٤) ريفارول ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .

(١٥) تصريح الى وكالة الصحافة الفرنسية ، ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .

واستدعي سالان وصباه إدلاء تيجان بشهادته ، وأعلنت وزارة الدفاع يوم ٢٣ بقرار منعه من العودة الى الجزائر .

إن المصيبة لا تأتي وحيدة ، فقد انفجرت قنبلة تيجان يوم ١٧ وتلتها قنبلة سارتر يوم ٢٠ ، وكان يوم ١٩ قد مر في التحلم لا هوادة فيه ، ذلك أن الدفاع ، الذي ينظر الى المدى البعيد ، طلب دعوة جميع الموقعين على بيان الـ (١٢١) للشهادة أمام المحكمة ، ذلك البيان الذي احتل مكان الصدارة في الصحافة ، بالرغم من أن الجماهير لم تستطع قراءته ، فعارض مفوض الدولة ذلك محتجا بأن شهادة هؤلاء الأشخاص (ستكون إهانة للمحكمة) ، فوافقت المحكمة ضمنا على هذا الاقتراح ، ورد الدفاع على ذلك : فهل يرفض الاستماع الى أمجاد الأمة مثل فيركور ، رفيق التحرير ، أو الأستاذ ماندور ، أحد قادة المقاومة الفرنسية ؟ ورفضت ضمنا ، اقتراحات الدفاع ، وتراجع القاضي كورفيليه خلال الجلسة التالية ، ووافق على أن يدلي عشرون من الموقعين بشهاداتهم .

قال فيركور : (عندما يقاتل المرء من أجل استقلال بلاده ، كما قاتلنا نحن [١٦] فإن كل الاحترام يكون من حق أمثاله ، وليس كل الاحترام فحسب ، بل وكل المساعدة التي نستطيع تقديمها) ، وبين كلود روا لماذا توصل الى الموافقة على أعمال المتهمين ، بعد أن تساءل طويلا عن صواب عملهم (وإنني أعرف اليوم أن اليأس في السياسة خطأ ، ولكن اسمحوا لي أن أقول لكم بأنني وصلت الى اليأس ، وإنني أعتقد بأن أي عمل يمكن أن يسمح للفرنسيين أن يعوا ما تمثله الحرب في الجزائر بالنسبة لفرنسا معنويا وماديا ، بما في ذلك عمل هؤلاء الموجودين هنا ، هو عمل أحترمه وأجده مبررا) .

وتخلى رئيس المحكمة عن التفكير بإبعاد كلمة (الحرب في الجزائر) خارج المحكمة . وكان كلود لانزمان يشيد بصفات جونسون ، عندما قاطعه الأستاذ دوما ، الذي أعلن بأنه تلقى من جان بول سارتر (الذي تجبره جولة يلقي خلالها محاضرات ، أن يبقى في البرازيل) ، برقية ورسالة ، وترجو البرقية من المحكمة أن تعذر له تخلفه ، ويؤكد للمتهمين (تضامنه الكلي) . أما الرسالة فكانت طويلة لاذعة ومكثفة ، مثلما يجب سارتر كتابتها ، وتتجمع في فكرة ضمنية هي : إنني من حملة الحقائب .

وأخذ رولان دوما يقرأ الرسالة :

عزيزي الأستاذ :

نظراً لاستحالة مثولي أمام المحكمة العسكرية ، مما يؤسفني جداً ، فإنني أود أن أوضح موقفي بشكل مفصل نوعاً ما حول الهدف من البرقية السابقة . في الواقع أنه لقليل أن أؤكد (تضامني الكلي) مع المتهمين . وهل يجب أن أوضح لماذا ؟

(... فمن جهة أولى ، أن الفرنسيين الذين يساعدون جبهة التحرير الوطني ، لا تدفعهم الى ذلك مشاعر كريمة تجاه شعب مضطهد فحسب ، كما وأنهم لم يضعوا أنفسهم تحت تصرف قضية أجنبية ، إنهم

---

(١٦) ضد الألمان .

يعملون من أجل أنفسهم ، ومن أجل حريتهم ، ومن أجل مستقبلهم ، إنهم يعملون من أجل إقامة الديمقراطية الحقيقية في فرنسا . ومن جهة أخرى ، إنهم ليسوا وحدهم بل إنهم يحظون بتعاون متزايد باستمرار ، وبتعاطف سلبي أو إيجابي متعاظم . لقد كانوا طليعة حركة وربما توقظ اليسار المتوحل في حذر ناشر ، وربما هيأت لصدام لا بد منه مع القوات المسلحة ، أجل منذ أيار (مايو) ١٩٥٨ .

(إنه من الصعب علي طبعاً أن أتصور أيها الأستاذ العزيز ، وأنا بهذا البعد ، الأسئلة التي قد تطرحها على المحكمة العسكرية ، إلا أنني أفترض مع ذلك بأن أحدها كان سيتناول التصريح الصحفي ، الذي أدليت به إلى فرنسيس جانسون لصحيفته « الحقيقة . . . » وإنني أجيب على هذا السؤال بلا مواربة ، إنني لا أتذكر تماماً التاريخ الدقيق الذي جرت فيه ، ولا العبارات بالضبط ، إلا أنكم ستجدون ذلك فيما إذا كان النص مضموماً إلى ملف المحكمة . إلا أن ما أعرفه ، هو أن جانسون أتى إلي باعتباره منشطاً (لشبكة دعم) ومديراً لهذه النشرة السرية ، الناطقة باسم الشبكة . وإنني استقبلته بهذه الصفة ، وقد التقيت به بعد ذلك مرتين أو ثلاثاً ، ولم يخف علي نشاطاته ووافقته عليها ، إنني لا أعتقد أنه يوجد في هذا المجال نشاطات نبيلة وأخرى مبتذلة ، نشاطات مخصصة للمثقفين وأخرى لا تليق بهم . فلم يتردد أساتذة السوربون إبان مقاومة (الهتلرية) من نقل الرسائل أو تأمين الاتصالات ، فلو أن جانسون طلب مني أن أنقل حقائب ، أو أن أسكن مناضلين جزائريين ، وأنا أستطيع القيام بذلك ، دون تعريضهم للخطر ، لفعلت دون تردد .

(إنه من المهم القول بوضوح ، إن هؤلاء الرجال والنساء ليسوا وحدهم ، وأن مئات آخرين حلوا محلهم ، وآلافاً مستعدون جاهزون لذلك ، وربما فرقهم قدر مختلف عنا ، إلا أن باستطاعتي القول ، بأنهم في هذا القفص وكأنهم مندوبون عنا ، أن ما يمثلونه هو مستقبل فرنسا ، كما أن السلطة الزائلة التي تحاكمهم قد انتهت منذ الآن) .

في ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠
جان بول سارتر

فإذا كانت الشهادة تريد أن تكون فضيحة ، فهي فضيحة ، ويحلل جان مارك تيوليير الموقف قائلاً (عبارات جارحة ، ويتساءل كل منا فيما إذا كان جان بول سارتر يأمل أن يتهم أو حتى يعتقل ، بالتعبير عن مثل هذا الالتزام الذي يأخذ شكل التحدي)[17] أما تيري موليير فيبين في الفيغارو قائلاً (أن جان بول سارتر يدعونه لليسار الفرنسي ، وبصورة خاصة للشبيبة ، للتعاون مع الجبهة الإرهابية الديكتاتورية ، التي تريد أن تفرض على الجزائريين قانون القتلة ، والتي يقدمها سارتر بأنها المدافعة عن الحريات والديمقراطية ، إنما يشجع المتمردين على متابعة الصراع ، وعلى رفض السلام المعروض عليهم . . . ويبدو أنه لم يبق لسارتر شيء آخر إلا أن ينظر إلى النتيجة المنطقية للموقف الذي اتخذه علناً ، وأن يدافع عنه وبيده البندقية أو القنبلة في صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية)[18] .

---

(١٧) لوموند ، ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠
(١٨) الفيغارو ، ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠

وأصدر السيد تيرنوار ، وزير الاعلام الفرنسي أنباء مؤداها (لقد حل سالان محل مورا ، وها هو منطق الفوضوية والانتحار يفرض نفسه على طبقة مثقفة ضائعة أو في طور الانحطاط)[19].

وكتب السيد دوشيه أمين عام حزب (المركز الوطني للمستقلين) الى ميشيل دوبريه (. . . ومن ناحية اخرى يستطيع جان بول سارتر أن ينتهك القوانين الأساسية لحماية وخدمة الوطن ويدينها ، ومن ناحية ثانية يضرب واحداً من كبار قادتنا العسكريين وأكثرهم إنتظاما ، لانه ذكر بهذه القوانين الأساسية نفسها وحافظ عليها (المقصود هو الجنرال سالان)[20].

وانتهت المحاكمة ، ليس تماما ، فما زالت عشر جلسات تفصل المتهمين عن قرار الحكم ، إلا أن القضية قد سمعت سياسيا ، واستعرض الشهود الموقعون على بيان الـ (١٢١) واحداً تلو الآخر ، أمام قوس المحكمة ، وكرروا دون توبة ، وتبودلت كلمات قاسية قبل مرافعة المدعي العام ، ومرافعة الدفاع . في الواقع كان هراطقة اليسار يتدافعون امام الباب ، بينما يتهرب رجال السلطة من الباب الخلفي . فها هو رولان دوما يهمس بخبث ، ان اسم أندريه مالرو (المشترك في نشرة الحقيقة) مكتوب في مفكرة هيلين كوينا التي صودرت في بيتها ، فهل السيد الوزير هو حليف خفي للحلفاء المعلنين للجبهة الجزائرية ؟ فطلبه للشهادة ، وانتظر ، إلا أنه اعتذر ، وكذلك اعتذر ميشليه الذي تتطلب أعماله التواجد في مكان آخر ، ولم يتمكن بوردون الذي لم يكن أقل انشغالاً من زملائه ، ولا يمكن ان يجد لنفسه فراغاً . والجنرال ماسو في مهمة حراسة ، واعتبر السيد أرنو معاون رئيس الحرب بأن (شرف الجزائر) يمنعه من المثول امام المحكمة ، وأوحى هذا التهرب للدفاع وللمتهمين ببعض الأفكار والصيغ العذبة ، فقال فيرجيس (إن مالرو كان إرهابيا . . . وعندما نذكر بأن وزير اليوم كان ما كان عليه مالرو ، فإننا نشيد بهذا الوزير إن لم يكن بهذا الكاتب) . وقال جان كلود بوبير (وأن اقول ، بأن شرف جان كلود بوبير الجندي العريف ، يتطلب بأن يحضر العقيد أرنو الى هنا) ، الخ . . . وفي يوم الرابع والعشرين من أيلول (سبتمبر) عندما نهض الرائد لوكيم ليتلو مرافعة الادعاء ، اعتقد الجميع بأن كل شيء قد وصل الى حده ، إلا ان مفوض الدولة الذي انهكته ثلاثة أسابيع من (المعارك) تخاذل أمام الاغراء فألقى باتجاه الدفاع : (الكلاب تنبح إلا أن القافلة تسير) . فتوجه المحامون حالا نحو الباب . . . وفي الخامس والعشرين من الشهر، ذكر السيد لوكيم بعلوم التاريخ ، ولماذا قامت فرنسا بحملتها في عام ١٨٣٠ ضد الجزائر ؟ (لقد كان الهدف هو وضع حد لابتزاز القراصنة البرابرة الذي لا يحتمل في البحر المتوسط، وكان ذلك الابتزاز معروفاً منذ زمن ، منذ عهد موليير ، حتى مر في التعابير الشعبية) . . . . (ولكن ما الذي قاده الى هذا القدر؟) .

لقد بكى البعض في قفص الاتهام من شدة الضحك ، ولم يشعروا بأي قلق فبالنسبة لهم سيكون الحد الأقصى عشر سنوات ، أي بمعنى آخر إنهم سيمكثون في السجن ، وهذا ما يأملون ، حتى نهاية الحرب ، ولم يضحك آخرون إطلاقا أعصابهم مشدودة ، يفقدهم التخوف ، ويأملون التعرف بسرعة على النهاية . الأحداث النهائية (فيرجيس وكأنه أصيب بالبكم) آخر المهازل (طلب نقض الحكم لأن ملازم أول رفع

(١٩) تصريح في المؤتمر الصحفي الديغولي ، ٢٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .
(٢٠) رسالة اعلنت على الرأي العام في ٢٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .

خلال المحاكمة الى رتبة نقيب مما يغير تشكيلة المحكمة) ، كل ذلك بدا لهؤلاء لا نهاية له ، وفي الساعة الحادية عشرة والربع من مساء الأول من تشرين الأول (أوكتوبر) صدرت القرارات ، دون أية مفاجأة . وخرج ثمانية فرنسيين وجزائري بالبراءة وهم (جاك وليز تريبوتا ، وأوديت هوتلييه ، وبول كروشيه ، وأندريه توران ، وجورج بيرجيه وإيفون ريبال ، ودنيز بارا ولونيس ابراهيمي) .

وصدرت أحكام متفاوتة على ثلاثة من أعضاء الشبكة بالسجن : جاكلين كاريه خمس سنوات ، جاك ريبال ثلاث سنوات ، وجانون كان ثمانية أشهر . أما الآخرون فحكموا ، كما هو متوقع ، بأحكام أشد .

(إن موقفهم يتطلب الكثير من الشجاعة ، والتجرؤ وتقبول الكلمة ، والكثير من البطولة ، ولن يتمكن بعض المكلفين بالتحقيق من تكذيبي في هذه النقطة ، فربما كان هؤلاء الفرنسيون والفرنسيات وأغلبهم من الشباب ، متهورين في تصرفاتهم ، وقد أوافق على ذلك ، وأذهب الى القول بأنه قد تنقصهم الفطنة والدراية ، ولكن أي شيء ؟ وأي قاعدة دقيقة ، صحيحة لا تخطىء ، تسمح بالحكم او التمييز بصورة خاصة بالنسبة لشباب مثلهم ، في هذه الفوضى الفكرية الرهيبة الناجمة عن الخلط والأبهام غير المعقول في كل المعاني ؟ ويجب الا يغيب عن نظرنا ، بأن من قاد الى ذلك هم من يدعون بأنهم حكامنا ، الذين قدموا مشهدا مدهشا من الفوضى ، والفوضوية ، والتحريف . . .)

هذه السطور السابقة ، التي وجدت عذرا للدعم الذي قدمه الفرنسيون لجبهة التحرير الوطني نشرت في صحيفة تيموانياج كريتيان يوم ١٩ تموز (يوليو) ١٩٥٧ ، ولم يكن كاتبها قد أصبح بعد وزيرا للعدل واسمه أدمون ميشليه .

لم تنقص النكهة رواية هذه المحاكمة ، وليسمح لنا القارىء أن نضيف حبة ملح لها ، حبة تتجاوز كثيرا النكتة العارضة البسيطة ، انها رسالة سارتر . تلك الرسالة الخارقة كانت تزويرا ، تزويرا بموافقة كاتبها المفترض ، رسالة مزورة او ان فضلنا ، محاكاة رائعة لأسلوب سارتر .

في تموز ١٩٦٠ ، نجح جاك شاربي المعتقل في سجن فرين من الفرار قانونياً ، فقد تلاعب في وزنه ، وفرض على نفسه صوما قيقا ، وعمل بنصيحة بعض الأطباء الأصدقاء ، وتظاهر بأعراض مرض خطير لا يمكن التأكد منه بسهولة : السكري من أصل عصبي . وبعد أن جرى فحصه حسب الأصول ، رجهز شهادة صحية تدينه بعملية فتح الجمجمة انتزع من قاضي التحقيق بضعة أسابيع من الحرية (الطبية) ، وكان مصمما أن يقلب المؤقت الى نهائي .

إلا أنه لم يتهرب من المحاكمة الا لكي يحضر لها بصورة أفضل ، وكان شاربي يتحدث مع البروفسور مانديور عن ذلك عندما انبثق الوحي : سارتر ! في المحكمة ، سارتر يطالب بأن يعتقل ، سارتر في السجن : فأي الة حرب أفضل من تلك تمكن اختراعها ، في الوقت الذي بدا اليسار الفرنسي يستيقظ ، ويفرض مناقشة القضية الجزائرية في الأمم المتحدة . أيا كان رأي ديغول فيها ، يفرض على الحكومة ان تراقب صورتها الدولية . قبل شهر من هذا النقاش ، عرضت الفرصة خلال اجتماع جرى في بيت كلود لانزمان ، وكان كاتب «الغثيان» غائبا، إلا أن سيمون دوبوفوار حاضرة ، ولم يبد عليها الحماس لهذا المشروع ، فيبت بأنها

بوسارتر عليها التزامات في إيطاليا ثم في أمريكا اللاتينية ، وحضورهما في الخارج لن تكون بلا انعكاس . ومع ذلك فإنهما مستعدان للاعراب عن تضامنهما مع المناضلين المعتقلين . فأجاب شاربي (ليس الدعم المعنوي هو المطلوب ، بل القول - التي كنت منهم) فبدت سيمون دوبوفوار متحفظة . فجن جنون مانديوز المعهود الذي لا يحتاج لاعطاء امثلة عليه ، فاستخدم كلمات (ثقيلة نوعا ما) وأعاب على زميلته بأنها تتظاهر بالقدسية .[21]

وعندما عاد سارتر من إيطاليا ، وقبل أن يطير الى ريو ورسيف ومانااو ، انضم الى مبدأ الادلاء بشهادة تسبب الصدمة ، وتلقى المحامون ، الذين سحرتهم الفكرة ، وعدا قطعيا منه بأنه سيدلي بشهادته في الاتجاه المرجو .[22] شهادة تكون محور التمفصل بين بيان الـ (١٢١) وقضية جانسون . الا ان الجلسات كانت تتوالى ، ولا خبر من البرازيل إطلاقا ، ويقول مارسيل بيجو (اتصل كلود لانزمان اول مرة مع سارتر الذي لم يقبل العودة ، مدعيا بأن مالرو قد سبقه الى البرازيل ، وان عليه أن يوازن تأثيره . إلا أنه وعد بأن يرسل نصا ، وأرسل في الحقيقة ، برقية من ثلاثة أسطر يؤكد فيها (تضامنه الكلي) مع الشبكة فلعل المحامون ، وعقد اجتماع ، وتعهد اتحاد فرنسا التابع للجبهة ، عن طريق الأستاذ بن عبدالله ، بدفع أجر طائرة لنقل سارتر أيا كان الثمن ، وذهبت الى كلود لانزمان في الصحيفة التي يعمل فيها ، ومن هناك اتصلنا مرة ثانية بالبرازيل ، وطلبنا الى سارتر كل بدوره وبالحاح ان يعود ، إلا انه لم يذعن ، ووجد حجة هذه المرة ، مرضه الجلدي (الذي كان قد شفي منه) وعندما فقدنا الأمل قلت له : اعطني الموافقة على صياغة رسالة بدلا عنك وباسمك ، وحصلت على موافقته دون أية ملاحظات أخرى ، فقد كنا نعرف بعضنا بالقدر الذي يدفعه الى الوثوق بي).[23]

وبعد أن حصل على هذه الموافقة . . . قرأ بيجو تصريح سارتر لمجلة الحقيقة . . . كما قرأ المقالات التي كتبها سارتر في مجلة الأزمنة الحديثة ، ثم كتب على طريقته وعرض (مؤلفه) على لانزمان ، الذي أدخل عليه تعديلات طفيفة ، واجتمع الجميع حول (الرسالة) في مكتب رولان دوما ، وبقي اعطاء الرسالة هيئة الأصل ، فالمفروض أنها اجتازت المحيط ، الا أن المغلف وخاتم البريد يفتقدان ، ومن ناحية أخرى كان النص بخط بيجو ، ولا أسهل من أن يطبع على الآلة الكاتبة ، فقام بول تيفان (الرابط بشخص ومؤلفات الطوان آرتو) والملتزم في معركة الـ (١٢١) بطبعه حالاً . ولكن ما زال ينقص التوقيع ففكروا بالرسام سينيه فهرع وأخذ يدرس النماذج التي قدمها له لانزمان وبدأ العمل . وخلال هذا الوقت ، وبما انه لم يكن لديهم خاتم البريد ، فقد تقرر أن تضم البرقية الى الرسالة وان يتم الحديث عنها منذ الجملة الأولى من الرسالة . وهكذا فإن كل واحدة منها ستصادق على الأخرى ، وتخاصم رولان دوما ورفاقه حول شرف رفع الوثيقة بيده في جلسة الغد ، ولم يتنازل دوما ، الذي كان يتمسك بأن لا يذكر الدفاع الجزائري هذه الشهادة الفرنسية[24] ورفعها .

---

(٢١) شهادة جاك شاربي واندريه مانديوز .
(٢٢) علاقة اميريث مع جان بول سارتر .
(٢٣) نقلا عن مارسيل بيجو .
(٢٤) شهادة مارسيل بيجو ورولاند دوما .

ولم يعرف سارتر ، الا بعد بضعة أيام ، عندما قرأ قصاصة من صحيفة لوموند ، شيئا عن المحتوى الدقيق لشهادته الصاخبة . وفي نهاية تشرين الأول (أكتوبر) ، عاد سارتر وسيمون دوبوفوار الى فرنسا ، عن طريق اسبانيا ، حيث ذهب لانزمان الى برشلونة للقاء بهما . ولم يقلقهما احد ، والتقى جان بول سارتر عندما عاد الى باريس ، وحل القراد ، بيجو ، فلم يوجه اي انتقاد لهذا (الصديق الموثوق) وكان لديه تحفظ واحد فقط : الجملة التي تتحدث عن (المهمات المبتذلة) التي لا يمكن للمثقفين تجنبها (أنها جملة زائدة فتلك بديهية ...)

هل كان سارتر يشعر بأن (كمينا يحضر له)؟ والتعبير لمراد أو صديق ، فقد كان المتهمون في القفص يمشون غياب الفيلسوف وكأنه تخلى عنهم ، ويتحدث أندريه مالدوز ، الذي كان ذلك هو شعوره البدائي أيضا ، بلغته الصريحة عن هذه المغامرة فيقول (لقد كاد سارتر أن يجرب كل شيء فعندما يكون المرء كاتبا ، فإن مسؤولية العمل بالنسبة له هي ان يكتب ، وعندما يكون المرء رجلا مشهورا وإن لم يكتب ، وحتى لو كان بليدا ، فعليه ان يحتمل ما كتبه في السابق وهذا امر قوي مع ذلك).

١٩

١٢١ وأكثر

١٢١ - ١٢٢ - ١٣٠ - ١٥٠ - ٢٠٠ - ٢٢٠ - والعدد يزداد بسرعة ، فقد كانت قائمة التواقيع تمتد بالرغم من تكليف القاضي بيريز بالتحقيق ، ومن حالات التجريم التي كانت تُطرح كان في المقدمة بين مائة آخرين ، كتاب جدد (ميشيل بوتور ، فرانسواز ساغان ، كلارا مالرو ، تريستان تزارا) وجامعيون جدد (فرانسوا شاتليه ، مادلين ريبريو ، لوران شوارتز) وأسماء جديدة من عالم المسرح (دانيال دولورم ، كاثرين سوفاج ، فرانسوا تروفو) الخ . . . واتخذ مجلس الوزراء يوم ٢٦ أيلول (سبتمبر) قرارا يطال القصاص عن التحريض على العصيان وإيواء العاصين ، ووصلت العقوبات إلى السجن ثلاث سنوات وغرامة مائة ألف فرنك جديد . وبين مكتب رئيس الوزراء ميشيل دوبريه بأن (الشرطة القضائية قد استمعت إلى أكثر من ٨٠ شخصا ، وأن عشرة موظفين كفت أيديهم عن العمل ، وأن عشرات التهم قد وجهت رسميا) . وصدر خلال الاجتماع الثاني لمجلس الوزراء بهدف تعجيل الإجراءات قرار يسمح بأن تكف مؤقتا يد أي موظف أذنب بتجميد القرار بانتظار تقرير مصيره قضائيا وإداريا . وعلق السيد لير توار (لا لحد يجبر الموظفين على الدخول في خدمة الدولة) .

ولم ينجُ الفنانون من قرار الحكم الذي أصدرته الحكومة . (فرنسا تنكر نجومها) تحت هذا العنوان علقت الصحيفة البريطانية المحافظة (ديلي ميل)[١] في صفحتها الأولى ، فقد شردت فعلا نجوم من أرتور آداموف إلى لوران تيرزيف ، وأغلقت ستوديوهات التلفزيون ، وميكروفونات الاذاعة فجأة في وجوه الموقعين . والنجم روجيه بلان ، الذي كان يقدم أربعة أو خمسة برامج اسبوعية بأن يطار . وشطب اسم دانيال دولورم من برنامج بوادئيلو الذي يقدم يوم ٢٩ أيلول (سبتمبر) ، ثم جاء دور فريق برنامج (القناع والريشة) الذي أوقف نشاطاته ، فقد وجد الفريق أنه من المستحيل تقديم البرنامج دون ذكر اسم أي واحد من الـ ١٢١ ، وعلق فريدريك روسيف وفرانسوا شاليه برنامجهما من أجل (السينما) للسبب نفسه ، واحتجت نقابة الممثلين التابعة لاتحاد العمل ، في كتاب مفتوح إلى السيد رئيس الجمهورية (إننا لن نتخذ موقفا إلى جانب البيان أو ضده . إننا نريد أن نجلب انتباهكم بكل احترام ، بأن دستور عام ١٩٥٨ قد تبنى مقدمة دستور ١٩٤٨ وهو يؤكد أن المرء لا يؤذى في عمله ووظيفته لأسباب تعود إلى أصوله أو آرائه أو معتقداته)[٢] إلا أن الفائدة

---

١ - ديلي ميل ، ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .
٢ - ٢٩ / أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .

السوداء تقضي دون رحمة . وتقول كاترين سوفاج (لم يرد اسمي في الدفعة الأولى لأنه يقع في الرقم ١٢٥ أو ١٢٦ . إلا أن ذلك لم يمنع أن أحرم من الاذاعة والتلفزيون لمدة عامين)[٣] . فتوقف تصوير العديد من الأفلام وألغي العديد من العقود . وأسرت سيمون سينوريه ، التي كانت قد حصلت لتوها في هوليود على أكبر جائزة دولية لعام ١٩٦٠ . أسرت لمادلين شابسال (إنني أعرف بأنني ذاهبة للقاء مشاكل ودعاية لم أكن بحاجة اليها . . .)

فكرت جيدا وقارنت الـ (مع) والـ (ضد) ، وإذا سألتني الشرطة (من الذي اشترى منك هذا التوقيع) فبإمكاني أن أجيب : أنا التي اشترته من نفسي "[٤] .

أدى القمع الى تجاوز الخلافات العميقة ، والى رد فعل تضامني . وتحدث الموظفون من الاتحاد العام للعمل (عن إعلان الحرب) ، كما تحدثت النقابة العامة للتربية الوطنية التابعة للاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين عن (تدابير تعسفية عنيفة) ، وتحدث الاتحاد الوطني للتعليم الثانوي عن (القلق الذي يعيشه المدرسون تجاه المأساة الجزائرية) . وبعث ثمانية من اساتذة الرياضيات الى وزرائهم برقية يقولون فيها (تعليق الجامعيين بدون محاكمة ، عمل تعسفي ، يطبق على سير فيدال ناكيه ، بينما ما زال قاتل أودان حرا ، ويبدو وكأنه شتيمة لذكرى أودان ، وستكون نتائجه خطرة لدى أساتذة الرياضيات) . وقال المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي (بالرغم من أن للحزب مفاهيمه الخاصة حول أشكال الكفاح الأكثر فعالية ، أي الكفاح الجماهيري ، فإن الحزب لا يمكن أن يقبل بأن يتعرض أي من مناصري السلام في الجزائر للقمع ، لأن

هذا القمع يهدف الى إسكات كل أشكال المعارضة للحرب الاستعمارية) . وتحرك المثقفون الأجانب : فيتوريو موتيللي ، البيرتو مورافيا ، هنريخ بول ، جرترود فون لوفورت ، نورمان ميلر ، وايت ميلز ، جون اوسبورن ، شوي أوكازي ، ماكس فريش ، وعبروا عن تضامنهم مع موقعي البيان الفرنسيين . مما أوحى لمجلة كارفور هذه الاعتبارات المتنوعة للتقدميين في العالم (ان من بين صفوفهم بعض الفرنسيين الجدد ان نظرنا الى أسمائهم . وأخرون أيضا يخفون أصلهم الأجنبي بأسماء مستعارة ، وهذا ربما يبرر قلة تعلقهم بالوطن الفرنسي)[٧] .

وفي ذلك الحين ، نزل الوطنيون الحقيقيون يوم الأول من تشرين الأول (أكتوبر) الى الشارع ، فيما كان محامو شبكة جانسون يهيئون مرافعاتهم . ودعت ست منظمات للمحاربين القدماء من برينيون (أن يكرموا بصمت ذكرى الشهداء المدنيين والعسكريين الذين قتلوا برصاص جبهة التحرير الوطني) ، الى المشاركة بعد يومين ، في مظاهرة أمام قوس النصر . وفي الثالث من الشهر ، غزا شارع الشانزيليزيه ستة آلاف منهم ، إلا أن الصمت بالمقابل كان غائبا : ضجة وزحام مخفضم ، هتفت تطلب واجهات محلة

---

٣ ـ مقابلة مع المؤلفين ، أيار (مايو) ١٩٧٩ .
٤ ـ مقابلة مع الاكسبرس لم تنشرها .
٥ ـ النقابة الوطنية للتعليم الثانوي .
٦ ـ لوموند ٣٠ / أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .
٧ ـ كارفور ، ٢١ / أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .

الاكسبرس . صخب وصراخ وشعارات معركة . (الجزائر فرنسية) (ماسو الى السلطة) (اقتلوا سارتر)
وفي يوم ١١ تشرين الأول (أوكتوبر) يصدر اتحاد الكتاب المقاتلين بيانا (يدين المحرضين الذين يلعبون بوعي لعبة أعداء فرنسا . ويتوسل الى السلطات العامة أن تمنع العودة الى أعمال الخيانة هذه . وملاحقة الفاعلين بيد من حديد) فسارع آراغون نائب رئيس هذا الاتحاد الى الاستقالة .

وهناك أيضاً مثقفون معروفون . جان دوتور . وتيمي . فيليب باريس . الذين يصفون الآخرين بالفضيحة والعار . والذين يصفقهم الجنرال بواية دولاتور (بأرذال مخصيين) كما يصفهم السيد شارل ريشيه من الأكاديمية الطبية بأنهم (أشياء كاذبون) و(جثث منتفخة) و(متعاونون) ومجانين . وراح يصف (شعور النشوة العارمة) التي تغمر بعض النساء الموقعات على البيان وهن يتصورن سادية المسلمين (لكل عهد غلمته)[٨]. هذا ما ذكر في مجلة كارفور .

وفي العدد نفسه . نشر عدة مئات من الشخصيات (بيانهم) (بيان المثقفين الفرنسيين) وقال البيان (إن حرب الجزائر هي كفاح فرضه على فرنسا أقلية من المتمردين المتعصبين . إرهابيين وعنصريين . يقودهم رؤساء ذوو تطلعات شخصية واضحة . يسلحون ويمولون من الخارج) . ونجد بالإضافة الى المارشال جوان . أسماء أنطوان بلوندان . ورولان دورجوليس . وأندريه فرانسوا بونسيه . وبيير غيان دو بينوفيل . وهنري دومونفريد . وروجيه نيميه . وبيرنور . وجول رومان . وميشيل دوسان بيير . . . وكان اسم غابريال مارسيل في البيان . إلا أنه تراجع عن توقيعه في صحيفة لوموند ولم يلاق هذا البيان المضاد الذي شجب (اساتذة الخيانة) النجاح الذي لاقاه منافسه . انه يبين خروج قسم كبير من اليمين عن طوره . ويشعر بأن ديغول قد خذله . ويسجل على ديغول تدهور النظام الاستعماري المؤكد وانتهاء خرافاته .

إن ما يثير هؤلاء الرجال أكثر من أي شيء . وما يشعرون وكأنه علامة من علامات الانحلال . هو تفاهة الرد الحكومي على بيان الـ ١٢١ . تافه لا لأنه لم يزعج ذوي العلاقة . فالأساتذة أقيلوا . والفنانون قوطعوا وهذه حقيقة . بل لأن العقاب يبدو وكأنه يعطي للمعاقبين مزيدا من السلطة المعنوية والسمعة السياسية . وها هو ميشيل دوبريه ينادي في خطابه في ميتز . بدون جدوى (أنا نعرف جيدا بأنها تقاليد مزعجة لبلادنا ان تفرز في كل زمن أعداء لنفسها) عندما يصبح السحر شرفا فذلك يعني أن الدولة تنحل .

إن أغرب المغامرات في ذلك الحين . هي على الأغلب العملية الواسعة التي قامت بها الشرطة في مقر مجلة أسبري . في شارع جاكوب . يوم الأول من تشرين الأول . (أوكتوبر) عملية سمحت لرجال الشرطة أن يكتشفوا أفرادا مجهولين من الجمهور . مثل جان ماري دوميناك . وبول تيبو وبيير فيدال ناكيه . وروبير بارا . ومارسيل بيجو وغيرهم من مشاهير العصر . ويقص علينا جيروم ليندون هذه المغامرة ويتلذذ بتذكرها . فيقول (في ذلك المساء كان لدينا اجتماع للجنة الادارية لمجلة (حقيقة ـ حرية) . ومررت لآخذ بيير فيدال ناكيه . وكانت الشرطة في بيته . وسأل المفوض ماتيو . وهو رجل مجامل تعرفت عليه من خلال المصادرات المتعددة سأل بيير فيما اذا كان لديه شيء . لا وألف لا . ولكن عندما فتحت الشرطة إحدى الخزائن .

---

٨ ـ كارفور ١٢ / تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٠

وكانت تحتوي طنا من الوثائق ، لم يلمح المفوض ، ويحمس لنا (عندكم اجتماع اليوم - لا تذهبوا) إلا أننا ذهبنا طبعا ، وعندما وصلنا الى مجلة (اسبري) وقعنا في الشرك بكل تجهيزاته ، من رجال ورشاشات وكل العدة ، وبما أن بير كان قد اتهم رسميا فقد ترك في سبيله . ولكنني اعتقلت ، وكذلك ، دومِناك ، وتيبو ، وبانجيل ، وبارا ، وبعض الآخرين ووجدت متعة في ذلك ، إلا أن بارا كان يبدو مضطربا ، وشرح لي بأن عنده (بعض الأشياء) في حقيبته ، وبينما كانت شرطة الحراسة تنظر في اتجاه آخر ، أعطاني الأوراق ، كنا في الغرفة الداخلية ، وبقيت المجموعة تفتش ، وتظاهرت بالنظر في بعض الكتب ، وأدخلت أوراق بارا بين صفحاتها شيئا فشيئا ، وربما ما زالت هذه الأوراق في مكتبة مجلة (اسبري) ، وبعد ذلك اقتادونا الى مقر الشرطة ، وبقينا هناك أربعا وعشرين ساعة ، واحتجزونا ليلة كاملة في مكتب أحد المفتشين ، ووقع نسيان بسيط ، فالهاتف ، كان موصولا ، فاتصل بارا بمحاميه واتصلنا بصحيفة لوموند ، وفي صباح اليوم التالي كانت الصحف كلها تعرف نبأ اعتقالنا قبل أن يقطع الهاتف .

وخرج المشبوهون أنقياء كالثلج ، إنه من الصعب فهم العملية ، فهل أملت الشرطة اكتشاف النواة القائدة لمؤامرة الـ (١٢١) ان ذلك لا يدل على الحقيقة : إذ أن العديد من هيئة تحرير (الحقيقة - الحرية) لم يوقعوا . أم أنها اعتقدت بأنها فاجأت الجمعية التأسيسية للحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ؟ . وهذه الفرضية أيضا لا معنى لها[9] أم أنها مجرد عملية تخويف في الوقت الذي حيا اتحاد فرنسا التابع للجبهة في بيان أصدره (المدافعين الشجعان عن الحرية صانعي الصداقة الحقيقية بين الشعبين الجزائري والفرنسي) . فإن صح ذلك فإنه بلادة . وفي النهاية كان الحاصل أن تأكدت الشرطة من شيء واحد : هو أن هناك نوعا من الوحدة بين اداريي (اسبري) و(الحقيقة - الحرية) . وهذا مكتوب (أسود على أبيض) في كل أعداد المجلة . . .

وخرج الجميع من القضية ضاحكين ، ما عدا بارا الذي بقي موقوفا بسبب أن الشرطة وجدت في مكتبه نسخا من البيان ورسالة تطلب نسخة منه ، وكانت العقوبة : السجن ستة عشر يوما . وهب مائة صحفي دفعة واحدة ، احتجاجا على هذا السجن ، وكان الغضب شديدا في الأوساط المسيحية ، وكتب الكاردينال جيرليه في مجلة (أسبوع ليون الديني) : (ان الاما قاسية تحيق بنا نحن أيضا : استمرار الحرب المؤسف في الجزائر ، والمشاكل المقلقة التي تطرحها على ضمير الكثيرين ، وخصوصا بين الشباب وتشهد من حولنا علامات القلق الروحي لدى العديدين)[10] وها هو إذا بيان أكثر مهابة من بيان البطريركية الفرنسية ، الذي أهاب دفعة واحدة يوم السابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) العصيان و (أعمال الارهاب) و (الاعتداء على الشخصية الانسانية) . وفي أواسط تشرين الأول (أكتوبر) ، كان أغلب الموظفين الموقعين على البيان قد أقيلوا من وظائفهم ، فرد لوران شوارتز ، أستاذ الرياضيات ذو الشهرة الدولية ، الذي أقيل من منصبه كأستاذ في مدرسة البوليتكنيك ، بقرار من وزير الدفاع السيد مسمير ، رد بخشونة وكتب :

---

٩ - حسبما قال فرانسوا ماسبيرو (اضبارة الـ ١٢١) ، فقد أفسد ما كانت تحلم به الشرطة .
١٠ - (الأسبوع) من ٣ - ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٠ .

السيد الوزير ؛

لقد اتهمتم بقرار بتاريخ ١٠/١١/ ١٩٦٠ عملي كأستاذ للرياضيات في البوليتكنيك ، وانني لآسف لانني اقلل من طلاب يستحقون الاهتمام ، وعن التعليم . إلا أن القضية ليست هنا . فلقد لعتقدتم أن عليكم أن ترفقوا قراركم برسالة تقولون فيها بأنكم لن تتركوني أتابع وظيفتي وقتاً أطول (لأن ذلك سيكون مخالفاً للمنطق السليم وللشرف) . فإن كنت قد وقعت على المائة وواحد وعشرين ، ذلك لانني رأيت منذ عدة سنوات ، أن التعذيب بقي بدون عقاب وان الجلادين قد كوفئوا . لقد عذب تلميذي موريس أودان وقتل في حزيران (يونيو) ١٩٥٧ ، وانتم يا سيادة الوزير ، الذين وقعتم قرار ترفيع النقيب شاربونيه الى (ضابط جوقة الشرف) بشكل استثنائي ، وقرار ترفيع الرائد فولك الى (قائد جوقة شرف) (أكرر وأقول شرف) ، إن الاعتبارات حول الشرف عندما تأتي من وزير أخذ على عاتقه مثل هذه المسؤوليات لا تؤثر بي إطلاقاً »[11] .

أدت سيادة هذا الجو المكارثي على فرنسا ، الى اقتحام الشكل الماثع الشكلي واللاشكلي الذي أخذ يعي نفسه ، كما لم يحدث ذلك منذ سنوات . فهل ترى « مؤامرة الخامس من آذار (مارس) » يخرجها ستيلبو لورانزي ، (والنساخين) ، يخرجها مارسيل بلوفال ؟ وهل يمثل جان فيلار في مسرح ريكاميه (روح مي شوان الطيبة) التي ترجمتها جنفييف سيرو ؟ وهل يستطيع جان لوي بارو أن يحقق (موسيقى الأشباح) لستر لندبيرغ التي أخرجها للمسرح روجيه بلان ؟ . . . لقد أعلن الفنانون الاضراب . وامتنع مائة وخمسة وتسعون طالباً من المعهد العالي للمدرسين في عريضة ، قالوا فيها بأن دوائر الدولة تحولهم الى (مواطنين من الدرجة الثانية) . وكان السيد تيرتوار مرة أخرى ، مقتنعاً بأن (الحزب الشيوعي الذي يكاد يختنق في الظل يضع أملاً كبيراً في اضطرابات هؤلاء الفرسان التعساء الذين يطلقون نيرانهم في الهواء)

وعلى هذا السؤال ، كان وزير الاعلام يقول أي شيء . أما الحزب الشيوعي الفرنسي فكان محرجاً جداً ، وهمه التكتيكي الأول الا يفقد زمام المبادرة . الا أنها أفلتت منه تماماً . فهدفه الاستراتيجي لن يحافظ على هدف فعلاً ، بعد الضربة القاصمة التي وجهها اليه الحلف الديغولي ، هو العمل الجماهيري . الا أن (الجمهور) أو الفئة الناضجة منه على الأقل ، تستقر الان ضد القمع . ونجم عن ذلك : أن الحزب الشيوعي اضطر للمناورة وهو يحاول استعادة مواقعه . وفي تلك الاثناء أطلق سراح أحد أعضاء الحزب بيرغوبو ، الذي رفض منذ سنتين الخدمة في الجزائر ، من سجن كازابيانكا ، فوجهت الشبيبة الشيوعية في اليوم التالي[12] نداء قالت فيه (يكفي هذا الهراء قاتل وانت (تهدىء) وتهدىء وأنت تقاتل ، اننا لا نريد أن نكافح من أجل حل فارغة من كل معنى اننا لم نعد نستطيع الانتظار ، والسلام لا يمكن أن ينتظر) ودعت حركة السلام بحانبا للتظاهر من أجل المفاوضات ، وحق تقرير المصير ، وأعلنت لومانيتيه[13] عن اجتماعات خطابية ومظاهرات في روميل وهالاكوف وايفري وسان دني وأركوي ، وفي الحي التاسع عشر في باريس .

١١ ـ أصبح لورانت شوارتز رئيس لجنة أودان بعد موت البير شاتليه في ٣٠/ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ ، الذي كان الرئيس مع الشيوعي ، جان دريش والكاثوليكي هنري ايرين مارو .

١٢ ـ ٢٧/ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .

١٣ ـ لومانيتيه ٢٠/ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٠ .

وفي حاشتي . كان الهدف من كل ذلك استعادة المواقف . أما بالنسبة (للافتتاح) . فقد تم بفضل مقال كتبه جان بير فيجيه عضو اللجنة المركزية بعنوان (لندعم المتهمين ، ولنتدافع عن الـ ١٢١) وقال أيضاً (ان الدفاع عنهم هو قضية كل الديمقراطيين ، وكل الجمهوريين ، وأنه لأمر مميز ، وعلى الحكومة أن تفكر فيه مليا ، بأن الشباب ، والعمال ، وجماهير المثقفين والجامعيين الواسعة ، تحيط بالتفهم والتعاطف ، هذه الأعداد المتزايدة من ضحايا القمع الذي ينظمه رئيس الجمهورية . وإننا نقول ، بوجه الحكومة ، بهدوء ، بالرغم من عدم موافقتنا أحيانا ، على الاساليب التي أختارها بعض المتهمين أو اقترحها الـ ١٢١ ، بإننا نعتبر أن تدعمهم يساهم في ايقاظ الرأي العام ، وبوسع المناقشات حول طبيعة الحرب في الجزائر ، والاساليب التي تضع حدا لها)[14] .

إن هذه الافتتاحية فريدة من نوعها ، فمن المعروف والمؤكد أن الأساليب التي استخدمها مناضلو الشبكة ، أو اللجوء الى الفرار من الجندية هي أمور مدانة ، إلا أن اللهجة الحارة ، تطبعت تلك الشهور الحرم . ان السماح الذي حصل عليه جان بير فيجيه ، بالتعبير عن رأيه حول الأسلوب ، في الوقت الذي لم تكن فيه علاقاته مع العناصر الخاضعة في الحزب سرا على أحد ، يكشف بوضوح عن التأرجح الكبير في قيادة الحزب نفسها . وهكذا سجل التيار المجدد لتغيير المواقف نقطة جديدة . أما التيار (المحافظ على السياسة السابقة) فكان على العكس تماما ، يرى بأن تنازلات واضحة من هذا النوع ، سيكون من شأنها أن تثبت (مدعي التيار) في حيهم للتحريض . يقول جان بير فيجيه (كانت مثيرة . فقد كنت أريد في البدء توقيع بيان الـ ١٢١) الى جانب حفنة من الحزبيين الشيوعيين ، الذين خاطروا بذلك ، إلا أن كازانوفا وسيرفان لم يكونا من هذا الرأي . وبما أنني كنت عضوا في اللجنة المركزية ومرتبطا بهما ، وهما يعتبران بأنني أن قمت بذلك فإنني سأعرقل النزاع الداخلي أكثر من أي شيء آخر . وهكذا تراجعت ، ولكن بقي أن أعمل على الأقل ، لكي لا يتخلى الحزب عن المضطهدين . وكانت فكرة مقال واضح نظيف في الأومانيته هي فكرة كازانوفا . فكتب مقال وأعدنا النظر فيه بدقة ، ثم كان عليّ أن أناقشه مع توريز فقضينا يوما بكامله ، كلمة بكلمة وفاصلة بفاصلة . وفي النهاية أضطر توريز للتنازل ، إذ أن نتيجة النزاع ما زالت غير أكيدة ، فأصبحت المقال جاهزا للطبع ؟ وهنا صادفتني العقبة الجديدة : فقد رفض آتيين فاجون وروبيه أسترير المقال ، وواجهاني بكل طاقتها ، ثم اتصلا بتوريز لتأجيل نشره ، كنت أصرخ بكل قوتي ، ثم أن توريز لم يعد يستطيع الرجوع عن كلمته وخرج المقال ، كما هو ، اللهم الا بعض التعديلات الطفيفة جدا ، وعندما رأى فاجون وغاستون بليسونييه المقال يطبع أصيبا بانهيار عصبي حقيقي)[15] .

انتصار مؤقت ، فلم تلبث كفة الميزان أن تغير اتجاهها ، ودفع جان بير فيجيه ثمن جرأته عاليا .

أعطت حركة الـ (١٢١) ، بكل ما حركته ، وبالتصميم الذي تبنته والأسلوب الخصوصي الذي خلقته ، نفسا جديداً . ولكن لا يجوز أن يضلل المرء نفسه حول تجانسها السياسي . فقد تناغم صانعو البيان نشره مع محاكمة شبكة جانسون . وفي الحقيقة بشكل مرتجل . فعمومية القمع غطت بالعار نفسه كل

---

١٤ ـ لومانيته ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٠ .

١٥ ـ محادثة مع المؤلف ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ .

الموقعين ، ولا يعني ذلك إطلاقاً ، أنهم كلهم حملة حقائب ، أو أنهم يوافقون على طرح جانسون لمفهوم التضامن العملي بين اليسار الفرنسي والجبهة الجزائرية ، أو يشجعون الشباب على الفرار من الجندية . واكتفى الكثيرون منهم بقبول حق اتخاذ ذلك الموقف الا ان اليمين واليمين المتطرف أعطاها فحرما كل هؤلاء الخونة في علبة وأعطيا منهم صورة بلون وحيد .

ويلخص بير فيدال ناكيه هذه المواقف بثلاثة اتجاهات (فالبعض ، يتعرفون على أنفسهم من خلال التصريحات الأخيرة التي أدلى بها جانسون ، ويعتبرون ان المهمة الأساسية لليسار هي التضامن النشيط مع جبهة التحرير الجزائرية ، كما يعتبرون بأنها أقصر طريق للوصول الى الثورة الفرنسية . ويقودهم ذلك بصورة طبيعية الى الاندماج المعاكس ، والخدمة في صفوف جبهة التحرير . وفي الجناح الآخر ، نجد رجالا ونساء يعتبرون الحرب في الجزائر سياسة كارثية بالنسبة لفرنسا ، ويعتقدون بأن هناك واجبا للرفض دون قبول التحالف مع جبهة التحرير ، ويضاف الى هذا الموقف السياسي موقف أخلاقي تردد صداه في حركة (اللاعنف) . وهناك أخيرا آخرون يميزون ، عند الحكم على سياسة الشبكة ، بين ممارسة الدعم لجبهة التحرير ، والنظرية التي يقدمها عن هذه السياسة من نظروها ، وبصورة خاصة من هم حول مجلة الأزمنة الحديثة . فهؤلاء وان قبلوا مبررات انعقاد (اليسار المحترم) فإنهم يرفضون أن يروا في جبهة التحرير أمل الاشتراكية الفرنسية)[10] . ويبدو لنا واضحاً ، تفضيل بير فيدال ناكيه لهذا التفكير الأخير . فهو كمناضل يذهب الى الأمام بسرعة ، وكمؤرخ لا يرى في الديغولية محرما ماشيا ، بل إعادة تنظيم بورجوازي ، ولا يرى في الكفاح الجزائري يوم القيامة بل مطالبة قومية .

ويبقى جانسون مؤشرا للتناقض ، حتى بالنسبة للمائة والواحد والعشرين ، فعندما أعدمت جبهة التحرير ، في تونس ، جنديين فرنسيين ، كلوتير لوغال وميشيل كاستيرا ، أجرى موريس ملتيو مع الناطق باسم الشبكة مقابلة صحفية لحساب مجلة لونيتا الايطالية ، ونقلتها الصحافة الفرنسية في احتدام المعركة ولم تثر تصريحات جانسون أعداءه فحسب :

موريس ماشينو : ألا يجوز أن تسيء هذه الاعدامات ، بصورة غير مباشرة الى سمعتك في فرنسا ؟

فرنسيس جانسون : إن إعدام الجنديين الفرنسيين من قبل جبهة التحرير ، لم يفاجىء الا من يريدون أن يفاجأوا ، ولم يثر غضب إلا من اختاروا أن يكونوا كذلك في كل المناسبات ضد الجزائريين ، متناسين بكرم الجرائم العديدة التي ارتكبت هناك وفي فرنسا من قبل الجيش الفرنسي والشرطة الفرنسية ، ولا يمكن الآن ، أي بعد خمس سنوات من الحرب ، وبعد كل الأنباء والمعلومات التي نشرت حول كيفية سير هذه الحرب ، أن نشك بعقل مسؤولية جنديين ينتميان الى فرقة كوماندوس . إن ما هو مأساوي بالنسبة للقدر مثير الجنديين ، انها حكما ترمز عن كثيرين غيرهما لم يحكموا ، ولكن الحكم عليهم شرعي بالقدر نفسه . أما عن انعكاس ذلك على تأثيرنا في فرنسا ، فإن ذلك لا يقلقني إطلاقا فكل الفارين تعلا على القيام بعمل الى جانب الجزائريين ، هم في الوقت نفسه قادرون أن يطرحوا مثل هذه المشاكل بشكل صحيح ، وهم

---

[10] - فرانس أوبسرفاتور ٦ / تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٠ .

يميلون على الأرجح الى الاعجاب بالمحاكم الجزائرية التي لم تحكم على غير عليين الجنديين بجرائم الحرب .

بلغ عدد الأحكام بالاعدام في ايلول (سبتمبر) وتشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٠ ، ضد المناضلين الجزائريين (١٦) حكما نفذ ثلاثة منها.

واختفت الفتاة الجزائرية حورية زرارى التي اعتقلت منذ خمسة عشر يوما، ولم تترك أثرا، وعددت الصحافة الفرنسية الصادرة يوم ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ٣٢٦ قتيلا جزائرياً خلال ٩٦ ساعة، ووجه السيد مسمير برقية تهنئة الى الجنرال كريبان.

ومال ميزان المناهضين للاستعمار وحماسهم الى جانب جانسون . إلا أن ميزانه بدت ، مع ذلك ، لأصدقائه بالذات ، فضائية فوق العادة ، فشقت هذه المبررات (المائة وواحد وعشرين)، وأبلغت في المحيط رجالاً مثل جان ماري دوميناك ، وبول ريكو ، وغذّت الانتقادات الطليعة والميل الى الكل لو لا شيء . فوضع بيان ثالث بعد بيان ماسكولو وبيان الماريشال جوان : بيان الطلبة والمدرسين والنقابيين (من أجل سلام متفاوض عليه في الجزائر) ووقع هذا البيان عدد كبير من المسؤولين في اتحاد الطلبة ، واتحاد التربية الوطنية ، والاتحاد الوطني للمعلمين ، والاتحاد الوطني لمدرسي الثانوي ، ومجموعة كبرى من المثقفين المشهورين : رولان بارت ، جان كاسو ، روبير اسكاربي ، روفيه الباصيل ، جاك لوغوف ، دانيال ماير ، موريس ميرولوبونتي ، إدغار موران ، جاك بريفير ، جان روش وآخرون ، ممن اشتهروا باختصاصاتهم . وكان رنين البيان (عاقلا) مغايرا سابقيه .

وسجل البيان (أزمة الضمير على الثورة) التي يعيشها الشباب ، وقدم علاجا هو : القضاء على الشر ، أي على الحرب نفسها .

كان فرانسوا ماسبيرو قاسيا عندما أوحى بأن هذا المسعى (ساهم مساهمة كبرى ، في تهدئة الضمائر المضطربة ، التي كانت بحاجة لأنها لم توقع على بيان الـ (١٢١) وهكذا فإنه ساهم في إقامة سد ، أكثر فعالية من كل عمليات القمع الحكومية ، في طريق انتشار البيان بين المثقفين)[17] . ما من شك بأن هذه التظاهرة المعتدلة أخذت شكل (التعويض)، ولكن ألا يوضح ذلك درجة النضج الحقيقية ؟ فقد دام رصد الـ (١٢١) طويلا ، وتردد صداه بعنف وسبب دويا مفاجئا ، إلا أنه لم يؤد الى الثورة . لقد وتر أعصاب اليسار المثقف حتى آخر الحدود ، إلا أن السياسة والأخلاق تداخلتا وتشابكتا بحيث تغلبت هذه على تلك ، وبحيث أصبح الخطاب رمزا أكثر من كونه إشارة إنطلاق .

لقد أعطي الاندفاع بقوة عتيقة . لكن ، لم تكن الثورة ولا الرغبة ، متوقعين في مستقبل قريب ، ولم يخطىء جيل مارتينيه ، عندما وصف اليسار الذي تملكه عواطف متناقضة (فهناك من جهة الاعتقاد بحرب طويلة واتجاه لنظام نحو الفاشية ، ومن جهة أخرى هناك الأمل بأن يخلق مع ذلك ، وضع يطرح قضية النظام نفسه)[18] . ومهما يكن من أمر ، فقد تم تمثيل الحماقات والرهانات بلوح الحنة حيث وجدت التظاهرات الجماهيرية نفسها مضطرة بأن تتحرك أو تموت .

---

١٧ . المصدر السابق.

١٨ . فرانس اوبسرفاتور ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٠

وتحركت الأمور ، وانطلقت حسب المنطق ، من اتحاد الطلبة ، الآن وإلا فلا ، فأعلن بيير غوديه يوم الخامس من تشرين الأول (أكتوبر) بأن الطلاب سيتظاهرون في نهاية الشهر ودعا (حركات الشبية والنقابات والمنظمات الديمقراطية) الى الاستنفار أيضاً ، ويبين في تصريح لتيموانياج كريتيان بأنه يجازف بكل شيء (إن حركة التمرد تتسع يوماً بعد يوم في صفوف الطلبة . فإذا فشل ما نقوم به ، فإن عدداً كبيراً من الشباب سيختارون العمل السري والفرار والعصيان والرفض ، نظرا لعدم وجود إمكانيات أخرى ، وقد وصل الضغط داخل الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا الى الحد الحرج)[19] وكانت الرسائل تنهال على مقر اتحاد الطلبة في شارع سوفلو ، رسائل كالتالية (لقد ترك الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، بعد أن قام بعراكه النضالي ، العسكريين يشوشون دراسة آلاف الطلبة ، ويبدو أن الاتحاد يريد أن يترك الآخرين يتخبطون في هذا الوضع المبهم : عمليات يأس بدون دعم ، إطاعة تؤدي الى التخلي عن الذات وسط اللامبالاة العامة ، وكل ذلك وبحجة الحذر ، تتركون قواعدكم تدبر أمورها كما تستطيع).

ويؤكد بيير غوديه ، بعد ثمانية عشر عاماً ، لمؤلفي الكتاب ، بأنه كان محرجاً محاصراً ويقول (كنت أقوم بنوع من سباق للسرعة ، ضد انتشار العصيان ، وكنت أراه قادماً . وخشيت أن يتعدى الأوساط الطلابية ولم أكن أخشى العصيان بل كنت أخاف من نتائجه . فبدون القيام بعمل جماهيري هنالك مئات ومئات من الشباب سيوقفون دروسهم ، ويضعون أنفسهم في أوضاع شخصية لا يمكن تصورها . فدعوت المكتب للاجتماع وقلت للرفاق : إن لم نخلق حادثاً ما ، فإننا سنفقد خيرة مناضلينا ، ونعتبر من جملة الخائنين في الوقت نفسه ، فقد حكم علينا إما أن نقوم بعمل جماهيري ، أو أن ندخل في إطار السرية)[20].

لقد كاد الأوان يفوت ، ففي السابع من تشرين الأول (أكتوبر) ، وبينما كان ماندس فرانس يلقي كلمته في اجتماع جماهيري ، دعا اليه الحزب الاشتراكي الموحد في سان دوني ، كان الضجيج كبيرا ، والشباب يهتفون (فرار من الجندية) وألقيت في الهواء منشورات وقصاصات كتبت عليها (المقاومة الفتاة) نعم ان الوقت قد حان . وأخيرا ، وخلال هذا العام المخيب للآمال ، حيث تعرضت التطلعات الى السلام للخيانة ، كانت الظاهرة الوحيدة هي ذلك الاضراب المشترك الذي دام ساعة واحدة ، رداً على المتعرضين الذين وضعوا الحواجز في شوارع الجزائر العاصمة ، فيوم ٢٨ حزيران (يونيو) (يوم من أجل السلام) ، لم يترك ثقلا في الميزان . فانتهزت مجلة الاكسبرس ، ومجلة فرانس اوبسرفاتور الفرصة ، والتقطت حالا طرف الحبل الذي مده غوديه .[21] وتبعها اتحاد الشبيبة الوطنية ، الذي أصيب إصابة مؤلمة بقضية الـ (١٢١) ، بشرط القيام بمفاوضات سياسية ، وبين الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين حسن استعداده تجاه اتحاد الطلبة ، إذ أن المسيحيين وأعضاء الحزب الاشتراكي الموحد لهما تأثير في كلتا المنظمتين ، واهتم الكثيرون بهذه المناسبة أن يقترحوا مسعى وحدويا على الاتحاد العام للعمل ، بقوى متوازنة تقريبا .

---

١٩ ـ تيمو انياج كريتيان ، ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٠ .

٢٠ ـ شهادة بيير غوديه .

٢١ ـ التقى بيير غوديه ، بجيل مارتينة وجان جاك سرفان شرايبر ، للتنسيق لاطلاق المبادرة وقد نشرت فرانس اوبسرفاتور والاكسبرس على الغلاف الاسبوع نفسه نداء الاتحاد الوطني لطلاب فرنسا .

وهنا نقطة الضعف . كانت المنافسة عنيفة بين القطاع القانوني وعناصري اللاقانونية . كما كانت المنافسة عنيفة أيضاً بين المنظمات القانونية . فأنذر الاتحاد العام للعمل الطلبة بجفاء (يبدو تداولكم وكأنه لا يأخذ بعين الاعتبار ، كل ما فعلناه ، نحن ومنظمات أخرى ، وكل ما سنقوم به ، وهكذا فإنه قد يؤدي الى الاضطراب وبعثرة الجهود . . .) إلا أن غوديه لم يقلق كثيراً ، فقال لنفسه ، هذا أمر طبيعي ، فالشيوعيون يحاصرون نوعاً ما في هذه الفترة المزعجة وهم يجمحون قبل أن يصعدوا الى القطار السائر .

لقد مضى وقت طويل وبوبوا فراشون يصرح بأعلى صوته منادياً بوحدة العمل النقابي ، ويتحمس الناطق باسم اتحاد الطلبة الشيوعيين ، فيليب روبريو ، وكذلك ممثل الشبيبة الشيوعية بول لوران [٢٢] ولم يكن رئيس إتحاد الطلبة يجهل بأن عليه أن يلعب دور الوسيط ، بين إتحاد التربية الوطنية ، الذي يقف شعره عندما يسمع اسم الجبهة الجزائرية ، وأعضاء الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين ، الذين تقشعر أبدانهم عندما يقترب منهم البلشفيون ، والبلشفيون الذين يقلقهم أن يروا من يدور عن يسارهم بانتظام ، وبصورة خاصة أبناء البورجوازية الصغيرة الأعضاء في الحزب الاشتراكي الموحد . فأحبطاً غوديه بتفاؤله . فقد ألغت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي التي نشرت نتائج أعمالها يوم الخامس من تشرين الأول (أكتوبر) ، الاجتماع الذي دشنه جان بيير فيجيه [٢٣] . وعامل النقابة الطلابية معاملة موقفه لتلك المنظمة (التي تقرر منفردة تنظيم مظاهرة وطنية) . وبدا الانهيار على فيليب روبريو ، وولى أمره سيرج دوباكي ، فبدأ بحركة مكوكية غريبة بين الاتحاد الوطني ، واتحاد الطلبة الشيوعيين وأمانة اللجنة المركزية ، حيث أحيطوا علماً بأن مبادرة غوديه ليست إلا استفزازاً . ووجد فالديك روشيه ، الذي لم يكن يعتقد في عمق ذاته بذلك ، وجد نفسه في حقل النيران التي وجهها له بكثافة جانيت فيرميرك . ولجأ الى الصمت . فاقترح الشباب تسوية ، فبدلاً من قيام مظاهرة مركزية ، لم لا تقوم عدة مواكب لا تلتقي الا في نهاية المسار ؟ ولكن بدون جدوى .

إلا أن رئيس إتحاد الطلبة عنيد ، وسافر الى موسكو بدعوة من جيري بليكان لحضور المهرجان الدولي للشباب . ويقول غوديه (عدت الى باريس يوم ١٩ وكان معي في الطائرة الوفد الشيوعي الذي يضم بول لوران وممثلين عن اتحاد الطلبة الشيوعيين وأكدوا لي جميعاً بأن الأمور ستنتظم)

إلا أن الأمور لم تنتظم ، بل مالت الى التفاقم ، فقد اتفقت جميع المنظمات النقابية ـ بما في ذلك ـ فرع باريس للقوى العاملة ـ في مرحلة أولى ، على دعوة أعضائها يوم السابع والعشرين من تشرين الأول (أوكتوبر) للحضور الى ساحة الباستيل ، إلا أن الحكومة منعت المظاهرة ، فقامت الاحتجاجات واتسع في الحزب الشيوعي طرح الاستفزاز ، وأعلن الحزب الشيوعي الفرنسي يوم ٢٤ تشرين الأول (أوكتوبر) (أن مظاهرة محدودة بالطلائع ستبرر اليوم ، استفزازات السلطة الشخصية ، وانقسام أعداء سياسة السلطة ، وتحقيق التهديدات الأخيرة التي أطلقها رئيس الدولة ضد ما بقي من الحريات) بمعنى آخر ان الحزب

---

٢٢ ـ محادثة اجراها المؤلفان مع فيليب روبريو .
٢٣ ـ (ها هوذا الرجل الذي يريد تنظيم مسيرات شوارع من شأنها أن تعرض أمن قيادة الحزب للخطر) هذا ما كتبه فيرميرش (شهادة شخصية)

يتهرب . إلا أن غوديه يواصل ، ويفاوض بالتناوب مع الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين والقوة العاملة ، واتحاد التربية الوطنية ، ووزارة الداخلية على مبدأ عقد اجتماع خطابي في الموتواليتيه . واضطرب روسيربو ودوباكي عندما عرفا بأن عليهما أن يأمرا أعضاء منظمتهما بمقاطعة الاجتماع . فاقترحا ، كمحاولة أخيرة ، أن يذهبا بموكب إلى مكان الاجتماع ليدعما خطيباً واحداً هو ممثل الاتحاد العام للعمل ، ولكن بدون جدوى ، فلم يلق توريز أو زوجته . والتقى روسيربو بغوديه ، وحاول أن يفهمه بكلمات مقطعة ، وعندما فقد الأمل ، توجه بالحديث إلى بينوا فراشون الذي لم يتحرك ، والأسوأ من ذلك أن الاتحاد العام للعمل بيّن بأن الاجتماع سيجري (بالاتفاق مع الحكومة) وأن المظاهرة ستتم ولكن ليس في وسط باريس.

ورضي غوديه بالأمر الواقع ، وقبل بأن يضمّ شعاراته في الوقت ذاته . ولكي يتأكد شخصياً ، دق على الباب العالي . والتقى بفالديك روشيه . إلا أنه اصطدم بجدار من الصمت . ثم التقى بفراشون (وكانت المحادثات مع الاتحاد العام للعمل ، تتم حتى ذلك الحين بواسطة مارسيل كاي) ولكن المساعي ذهبت سدى . وأخيراً ، وفي يوم ٢٦/ تشرين الأول (أكتوبر) ، كان على العمال والمناضلين ، أي باختصار (الجماهير) أن لا تنصاع لأمرين متعارضين . ولكن الاختيار سيكون سهلاً . هل سيأتي كثيرون إلى الموتواليتيه أم لا ؟

لقد كانت جانيت فيرميرك بحاجة كبرى للاعتقاد بفشل الاجتماع ، إلى درجة أنها ذهبت مبكرة جداً لزيارة القاعة ، ولم تنتظر ، وعادت بسرعة إلى صحيفة (لومانيته) هاتفة (لا يوجد في القاعة أحد ، وها أنا قادمة منها) [٢٤] إلا أنها أخطأت . فلقد كانت في القاعة جماهير ، جماهير تتكدس بعضها فوق البعض الآخر ، يسحق بعضها البعض الآخر ، تملأ الممرات ، وتحتل كل متر وكل سنتمتر ، لتصل إلى الرصيف ، وقبل ساعة من الكلمة . كلمة وحيدة باسم جميع المشاركين ، ألقاها رئيس اتحاد الطلبة . تلقى غوديه زيارة في أسفل المنبر : (كان بول لوران هنا ، يطالب بأن يلقي اتحاد الطلبة الشيوعيين كلمة ، فأجبته بأن الاتحاد العام للعمل سيلاقي الترحيب ، إلا أن اتحاد الطلبة الشيوعيين ليس تنظيماً نقابياً ، فألح لوران ولم أعرف باسم من !) إذ أن المناضل المسكين الذي كلف بشرح وجهة النظر الشيوعية في باحة السوربون ، تلقى رشقات ثقيلة من الشتائم . وأتوا . . . شيوعيين وغير شيوعيين ، ولكن شيوعيين بصورة خاصة ، بعشرات الألوف . وقررت نقابة البنائين ، التابعة للاتحاد العام ، عدم اطاعة فراشون ، وأتت واستقبلت بتصفيق حموي ، وكانت أركان الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين والحزب الاشتراكي الموحد وممثلون عن لجنة أودان هناك واستقبلوا الاستقبال الحار نفسه ، ومرت منشورات (المقاومة الفتاة) من يد ليد ، بسرية وتؤدة .

وفي يوم السابع والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر) الساعة السادسة والربع مساء . . . وعندما اقترب غوديه من مكبر الصوت ، علا القاعة هتاف حماسي ، حيا الوحدة المنتظرة أكثر مما حيا نص التسوية الذي قرأه ، وحدة مستردة مع ذلك ، بالرغم من توريز (دون الحديث عن موليه) هتاف يحيي الثور الوحشي للشبيبة صانعة هذا النجاح ، ولم يدم الاحتفال طويلاً ، ربما خمساً وأربعين دقيقة . وكان أربعة آلاف من

---

٢٤ ـ رواه فيليب روبريو.

رجال الشرطة ينتظرون في الخارج ، وكذلك متظاهرون معادون ، وحدثت صدامات . وأصيب ثلاثة وزراء سابقين ، دوبرو ، وميتيران ، وتانغي بريجان ، وكلا الأولين كان وزير داخلية) ، إصابات خطيرة ، كانت الهراوات تهطل ، تمزق وتحطم ، فتعرض رولان دوما للاعتداء بينما كان يساعد تانغي بريجان على النهوض . وتلقت جبريل حليمي ، ومادلين ريبيريو كيلا من الضربات . في كل مكان ، في شارع مونج ، وحول سان نيكولا دو شاردونيه ، وشارع سان جاك ، وحتى شارع أراغو ، وفي غوبلان ، كانت مجزرة . وكان الصحفيون هم الهدف الأول ، سواء كانوا من باري بريس (المدريجستلقمان) أو من وكالة الصحافة الفرنسية (آلان جيروم) أو من راديو لوكسمبورغ (جان بيير فاركاس ، وصي فارسوا ، وكريستيان درانكور) وغيرهم .

خطأ كبير ارتكبته السلطة : فقد امتدت المظاهرة في اليوم التالي على طول الصفحات ، (المظاهرة) ، وليس الاجتماع الخطابي فقط . فقد أعاد الوزير للمنظمين عندما حنث بوعده ، مبادراتهم الأولى . كل الصحف ؟ كلا . فقد أعرضت لومانيته عن ارتياحها (لليوم السعيد) يوم السابع والعشرين ، وفي كل مكان من فرنسا تشكلت مواكب بدعوة من الاتحاد العام للعمل والحزب الشيوعي (وفي كل هذه اللوحة ، بقي ظل واحد في موجة العمل الموحد الصاعدة . مظاهرة واحدة معزولة هي مظاهرة الموتوالينه) .

ولكن ها هو ظل بعيد واسع ، فقد أضاع توريز الفرصة بتخصصه ، بل وبدون شك ، بتخوفه تجاه هذا المدير (وامتداداته الداخلية) وقلب الشبية ضده ، بينما هي التي تقف في الخط الأول . وترك الساحة حرة ، أمام اليسار الجديد ، فكان الحزب الاشتراكي الموحد هو المستفيد سياسيا من العملية ، وحرر للاتحاد الفرنسي المسيحي للعمال مجالاً عرف كيف يستفيد منه . وكان تاريخ ٢٧/ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٠ ، في هذا الأطار تاريخاً حاسما ليس لأن (الحركة الجماهيرية) المفقودة قد ارتسمت معالمها حسب ، بل لأن ذلك جرى بدعم من تحفظ الحزب الشيوعي ، انه عقاب على سياسة تائهة تجاه الجزائر والديغولية ، وعدم تفهم تحولات اجتماعية وأيديولوجية تميزت بها الستينات .

أما ما يهم حملة الحقائب ، ومناضلي الفرار من الجندية ، والمناهضين المتعصبين للاستعمار فإن لهم الحق ، بأن يعتقدوا بأن هذا الاندفاع في جزء كبير منه ، هو نتيجة للاندفاعة الكبرى التي أعطوها قبل أية جهة أخرى ، للعمل السري والحرب الثورية التي غذوها ولكنهم ان لمحوا في يوم السابع والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر) المرحلة الأولى من مشروعهم الثوري ، فقد أخطأوا . فإن العكس هو الصحيح ، إن العمل الجماهيري الذي بدأ ، والذي سينتهي بتحريض الحزب الشيوعي ، والاتحاد العام للعمل ، هو تتويج لشجاعتهم . إلا أن دورهم السياسي قد انتهى تقريبا . والمعروف في هذا المجال أن من يحصد ، علة ، نادراً ما يكون الباذر .

الجزء الرابع
مسافرون بلا حقائب
١٩٦١ - ١٩٦٢

٢٠

البديل

بينما كانت المحاكمة تجري ، كان جانسون في سويسرا ، وفي ليونس ، حيث يقيم في فندق . وكانت كريستيان فيليب تخطف نفسها بين قطارين ، وتعلمه بدقة وتنقل له ملاحظات وأسئلة رولان دوما . ودفعت بها الجرأة الى حضور جلسات المحاكمة ، كما فعل ألين بولو ، الذي كان ينتظر قرار الحكم في مقهى مجاور . كانت تصغي الى الحديث الذي يجري من حولها وتلاحظ أن المبررات المستخدمة منذ أشهر وسنين من قبل حملة الحقائب ، تجري الآن على الألسن . أما جانسون فكان ممزقاً بين الارتياح لهذه النتائج ، والشعور القوي بالخجل بأنه لم يكن الى جانب رفاقه ، شعور معقد يظهر فيه نوع من الشعور بالذنب .

إلا أن هدوءه سرعان ما تعكر ، فاعتقلته الشرطة السويسرية يوم السادس من تشرين الأول ، (أوكتوبر) ، كما اعتقلت سيسيل ماريون ، وكان جاك بينيه موضع مذكرة اعتقال ثالثة ، إلا أنه كان في بروكسل ، ومعه دومينيك داربوا وفلوريا دوهيريرا ، حيث كان يعمل على إعادة إقامة شبكات العبور . وحققت الشرطة السويسرية مع جانسون وماريا ، وطبقت الفتاة الأوامر التي تلقتها ، بحيث رفضت التوقيع على ضبط الشرطة ، الذي يقول بأنها لم ترد بأي شيء على المحققين ، وبدأ جانسون في المكتب المجاور مفاوضات غريبة من نوعها :

- تريدون إبعادي ، فليكن ، أعيدوا لي إذن هويتي الشخصية .

- يا سيد ، إنك لا تفكر جدياً بذلك ، سحب وثائق مزورة من الملف وإعادتها ؟ هذا أمر غير معقول .

- كما تشاؤون ، سيرجعني الألمان الى سويسرا ويبدو لي بأنني سأكون بالتأكيد ضيفاً ثقيلاً .

وفي صباح اليوم التالي ، اتجه المفتش نحو سجينه ، رافعاً بيده هوية بلجيكية : انتهى يا سيد إيسير ، هل أنت جاهز للسفر ، فانفجر جانسون ضاحكاً ، واسترجع الهوية وصعد الى سيارة ، وبرفقته سيسيل ماريون ، ودخلا الأراضي الألمانية بدون صعوبة ، فاتصل هاتفياً بفيتيه ، الذي دعاهما الى بلجيكا . إقامة مؤقتة إلا بالنسبة لفيتيه ، الذي تلقى من بو داود الموافقة والمال لاقامة فرع خارجي . وكان رئيس الاتحاد الجزائري يثق بجدية نقابة فيتيه ، وإن كانت مسؤولياته الجديدة تخلق بعض الاحتكاك مع شبكة كوريل .

أما في باريس ، والحقيقة تقال ، فإن الجماعة لم يكن لديهم الوقت للمشاعر . فقد تبين بوضوح أن نهاية الصيف كانت جنونا تماما . ولم يعد المناضلون ، نتيجة للارهاق يعطون إلا قليلا من الأهمية للحذر ، فقد تغير توزيع القطاعات منذ الربيع السابق ، وأخذ ماتيي ، الذي استجم لوقت قصير في سويسرا ، بعد قضية ماكو ، يؤمن عبور الحدود ، ومارتان فيرليه يوجه الأموال الى المركز ، ودوفانجان يسجل طلبات جيش الجبهة ، وكان كل ذلك يتم في زوبعة ترهق الرجال وأعصابهم . وحدث الأمر المقدر . فقد ظهر وجود رجال الشرطة ، وكانت أعراض ذلك هي دائما نفسها : ظل يلاحق ، طقة في الهاتف . . . ومرة ، خرج (البارون) من اجتماع مسرعا ليشتري علبة سكائر ، فوجد نفسه وجهاً لوجه أمام مصور كان يأخذ الصورة تلو الصورة للشارع ، الذي ليس له أية أهمية إطلاقاً ، وأخذ المناضلون يتأكدون بأنهم تحت عدسة المظار ، وأجريت مداهمة قام بها الشرطة كوربيل على الفرار من تحت عبر الأسطحة .

كانت رائحة الحريق واضحة ، وألح مساعدو كوربيل عليه أن يغادر فرنسا . إلا أنه انتظر ، وهمس المحامي مراد أو صديق لبولو ، الذي كان يلتقي به ودياً (لقد أسر لي مخبر عليم بأن أمن الدولة يحضر لأعتقال خمسة عشر شخصا) فأعلم بولو كوربيل بذلك ، فأجاب (لن نطير كالعصافير كلما سمعنا طلقة مسدس) ووافق المناضل المصري مع ذلك على التخفي لبضعة أيام في بيت بلجيكي متعاطف ، في ضواحي باريس . وفي صباح يوم ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ذهب جورج ماتيي ودوفانجان . ليأخذا كوربيل وكان مبدأ مغادرته فرنسا قريبا قد تقرر ، ولا بد من وضع تصور للنتائج التنظيمية لذلك . وعلى الرصيف ، قرر الرجلان نقل رئيس الشبكة الى ١٧٦ شارع غروفيل ، الطابق الثالث ، الى شقة أرليت دانزلير ، وهي ممثلة سينمائية شابة شبيهة ميشيل مورغان وبديلتها ، وكان يقطن الشقة زوجان بالاضافة الى المالكة ، فهناك صديقها برنار بوميير ، ورفاق لها : كريستيان مونييه وماري كلود بوشو ، وكان الوحيد منهم (المتورط فعلا) هو كريستيان ، ولكن بموافقة الآخرين . وقد اتجه اختيار ماتيي (البارون) الى هذه الشقة ، لأنها لم تستخدم إطلاقا قبل ذلك كمخبأ ، أما هاتفها فقد استخدم كثيرا ، وكانت التعليمات منذ ان بدأت أشباح الشرطة تظهر ، تقضي بعدم اللجوء الى استخدامه الا في الحالات العاجلة .

ركب كوربيل في السيارة التي يقودها دوفانجان ، وركب ماتيي سيارة يفتح بها الطريق أمامهم ، واتفقوا على أن يحدث صدام إن حدث شيء ، إلا أن الأمور سارت على ما يرام ، وكان شارع غروفيل هادئا ، ولم يكن في نية كوربيل ان يخلد فيه ، فقد أعد لسفره بعد يومين ، وكان كل ما هو مطلوب عزله لبضع ساعات لكي يلقي نظرة على مجمل الوضع . وعاد (البارون) في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، وأخذ يدرس مع هيوم التدابير الملحة ، واتصلت ديدار فوزي ، لكي تؤمن اتصالا بكوربيل وبفانجان ، وأجابها كريستيان باختصار (تعالي سيكونون كلهم هنا) وأتت وانضمت الى المناقشات . إلا أنها غادرت المنزل بسرعة ، إذ كانت على موعد مع مارتان فيرليه ، ورافقها كريستيان بالسيارة ، وألقي القبض عليهما عند عودتهما عند باب المخبأ .

كانت المحادثات مستمرة في الشقة ، حتى نزل دوفانجان ، هو الآخر ، لكي يتصل هاتفيا من الطريق ، وما كاد يلقي نظره على ممر المبنى ، حتى فهم كل شيء ، فتسلق درجات السلم أربعاً أربعاً ، ودخل الشقة وأغلق الباب بالمفتاح ، وأنذر كوربيل بأن الشرطة هنا . وبينما كان جرس الباب يدق ، أخذا

يعرفان محتوى جيوبها ، ولم تكن بين أيديهم أية وثائق هامة إلا تقرير عن الوضع الراهن لسياسة القصر الجمهوري ، تم وضعه بفضل معلومات من صحفيين ، ففتح كوريل طرف النافذة ومزق الأوراق بهدوء ، فانتشرت القصاصات ، والتصقت على الأرض الندية ، وذكرت الصحف في اليوم التالي ، أن المارة والتجار في المنطقة التقطوا بعضاً من هذه القصاصات الثمينة . مما أثار الصحفيين التافهين ، إشارة بلا طائل . كوريل ، الذي له اتصالات واسعة ، سجل ملاحظات تفيد جهة التحرير .

وكانت اللهجة في أمن الدولة لطيفة ، وكان رجال الأمن مقتنعين بإثم فرائسهم ، إلا أنهم لا يعرفون شيئاً عن البنية العامة للشبكة ، ولا مسؤولية المتهمين الحقيقية . ومن ناحية أخرى لم تكن السلطات متحمسة ، غداة عاكايات شبكة جانسون ، أن تنظم مبارزة جديدة . وأفهم رجال الشرطة كوريل وديدار فوزي ، التي كانت قريبة لأحد كبار المسؤولين الفرنسيين ، بأن السلطة ستكتفي بإبعادهما ، ثم انقلب الوضع فجأة ، وجرى تحقيق دام أربعة أيام ، وشارك فيه عشرون محققاً (كان بينهم ، المثقف ، وأبو العائلة ، والعنيف) . وكانت هناك محاولة إرهاب ، فقد تركت ديدار فوزي لوحدها دون شهود تحت تصرف مختص من أصل مصري استخدمته دوائر الأمن ، ثم تلا ذلك التوقيف ، ثم السجن .[1] فلماذا تغير الموقف ؟ . يعتقد أصدقاء كوريل أن ذلك جاء نتيجة لتدخل المخابرات الأمريكية ، التي تحتفظ بملف سميك عن مؤسس الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني المصرية ولم تذهب عملية الاعتقالات الى أبعد من ذلك ، فلم يكن مع المعتقلين أي دفتر أو مفكرة أو ورقة أو أي شيء ، من شأنه أن يوجه البحث . ومن ناحية أخرى ، وفي المساء نفسه أخذ جورج ماتي علما ، فقد قلق لأنه بدون أخبار ، فذهب الى شارع قروفيل ، متخفيا في عمق سيارة يقودها صديق له ، وبددت قوات الشرطة الموجودة كل شكوك لديه . فأطلق كل التدابير الأمنية .[2]

من الممكن أن يكون النداء الهاتفي الذي قامت به ديدار فوزي ، قد دفع رجال أمن الدولة الى أن يسرعوا بسرعة ، وربما لو أن كوريل سارع قليلا في مغادرة فرنسا ، لما تمكن منه رجال الأمن ، ولم تكن أسباب هذه المماطلة صحة الفهم ، وليست قضية روح تسامح من الشرطة . ان كوريل يعرف (المهنة) أكثر من أي شخص غيره في هذا المجال ، فهو مناضل مجرب ، وله قناعاته السياسية ، فمنذ اجتماع (القمة) في مطلع أيلول (سبتمبر) حيث حاول بودلود تطويق الحركة الفرنسية المناهضة الاستعمار ، والعلاقات سيئة جدا بين الشيوعي المصري ، وقيادة الجبهة في ألمانيا . وأخطر بيير هاسل فريق (المقاومة الفتاة) الذين أطلق سراحهم ، بأن كوريل لم ينحرف أصبعا واحدة ، وأنه ما زال مستمرا في تدعيم الحركة المناهضة للاستعمار . وكان ذلك حقيقة ، فلم يكن كوريل متحمسا إطلاقاً للعمل السري إلا أنه كان يقوم به ، ويقوم به بصورة جيدة ، لأنه يعتبره ضرورة فرضها الزمن . الا أن ما يهمه في الحياة ، هو المعركة السياسية المكشوفة ، والعمل الجماهيري . وكان هذا الميدان ميدان إبداعه واستمتاعه ، كان يتقدم ، بالرغم من تحفظ جماعة جانسون ، الذين يتركز اهتمامهم الأساسي على توسيع يسار متطرف ، يربط مصيره بالثورة الجزائرية ، وكانت صياغة بيان الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار قد وصلت المرحلة النهائية ، بمساعدة مناضلين

---

١ - لن تكون هناك قضية .

٢ - شهادات ، ديدار فوزي ، جورج ماتي ، جين فاسمان .

شيوعيين ،وخاصة فيكتور لودوك .

كان هذا البيان يهدف الى الوصول الى جمهور واسع كماً وصيِّش نوعاً . وفكر كوريل بأنه يجب أن يمس أولاً أعضاء الحزب الشيوعي ، الذين لا يرضيهم الشكر لحزبهم ، ولكنهم يتطلعون الى العمل ، ليس فقط أمثال لودوك ، وبرونو ، وفيجيه ، وكريغل فالريمون ، ومادلين ريبيريو (وباختصار كل من وافق على المبادرة الوحدوية التي اقترحها اتحاد الطلبة ، والذين تظاهروا في الموتواليتيه يوم السابع والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر) رغماً عن توريز) ، بل وقطاعات كاملة من (القاعدة) الذين لم يعودوا يكتفون (بالغناء للسِّلم ، للسِّلم) بينما هم يراوحون في أماكنهم . ولهذا كان نص البيان [٣] جريئاً وموزوناً في الوقت ذاته ، جريئاً لأنه يدعو الى العمل اللاقانوني : (انه من غير الممكن القيام بمعركة مناهضة للاستعمار بالشكل المناسب . . . في اطار (شرعية) ديغولية ، تحد من الحريات الشخصية والعامة يوماً بعد يوم) وكان موزوناً ، لأن التمييز ، بين الحركة المناهضة للاستعمار ، وشبكة الدعم لجبهة التحرير الجزائرية ، أو الفرار من الجندية ، مشار اليه بوضوح . ولأن الشعار المركزي فيه هو فضح الحرب الاستعمارية بأنها حرب ظالمة ، وخطرة على الديمقراطية في فرنسا نفسها وليس الحماس لمستقبل ثوري قريب .

كانت العملية قد نضجت ، في تلك اللحظة تماماً ، التي كان كوريل مهدداً فيها من قبل أمن الدولة . وهو يعرف تماماً ، بأنه إن لجأ الى خارج فرنسا فإن سمعته السياسية ستتضاءل حالاً ، ويعرف بأن مساعديه الشباب الذين ما زالوا هشين سياسياً ، لن يكونوا قادرين على أن يحلوا مكانه على هذا المستوى . وبمعنى آخر ، بدا له المنفى أكثر من ابعاد فني ، بل أنه قد يؤدي الى افشال الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، وهكذا فلن يكون هناك منفى ، بل السجن ، فقد تكون النتائج أخف بقليل ، إلا أنها في النهاية متناظرة .

وحالما عرف باعتقال كوريل ، دعا عمر بوداود لاجتماع موسع في ألمانيا يوم الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠ . وتأكدت خلال هذا الاجتماع ، الخطوط التي حددت في أيلول (سبتمبر) ضد رأي مؤسسي الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار : يعاد ترتيب بنية مختلف التشكيلات تحت اسم (المقاومة الفتية) ، ويجب أن يغطي هذا الشعار مختلف نشاطات الدعم والدعاية (الانهزام الثوري) والقطاع شبه القانوني . وأمل فرنسيس جانسون ، بهذه المناسبة ، أن يعود الى نشاطاته السابقة ، إلا أن عمر بوداود ، الذي لم يغفر له عودته الى فرنسا في حزيران (يونيو) رفض ذلك رفضاً باتاً وبكل تصميم . وكان أبعد ما يمكن أن يقبله هو أن يترك لجانسون الحرية في العودة الى باريس ان شاء ذلك ، ولكن بشرط أن يبقى خارج اطار النشاط . وأن يكرس نفسه لدراساته العالية ، كأن يكتب كتاباً حول جبهة التحرير الجزائرية والحرب الاستعمارية ، ومستقبل أفريقيا الشمالية . فانصاع الفيلسوف فلسفياً ، وأقام منذ تشرين الثاني (نوفمبر) حتى شباط (فبراير) ١٩٦١ ، في باريس ، وفي العديد من المنازل (من بينها شقة أعارتها له ماريا فلادي) وكان يكتب ولا يشارك الا في اجتماعات حركة الفارين من الجندية .

---

٣ ـ اقرأ في الملحق النصوص الرئيسية المختارة من هذه الوثيقة .

أما المساعدة فكانت موزعة بين فيه في الخارج ، (حيث تمركز في بروكسل) وماتي في فرنسا ، وهو الذي كان آخر من وصلوا الى ألمانيا ، إذ أن الأسبوع الذي سبق الاجتماع كان مليئاً بصورة استثنائية ، فوافق على الأمر ، إلا أنه لم يكن مصمماً على التعاون مع فرع بلجيكا . وتعايش التنظيمان ، إلا أن العلاقات بينهما كانت محدودة ، بالحد الأدنى الضروري . ولهذا الموقف عدة شروحات . ظاهرة ثابتة بين الذين يعيشون حياة سرية ، خصوصاً وأنهم يعيشون في عالم مغلق ، تتعاظم فيه التفاصيل ، وتأخذ العلاقات الشخصية غالباً طابعاً حاداً ، وكذلك استمرار الخلاف بين الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار والمقاومة الفتاة . وصمم ماتي ، اخلاصاً منه (للعجوز) ، أن يطبع بيان الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار .

وهذا ما فعله حال عودته الى فرنسا . أما كوربيل فانه لم يستسلم ، ولكن بواسطة وسائل تكتم البوح عنها هنا ، من الاتصال يومياً برفاقه الطلقاء ، ومن العمل على البدء بسير النشرات شبه الرسمية للحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، ونشر بيان الحركة . وصدر العدد الأول من (الحقائق المناهضة للاستعمار) (كانون الثاني (يناير) - شباط (فبراير) ١٩٦١) بأربع صفحات ، وتلا ذلك ثلاثة أعداد أخرى ، حتى شهر تموز (يوليو) . والجبهة الجزائرية تشهد العملية دون أن تستطيع شيئاً . إذ أن المساعدة التقنية التي يقدمها ماتي ومجموعته ، كانت فعالة جداً ، كما أن نقل الأموال ، أي القضية الحيوية ، ملزال يتم حسب (أسلوب كوربيل) . فقبل الجزائريون الأمر الواقع ، أي أن يتصارع الفرنسيون (حول قضية الجزائر) ، بشرط الا يؤثر هذا النزاع على سير أمور الجبهة سيرا حسنا . أما بالنسبة لجمهور اليسار ، ما عدا الشيوعيين ، الذين لهم قدم في الشبكة عبر الحركة المناهضة للاستعمار ، فلم تكن معركة (الشعارات) مفهومة عنده ، وبعد أن بقيت هذه المعركة في اطار حجمها الحقيقي تلاشت بعد قليل .

أما بالنسبة لحركة المتمردين والفارين من الجندية ، فقد أججت هذه النزاعات في اطارها وزادت من حدتها . فبقدر ما عرفت فرنسا النقاشات الأخلاقية والسياسية حول العصيان ، بقدر ما كان الأسلوب الذي يفترض أن يدعم هذه الحركة يفقد من قوته . فمن المؤكد أن أعداد هؤلاء قد ازدادت ، وأن المقاومة الفتاة كانت تنظم دورات تدريبية (الأولى في سويسرا من ٢٦ أيلول (سبتمبر) الى الأول من تشرين الأول (أكتوبر) والثانية في ألمانيا (من ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) حتى الثالث من كانون الأول (ديسمبر)) .

وساهم في ذلك كل من جانسون وداهيزي ، وتدعمت النواة القائدة ، بمتطوع جديد له قيمته ، كلود غليان ، شيوعي ، صدم بعنف مثل غيره بتقرير خروتشيف ، وتأثر قليلاً بالتصويت على السلطات الخاصة ، وبتأثير من زوجته ، وهي محامية ملتزمة (مثل العديد من المحامين الشيوعيين) بالدفاع عن المناضلين الجزائريين ، تعرف على الطبيعة الحقيقية للمعارك ، وعندما اقيمت الحواجز في الجزائر العاصمة ، فكر بتشويه نفسه لكي لا يذهب الى هناك ، وغاص في قراءة كتاب (حربنا) وناقش ووازن المبررات والمخاطر ، وقبل دعوته الى الجزائر بقليل ، اجتاز بحيرة جنيف في آب (أغسطس) ١٩٦٠ . في تلك الفترة التي كان الفارون من الجندية يتوافدون فيها الى سويسرا بالعشرات (وبالآلاف) . وحالفه سوء الحظ ولم يلتق بالشخص الذي يجب أن يتصل به في جنيف . وتاه هناك خلال شهر . وأخيراً استغل مناسبة محاضرة كان

يلقيها جان عمروش ، للتدخل والحديث عن التحقيق الصحفي الذي قام به روبير دافيري في تونس والرباط الذي كان عنوانه (الجبهة) ، وحدثت النتيجة التي كان ينتظرها . فما كاد يخرج من القاعة حتى التقطته فتاة تدعى إيزابيل فينـيـالك ، اختصت في استقبال الفارين من الجندية ، فقدمته الى جان لوي هورست وجانسون [٤] .

وغليان هذا ، شاب نشيط ، يكتب ثلاثين صفحة في ليلة واحدة ، وتنبه بسرعة ، بأن المقاومة الفتاة مشغولة بصراعاتها الداخلية ، بقدر ، أو حتى أكثر ، مما هي مشغولة بالدعاية . وبصورة خاصة باتجاه القوات الفرنسية المتواجدة في المانيا ، فتضامن غليان ، الذي لم يكن في يوم من الأيام شيوعياً متحمساً ، مع دافيري وهورست ، أي مع الذين يعيبون على الحركة يساريتها الكلامية ، ونوعاً من العمى تجاه (عمق فرنسا) ، ولو كان هذا العمق هو الطبقة الكادحة ، واعتبروا بأن التاريخ لن ينعطف ، ولم يتعثر ، لأن جيلبير باريه النائب السابق لاتحاد الطلبة ، قد ارتد ، وليس هذا الأمر سوى مؤشر .

يقول غليان (لقد عرفت العديد من الشيوعيين الذين رفضوا الحرب ، طبقاً للمعايير التي تسامح بها الحزب الشيوعي ، مثل سيرج ماتيان ، وكان أحدهم ، عاشرته لفترة طويلة ، قضى عشرين شهراً وأكثر في سجن وهران لرفضه حمل السلاح ، ونصحني بأن أقر لأن الرفض على طريقة الحزب الشيوعي ، لا يفيد شيئاً ، بينما يترك القرار المرء ، حرا في حركاته) .

بالتأكيد ، ولكن حرا في ماذا ؟ في أن يتسكع من نابولي الى أوستاندي ؟ فلو استطاع المنظرون المعادون للتمرد (في اليسار) ، أن يكتشفوا في مطلع الشتاء ، على قلوب وظهور مجموعة المانيا ، لوجدوا كل التأكيد على حكمتهم ، كان تيار مزدوج يجتاز الفريق ، أولا مناخ الأزمة التي كانت على أشدها بين الشيوعيين وأعضاء الحركة المناهضة للاستعمار من جهة ، ودعاة اليسار المتطرف الجديد من جهة أخرى . ولم يعد هورست وبيرتليه يطيقان بعضهما ، وهيـبـل وغليان يبغضان بعضهما ، ويأتي بعد ذلك ، وربما الأبشع ، الشعور السائد لدى أعضاء الفريق ، بأنه لا عمل لهم . أو ان وجد فهو رمزي . ونرى خمسة عشر شابا شجاعا منقسمين على بعضهم ، يشتم بعضهم البعض ، بكل ما أوتوا من قوة ، أمام مكبر صوت عاطل . وقرر الشباب ، عشية عيد الميلاد ، بالأغلبية ، كسر طوق عزلتهم واظهار نزاعهم ، وعادوا الى فرنسا ، وفي جيب كل منهم مائة وخمسون فرنكا ، وكانت نيتهم أن يحرض كل في وسطه ، كل من حولهم ، بأن يأخذوهم على عواتقهم . وأن يحرضوا على ظهور بؤر ثورية ، وكل ما كانوا يأملونه قبل كل شيء هو الوصول الى الأرض الصلبة .

وصلوا ، إلا أنهم وجدوها أرضاً معادية ، كان العصيان العسكري هو الأمر الدارج ، وكان كل رجل يساري يحترم نفسه ، يخفي في مكتبه كتابين أو ثلاثة من الكتب الممنوعة ، أما الفارون ، بدعمهم وبحمهم ، فكانوا أناساً ثقلاء ، ودقوا كثيراً على أبواب كثيرة ، ولم يفتح لهم إلا القليل نصف فتحة ، إلا أن عمر بوداود

---

٤ - محادثة مع المؤلفين، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨.

لم يكن معادياً لمحاولة العودة الى فرنسا . وكان يعتبر بأنه من الأفضل ان يكون هناك مسمى بدلاً من عدم وجود أي شيء . وهكذا تشكلت قيادة ثلاثية بموافقة اتحاد فرنسا الجزائري - قيادة موازية ومزاحمة للحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار - فسمي لوي أورال سكرتيرا ، يعاونه بير هيسيل ، الذي أصبح يغذي ضد جماعة كوربيل روحاً ثأرية عنيفة ، وسيهان بلومنتال ، الذي مثل (الطريق الشيوعي) بعد مماوضات طويلة (أو الفئة النشيطة منه) ووعد اتحاد فرنسا بتقديم مساعدة بليون فرنك كعربون .

كان التوتر على أشده يومي السادس والتاسع من كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ . حيث كانت (الأمانة المصغرة) مجتمعة في باريس في منزل أوليفيه ريفول داليون ، وأخبار المحافظ جيدة ، وهورست الذي أختار التمركز في جنوبي غرب فرنسا ، متفائلاً . ومناطق الرون والألب والفيفيستير تتحرك ، إلا أن الفريق تصدع في باريس . فاستقال قلبهان ، الذي بقي في المانيا والذي أتى الى باريس لهذه المناسبة ، وكذلك فعل دافيري ، والسبب في ذلك ، هو انضمام مجموعة من بوردو تدعى (التحرر الاشتراكي) توسعت وتركز فيها مناضلون من الأهمية الرابعة ، من أمثال ميشيل فيان وجيلير ماركي [٥] . يقول روبير دافيري (ان هذا التوسع أدى في الواقع الى التوجه نحو عمل حسب نموذج نشاطات صغيرة جداً ، بينما الدعم هو بشكل ما عمل جماهيري ، فأي جزائري في سجن فرين يشهد بأنه تلقى مساعدات من العديد من الفرنسيين ، أما مجموعة الدفاع فقد سارت نحو مواقف هامشية ، معادية للشيوعية ، معادية للاشتراكية ومعادية للحزب الاشتراكي الموحد ، بعيدة كل البعد عن تاريخ شعب هذا البلد) .

وها هم المستقيلون في الشارع ، بدون درهم واحد في جيوبهم ، فاستقر قلبهان في جنيف والتحق بهم بمساعدة ابنة بيير كوت - شبكة جزائرية في لاشو دوفون ، عن طريق فياتريف .

وعندما تعرفت عليه دوائر الأمن سافر الى إيطاليا ، وعمل في صحيفة آفانتي في ميلانو ، وادعى بأنه من الحركة المناهضة للاستعمار أمام الحزب الشيوعي الايطالي الذي اهتم به ، وقدم خدمات الى بوخروف ، الدبلوماسي الأول للجبهة في أوروبا ، والمفاوض الأول لجورج بومبيدو في المفاوضات الأولية في ايفيان .

أما مصير دافيري فكان مختلفاً ، فقد قام بعد القطيعة ، بجولة في فرنسا ، قادته الى ليون يوم ٢٩ كانون الثاني (يناير) (وكان على موعد في اليوم التالي مع جان لوي هورست في مدينة كليرمون فيران) وكان يجري في كل مرحلة لقاء ، مع الشباب بصورة خاصة ويتحدث عن الحرب ، وعن جبهة التحرير الوطني ، وعن الاستعمار ، وكان دافيري ، في ليون في ذلك اليوم ، ينتظر نيلس أندرسون مدير دار النشر (لاسيتيه) في لوزان [٦] . وكان أندرسون هو العتبة الدوارة في سويسرا للفارين من الجندية ، فكان يؤويهم ويساعدهم ويوجههم ، ويحاول أن يقدم لهم نشاطات أخرى غير استراتيجية : الفرف . واتصل به دافيري ليحضرا سوية بعض عمليات العبور . فهل كانت سيارة الناشر الحمراء ، أم الاتصال الهاتفي ، وهذا هو الأرجح .

---

٥ - اضافة الى المحادثات المتنوعة، فقد عدنا الى محاضر هذه الاجتماعات التي استطعنا ان نحصل عليها.

٦ - كما فعل فرانسو ماسبيرو أو جيروم لندون في باريس، نشر نيلس اندرسون النصوص . (غير المرغوب فيها).

هو الذي جلب انتباه الشرطة . ومهما يكن الأمر ، كان أندرسون يجر الشرطة بأذياله ، ويقول روبير دافيزي (كنا نأكل البيتزا عندما أحاط بنا أربعة عمالقة ، وطلبوا الى نيلس أن يرافقهم ، ثم طلبوا مني الطلب نفسه بالرغم من أننا قلنا اننا لم نكن معاً . ولزمتهم ساعة كاملة للتعرف على هويتي ، فقد كنت أظهر دائماً بالجبة في ملفاتهم)، فأبعد الناشر حالاً الى خارج البلاد ، وبدأ دافيزي مهنة لامعة في السجون ، لمدة أربعة أشهر في ليون (بتهمة استخدام وثائق مزورة) قبل أن يلحق برفاقه في سجن فرين .

لم يكن الخلاف بين المنحرفين يهم أمن الدولة ، التي كانت تعتبر الانحراف انحرافاً . وسقطت القيادة الثلاثية للمقاومة الفتاة أيضاً ، خلال فترة ثمان وأربعين ساعة في الشرك نفسه الذي وقع فيه دافيزي . اذ اتصل سيمون بلومنتال هاتفياً ببير هيـــــل يوم السابع والعشرين من كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ ، حول مشكلة طباعة (سامر والتقى بك) وعندما وصل سيمون الى الرقم ١٥١ شارع فوجيرار ، كانت الشقة تعج بالناس ، فقد اعتقل لوي لوران ومستضيفه من قبل رجال أمن الدولة ، بينما كان عائداً من محل اللحام المجاور ، وبينما كان السادة يفتشون المنزل ، كانوا يشوون شرائح اللحم ، فدعا سيمون نفسه ، ذلك أن الضيف الرابع ، ميشيل دابيه كان قد فقد شهيته [8] .

لنلخص الوضع الآن : بينما كانت ((شعبية)) المناضلين السريين تصل الى أوجها ، كان واقعهم صعباً ، وحرجاً أحياناً . وكان الشعور في شتاء ١٩٦٠ - ١٩٦١ هو التشتت والتمزق ، فقد حكم على الكثير من ((القدماء)) بالتقاعد ، في السجن أو خارج فرنسا ، و ((وقع)) آتيين بولو ، من أوائل المناضلين بدوره أيضاً . واعتقد بأن ما أسر به له المحامي أو صديق جدي ، بعكس كوريل ، وطار الى الرباط حيث عاش مع زوجته وأولاده . إلا أنه ، عندما علم باعتقال (غيوم) عاد الى لشبونة ثم الى بروكسل (حيث زوده فيبه بأوراق مزورة) ثم منها الى لوكسمبورغ فباريس . وتخصص في باريس بتهريب أعضاء المنظمة السرية ، وكانت سيارته البيجو ٤٠٤ ، مزودة بجهاز اذاعة الشرطة . ثم كان هذا الحدث التافه تحديداً ، فقد زار بولو يوم ١٧ كانون الأول (ديسمبر) مونيك ديراكور ، التي لم تعد تمارس أي عمل غير قانوني منذ عام وعندما دخل الشقة ، كانت صديقة مشتركة تتكلم بالهاتف ، ((ها ، هذا أنت يا بولو)) . فالتقط الحديث في أحد مراكز الاستماع مائة بالمائة . وفي صباح اليوم التالي ، وبينما كان خارجاً من بيت أخته في شارع بروتوي ، يشتري قليلاً من الزبدة ، أحاط به رجال الشرطة ومسدساتهم بأيديهم وأقدامه .

أما مرض السكري المخيخي الذي كان يشكو منه جاك شاربي فقد تحسن ، ولعب الممثل دوراً كوميدياً ، خلال المحاكمة ، في مستشفى بوجون ، وحصل على فصل حالته عن حالة زوجته . ورافع المحامون بأنها لا يمكن أن تحاكم بدون زوجها . أما المسألة الآن فهي التهرب من عملية فتح الجمجمة ، وها

---

٧ - محادثة مع نيلس اندرسون ، أيلول (سبتمبر) ١٩٧٨ .

٨ - برئ وقياديو المقاومة الفتاة في الخريف بسبب نقص الأدلة . وقد حكم لويس لورهان بستي سجن بسبب الفرار في ١٨ آب (أغسطس) ١٩٦١ .

هو شاربي ، بمساعدة بعض من أصدقائه الأطباء ، بدخل في حالة عصبية خطرة تستدعي ، بناء على تقرير الجامعة ، نقله الى جناح المرضى العصبيين في مستشفى الأمراض العقلية ، قبل القيام بأية عملية جراحية له . وأطلق سراح زوجته مؤقتاً (لأسباب انسانية) وزارت زوجها ، أو ما بقي منه ، ولعبت الزيارة دور المعجزة . وخرج شاربي من حالة الذهول ، ووافق على التنزه في الباحة ، وأصبح أكثر أنسانية ، وعاد اجتماعياً ، ولعب بالكرة مع المرضى الآخرين . ولعب بنشاط الى درجة أنه صعد الى السطح يستعيد الكرة التي ذهبت الى هناك ، ومن هناك ، قفز قفزة الى حيث كان رفاق ينتظرونه بسيارة ، ولجأ الى بيت على بعد ٢٠٠ متر من المستشفى ، وحصل على وثائق مزورة ، وتوجه الى بلجيكا ، ومنها الى المانيا ومنها الى سويسرا فايطاليا ، فتونس . . . »[٩]

ثبت بولو وشاربي وقتاً طويلاً ، تخللته فترات لطف ، إلا أن آخرين ساروا بسرعة النيازك ، فهذه مثلاً كريستيان زوبير (من سيفر) ، المجازة بالتاريخ ، والتي تسجل باري بريس (نظراتها المخمورة واللاهية خلف نظارات المطفة)[١٠] . كانت بانتظار تعيينها في ثانوية كومبيينيه ، فلوت في منزلها الكائن في الرقم ١ ساحة الاسترابات في باريس ، جزائرياً طويل القامة لطيفاً ، هو خالدي عبد الرحمن ، أحد مسؤولي الجبهة الجزائرية في مدينة ليون ، ولكن مع الأسف عاد المناضل الى البيت بعد يومين من بدء محاكمات الشبكة وكان ثملاً نوعاً ما ، ولم تكن عودته سرية ، لأنه أخطأ الباب ، وألح في ادخال المفتاح في قفل الجيران ، فاستدعت الجارة التي سيطر الخوف عليها الشرطة ، ووجدت كريستيان نفسها في سجن الروكيت ، بينما لم تكن حياتها السرية الا مرحلة المناغاة .

ولكن يجب ألا نفهم من هذا الشلال من الاعتقالات أو الفرار (فلم تنتظر آنيت روجيه ، في مرسيليا الى مستدعي ثانية للفرار) بأن الدعم لجبهة التحرير قد مات مع عام ١٩٦١ . فما زال فينيه وماتيي يعملان بصورة جيدة ، ولكن بمساعدة متطوعين جدد وعلى المستوى التقني البحت ، بعيداً عن الجدل القائم بين المقاومة القتالة والحركة المناهضة للاستعمار ، فقد دخل في العملية نوع من تقسيم العمل ، بين (سياسيين) وحملة حقائب . فانفصل مارتان مثلاً ، عن ماتيي ، فقد كان متحمساً جداً ومرتبطاً بالحركة المناهضة للاستعمار ، فلم يعد يستطيع التفاهم مع ماتيي ، الذي يرى بأن العمل السري هو الأساس ويجب أن يتغلب على كل شيء .

إلا أن ذلك لا يعني بأن أعضاء الشبكة لم يعودوا يفكرون بالسياسة ، ولا أن مناضلي الأحزاب كلهم يناهضون الدعم . وربما يكون الرجال هم أنفسهم أحياناً ولكن المهمات تختلف . ولم يكن من نتائج

٩ ـ رواية جاك شاربي .
١٠ ـ باري بريس ، ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ .
١١ ـ مقابلة مع المؤلفين أيار (مايو) ١٩٧٨ .

مظاهرة السابع والعشرين من تشرين الأول (أوكتوبر) إدانة كل المبادرات القانونية واللاقانونية في جسم واحد ، إلا أنها دفعت اليساريين الأكثر حماسة للتفكير في (توظيفاتهم) . فحتى ذلك اليوم كان هناك إما جانسون أو لا شيء آخر . وكان من نتائج هذا التحرك الجماهيري وجود بديل جديد : أما العمل على الاستعمار الشعبي ، أو مساعدة الجزائريين . إنه لمن المؤكد ، أن مؤسسي الشبكة ، بذلوا كل الجهود للبرهنة على أن هذا البديل ، ليس إلا بديلاً ظاهرياً ، أما الهدف النهائي فهو نفسه . كما أنه من المؤكد ، أن الشباب من حملة الحقائب ، مقتنعون بأنهم يشكلون الطليعة . إلا أن الواقع عنيد . فالتضامن الأممي الذي كان يستفز أولئك الذين يساعدون الجبهة الجزائرية ، لم يجد خارج الشبكة دعماً واسعاً ، ولم يكن له صدى إلا يسار متطرف طالت مدة الحضانة عنده ، فلم يتمكن من تحقيق شيء . لا ادعاءات الحركة المناهضة للاستعمار ، بأنها ستتمخض عن ساحة واسعة من اليسار ، ولا ادعاءات المقاومة الفتاة بأنها ستخرج نخبة ثورية ، ولم تستطع أن تؤثر في المجتمع الفرنسي . فقد اضطرب الحزب الاشتراكي الموحد ، وقلق الحزب الشيوعي الفرنسي ، هذا كل ما في الأمر ، وتلك نتائج لا بأس بها إلا أنها محدودة .

ولنسمع أحد هؤلاء الشبيبة ، الذين تابعوا العمل في عام ١٩٦١ : جيرار شاليان طالب في فرع اللغات الشرقية ، رحالة لا يتعب ، أثارته صلبية اليسار ، وقام خلال عام ١٩٦٠ بالعديد من المهمات بناء على طلب ماتي ، وأصبح شاليان ، بعد اعتقال كوريل أحد كوادر الشبكة ، يشرف على حسن سير طرق المرور على حدود بلجيكا ولوكسمبورغ وألمانيا وسويسرا ، وتعرف على كوريل في عام ١٩٥٩ ، عندما كانا يهتمان بالقضية الكردية (وكان الشيوعي المصري متخفياً في ذلك الحين تحت اسم واصف) .

وعندما يعود شاليان اليوم الى الماضي ، ينظر الى ما قام به نظرة ناقدة فيقول (كنا نصل ككل الى ما يقارب الخمسين شخصاً ، ولكنني لا أتذكر أنني شاركت في أية مناقشة سياسية ، وفي الحقيقة لم يكن في شبكتنا أي عقل يفكر سوى كوريل (الذي كانت شيوعيته المتعصبة والهامشية ، ضلالاً بكل معنى الكلمة) . وكلما اقتربنا من الشبيبة ، كلما كان البناء الأيديولوجي أقل متانة ، ولا أتذكر إلا تراكم الأخطاء . الجزائريون سيمكنوننا من القضاء على الفاشية . ومع ذلك فبقدر ما كنا مضحكين على الصعيد السياسي ، كنا فعليين على الصعيد العملي . ولم تحدث لنا أية مشاكل هامة بمعنى الكلمة ، كأي عمل نظيف من صنع أنصاف محترفين . كان بيننا الكثير من الأساتذة ، والنساء ، وعدد لا بأس به من الشيوعيين ، وبعض الأجانب أيضاً ، مثل الاقتصادي الهولندي تيوسيب . أما الاتصالات مع الجبهة فكانت تتم بواسطة ماتي وبواسطتي ، وكان محدثنا الاعتيادي زواوي الذي كنا نسميه (السيد آش) أو (مصطفى الأسود))[12] .

والى جانب ماتي ، وشاليان ، كان رجال مثل فرنسوا ماسبيرو ، يجمعون بين الحياة العامة والمكشوفة المضطربة ، والتزامات سرية ليست أقل اضطراباً (فقد كان الناشر يعمل بالتعاون الوثيق ، مع زميله

---

١٢ ـ مقابلة مع المؤلفين، تشرين الأول ١٩٧٨.

ألدرمسون .) ونساء مثل ميشيل فيرك ، الشيوعية ، التي تمتهن السينما ، والتي كرست حياتها للانتفاضات الثورية في العالم الثالث .[13] ومناضلون يلعبون دور المفصل على الحدود الفاصلة بين الحياة السرية والمعارك العلنية ، مثل الجامعي شارل مالمود .

وكان هناك بعض (المنفردين) الذين لا ينتمون الى أية منظمة ، مثل بعض الاسماء المعروفة ، مثل جيروم ليندون ، الذي يؤوي بعض الجزائريين في بيت الكهنة في كنيسة نوتردام دي شان ، أو متوسيل بيجو ، الذي رشحه جاك فيرجيس ، فأصبح مراسل بن بلا وبو ضياف (عندما كان الأول في قصر توركان ، والآخر في سجن فرين) ثم مراسل بن خده ، عندما حل محل فرحات عباس في رئاسة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، وأندريه ماندوز الذي أصدر في ربيع ١٩٦١ كتابه (الثورة الجزائرية في النصوص ـ دار النشر ماسبيرو) والذي مكن الجمهور لأول مرة ، ان يتابع تاريخ جبهة التحرير الوطني . وشخصيات اخرى اشتهرت بشكل جيد وليس لأنها شاركت الجزائريين . وتقول كاترين سوفاج (تعرفت على أو صديق خلال المحاكمات ، وكان يبحث عن سائق يقوده الى جزيرة اكس حيث كان بن بلا محتجزا ، ونقلته مرات عديدة بعد ذلك . كان دائما يخشى الوقوع في فخ ، ويطلب الي أن انطلق لوحدي مؤكدا بهدوء (انني أهم منك بالنسبة للقضية)واستخدمت ثلاثة او أربعة رفاق لنقل الرسائل ، أو الرزم ، أو الاشخاص ، وكان عملا حرفيا صرفا اما بيتي الذي كان مثل الطاحون ، فقد كان يقدم لهذا السبب افضل الشروط الأمنية) .

تدهورت المقاومة الفتاة ، كقوة منظمة بعد اعتقال قيادتها الثلاثية ، فأخذ جان بوليت ، وألبيه ريقول دالون ، وميشيل فيان ، وهنري كوس ، يرافقهم جاك بيرتيليه ، الذي قاست (حياته) وقتا طويلا ، اخلفوا خلافة لوي اوران ، وبيير هيسبيل وسيمون بلومنتال ، الا أن (الطريق الشيوعي) تبتعد ، والجبهة تتركهم يتخبطون لوحدهم ، بينما استمرت مزاحمة الحركة المناهضة للاستعمار ، لهم لبضعة أشهر أخرى . . لا شك بأن الشعار (J.R) (المقاومة الفتاة) أخذ ينتشر هنا وهناك ، اليوم مثل الامس ، حيث اخذت به مجموعات صغيرة تأسست عفويا ، وكما كان الامر دائما ، وجد التنظيم نفسه غير قادر على توحيدها لتشكيل قاعدة شعبية متينة ، لحركة ثورية سرية ، فتحولت المقاومة الفتاة بالرغم عنها ، وعن تطلعاتها الاولى ، الى بؤرة للتحريض ضد (الحرب القذرة) ولعب هنري كوس بصورة خاصة ، دورا نشيطا ، ووجه العديد من الحملات باتجاه المجندين ، وانتهت القاشية بامتصاص الباقي من المجموعة ، وامتصاص طاقات حركة الفارين من الخندية ، بينما كانت (موجة جديدة) من الفارين تعبر لتغطي فرع سويسرا (نيلس ألدرمسون ، وايزابيل فيشباك ، وأندريه بوسينجر) وتركه بلا عمل وبلا نشاط ، على الجانب الآخر من الحدود . وحصل التقرير النهائي لبيير غوديه ، رئيس اتحاد الطلبة على (٧٠١) صوت ، مقابل (٦٤٨) صوتا في عام ١٩٦٠ ، ويشير هذا التقدم الملحوظ الى المنعطف في تجربة الخريف الماضي .

---

١٣ ـ انتحرت ميشيل فيرك في ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٨ في سيوداد في غواتيمالا . وقد اطلقت رصاصة على نفسها ، في اللحظة التي كانت الشرطة فيها تضرب على بابها . كانت مناضلة بالقوات المسلحة الثورية الغواتيمالية . وشاركت في محاولة اغتيال السفير الامريكي غوردون بيج (ثأرا لاعتقال الشخص الثاني في التنظيم المذكور ، كاميلو سانشيس) .

ومع ذلك ، بقيت شبكة ، مستقلة وحريصة على استقلالها ، فعالة في الأوساط الطلابية وفي المدارس الثانوية : وهي الشبكة التي أسسها جان جاك بورشيه ، والتي استمرت بعد اعتقال ماكو . واختارت لنفسها اسما شهيرا (مجموعة نيزان) . [14] وتابعت الشبكة نشاطها بانتظام ، بعيدة عن المجابهات والمناورات ، وكان نشاطها يتجه بالجماهير : سياسي ، وليس للضجة التي أطلقت خطاب مانديس فرانس يوم السابع من تشرين الأول (اوكتوبر) من سبب آخر سواه ، (خصوصا وأن مانديس فرانس وقع ضحية الشباب الإثريين في الحزب الاشتراكي الموحد نفسه) . فقد كان بورشيه وجماعته يعملون سريا في البدء لحساب كوريل ثم لحساب ماتي ، وكانت تكاليف الدعاية تغطى بالاشتراكات ، أما التكاليف الناجمة عن دعم الجزائريين فكانت تغطيها شبكة الدعم .

يقول بورشيه (كانت النواة في نهاية عام ١٩٦٠ تضم حوالي ثلاثين شخصا ، يمكن أن يستنفروا حوالي مائة وخمسين آخرين ، وكان لدينا (مراسلون) منظمون في ليل ودنكرك ، ونيس ، وليون ، وفي كل المنطقة الباريسية) ويضيف بورشيه (خبأت يوما في بيتي أربعين مليوناً . . . . صدقني أنها ثقيلة . . .) . واستمرت المجموعة تعمل دون مشاكل حتى الهدنة . ومع ذلك ، وخلال المسيرة ، ترك مناضلو الحزب الاشتراكي الموحد حزبهم ، بعد أن اتعبتهم الادانات التي كان يوجهها جيل مارتينه ، الا أنهم بقوا نشيطين في اتحاد الطلبة ، ولم يكونوا غرباء عن الضجة الكبرى التي أحدثها فرار جيليرباربيه من الجندية .

لم ترتد (لحركة) الدعم في نهاية ومطلع ١٩٦١ أوجها سلبية . فإن كانت النواة تتعرض للاضطراب فإن القشرة كانت تمتلىء حيوية ، وتتسم سنة ١٩٦١ بالنسبة للعمل السري بأنها سنة (الانتشار الاقليمي) . فقد كان هنالك نقابيون (وبصورة خاصة الاتحاد الفرنسي المسيحي) وشيوعيون لم يقبلوا بخط توريز السياسي ، وقس لنت ان كنائسهم ومعابدهم تخلي مثالية ، وقراء لمجلة فرانس اوبسر فاتور يعارضون افتتاحياتها ، ومتحررون ماسونيون أو ديموقراطيون مسيحيون ، لم يعودوا يتحملون استمرار التعذيب . ففي كل مدينة هامة نوعا ، وفي كل منطقة يكثر فيها العرب ، قامت شبكات صغيرة تحت تسمية او بدون تسمية . وصدرت نشرات تثبت جميع الأسماء الشائعة (الحقيقة . . .) و (الحقائق المناهضة للاستعمار) و (J.R.٠) وغيرها ، دون أن تكون هذه النشرات منتمية للنشرة الام ، وكانت تأتي معا أحيانا .

كان استنفار قوى الأمن مؤشرا أكيدا لهذا الغليان ، ولفعالية الأسلوب . فقد قامت هذه القوى في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وحده بثلاث حملات ، ففي ١٩ وجهت الحملة نحو النورماندي واعتقل سبعة طلاب من جامعة كان واتهموا بالمساس بأمن الدولة . وفي يوم الثالث والعشرين منه اعتقل (٥٠) شخصاً وشتت منظمة جبهة التحرير في نانت ، وسان نازير وتور ، ورين ، واعتقل ثلاثة اوربيين ، رجل وفتاتان ، بتهمة التعاون مع العدو . وفي اليوم نفسه حاصرت الشرطة في ليون الرئيس الجديد للولاية الثالثة ، طاهر قمي ، الذي كان يزور كثيرا معلّما يدعى روبير أوجيه ، وحماته السيدة ديفيه . واعتقلت يوم الرابع والعشرين كلودي دوهاميل ، وهي مدرسة آداب اتهمت بنقل أموال جزائرية بين ليون وباريس كل شهر (وذكر الرقم على أنه ٤٢ مليوناً) .

---

١٤ ـ كان فرانسو ماسبيرو قد أعاد لتوه طبع كتاب (عدن ـ عدن ـ بلاد العرب) لبول نيزان مع مقدمة لجان بول سارتر.

كانت القضية جديدة بالنسبة لشبكة ليون ، التي فجعت في شباط (فبراير) ١٩٦٠ بعد اكتشاف مطبعة في شاسلي . الا ان الامر هذه المرة يتعلق بشبكة متميزة عن البنية التي وضعها جان ماري بوغلان . واضطر لعين مسرح لاسيليه أن يمر من باب النجدة ، وها هو يقول : كان في الحجرة التي يجلس فيها عادة ، مناضلو الماسونية ، ضابط شرطة ، وكنا قد أخطرنا بأن عملية بوليسية وشيكة الحدوث ، ومع ذلك كانوا اسرع منا . كنت عائدا من باريس ، الا أنني تأخرت قليلاً عن موعد القطار ، وهذا ما مكنني من النجاة من العملية الاولى ، وعندما وصلت الى ليون في صباح اليوم التالي ، مررت على بيت كلودي دوهاميل ونصحتها بأن تفر حالا ، وذهبت الى المسرح ، وأرادت كلودي أن تنتظرني ، واعتقلتها الشرطة ، كما اعتقلوا في المسرح سكرتيرتي ، نيكول بروشيه ، وكنت في المكتب المجاور ، فهربت حالا من باب الفنانين ، فاتصل بلاشون ، الذي كان على علم بالخطوط العريضة لنشاطي ، اتصل بمالرو الذي أجابه (سأعطي التعليمات ، وستكون الحدود مفتوحة) . فلجأت الى سويسرا ، واستطلعت موافقة مالرو ، وأخذت معي جزائريين[15] . أما جان حالك بروشيه فقد تعرض للمصير نفسه الذي تعرضت له زوجته .

واعتقل يوم الثاني من كانون الاول (ديسمبر) جان ماسون رئيس اتحاد السائقين البروتستانتيين ، ومن زعماء حركة اللاعنف ، مما أثار فضيحة كبيرى لدى السكان ، وزادت المحاكمات التي بدأت يوم السادس من نيسان (ابريل) ١٩٦١ الطين بلة فصرحت كلودي دوهاميل : (انني اشعر بأنني أقرب الى ثوري جزائري مني الى لافاييرو) ، وأدان بيير فيدال ناكي ، شاهد الدفاع ، الجيش بعنف ، مما دفع النائب العام ، الى الطلب بأن تكون الجلسة مغلقة (الا أن رئيس المحكمة الذي كان أكثر مهارة من كور فيليه لم يستجب الى طلبه) . وتحدث جان ماري دوميناك عن نشاطه خلال المقاومة الفرنسية فقال (ان واجبهم أقل وضوحا من واجبات جيلنا . . . فقد أراد الزمن البائس ان يلزمهم بأن يهبوا ضد قوانين الدولة) . الزام يكلف غاليا : حكم على من وقعت عليهم اكبر التهم ، ومن بينهم كلودي دوهاميل ، وجان جاك ونيكول بروشيه ، وبوغلان (غيابيا) بالسجن لمدة عشر سنوات ، أي ضعف المدة التي حكم بها على طاهر تمسي .

ولم يكف ذلك لوقف التيار الجارف الذي جر مئات الفرنسيين الى مقاسمة الثوار الجزائريين المخاطر . ففي مطلع تلك السنة ، السنة التي أخذت تظهر فيها بوادر المفاوضات (بينما كان جيش التحرير الوطني ، في حالة سيئة عسكريا) ، تزايدت المتناقضات التي كان يعيشها حملة الحقائب . فقد كان عددهم كافيا ، وكانوا فعالين جدا ، ومصممين ، ولكن بينما كانت ترسم معالم الاستقلال ، كان تأثيرهم السياسي يتناقص . فقد لفظ ديغول يوم الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠ (دون أن يخطر رئيس وزرائه) كلمات (الجمهورية الجزائرية) . وترك لوي جكس يوم الثاني والعشرين ، وزارة التربية الوطنية ليصبح وزيرا للشؤون الجزائرية ، بمعنى آخر أن مقدمات السلام بدأت . وكان رئيس الدولة قد قام بجولة في الجزائر بين التاسع والرابع عشر من أيلول (سبتمبر) فاكتشف الجماهير الجزائرية (الحقيقية) ، التي كانت ترفع العلم الأخضر والأبيض ، تنضم (الى قانون العدد الأكبر ، الذي يشكل المفهوم الحقيقي للديمقراطية عند

---

١٥ ـ شهادة جان ماري بوغلان .

ديغول »(١٦) . ووافق الشعب الفرنسي يوم الثامن من كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ بنسبة ٧٥ بالمئة من الناخبين على مبدأ المفاوضات ، الذي أبعد محتواه عن البحث قدر الامكان . وكما يقول جانسون (ان الفرنسيين مهتمون بأن يتركوا بسلام ، أكثر مما هم مهتمون باقامة السلام) . وسلموا أمورهم للقائد . وظهرت يوم السابع من نيسان (ابريل) ، اوائل المنشورات التي وزعت موقعة باسم (منظمة الجيش السري) وفي يوم الثاني والعشرين (قام رباعي من الجنرالات المتقاعدين) (١٩ نجمة بدون رأس) ، كما أحب أن يقول جان لاكوتور ، بمحاولة فاشلة لقلب الجمهورية انطلاقا من الجزائر .

وبينما كان اليسار ينفض الغبار عنه بصعوبة ، كان عمل الجنرال ، أيا كان غموضه في الأسلوب ، أن لم يكن في الاتجاه ، يحصد العشب من تحت اقدامه ، فمن المؤكد بأن الاتحاد العام للعمل ، والاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين ، واتحاد التعليم الوطني ، قلدوا الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا واجروا اتصالات مع نظائرهم الجزائريين ، الا ان الأحزاب كانت منهمكة بالهزات الداخلية في صفوفها . فقصى موريس توريز ، خلال اجتماع اللجنة المركزية ، يوم الرابع والعشرين من شباط (فبراير) (مجموعة) سرفان ، وكازانوفا ، وكريجل ، وبيجيه . اما الحزب الاشتراكي ، فكان يبحث عن معارضة لم تعد (سامة) ، وكان الحزب الاشتراكي الموحد ، يلعب لعبة الارجوحة بين جناحه العاقل وجناحه المجنون .

كان اليسار ينفض الغبار ؟ نعم ، ولكن بعكس ما توقعه حملة الحقائب ، فقد كان للخطر الفاشي الدور الأول في اثارة احاسيس الفرنسيين ، وليس التضامن مع الثورة الجزائرية .

---

١٦ ـ الصيغة لجان لاكوتير . محادثة مع المؤلفين .

٢١

النساء لا يهربن ابدا

(أيها الاخ يجب أن تأكل) ، فبعد الاستجواب الطويل في مقر أمن الدولة ، وبعد قذارة الزنزانات ، وبعد الأيام الطويلة في الزنزانات الفردية (الذي تم في بدء المسيرة بأمر من قاضي التحقيق) .. كان سجن فريس بالنسبة (للجزائريين) شاطىء السلام ، فهناك دللوا ، وأطعموا ، واستقبلوا ، وزودوا بالتبغ ، وقدم للمناضل لحسن سرير في المهجع . ولا يمكن لمناضل في الشبكة ان يتذكر اليوم هذه التجربة دون أن يظهر التأثر على وجهه ولسانه . ان السجن ليس ساحة عيد ولا وسطا متجانساً، تحميه جدرانه من النزاعات. الا أن روحا من التعاون تسود هذا المكان ، يعود اكتشافها الى الشعور بالامتياز . . . ويشغل / ١٥٠٠/ جزائري، الجناح الثاني على خمس طوابق وما عدا المفاتيح ، فإن كل شيء مؤمن لهم من قبل الجبهة . المطبخ ، النظافة ، الدراسة والنظام ايضا ، وتذهب (العقوبات) من الحرمان من التبغ الى (الحبس) . في الصباح يغني الجميع النشيد الوطني الجزائري سوية، ثم تليه دقيقة صمت اجلالا لارواح الشهداء ، وتعلق صحيفة داخلية على أخبار فرنسا ، وأخبار الثورة في الجبال . وتعلق الصحيفة في المشى ، ويسمح لكل مسجون ان يرتدي ثيابا عادية وان يحتفظ بساعته ، وان يكتب الرسائل ، وأن يستقبل زيارتين كل اسبوع ، وتفتح أبواب العنابر عند وقت الدروس ويتم التعليم فيها على جميع المستويات .

جاء هذا التنظيم نتيجة لكفاح طويل تخلله اضرابات جماعية منهكة عن الطعام ، ففي تشرين الاول (أوكتوبر) ١٩٥٨ قام (الزعماء التاريخيون) الذين اختطفت طائرتهم بالحملة الاولى ، ولكن بدون الوصول الى نتائج كافية . وجاءت الهجمة الثانية في تموز (يوليو) ١٩٥٩ . تطبيق الاضراب عن الطعام بتصميم لا مثيل له ، حتى خشيت السلطات على حياة بعض المعتقلين . خصوصا وان الادارة لم تجد اسلوبا افضل من قطع الماء عنهم ، فلجأ غاستون غوسلان المستشار الفني لادموند ميشليه ، الى وزيره ، وفاوض محمد بوضياف مباشرة ، لمدة ثلاثين دقيقة دون شاهد ، ولم تجنب الكارثة : اتفق على أن يتوقف الجزائريون عن الاضراب مقابل الموافقة على النظام شبه السياسي الذي ذكرناه[1] . وجاء الاضراب الذي تم من ٢ إلى ٢٠ / تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦١ وانتزع الاعتراف بمعاملة الجزائريين كسجناء سياسيين ، ذلك النظام الذي طبق على أورتيز ولاغايارد (حق الاجتماع ، الراديو ، والقرب من الزوار ، وغير ذلك . . .)[2] .

---

١ - نقلها إلى المؤلفين ، غاستون غوسلان .

٢ - بتحريض من فويلد وملا ، مدعوما بلجنة واسعة ، ظهرت نشرة (طريق السجون)، التي كانت تنقل المعلومات بين المعتقلين الجزائريين والخارج.

عندما شنت شبكة جانسون حزبا في شباط (فبراير) ١٩٦٠ ، كان بشير بومعزة وموسى قبايلي ، مؤلفا كتاب (الغرغرينة) ، هما زعيما المعتقل ، الا أن الاتفاق بين الرجلين لم يكن تاما ، فطلب عمر بو داود من جدلو حمادة حالا دخل حمادة الجناح الثاني (بعد ان أقام في قسم المحكومين بالاعدام) ، أن يمسك بزمام الامور والتحق قبايلي وبو معزة بقيادة اتحاد فرنسا الذي هيأ لهم مكانا مناسبا ، ان لم يكن مريحا ، في العيادة الملحقة بالسجن وكان أصحاب الامتيازات يسمون : لوانشي ودوم ، وطربوش ، وبن سالم ، وسجن ثلاثة من (القادة التاريخيين) في ظروف مماثلة : الاشرف ، البيطاط ، وكذلك بوضياف الذي كان يفضل الا يسكن مع شقيقه اللدود بن بلا .

كان الفرنسيون ، في هذا العالم الموازي ، نوعا من ضيوف الشرف ، والحادث الذي كانت له أهميته سببه كوريل الذي طبق ، حتى بين أربعة جدران ، خط الحركة العربية المناهضة للاستعمار ، واقترح بأن يكون للاوروبيين المعتقلين تنسيقهم الخاص بهم ، مما أغضب الجزائريين ، فصرف النظر عن الاقتراح . وبالرغم من هذا الخطأ ، والتحفظ الذي ولدته شيوعيته المتعصبة ، فرض كوريل شخصيته على رفاقه المعتقلين ، ومارس تأثيرا حيا على الاصغر سنا منهم . فاعتنق جيرار ماير مثلا الشيوعية ويروي آلين بولو بيرلد كيف كان المناضل الشيوعي يغني حياة السجن : ان اللقاء بهنري كوريل وراء القضبان قصيدة شعر . فهو يستقبلك في زنزانته وكأنه يستقبلك في صالون ، ويقدم لك القهوة مبتسما ، محاملا . وكأن شيئا لم يحدث . لقد جهد هنري للقضاء على كل ما ينعدم في عالم الاعتقال . فكل شيء مرتب ، والمهمات موزعة وكنا نرى كوريل يسير في الممرات متأبطا كتابه ، حانيا ظهره قليلا ، ناعما ، وعلى وجهه ابتسامة لا تفارق محياه ، متوجها لاعطاء دروس في احد العنابر ، وكأنه متوجه لاعطاء درس في السوربون .

(أما حياة كوريل ، اليهودي الشيوعي ، وسط المعتقلين الجزائريين ، فتلخصها جيدا قصة رمضان : لقد حصل الجزائريون على الحق باحترام صوم رمضان ، وكان ذلك انتصارا على ادارة السجن ولكن ها هو كوريل يدعونا ، نحن الماركسيين الزنادقة ، ان نصوم النهار ، وان نتخلى عن المشروبات والدخان مثل الجزائريين ، فرفضت رفضا قاطعا ، فقطب واتدرس بالانتجاه إلى الاغلبية ولا فائدة من القول ، انه بعد مضي عشرة ايام ، كان هو الوحيد من غير الجزائريين ، الذي تابع الصوم) . ويضيف دخل يوما الى زنزانتي قائلا (آلين ، قد تكون مثقفا ثوريا جيدا الا انك تجري وراء اللذائذ ، نعم وراء اللذائذ

- انني احب الحياة بجميع اشكالها .

- انك دانتون .

- وانت روبسبير ؟ اتريدني أن أوجه لك وصية دانتون نفسها ؟[*] فانفجرنا ضاحكين) . وتشهد واقعة دون غيرها ، على الثقة المتبادلة بين الجزائريين والفرنسيين المعتقلين . فعندما بدأت منظمة الجيش السري تقوم بأعمالها الارهابية ، خشي المعتقلون من ان تقوم هذه المنظمة بعملية ضد السجن ، ترافقها مجزرة

---

* - (أوصي بلا هاتي الى روبسبير) . كانت هذه وصية دانتون الفرحة والراحلة .

وحدثت سوابق مثيلة لذلك في مدينة الجزائر ، عندما قتل ثوار جزائريون في زنزاناتهم ، وحتى في مستشفى السجن ، وفرز حداد حاذق ، تشكيل فرقة دفاع مسلحة ، فدخلت المسدسات والرشاشات الصغيرة ، على شكل قطع منفصلة ، وبصورة سرية ، كما دخلت المتفجرات والصواعق ، ولاخفاء كل ذلك واخفاء مخازن الرصاص ، تم اللجوء الى اسلوب ذكي وبسيط . تكسر قواعد المراحيض ، فيعمد السجناء (وهم السجناء الجزائريون) الى رفع القاعدة قليلا ، تاركين فراغا لا يرى . ويقول رئيس المعتقلين الجزائريين مبتسما (كان لدينا ما يكفي لتسليح مجموعة فدائية مؤلفة من عشرين رجلا) ودرس المخطط دراسة دقيقة وشارك روبير دافيري في هذه الدراسة[٤]. وكان المخطط يقضي في حال التعرض للهجوم ، بأن تغطي الفرقة الفدائية انسحاب المعتقلين ، الى الطرف الآخر ، فلم يكن للمبنى سوى مدخل واحد ، حيث يكون عند مجموعة متدربة ، ما يكفي من المتفجرات لاحداث فتحة في الجدار ، فهل يشك مدير السجن ، بأن ترسانة سلاح موجودة في سجنه ، وأنه بامكان الجزائريين لو انهم ارادوا ذلك ، أن يقوموا بمعركة حقيقية ؟ وان من بين الفرقة الفدائية السرية بعض الفرنسيين ؟ . في السجون ، وهذا أمر طبيعي ، عندما يفتح الباب فان أول ما يفكر به المعتقل هو الهرب ، وفي سجن فرين يصح ذلك ، بقدر ما يصح على بقية السجون ان لم يكن اكثر. فدرست مئات المخططات ودرس بعمق اثنان منها: الاول الذي يبدو غير جدي ، وهو الهرب جوا ، لا اكثر ولا أقل ، بواسطة طائرات الهليكوبتر . هذا الامر غير جدي ، ومع ذلك قام مصور فرنسي ، ريغشي[٥] بتصوير السجن من كل الاتجاهات . وأجلت المحاولة . اما الخطة الاخرى فانها تتجه من الاعلى الى الاسفل عكس سابقتها ، وذلك عن طريق المجاري ، ومن الممكن الوصول الى النفق[٦] . والصعوبات الفنية قابلة للحل: فكلف روبير دافيري بالحصول على خاطف قوي يذيب الصدأ الذي يلحم أطراف الاغطية ، وأخذ المعتقلون يعملون خلال ثلاثة اشهر لحفر نفق بطول (١٧) مترا ينطلق من المجرور الرئيسي وينتهي بعد الجدار الثاني للسجن . واستخدم ذات ليلة ستة عشر جزائرياً هذا النفق واختفوا في الطبيعة . لم يكن عزما ان يجرب المعتقل حظه ، ولكن بشرط ان يتم ذلك على دفعات صغيرة ، وبموافقة الجبهة . أما في الخارج ، فقد كرس بعض المناضلين الفرنسيين انفسهم لتحضير هذا الفرار . شباب يكبرون بسرعة ، ويحملون اسماء كريفين او برنار كوشنير[٧] ، يدورون حول السجن ويسجلون ساعة مرور الدورية . ودخلت مجموعة (الطريق الشيوعي) بصورة خاصة (دوني بيرجيه ، وروجيه ريه ، وفلي سيتيرز الخ) في هذه المغامرة وأبدعت فيها مرات عديدة .

منذ عام / ١٩٦٠ / كان لجيرار سبيترو الشرف بأن يسكن في مستشفى السجن ، مع المسؤولين عن اتحاد الجبهة في فرنسا ، وكان محمد بوضياف يلتقي بهم غالبا . وعلم سبيترو ان بن سالم ، ودوم ، وبوضياف يفكرون بالفرار . وأتت لبن سالم فكرة عبقرية . فقد لاحظ بأن الزوار يتخلون عن هويتهم الشخصية مقابل قطعة معدنية ، عند دخولهم السجن ، وعند الخروج من السجن يعيدون هذه الصفيحة ،

---

٤ - التزم المؤلف ان لا يكشفنا عن السر.

٥ - اسم مستعار اطلقه المؤلف.

٦ - اعترافات أدلى بها روجيه ريه في (الطريق الشيوعي)

٧ - مقابلة مع الآن كريفين ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٨ .

ويسترجعون هوياتهم من شباك غير الاول. فلنفترض ان يتمكن سجينان او ثلاثة من الوصول الى المخرج بواسطة هذه (الفيش) . فانهم سيكونون طلقاء . ولكن هناك صعوبة ثلاثية الوجوه ١ ـ الحصول على هذه الفيشة الثمينة ٢ ـ الوصول الى المخرج ٣ ـ تأمين مشاركة زوار جزائريين في العملية .

همس سيتيز لزوجه بذلك، وتوضحت الأمور شيئا فشيئا ، ودرست الصعوبات الواحدة تلو الاخرى ، وتمكن جيرار لورن من تصنيع فيش مماثل ومقلد جيدا انطلاقا من نموذج مرسوم . وهكذا تم الحصول على (فيش افتح يا سمسم) . والى جانب ذلك لاحظ المرشحون للفرار ان الزوار يسيرون على امتداد مبنى الحمامات . فيكفي اذن ان يطلبوا الذهاب الى الحمامات يوم السبت (وهو يوم الزيارات) وان يقفزوا من الشبابيك ، ويندفعوا ببراءة نحو المخرج . وكان من الضروري ان يحمل الفار (فيشا حقيقية) وان يمر الزوار الذين يحملون الاشياء اقل من غيرهم ، (بالفيش) المزورة . وهذا امر ممكن فيكفي ان يلقي الزائر من الشباك الفيش الحقيقي ، ويحتفظ بالمزور ، الذي يكون قد زود به . وكانت الطريقة قد وصلت الى أحسن ما يمكن . وكما يوجب الأمر ، تم استشارة بوداود فوافق على ذلك . ولكي يتم تطويع [زوار] مختصين ، اجرت فاني سيتيز اتصالات مع المنظمة السرية ، وكانت قيادة الفرع الخاص ، التابع للجبهة ، قد اتخذت قيادة لأركانه في الحي الجزائري في لوفالوا ، وكانت الفتاة على موعد (هناك)، هناك أي في مجمع تكدس فيه الاكواخ من كل الأشكال وفي الوحول، مدينة لا تجرؤ الشرطة على اجتيازها يحرسها ثوار مسلحون[8] ، فوعدت المنظمة السرية بثلاثة رجال.

في اليوم المحدد ، طلب بن سالم ، وبوصياف ، ودوم ، ان يسمح لهم بالاستحمام ، ورافقهم سيتيز (كمراقب) . كان ذلك اليوم هو السابع من كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ ، وكل شيء يسير بأحسن ما يمكن ، إلا تفصيل بسيط : انه من المستحيل فتح النافذة . فرفع بن سالم نفسه ومر من الطاقة الصغيرة العلوية ، وتمكن من المرور الى الخارج ، الا انه سبب ضجة كبرى بسقوطه ، ضجة كبرى كافية لتنبيه الحرس ، فتردد بوصياف ، وتردد ثانية اكثر مما يلزم ، وتخلى عن المشروع . ولم يتمكن بوضياف ودوم من الفرار . اما بن سالم فقد قدم فيشته وخرج بهدوء . وعلى بعد خمسين مترا كان روجيه ريه ، ودوني بيرجيه بانتظاره ، فطلب الجزائري المسؤول عن الجبهة في شمال فرنسا في السيارة ويروي بيرجيه : على مقربة من بورت دورليان ، اقتربت سيارة سوداء وتوقفت الى جانبنا

وكنا قد حضرنا بضوء احمر ، فأنزل الراكب زجاج السيارة (شعر قصير ، وربطة عنق) ، ودق بأصبعه على زجاج سيارتنا فهمست لبن سالم ، انه ربما هي اللحظة ، فانحنى الرجل نحو روجيه قائلاً (آه . . . بابك ليس مغلق كما يجب) .

لم يلاحظ غياب الهارب الا في اليوم التالي ، وكان الاضطراب في السجن ، فتوجه المدير الى أمن الدولة ، وتوجهت امن الدولة الى كلابها التي شمت ثياب بن سالم ، ولكن الوقت كان وقت الغداء، وضاعت الكلاب في ذات الاتجاه . وقال مدير السجن بروح رياضية لسيتيز (ستشرح لي ذلك بعد الحرب) .

---

٨ ـ شهادة دينيس كيبا

قعد السيد لوكاتيلي ، الذي يشتري بقايا الحديد ، وتلك هي مهنته ، يفرك عينيه ، وكانت الساعة السادسة صباحاً ، في ذلك اليوم الجمعة ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٦١ . ولم يكن السيد لوكاتيلي مستيقظاً تماماً وهو يهبط شارع ميلان في فجر ذلك اليوم ، الذي يزيده ظلاماً مبنى سجن الروكيت . فمقابل الرقم ١٠١ من الشارع ، كان يتدلى حبل ذو عقد على طول الجدار ففكر الرجل : انه ورشة عمل حتماً ، وقال لنفسه وهو ما زال يفرك عينيه (النساء لا يعرفن أبداً) .

وكانت الفكرة قد انطلقت في أواخر الربيع السابق ، فقدمت جاكلين كاريه ، وهي العاملة الوحيدة في الشبكة ، هيلين كوينا ، بسرية تامة ، لزيارتها في زنزانتها ، وأخرجت من كمها شفرتين ملتصقتين الواحدة بالأخرى ، شفرتي منشار معادن . لم هذا ؟ . . . سترين فيما بعد : ففي السجن يوجد دائماً ما يمكن نشره . وكانت المشكلة الأساسية الملحة هي اخفاء الشفرتين . فالتفتيش ، وان لم يكن مستمراً إلا انه دقيق . فقررت (المتآمرتان) ، (ذلك أن تآمر قد بدأ) توزيع المخاطر . فأخفت ميشلين بونتو احدى الاثنين عندها ، وأخفيت الأخرى تحت المدفأة الموجودة في الممر والتي تدفئ كل الجناح الخامس خلال الشتاء .

هنا ليس سجن فرين ، والاعداد ليست كبيرة (فالسياسيات) الفرنسيات والجزائريات معاً لا يصل عددهن الى العشرين ، ولا يوجد حرس خمط نابليون الثالث ، وحراسة سجون النساء موكولة الى (الراهبات) . فلم تكن الأخت هيرمانس ، والأخت أندريا هيلادتين ، من ذوات الخيال الواسع ، فكان المطلوب أن يتم النسج بوتيرة واحدة ، وأن تكون الأرضية نظيفة .

وبعد أن أصبح المنشار في أمان وتحت الطلب ، جابهت المعتقلات مشكلة أخرى . فالحرية بمعناها المبدئي هدف بعيد المدى ، أما الحرية (الصغيرة) حرية التحرك بين جدران السجن فلم تكن صغيرة الى هذا الحد . ففتح الباب قليلاً بعد أن يغلق رسمياً في الليل ، ليس نوعاً من الارتياح ، انه نوع من الاحتجاج الروحي . وفي شهر آب (اغسطس) تم بلوغ هذا المبدأ ، وأبرزت جاكلين كارية مرة ثانية تقنيتها المتقدمة ، فأخذت تهرئ ، وتلوي يد ملعقة ، وتنكش في القفل ، إلا أن المزلاج بقي جامداً ، وكان من النوع (النائم) كما يسمونه ، فاستيقظ ، بعد كثير من الانتباه والمهارة ، ذلك أن هيلين كوينا طورت (المفتاح) مستخدمة الشريط الحديدي لعلاقات الثياب ، فطوت الشريط ليصبح الهيكل مماثلاً لشكل المفتاح . وهكذا قضي على الاقفال .

قضي عليها بالتأكيد ، ولكن ليس في الوقت المناسب ولا في المكان المناسب . فما الفائدة من القدرة على فتح قفل خارجي عندما يكون المرء مسجوناً خلف باب ناعم كراحة اليد ؟ . . . وهكذا بدأت المرحلة الثالثة . وأخذت ميشلين بونتو ترد بدقة بالغة قضبان الحديد الموجودة على فتحة بابها ، بحيث أصبحت الشبكة الحديدية التي تشكلها القضبان سهلة الحركة . دون أن يلاحظ ذلك . وبما أن الله قد وهبها ذراعين

---

٩ ـ شهادة دينيس بيرجي .

طويلتين فقد تمكنت من بلوغ قفلها من الخارج ، فحررت نفسها ثم حررت الأخريات ، ليس كل الأخريات فلم يكن يعلم السر إلا المناضلات .

لقد أصبح باستطاعة كل منهن ، بعد المحاكمات ، أن تجتنب المخاطر ، وفي كانون الأول (ديسمبر) تحدد الهدف وتحدي الزيارات الليلية ، أو استعارة فراش أصابق من المخزن ، وتقرر فرار ست من المعتقلات ، هن ، جاكلين كاريه ، وهيلين كوينا ، وديدار موزي (التي وصلت مؤخراً) وميشلين بوتو ، وزينة حربي ، ومناضلة أخرى من الجبهة ، فاطمة حمود . لم يكن الطريق سهلاً أو مريحاً : فيجب قص قضيب في البرج الذي يضم المراحيض (وذلك عبر فتحة ضيقة لا يجوز رفع غطائها إلا في آخر لحظة) ويجب النزول بعد ذلك بواسطة حبل ، وتجنب شريط كهربائي ضخم ، واجتياز جدار يبلغ ارتفاعه ستة أمتار ونصف . هذا كل ما في الأمر ، ومن حسن الحظ أن (السياسيات) يقطن في الطابق الأول .

لم يكن صنع السلم أمراً صعباً جداً ، فقد أعلنت هيلين كوينا عن نيتها بتزيين زنزانتها بأرائك عشرة بالجوارب القديمة ، فزاد استهلاك الجوارب ، في الجناح الخاص بوتيرة جنونية ، وبعد أن جدلت الجوارب ثلاثة ثلاثة ، ثم تسعة تسعة ، وأحيطت بخيط من النايلون ، فقطعت حبلاً متيناً من الأرائك الطريفة (التي ساعدت في إخفاء العملية) ، وللحصول على درجات السلم ، سمحت المعتقلات لأنفسهن بسرقة إدارة السجون وأخذ قضبان الطاولات ، بعد قصها بالأطوال المناسبة ، ولم يلاحظ مدير السجن شيئاً خلال زيارة مفاجئة قام بها .

ولكن كيف يمكن استخدام القضبان ؟ طبعاً هناك المنشار ، ولكن ما هو الوقت اللازم ؟ كانت جاكلين كاريه متفائلة ، بالنسبة للمدة اللازمة ، وأكدت تقديراتها تجربة قامت بها على قضيب سريرها ، فمن المؤكد أنه من الضروري إنهاء العمل بأقل من ثلاثة أيام ، إذ يتم التفتيش يومي الثلاثاء والجمعة ، ولا بد وأن ينتبه الحارس الذي يقوم بجولته منذ عشرين عاماً ، دون خطأ (أو أن يحلم) بشيء يكسر . لم ينته الأمر بعد ، فهناك الجدار ، الجدار العالي ، فلا بد لتسلقه من أن يسعى أصدقاؤه في اليوم والساعة المحددين ، لإلقاء حبل ذي عقد للهاربات . وقد تحرك المسؤولون في المقاومة الفتاة بعد أن تم الاتصال بهم ، ماء ودماً للعثور على هذا الحبل المقدس ، فقد اعتقل أوران عندما كان عند هيسيل لمناقشة هذا الشيء النادر من بين النوادر . وكان الاعتقال صدمة عنيفة لفتيات سجن الروكيت ، فبعد أن كن على مقربة من الهدف ، انقطعن فجأة وبعدن عن العالم الخارجي . وأعيد الاتصال بواسطة ميشلين بوتو التي كانت على اتصال بالعديد من الزملاء ومن بينهم (جاك د .) مدرس الآداب والعضو السابق الاتحادي للحزب الشيوعي الفرنسي في الشمال ، والمقرب من (الطريق الشيوعي) ، فبين سطور رسالة عادية كانت سطور أخرى مكتوبة بعصير الليمون .

دخل الفريق ، الذي قدره بن سالم خير تقدير ، في العمل حالاً ، فهم أيضاً يفتشون عن حبل يلقون عليه ، فهل هناك من أمر أصعب من إيجاد حبل في باريس ؟ . فكروا بالحوانيت المختصة بتسلق الأغوار ،

إلا أنها لا تصنع الحبال إلا بناء على الطلب ، ويتطلب ذلك مدداً طويلة جداً ، وبعد لف ودوران ، عادوا إلى حل بسيط يحمي الأبصار بساطته ، وجربت (إيفت ب) حظها في مخازن أدوات القوارب ، فهناك تباع في قسم اللوازم حبال ناعمة ، أو حبال بعقد ، وساد الفرح وتبينت الأمور بوضوح ، رسالة من سجن الروكيت : كونوا في شارع ميرلان بعد منتصف ليل الأربعاء ٢٢ الخميس ٢٣ . ورسالة لميشلين بوتو ، نقطة اللقاء عند الرقم ٦٦ شارع ريتو بليث على بعد بضع مئات الأمتار من السجن .

وفي يوم الأربعاء ٢٢ توقفت ثلاث سيارات وشاحنة (تحمل الحبل) قرب سجن الروكيت ، وتوقفت الشاحنة مقابل المبنى رقم ١٠ وأخذ دوني بيرجيه يترقب الإشارة ، حفنة دراهم عند الجدار . وبقي صديق آخر في السيارة ، أما السيارات الثلاث الأخرى التي ينسق حركتها روجيه ري ، فقد توقفت في المناطق المجاورة وكانت ساعة مرور الدوريات قد حددت ، ولا يحتمل شيء بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة . ومضى الوقت فاحلاً فلا ضجة تسمع ولا إشارة ترى . وعادت الشلة يوم الخميس ٢٣ ، بالتدابير نفسها والأوامر نفسها والضمير نفسه وبعد أن فقد متاصلو (الطريق الشيوعي) الأمل انسحبوا بحصى حنين ، بالأسف. لقد نسقت العملية بدقة ، وكان الملف الذي قدمته المقاومة الفتاة تاماً ، وشمل معلومات كاملة من الاشارات والصور . كان السبب في هذا التأخير ، مقاومة ذلك القضيب . فبعد أن قام الحارس بجولته المعتادة ، ألقت كل من السجينات نفسها ، كل بدورها في المرحاض لنشر القضيب ، إلا أن الثلمة لا تحفر إلا ببطء لأن عارضة الشباك الصغير أجبرتهن على النشر بصورة مائلة ، ولم يكن التقدم جلياً ، ولكن من حسن الحظ أن الشهر كان شهر رمضان ، حيث كان للجزائريات الحق بالسحور في ساعة متأخرة مما يؤخر النوم أيضاً . وللاستفادة من هذا الوقت نظمت المرشحات للفرار حفلاً للعب المتحركة ، وأخرجت ميشلين بوتو مشهداً لشرن أو كاري . ووضع الستار بين المشاهدات والمغسلة ، كان جهاز الراديو يبث موسيقى صاخبة ، ولم تشعر الأخت المناوبة ،التي كان قدحها يحتوي على المدفأة بطعم المنوم الذي وضع فيه . وباختصار ، نشرن ، ونشرن ، ونشرن ، خلال ثلاث ساعات خلف الكواليس ، ومع ذلك لم يكن نصف القضيب قد قطع يوم الأربعاء ، ومن مكان واحد فقط وليكن . . . فخاطرن وعملن خلال الليل بالرغم من الضجة . وبذلت فيرا هيرود وكريستيان وروبير كنوزاً من الأعمال المرتجلة للمحافظة على السر ، وعلى كل حال لا بد من إعلام الجميع في الغد . وما أن حل عصر الخميس حتى كان القضيب قد نشر ولم يعد يمسكه سوى ميلمتر واحد من الحديد ، وكان لا بد للوصول إلى هذا الحد من تغيير مكان عارضة النافذة الصغيرة.

وأخبرت ميشلين بوتو، بواسطة أندريه ت ،دوني بيرجيه وروجيه ري ، بأن الليلة هي الموعد المحدد، وكان الجناح متحمساً مضطرباً واستغربت الأخت أندريا عندما حان وقت النوم (ما لكن هذا المساء ؟ ما حاجتها هيلين كوينا (أنه عيد ميلادي) فعانقت المرشحات فيرا هيرود وكريستيان وروبير.

كانت الساعة الواحدة والنصف صباحاً ، عندما دقت ميشلين بوتو (الزنزانة) ، على جدار هيلين كوينا (الزنزانة ٧٧) ، فخرجت وأطلعت رفيقاتها ، ثم أغلقت الأبواب باعتناء ، مما أذهل المحققين ،

فتوجهت الفتيات الست نحو البرج ، فقطعت جاكلين كاريه ، الأطار الخشبي بسيخ محمى بالنار ، وخلعته ، ثم جرت القضيب نحوها بخفة فانكسر ، ومدت السلم . وكان من المفروض أن تعزل أغطية ملفوفة مكنسة الشريط الكهربائي ، إلا أنها كانت ضخمة ولم تمر من الفتحة الصغيرة . وكانت ميشلين بوتو تتصور عنواناً جميلاً للصحف (هربن بواسطة مكنسة) . مرت جاكلين كاريه (جاكي) أولاً ، برجليها ، ثم بجسمها وصدمت بعض الصفائح عند وصولها ، إلا أنها وصلت بسلامة وركضت وتبعتها الأخريات ، وها هن في أسفل الجدار ، وطارت الدويهات وردت عليها دويهات .

وفي الطرف الآخر من الجدار ، خرج دوبي برجيه إلى الساحة ، وأتى بالحبل ، وألقى به بكل قواه ، فلم ينجح وأعاد الكرة فطار الحبل والخيط الذي يطوله ، والذي أحيط كلابه الحديدي بقطعة من الصابون لكي لا يحدث ضجة . واجتاز الجدار ، إلا أن سحن الروكيت بناء قديم متهدم قدره أن يهدم بعد قليل ، فتهدمت قمة الجدار وانغرس الحبل في أحد الشقوق . فشد برجيه على الحبل ثم شد بقوة دون جدوى ، ولم يعد لديه من وسيلة أخرى سوى التسلق . وما كاد يبدأ بالصعود حتى سمع صوت محرك سيارة قادمة ، كما سمعه سائق الشاحنة ، وظهرت سيارة دورية في الشارع فخاف وانطلق مسرعة . محدثاً ضجيجاً كبيراً ، فأثار دهشة رجال الشرطة الذين لحقوا به إلا أنهم ضيعوا الأثر ، ولم يلاحظوا لا الحبل ولا برجيه الذي انزلق على طول الجدار ، وهو يشتم ويلعن من شدة الغضب ، وابتعد بأسرع ما استطاع . ولم تفهم هيلين كوينا ورفيقاتها ما حدث كانت تصلهن بعض الضجة إلا أنهن لم يستطعن تمييزها . وهناك على ارتفاع أيديهن تقريباً كان الحبل يتأرجح ، فتشكلن هرماً ولكن دون جدوى ، وكانت قطعة الصابون تثيرهن . على ارتفاع خمس سنتمترات فقط من متناولهن . فساد الهلع والاضطراب (وأخذن يجرين في كل الاتجاهات كالعنزات) وبينما كن يتراكضن لينظرن كلما أخذ يسخ من كل حنجرته[10] . (حذائي ، أضعت حذائي) كانت تردد جاكلين كاريه . أما ديدار فوزي فقالت (هناك سلم في مشغل قريب) ولم يعد أحد يصغي إلى أحد وعلى كل لم يكن الكلب طبيعة لمجموعة كلاب رهيبة ، ولم يكن سوى كلب المطبخ الصغير . كانت الساعة تقارب الرابعة ، وبعد هذه الدقائق من الضياع سيطرت الفتيات على أعصابهن ، وكان على مقربة من كوخ الحراسة ، الذي كان مضاء ، إلا أنه خالياً ، سقف غير عال يلاصق الجدار ، فاقتربن منه بعد أن أخذن مقعد المديرة ، واستخدمنه كدرج يوصلهن إلى السقف المعدني . وقررن أن يلحقن بالحبل من أعلى الجدار ، فقالت جاكلين كاريه (إن لم تجديه ربما سنقفزن) فأجابت هيلين (سأتعلق حتماً) . وساعدت ديدار فوزي الأخريات على الصعود ، واكتشفت أنها بقيت لوحدها ، وأخذت أجراس الصلاة تدق ، وسمعت وقع خطوات ، ربما كان الحارس؟ ففكرت بأن تعود إلى أسفل البرج لتجلب الانتباه حولها ، إلا أن الخطوات كانت خطوات رينة حريق وجاكلين كاريه نزلتا فمدت جاكلين ذراعيها والتقطتها رفيقاتها .

تقدمت الهاربات واحدة تلو الأخرى يتحركن على أربع فوق الجدار . . . كان كل عمود كهربائي بشكل

---

١٠ ـ التعابير لهيلين كوينا .

فجأة . وكان المارة يجتازون الشارع دون أن يرفعوا أعينهم ، وقطع الزجاج الموضوعة فوق الجدار لتمزق ثياب الفارات وجلودهن . كان عليهن أن يقطعن مائتي متر على هذا المنوال ، فانقسمن الى زمرتين ، ميشلين وهيلين وفاطمة في المقدمة ، وخلفهن جاكي وزينة وجيداو . وكن يتنفسن بقوة وكأنهن في المخاض ، وأخيراً ها هو الحبل مشت جيداً بحيث يكفي أن يترك المرء نفسه ينزلق .

ما كادت الفتيات الثلاث الأوائل يحططن على الأرض ، حتى مرت سيارة أجرة ، وكان معهن عشرين فرنكاً على رأيهن السائق؟ لا ، وتوقف ، وقال (أنه شاغر) وتظاهرت ميشلين بولو التي تعرف الانكليزية ، بأنها أجنبية لتقضي السهرة مع رفيقاتها ، فطلبت هيلين كوبيتا من السائق أن يدلها على مشرب في مونبارناس لانهاء السهرة ، وأخذت تتحدث لميشلين عن النصب التذكاري الذي مروا به ، وكانت ميشلين تجيب بلاه وأو وعبارات أصحاب مقنعة . وكانت فاطمة أقلهن حركة . فقد تمزق بنطالها في الوقت غير المناسب ، وعندما وصلت الفتيات الى مونبارناس أخذن سيارة أجرة أخرى الى شارع ريبوبليك هذه المرة . وفي الطابق السابع فتح لهن الباب رجل يرتدي ثياب النوم ، لا يطمأن له . (نعتذر لم نأخذ القطار المناسب لكننا وصلنا مع ذلك) من أنتن ؟ وماذا تردن ؟ انني لا أنتظر أحداً . فنزلت الفتيات الثلاث وصعدن من درج آخر ، ودققن الجرس ، فاذا بالرجل نفسه ، يفقد أعصابه ويكيل لهن الشتائم . . . فقد وصلن مرة ثانية الى الشقة نفسها ولكن من سلم الخدم . ولتأكدن هذه المرة بأنهن أخطأن الطابق ، ومرة أخرى دق باب آخر . حتنا من قبل ريه . . . .

- الدكتور ريه؟ انه يقطن الطابق الذي تحتنا .

تطابق غريب : زوجته ريه من (الطريق الشيوعي) والدكتور ريه الذي يرفنه ، يحمل الأسم نفسه وأخيراً وصلن الى الطابق المنشود ، وبدا الدكتور ، من أفراد المقاومة في سافوا سابقاً حذراً . فالفاريات كن سيأتين لا لوحدهن ، بل مرافقات . ولكن شكوكه تبددت بعد نصف ساعة ، عندما أعلنت الاذاعة انبا فشل الانفراج وتم ربح الجولة .

أما الفتيات الثلاث الأخريات فقد حصلن على عشرين فرنكا ، وكن يبحثن عن سيارة أجرة ، ولم تكن أي منهن تعرف عنوان شارع ريبوبليك ، توقفت سيارة على الرصيف ، وأمرت جيداو فوزي السائق بأن يتوجهن الى محطة بلاش للمترو . وتنبهت وهي تدفع الأجرة بأن الدماء تسيل من يدها ، وعندما وصلن الى حي بيغال تابعن السير ، وبصورة عفوية اتبعن الأسلوب نفسه الذي أتبعته ، صديقاتهن .

وكانت المصرية تتكلم الانكليزية بصوت عال ، وعندما وصلن الى تقاطع تذكرت زينة فجأة أن إحدى رفيقاتها في السجن ، التي أطلق سراحها مؤخراً ، تقطن على بضع خطوات من هنا . فذهبن الى المكان ، وغيرن ثيابهن ، وتوجهن نحو فندق جزائري ، حيث أغلق الأبواب دونهن باعتبارهن مشبوهات . . . ولكن

بعد قليل كان أحسن (كسكسي) بصحنه البيت يطلق بخاره في الغرفة ، واتخذت تدابير الحماية حولهن ، والرشيشات بأيدي الرجال ، وكان الأكثر ذعراً ودهشة هو دوني بيرجيه . عندما وصل روجيه ريه كالعاصفة الى بيته في سو وهو يزمجر (سار الأمر ، ولكن مع ذلك من الخلاص) وعادت المنظمة الى نشاطها المتوقف . وخلال الساعات الأثني عشرة التالية ، وبينما كانت الصحف تطبع أعداداً خاصة ، وأنباء مدعومة بصور الفتيات ومخططات سجن روكيت (فقد أصبحت مفاصل السجن أكثر شهرة من قلعة مونت كريستو) ، وزعت الفارات كل في المخبأ الذي خصص لها ، ودام يوم القيامة ثلاثة أسابيع (ولكن بالنسبة لمدير السجن السيد كوتيه ، كانت جهنم ، فقد صرف من وظيفته في الصباح نفسه ثم جاء دور عبور الحدود ، الواحدة تلو الأخرى الى بلجيكا ، بعد أن غيرت كل منهن ملامحها ، وصورت للحصول على هويات ووثائق جديدة ، وتهربت كاترين سوفاج من حفل عشاء لحضور هذا الاحتفال .

أما أمن الدولة فكانت ضائعة ، فأدخل رجل في زنزانته ليدرس كيف تمكنت الفتيات من الهرب ، وبعد أن أرهق نفسه بدون جدوى قال لرئيسه (أيها الرئيس ، لا أستطيع الخروج) فأجابته فيرا هيرود بلا رحمة (أما هن فقد استطعن . . .)[١١] .

(ان السجن مريح أحياناً) لقد أكتشف أتين بولو ، في الجناح الثاني من سجن فرين ، لذة كاد ينساها : لذة النوم ولذة أخرى ، لذة العمل الفكري الهادىء . فترجم (تروتسكي) لأسحق دوتشر ، ولكن هذا لا يمنع أن تكون فكرة تنحر رأسه هي أن يهرب ، أن يفر ، أن ينطلق أن يتلاشى . . . وخطط ستة (من الأخوة) لهروب هندباني : أن يطيروا فوق جداري السجن بواسطة حبل مربوط بين الطابق الرابع والأشجار خارج السور ، أي بحبل يزيد على (٤٥ درجة) وبطول يزيد على ثلاثة متر ، لعبة سيرك . كان بولو يعتبرها فكرة مجنونة ، وأخذ يفكر بعمل أكثر عقلانية ، وذلك بأن يسجل نفسه يوم الأربعاء لزيارة طبيب العيون ، وأن يركب في الشاحنة التي تؤمن النقل بين الجناح الثاني والعيادة ، (٣٠٠ متر) ، وأن يهدد السائق ، ويأخذ عمرته ومكانه ولا توقف الشرطة عادة سيارة الادارة ، على أن تنتظر في الخارج مجموعات من ثلاث سيارات لكل منها ، الأولى على بعد ثلاثة كيلو مترات من السجن ، والأخرى على بعد ثلاثة كيلو مترات من الأولى ، واذا جرت ملاحقتهم ، فتتدخل السيارات الأقرب لتسمح للهاربين بالوصول الى المجموعة التالية ، وإلا فأنهم سيركبون المجموعة الأولى ويهربون . مخطط مغر وواضح مما يسمح بالرد على التحدي الذي أطلقته فتيات الروكيت .

كانوا عشرة مستعدين للفرار أربعة جزائريين ذوي مراتب عالية : بلقايد ، تلمساني ، فريري ، ومن قشير[١٢] ـ أحد مؤلفي كتاب القرقرينة ـ وفرنسيين أتين بولو ، ولدي أوداد . فوزعت الأدوار ، على

---

١١ ـ المصادر ذكريات غير منشورة هيلين كونيا ، مقابلة أجريت مع هيلين كونيا ديدار فوزي ، تريستال روبو ، بي بيرجيه ، روجيه ريه ، كاترين سوفاج .

١٢ ـ كلف القيام بأعمال مستشار برئاسة الجمهورية الجزائرية مدير الصحافة السياحية ، سفير ثم موقف كبير في الصندوق الاجتماعي .

للمسلحين الرشاش ، وعلى بولو عمرة السائق . يقول بن عتيق (كان علينا قبل الوصول الى الساحة أن نجتاز أربعة حواجز ، وأن نفتش في كل مرة ، وبدلاً من أن نتقدم الى التفتيش واحداً تلو الآخر ، تقدمنا دفعة واحدة ، وأخذنا نتدافع متظاهرين بأننا نمزح ، بعضنا مع البعض الآخر ، ونجحنا خلال المرات الأربع ، ومررنا بالسلاح أمام أنف الحرس . وعندما وصلنا الى الباحة . كانت مفاجأة ، فبدلاً من سيارة الأسعاف المعتادة ، كانت سيارة سجن تقوم بنقل المرضى ، وسياج يفصل بين السائق والركاب ، وكنا نعرف تماماً : أمامنا ٤٣ ثانية فقط)(١٣) .

ويقول أتين بولو في مذكراته المؤرخة في ١٧ أيار (مايو) ١٩٦١ (نهض محمود ، واستند بركبتيه الى المقعد ، ومرر ماسورة سلاحه في الشبك الذي يفصلنا عن حجرة السائق ، بالضبط في ظهر السائق وصرخ بصوته الضخم ، (لا تحاول أن تكون غبياً ، لف الى اليسار ولا تغير سرعتك ، فأدار السائق رأسه ثم كامل جسمه وكان الهلع ظاهراً في عينيه ، عيون مدورة تلف تحت عمرة الموظف . كان خائفاً ، ففتح باب الحجرة قليلاً وهو يمسك به ، وانحنى ، وألقى نظرة على الطريق وأفترض أنه كان ينظر فيما اذا كانت هناك سيارة تتجاوزنا . وكان يريد اطاعة أمر محمود ، وفهمت أن محمود قد أخطأ ، فعلى بعد عشرين متراً أمام السيارة ، كان هناك طريق الى اليمين يدور حول السجن إلا أن محموداً قال : لف الى اليسار ، وكان يريد أن يقول الى اليمين . ولم يكن السائق ليستطيع أن يدور نصف دورة الى اليسار في هذا الطريق الضيق ، وأن ينطلق باتجاه معاكس دون أن يوقف سيارته ، ويقوم بمناورة واحدة على الأقل الى الوراء ، ومع ذلك حاول السائق أن يقوم بنصف دورة ، فأعطى ضربة عنيفة الى اليسار ، وصعدت العجلة الأمامية على الرصيف ، ولكن كانت هناك سيارة تمنع المرور فلف السائق الى اليمين وعادت السيارة الى الطريق ، وبتأثير الصدمة العنيفة ، وقع بلقايد ، الذي كان قد وقف ، علي وحدثت ضجة كبرى في الخلف ، إلا أنني بقيت أراقب السائق الذي ألقى بنظرة على شحنته من المعتقلين الملتزمين المسلحين ، الثائرين . ولاحظ أن الحركات الملتوية والقفزات قد طرحت بنا فوق بعضنا ، وعند ذلك سيطر على سيارته وعلى نفسه ، وقادنا الى المستشفى ، فصرخ أحدنا (لا تطلق) ، بلقايد على الأرض ، فنهض والدم يسيل من جبهته وخده ، فأمسك البندقية الرشاشة من (ماسورتها) وأخذ يضرب الباب ، وكانت ضجة كضجة الحدادين ، وعلى أرض السيارة كان الرصاص يتدحرج ، فقد فرغ مخزن بندقية محمود عندما وقع على الأرض . نحن الآن أمام باب المستشفى ، والسيارة متوقفة والباب الكبير يفتح ببطء ومر منه رأس فصرخ السائق : انتبه انهم مسلحون ، فاختفى الرأس وأغلق الباب من جديد ، إلا أن السائق صرخ ثانية (إفتح بالله إفتح) وساد الصمت فجأة في السيارة . كنا كلنا جالسين بحكمة ، ننظر جامدين مذعورين ننظر الى ساحة المعركة بعد المعركة الكاذبة والبندقية الرشاشة في حالة يرثى لها على الأرض بين الرصاص المتدحرج الذي سبب ضجة لا ضرر منها)

---

١٣ - شهادة حرية بن عتيق .

تلك هي القصة كما كتبها آتين بولو في المساء نفسه عن الفرصة التي ضاعت . فعندما كان تلمساني ينظر من الطابق الرابع في الجناح الثاني كان المخرج ، وكانت الحرية تبدو إلى اليسار ، أما من السيارة فكانت إلى اليمين . . . وأما العقوبات فكانت قاسية : ثمانون يوماً من العزل الانفرادي ، والصمت المطبق . لجأ بولو إلى مذكراته متظاهراً بأنه قد جر إلى مغامرة هو غريب عنها ، وطالب بأن يعاد له النظام السياسي ، ولم يحصل على ذلك إلا بعد (٣١) يوماً من الاضراب عن الطعام الفردي . عزل رهيب ، إذ أن القيادة الجزائرية في المعتقل ، لم تعلم بالمخطط ، فقررت عزل هؤلاء الرفاق الذين أستخدموا ، دون الحصول على الموافقة ، أسلحة كانت مخصصة لأهداف أخرى ، ويسجل آتين بولو بمرارة في مذكراته يوم السابع والعشرين من حزيران (يونيو) : (أنني أخ في الكفاح وأخ بالنسب ، ولست أخاً بكل بساطة) وأحل قرار (العزل) ، إلا أن أزمة الأنباء التي اجتازت المناضل الفرنسي ، لن توقف عن اجتياز العديد من حلقة الحقائب .

في ليلة ٣٦/٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٦١ ، غادر ستة معتقلين جزائريين زنزاناتهم ، بفضل مفاتيح مصنعة ، وتجمعوا في الزنزانة رقم ٤٣٨ في الجناح الثاني ، التي تقع في زاوية المبنى . وكانت القضبان قد قطعت بواسطة آلة قاطعة ، ورفعت بسرعة ، وألقى أحد المعتقلين بواسطة (يويو) خيطاً رفيعاً ، وربط به حبل سميك ، فالتقط صديق كان ينتظر على بعد ٣٠ متراً الخيط ، ولم يبق عليه سوى أن يجره ، وبقي الحبل مشدوداً بقوة . وفي الأعلى أخذ الجزائريون الستة ينزلقون واحداً تلو الآخر من فوق (سواري) السجن . وكان حداد حاذق الذي وافق على العملية يراقبهم من النافذة ، فجرح أحدهم عندما وصل إلى الأرض واعتقل ، أما الخمسة الآخرون فما زالوا يركضون ، ولم تكن الفكرة مجنونة كما اعتقد بولو العاقل . . . .

٢٢
عملة مزورة

بدأ الصيف بمحاكمة معقدة ذات صدى واسع . فقد حاكمت محكمة امستردام من ٢١ الى ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٦١ ، ميشيل رابتيس المكنى بابلو ، وسالومون سانتين ، المتهمين بتأمين طبع اوراق ونقود مزورة ، لحساب جبهة التحرير الوطني الجزائرية . والمتهمان من قادة الاممية الرابعة المعروفين . فكرس تقديمهم للمحاكمة ، بشكل ما ، الالتزام الكلي الى جانب الجزائريين ، الذي اتسم به هؤلاء منذ زمن بعيد .

يرجع تاريخ هذه القضية الى العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٠ . في ذلك اليوم ، وعند الساعة الرابعة بعد الظهر ، قامت مجموعة كبيرة من رجال الامن ، ينتمون الى أجهزة هولندية مختلفة ، بعملية واسعة النطاق سميت (قتل العجل) ، ودخلت في نطاق تلك العملية الى منزلي رابتيس وسانتين ، وتمت مصادرة وثائق هامة . وفي الوقت نفسه قامت الشرطة الالمانية بمداهمة محل صانع كليشيهات ، يدعى اولدريش ، هولندي الجنسية ، يقيم في اوسنابروك في مقاطعة الساكس السفلى . فاكتشفت هناك معملا حقيقيا . آلة طابعة اوفست ، وطابعة ميكانيكية ، من طراز مرسيدس كلوكتر ، ومواد تصوير ، وآلة لقطع الورق ، وكميات كبيرة من الورق ، وكليشيهات ولوحات ومواد كيماوية ، وباختصار وكما ذكرت الشرطة الالمانية الغربية ، كل ما يلزم لتزوير الاوراق النقدية ،وكان الشاهد العيني الملموس هو (٩٩٠) ألف ورقة نقدية مزورة من فئة المائة فرنك جديد ، مرتبة ومكدسة هناك . وكميات مساوية من الأوراق الجاهزة للطبع . وكانت العملية واسعة النطاق . ولكن ما هي العلاقة بين اولدريش وبابلو ؟ قضية تافهة : فقد كان الأول يصنع للثاني هويات مزورة .

وبعد مضي عشرين سنة ما زالت هذه القصة صعبة التحليل . وليس من شك أن فكرة تزوير العملة الفرنسية خطرت للجزائريين، وطرحوا الفكرة على بعض من أصدقائهم القادرين على حل أكبر المشاكل تعقيدا . ولم يتهرب بابلو ، الذي حدد لنفسه خطا ثابتا ، وهو الاستجابة لطلبات جبهة التحرير الوطني الجزائرية مهما كانت هذه الطلبات عجيبة . وعندما تحدث اليه المسؤولون الجزائريون عن العملة المزورة ، أسر بذلك لمصور الكليشيهات الهولندي اولدريش ، الذي كان متفقا في الأصل معه لتصنيع الهويات المزورة . فقبل اولدريش الثائر السابق ضد النازية ، واخذ يجهد لهذه المهمة ، بالرغم من المخاطر التي تحيط بها . فاتصل بدوره بطابع من امستردام يدعى صفارت ، الذي أدخل هو الآخر بدوره عاملا يدعى هوسب في

النقدية ، وتمكن الرجال الثلاثة بعد بضعة أشهر ، من التغلب على الصعوبات الفنية . فتم استئجار محل في مدينة اوستربوك ١٩ و٢٠ شارع جوهاني ، باسم شخص اخر . وفي شباط (فبراير) ١٩٦٠ طلبت الآلات الضرورية وخصوصا الآلة الطابعة الاوفيست والآلة الميكانيكية من مؤسسة فراس في مدينة دوسلدورف ، وسلمت المؤسسة الآلات في شهر آذار (مارس) ، وتم شراء الورق الضروري في الوقت نفسه .

داهمت الشرطة الألمانية المشغل السري ، كانت الأوراق النقدية الأولى قد خرجت من الطباعة لتوها . ولم يكن ذلك مجرد صدفة . فقد كان سفارت مرتبطا بالمخابرات الهولندية فتخلى عن كل مسؤولية . ولجأ خلف هوب ذي الشخصية المهزوزة . ويبدو انه كان مرتبطا منذ أن طرد بتهمة السرقة ، من المطبعة الوطنية الهولندية التي كان يعمل فيها . ومهما يكن الأمر ، فقد أصبح هاب شاهد الاتهام الاول في المحاكمة التي بدأت في حزيران (يونيو) ١٩٦١ .

تراجع ، هوب البائس الذي كان اللعبة التي تثير الرحمة ، امام هجمات المحامين ، واعترف بأنه يتعاون مع المخابرات الهولندية . وأعرب عن دهشته « لم أسأل عن هذه الاشياء . فان المخابرات سرية ؟ » . فنهض بابلو وقال : « انه رجل مسكين ويجب استجواب سفارت » وعندما استدعي سفارات ، نفى عميل المخابرات كل شيء ، وقال انه يجهل كل شيء عن هذه القصة .

إلا أن تدخل الشرطة في القضية كان واضحا . واعربت السلطات الهولندية عن رغبتها بأن يسود التكتم جو المحاكمة . الا ان الصحافة الدولية اهتمت بهذه المحاكمة الغريبة . وسافر لوران شوارتز وكلود بورديه ، وميشيل لبري الى هولندا للتعبير عن تقديرهم للمتهمين . ومع ذلك فان مرافعة الاتهام كانت قاسية ، وحتى في لغة القضاء الثقيلة ، كانت خطورة الواقع تعمي الأبصار . وتشهد على ذلك هذه الفقرة التي تتهم بابلو وسانتين « بأنهما صنعا في المبنى المذكور ، باستخدام الالات والأدوات والمواد الأخرى المذكورة ، بعض المسودات التي كثرت بالالوان الموجودة على الأوراق النقدية الفرنسية الحقيقية ، كما صنعا لوحات زنكوغرافية للطباعة على طريقة اوفست ، التي وضعا فيها اثني عشرة صورة متشابهة مع الخيط الرفيع الموجود على الأوراق النقدية المذكورة ، وانهما عدلا الطابعة الاوفيست بواسطة هذه الصفيحة ، لكي يتمكنا من تزوير الاوراق المتوفرة ، التي يساوي وزنها وزن الأوراق النقدية الفرنسية ، بخيط رفيع يشبه الخيط الموجود في الأوراق النقدية الفرنسية المذكورة . وفي النهاية لانهما زودا ، بكميات كبيرة من هذه الاوراق ، بواسطة الطابعة الميكانيكية وبواسطة صفيحتي النحاسي اللازمتين لذلك ، بخطوط تشابه كثيرا الخطوط الموجودة على الأوراق النقدية الفرنسية »[1] . وبالرغم من أن النص ليس نصا ادبيا رائعا ، الا أن كل شيء يوجد فيه ، أو تقريبا كل شيء . ولكن بقي شيء واحد ، هو مسؤولية بابلو وسانتين اللذين كانا يقسمان ، بأن الأوراق المصادرة هي ثمرة استفزاز . فالاتهام ، في الواقع ، لا يستند الا الى شهادة عميل للشرطة ، فهل هذا هو السبب الذي جعل الحكم يبدو تافها تجاه ضخامة التهمة . (السجن ١٥ شهرا ، مضى منها ١٢ شهرا) الا

---

١ ـ تقرير ضابط العدالة ريتيس . امستردام ٩ أيار (مايو) ١٩٦١ .

أن الحكم قاس جدا بالنسبة لبريغين وقليل جدا بالنسبة لبولديش .

انه من المؤكد ، بأنه لم يكن في نية الجزائريين تخريب الاقتصاد الفرنسي بأوراق مزورة كما ذكرت باختصار الصحافة في حينه ، ولكن ليس هناك دخان بدون نار . وتوضح شهادة جاك فيبه ، في نقطة عديدة قضية امستردام (عندما استقربت في بروكسيل ، نقلت اليها جوزيف وغيره ، وخطرت للجزائريين فكرة غريبة عظيمة : بأن يحاولوا ان يطرحوا في السوق كمية كبيرة من العملة الفرنسية المزورة ، عن طريق مصارف الشرق الأوسط التي تطرح على شكل حسابات وكانت الفكرة بأن يفتح حساب بعدة مليارات في ثلاثة او اربعة بنوك ، ونجح جوزيف في تقليد الكليشات الأصلية بصورة رائعة . ولكن في آخر لحظة ، بدأت المفاوضات تطول ، وتلقيت امرا مضادا وانتلف النموذج بنفسي)[٢] . فالاستنتاج يفرض نفسه . ولكن الوقت لم يحن بعد لوضع حد نهائي لهذه القضية التي لم تجر أكثر غرابة منها . فاذا كان بابلو يحاول ان يخفف من الاتهام بنشاطاته التزويرية ، فذلك لأن دوافع المخابرات الهولندية ، حتما ، بضغط من زملائهم الفرنسيين ، ترجع الى سبب آخر وهو حرمان الجزائريين من وسطائهم الثمينين لشراء الاسلحة . وكان بابلو يمتلك دفترا غنيا بالعناوين ، ويثبت بأنه لا يرفض القيام بخدمات من هذا النموذج .

لم تكن الشبهة عارية عن الصحة ، ولكن ، وبسرية تامة ، تمكن بابلو ورفاقه من تحقيق مشروع لا يصدق : وهو بناء معمل للسلاح . فحقيقة العلاقات بين الزعيم التروتسكي ولولدريش ، ربما تكمن ، في كون الزنكوغرافي موظفا في شركة أجنبية ، ويشتري باسم هذه الشركة ، بالمبالغ التي يقدمها بابلو (معدات) من هولندا . وكان لدى القضاء الهولندي الاثبات على ذلك ، ففي مطلع عام ١٩٦٠ ، طلب ولولدريش الى مؤسسة في مدينة فاشن ، أن تصنع له حوامل مدفع هاون فرنسي من عيار ٥٠ مم ، وقدمت له الشركة خمسة آلاف منها . وأولدريش هذا نفسه اشترى من شركة (تكنيش هاندلسوندر نيمنغ كانسترا) من روتردام ، ألفي مقياس مستوى لهذا الهاون نفسه . لمن ولماذا اشتريت هذه القطع ؟ هذا ما تجهله السلطات الهولندية . والسبب . . . وهذه القصة لم تذكر حتى اليوم .

منذ بدء الحرب ، والجزائريون يحاولون الحصول على الاسلحة بواسطة المهربين الدوليين ، الا ان المخابرات الفرنسية تدخلت لدى هؤلاء التجار بكافة الوسائل التي رأتها مناسبة . سيارات ملغومة ، محاولات قتل مشهودة ، موت مفاجىء ، وبواخر مصادرة . تلك كانت حصيلة هذه الحرب السرية . وهكذا اصبح تزويد الوطنيين الجزائريين بالسلاح مهمة خطرة . وتبين ، خلال أعوام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ ، أن التزود بالسلاح مهمة صعبة جدا ، وفي هذا التاريخ ، فكر بابلو بتصنيع السلاح ، فطرح المشروع على قيادة الثورة ، ونوقش طويلا ، ثم قبل في النهاية .

خصصت الجبهة الجزائرية المبالغ اللازمة للبدء بالدراسة ، وعمل المهندسون والفنيون من الاممية الرابعة لأشهر طويلة . وتم شراء المعدات والآليات والمخارط . . . وغيرها من كل بلدان اوروبا ، ونقلت قطعا منفصلة الى المغرب . وكانت الجبهة الجزائرية تتمتع بمعونة سلطات هذا البلد . فاغلقت السلطات

---

٢ ـ مقابلة مع المؤلفين .

عمولها بشرط أن يلتزم الجزائريون بالكتمان . وأحيطت العملية في الواقع بحذر وكتمان شديدين ، وتم اختيار موقعين لاقامة المعامل ، أحدهما في احدى قواعد جيش التحرير الوطني ، على مقربة من الحدود الجزائرية المغربية ، والآخر يختفي في ضواحي الدار البيضاء ، وكانت قواعد الأمن هنا مشددة . ولكي لا يظهر استجرار كبير للطاقة الكهربائية ، تم سحب الكهرباء مباشرة من الشبكة العامة . يقول بابلو (زرت هذا المعمل ولم يكن الشعور بوجوده من الخارج ممكنا ، وعندما يدخل المرء فيه يشعر بأنه في معمل لعربي البرتغال ، ولكن خلف الستائر ، كان رجال جيش التحرير سلاحهم . وهنا كانت الاسلحة تصنع . ويقوم بذلك عشرات العمال . وكانت ظروف الحياة فيه صعبة ، وقد بقي البعض في المعمل ستة أشهر دون الخروج منه)[٣] .

وبدأت المعامل بالانتاج فعلا في نهاية عام ١٩٦٠ ولكي يستمر العمل بطاقته استدعت الجبهة خيرة العمال الذين كانوا يعملون في معامل رينو وسيتروين ، واستدعت تروتسكيين أيضا . أرجنتينيون ، ويونانيون وبلجيكيون وهولنديون ، حتى أنه كان هناك فرنسي ، وكلهم يصنعون الأسلحة . وكان الانتاج محصورا بثلاثة أنواع من الأسلحة : مدافع الهاون للمشاة ، التي تمكن اولدريش من الحصول على القطع الصعبة التصنيع فيها . والبنادق الرشاشة من طراز فيبورون . والقنابل اليدوية المحززة الهجومية . وكان التصنيع صعبا ، وحدثت عدة احداث خلال التجارب . الا أن الانتاج خرج في منتصف أيار (مايو) ١٩٦١ ، وكان أثر ذلك عميقا جدا . وزار بومدين ، وبوصوف ، وزير التسليح في الحكومة المؤقتة ، المعامل ، وأخذت صورة لترسل بطاقات الى المقاتلين في الداخل : جيش التحرير يصنع اسلحته بنفسه . وكان ذلك بالنسبة لبابلو ورفاقه نجاحا كبيرا .

وهكذا نرى ان عمليات استخدام تخفي وراءها الكثير من المفاجآت . وبعد أن اطلق سراح رابتيس في ايلول (سبتمبر) ١٩٦١(بينما عاد رفيقه سانتين الهولندي الى قيادة التنظيم) علم بأن الشرطة اليونانية تلاحقه ، وحصل ممثلو جبهة التحرير الوطني الجزائرية خلال مؤتمر دول عدم الانحياز في بلغراد ، من ملك المغرب على جواز سفر لرابتيس . فاختار بابلو ، حذرا ، رحلة مباشرة من لندن ، وأوقف في العاصمة البريطانية في سجن المطار ، وأخيرا ها هو في الطائرة ، الا أن الطيار يعلن قبل الاقلاع بأن الطائرة ستتوقف في برشلونة . فأخذ رابتيس يصرخ (قلبي ، قلبي ، معي أزمة قلبية) ونزل بسرعة من الطائرة ، وأقلعت الطائرة بدونه . وكانت الطائرة التي تلتها هي الطائرة الجيدة . ولم يبق بابلو دون تأثير على الخطوات الأولى للجمهورية الجزائرية . فهو يجسد الدعم المبكر ، الكلي والمجهول ، لهذا التيار التروتسكي ، لمعركة جبهة التحرير الوطني الجزائرية[٤] .

أما القضية الهامة الأخرى في مطلع ذلك الصيف ، فقد جرت على الأرض الفرنسية ، في مرسيليا . فقد كان روبير بونو ، منسق الشبكة المرسيلية ، على موعد يوم ٢٦ حزيران (يونيو) مع عسكري ، كان

---

٣ ـ شهادة ميشيل رابتيس

٤ ـ نظم الحزب الشيوعي الاساسي أيضا ، شبكة أطباء في عام ١٩٦١ ، وكان اطباء كلرمون يستقبلون جرحى جبهة التحرير خلال خدمتهم في المستشفى ، ويعتنون بذوي الاصابات الخفيفة في عائلتهم

رافعها ، قدمه له لوسيان جوبلان . وكان الفتى قد سلم له ، خلال اللقاءات السريعة ، عناوين جنود ما زالوا في خدمة العلم ، يهمهم تلقي النشرات المعادية للحرب . وكان العسكري دقيقا جدا ، يركب السيارة ويسلم بونو مغلفا مختوما . فيدس بونو المغلف في جيب قميصه ، وينزل الجند ويتوجه نحو بيته . الا أنه لم يتمكن هذه المرة من بلوغه ، فقد حاصرته عدة سيارات ، وفتح باب سيارته بعنف ، وصررت الأغلال بيديه ، ووجد نفسه في مقر أمن الدولة . وفي أحد المكاتب ، كان رجال الأمن ، يفتحون المغلف بكل جدية . وكان في المغلف مخطط رسم كيفما كان ، وكتب الى جانبه جملة قصيرة (كما وعدت ها هو مخطط كارساب) .

كانت اللعبة مكشوفة ، ولكن لماذا يتعب المرء نفسه بالمعقول . فقد كان المفتشون متأكدين من المتهم . وأصبح بونو نتيجة لكفاحه المكشوف تحت الأضواء ، في الصالة وفي الكواليس ، نجما دون ان يريد ذلك . ويقص بونو نفسه هذه الطرفة : كانت نسخة من (الحقيقة . . .) تدور من يد ليد في مقهى (لوموندبال) في أكس حيث يتوجه اليه الطلاب عادة . قال احدهم (من يعمل هذه النشرة ؟) فأجابه طالب آخر (بونو ، طبعا) . وطبعا ايضا انتهت مثل هذه الطرف بدق آذان مدير شرطة المنطقة ، وبما انهم لم يستطيعوا القبض عليه بالجرم المشهود ، اخترعوا له (واقعة) كبرى ، وملموسة . . . واعتقل ايضا رفيق لبونو يدعى دوبران ، يدرس الفلسفة في الصفوف التحضيرية للمعاهد العليا . الا ان الملف كان هزيلا فأطلق سراحه . وبما انه شيوعي استدعاه فرع الحزب ، الا ان رفيقا يفعا نصحه بالاستقالة (لكي لا يجر المتاعب على الحزب) ، فانصاع دوبران ، وبعد بضعة ايام طرد من الحزب (فليس من حق العضو ان يستقيل من الحزب الشيوعي الفرنسي) .

كان المفتش سوزون الذي يحقق مع بونو ، ينتمي الى الحزب الاشتراكي ، الا ان ذلك لم يمنعه من ان يكون لنفسه بعض الملاحظات الشخصية المؤثرة (انا أعشق الثوريين في اعمالي) ولكن . ولكن لماذا جرى الاعتقال بهذه السرعة ؟ . . فيوم الغد سيتم توزيع الجوائز ، وسيلمع الأستاذ الجامعي بغيابه . فلو أن الشرطة صبرت أربعة أو خمسة أيام أخرى ، الوقت الكافي لينهي الزملاء وأقرباء الطلبة افراحهم ، لما انفجر الخبر بهذه القوة* . اما الآن فالنتائج فورية وكبيرة . طلبت نقابة المعلمين من كل طالب ، ان يكتب ابوه وامه بيانا يطالبون فيه باطلاق سراح المعتقل . فاحتج أب بكل قواه ، انه أحد المفتشين الذين شاركوا في اعتقال بونو . وضع غريب حقا : خلال اشهر العزل الأربعة التي فرضت على بونو ، لم يكن وحده ، لقد ملأت الدنيا المنشورات والاعلانات والكتابات ، التي ما زالت حتى اليوم على جدران المدينة (أفرجوا عن بونو) واحتجاجات . . . ولم يحظ أي من حملة المقالب بمثل هذا الدعم الخارجي الكبير الذي حظي به بونو .

من سجن بوميت (مرسيليا) حيث أخذ بدراسة (اوضاع البؤساء في مرسيليا) كتب روبير بونو لصديقه فيدال ناكيه (اما بالنسبة لمغامرتي الخاصة . فانها تبدو لي بلا اسرار : فمن المستشفى القاسية التي كنت اوطد السلام فيها منذ خمس سنوات مضت ، الى سجن بوميت حيث أقيم الآن ، هناك استمرارية

---

* ـ قام مراقب عام في المؤسسة التي يعلم بها روبير بونو بتحذير بيير فيدال ناكيه حالا .

بديهية بالنسبة لي ، فهل يمكن لمناضل يساري متزمت تجاه ما آل اليه هذا اليسار ، ان يكتشف العلة دون أن يبحث عن الدواء . وان يتكلم دون أن يعمل ؟ افلا يكفي ان نكرر قول روزا لوكسمبورغ ، بأن التراجع المستمر من معركة أصبحت حتمية ، هو أكثر ضررا بألف مرة من اية هزيمـة علنية ، اولا نذكر قول كلاوسفتز ، بأن السلبية ، تضيع الشجاعة ، وتوهن المعنويات ، وأن غالبا ما يعد جيش نفسه مهزوما لانه تجنب المعركة .

ولا بد ايضا ، في النهاية ، من الاقلاع عن النظامية ، وترك الجيش والتحول الى قناص حر ، والتحضير المناصر للهجوم المضاد القريب . ومن عملية النقد الى نقد العمل ، هناك استمرارية ايضا »[6] .

إلا أن همهمات تسري في السجن قطعت تأملات بونو (بول شرطي) . مستحيل ان يكون ذلك ، فبول هو عبدالله يونسي ، رجل انتشل من الفقر المدقع ، تواق بالمناسبات ، ذكي ، مقدام مناضل في جبهة التحرير الوطني ، منذ الساعات الاولى . اعتقل وعذب مرتين في عام ١٩٥٧ و١٩٥٩ وارتفع شيئا فشيئا على السلم الهرمي في الولاية الثالثة ، واثبت قدرة خارقة على التنظيم . رجل شجاع ، ساحر ، مناضل انتشله الجبهة من الأوحال . وكان بونو يعمل معه منذ زمن بعيد . . . لا ان هذا مستحيل .

ومع ذلك ، أجبر بونو نفسه ان يفكر بالامر على أنه افتراض حيوي . فتزايـت فجأة الكثير من المعطيات والاحداث التي يستحيل فهمها . فالمنصب الذي يشغله يونسي ، وصعوده المنتظم في الجبهة ، لم تأت الا لأن المناصب كانت تشغر بوتيرة سريعة بشكل رهيب ، فلم تتوقف الولاية الثالثة منذ سنتين عن التعرض للمشاكل والانتكاسات ، وفي ليون لم يمض شهر دون ان تتعرف الشرطة على مسؤولين جزائريين ، او رحلة حقائب ، أو على من يعملون على تهريب الفارين من الجندية ، وخلف ذلك ، كانت لجميع العمليات البوليسية الكبرى مباشرة او بصورة غير مباشرة ، علاقة بمرسيليا . سواء كان ذلك يطال مخبأ آيت الحسين ، او التعرف على ولد يونس او على حداد حادة ، والوشاية الغامضة بجوبلان وماكو واخيرا تشتيت شبكة ليون وفرار بوغلان .

كل ذلك يتناغم ، واتصلت شيئا فشيئا قرائن الاثبات . فأعلمت الجبهة بذلك ، وكان يونسي على وشك ان يرفع ليصبح قائدا على المستوى الوطني . فقامت الجبهة بتحقيق داخلي ، وكانت النتائج دامغة ، فقد قبل (بول) بعد أن اعتقل في عام ١٩٥٩ ، وعذب لكي يقلب ظهر المجن ، وأن يعمل لحساب أمن الدولة . وأصبح عميلا حقيقيا للطرفين ، ووضع تحت تصرفه حساب في البنك ، باسم المفتش الذي كان يعمل معه . وهو الذي سلم آيت الحسين ، وولديونس ، ولوسيان جوبلان[7] ، ودانيال ماكو ، وجان ماري بوغلان . ولم يتمكن ، الا بعد تردد طويل ، من تركيب أسباب كارثة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠ : (أي ضابط ارتباط ليملس في تموز (يوليو) بأن طالبة من مرسيليا تأوي في بيتها رئيس القطاع ، ولا بد من

---

٦ ـ رسالة في ١ ايلول سبتمبر ١٩٦١ ، نشرت في (الاجنبيير) ، مقتطفات من كتابات روبير بونو ، جمعها بيير فيدال ناكيه ونشرت من دار النشر مينوي في كانون الثاني ١٩٦٢ .

٧ ـ ان لوسيان جوبلان ، هو الذي ستتهمه جبهة التحرير يوما ما .

سراحه بأي شكل ، وكنت في مرسيليا انتظر اتصالا ، وبما ان الامر مستعجل ، ذهبت الى المكان بنفسي . الشيء الذي لم أكن اقوم به ابدا . وكان ذلك هو الخطأ بعينه ، فقد كانت صحيفة « لوبروفانسال » على الطاولة ، وبها صورة لي أخذت خلال مؤتمر صحفي عقده (بلاتشون) فقارن بول بيني وبين الصورة وقال ، اذن انت آرثو . فقتلته . وفي تشرين الاول (اوكتوبر) القى بي لرجال الشرطة . وبدأت (الملاحقات) . اما بالنسبة لبوتو ، فان الامور تمت بشكل مختلف ، فلم يكن يونسي ليستطيع تسليم المسؤول الفرنسي في عز نشاطه ، دون أن يشكل ذلك خطرا على حياته ، ومن هنا كانت التمثيلية التافهة التي اخترعتها امن الدولة .

وسيلتقي روبير بوتو ، وعبد الله يونسي مرة اخيرة . فقد أطلق سراح المناضل الفرنسي في حزيران (يونيو) ١٩٦٢ (وكانت قد كفت يده بربع الراتب ، وأعيد الى سلك التعليم في عام ١٩٦٤ ، وصدر العفو عنه في عام ١٩٦٦) . أما يونسي الذي أطلق سراحه في الربيع ، فقد اعتقله (اخوته) . وقاد محمدي ، أحد قادة الجبهة ، بوتو الى منزل ، فاكتشف المناضل الفرنسي الذي شعر بضيق قاتل ، ان يونسي موثوق على سرير ، يراقبه اربعة افراد من المنظمة الخاصة ، مدججين بالسلاح . ويجرب يونسي حظه للمرة الاخيرة ، فقد كانت (العائلة التي تأويه) تجهل القراءة والكتابة ، فطلبت منه أن يملأ ورقة صحية فكتب (انني محتجز اخبروا الشرطة) . فاعتقدت الموظفة التي وقعت بيدها المعاملة انها (قصة محجوز محتجز آخر) فأرسلت مساعدة اجتماعية لم تر شيئا من ذلك . وبعد قليل لف الحبل حول عنق الخائن والقيت جثته في نهر السين[٨] .

في العشرين من أيار (مايو) بدأت المحادثات الرسمية بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني . وما زال الفاصل الزمني بين ذلك التاريخ ووقف النار بعيدا (عشرة اشهر) . وفي يوم ٢١ اخرج بن بيلا وآيت أحمد وخيضر من قلعة اكس الكئيبة ، ونقلوا الى قصر توركان على المرتفعات المحيطة بمدينة سومور . وارتفعت قامة (المتمردين) . الا انهم كانوا قلقين ، فهذه (الاقامة الجبرية المراقبة) مراقبة أكثر من اللازم ، بحيث لا يستطيعون التحرك كما يشاؤون ، الا انها ليست بالقدر الكافي الذي يمكن ان يردع القتلة . فتوجه الجزائريون في تموز (يوليو) الى روجيه ريه ، ودوني بيرجيه ، وكانت الخدمة التي يطلبونها تتحدى كل قوانين العمل السري .

ويتلخص المشروع بتمركز فرقة فدائية مؤلفة من عشرين رجلا ، في الجوار المباشر للقصر ، من نخبة رجال المنظمة الخاصة ، يكونون جاهزين للتدخل بأقصر مدة ، وتمديد نظام اتصال دائم بين المعتقلين ومجموعة الحماية ، وأخيرا ، تهيئة مخرج للنجدة لبن بيلا ورفاقه ، بحيث يستطيعون استخدامه ان رغبوا في ذلك . فأخذ بيرجيه وريه وجو بلانت (الذي انضم اليهم بعد أن خرج من السجن وأصبح معروفا في مرسيليا من قبل رجال الامن) يتقصون شعرهم . فكيف يمكن اخفاء عشرين جزائريا في قرية لم تر سوى ثلاثة عرب خلال خمس عشرة سنة ؟ . لعب جوبلان دور البورجوازي المرهق ، واستأجر فيلا جميلة (واخذ يستجم) . كل شيء كان يجري هادئا ، حتى انه دعا الجيران لأخذ كأس معه ، ولكن وفي ليلة ليلاء لا قمر فيها . اقتربت عدة سيارات بعد أن اطفأت انوارها ، وافرغت امام المبنى مجموعات من الرجال الذين انزلقوا بخفة الى

٨ - شهادة روبير بوتو التي رواها امام المؤلفين.

الداخل ، وأودعوا غرف المؤونة في أعلى الفيلا ، بصمت ، وبأمر قاطع بألا يضع أحدهم قدمه في الخارج ، وها هم مكدسون قرب مسالك أسلحتهم لأجل غير مسمى ، وكانوا هم السجناء الحقيقيين.

الى جانب ذلك ، كان بن بيلا[9] يستقبل بانتظام آن . ج ، وهي صديقة لمونيك بيرجيه ، وتم الاتفاق على اسلوب مختصر : يرود الزعماء التاريخيون الثلاثة بأسمهم تارية (من النوع نفسه الذي تستعمله البواخر عندما تقع في خطر) ويتواجد دائما حارس يترقب في الفيلا . الا أن هذا الأسلوب البدائي كان آخر ما يمكن استعماله في أسوأ الحالات . وقامت آن . برسم مخطط للقصر ، فربما يلزم ذلك يوما ، ولاحظت بصورة خاصة ، انه يمكن المرور من الصالة الكبرى الى القبو . وأن خادما واحدا يغلق عليه الباب مع المعتقلين أما الشرطة فتراقب من الخارج ، وتقوم بالدورية حول القصر .

فهل يمكن الخروج من القصر من فتحة خفية (على مستوى الاقبية مثلا) ، وأن يخدع المرء يقظة الحرس ؟ . انطلق روجيه ريه وتوني بيرجيه في جولة استطلاعية ، ووقع الرجلان على فصيل من رجال الشرطة ، الذين - بمعجزة - لم يشتبهوا بهم ، وابتعدوا ، وكانت العبرة واضحة : من هنا ، المكان قليل الامان ، انه الطريق المسدود . والنفق الذي فجأة ، فالمنطقة كلسية . وكل الجبال محفورة لزراعة الفطر ، ويقال ايضا بأن المرتفعات محفورة ، وكأنها متاهات حقيقية ، وأخذ المناضلون الفرنسيون بدراسة تلك الأنفاق خطوة خطوة ، مزودين بمصباح كهربائي ، وببوصلة ، وخارطة ، وهكذا وصلوا الى تحت القصر تماما . واكتشفوا حائطا من الحجر يمكن نزع بعض من حجارته بسهولة ، وها هم في قبو القصر .

مهمة مرعبة . الا انها نفذت ، وهكذا وفي صيف عام ١٩٦١ كان بامكان احمد بن بيلا ، أهم سجين في فرنسا ، الذي كانت حريته موضع نقاش عنيف في البرلمان ، أن يهرب متى شاء ، ولكن هل كان يريد ذلك ؟ . في مطلع أيلول (سبتمبر) اتصل هاتفيا ، لأن بن بلا كان عنده خط هاتف شخصي ، تحت المراقبة طبعا ، برابح بيطاط ، الذي ما زال في سجن قريب وقال له : عذرا ، لقد حان الوقت ، وقت ماذا ؟ وكان رجال الشرطة الذين يسجلون الحديث مندهشين ، وهكذا جرءا تكل احتمال عززت السلطات المراقبة ، وأخذ الحرس ينامون في داخل القصر مما عقد العملية .

ابتعد فريق (الطريق الشيوعي) وتراجع الى منطقة فيرزون ، واتصلوا عن طريق طبيب متمرن مرتبط باتحاد العمال الجزائريين ، بمدير المستشفى ، الذي كان في الوقت نفسه رئيسا لبلدية المدينة ، وكانت المقابلة قصيرة (قيل لنا بأنك على استعداد لدعم الجزائريين ، وعلينا أن نبني مخابىء ، فهل يمكنك مساعدتنا دون الرجوع الى الحزب ؟) . ففكر الرجل ، الذي يبلغ الخمسين من عمره ، وكان مسؤولا في المقاومة الفرنسية في منطقة لوشير وأجاب (موافق) . وفي تركوان اجتمع القادة التاريخيون من جديد بالرغم من الخلافات بينهم واحد بيرجيه يتعرف على المزارع المجاورة ، والتي يمكن ان يختبئوا فيها قبل اخراجهم عبر الحدود واحدا بعد الآخر

---

٩ - كان يتمتع بن بيلا في ذلك الوقت بنظام خاص يسمح له باستقبال الزوار.

إلا أن الاضراب العام الذي اعلنه جميع المعتقلين السياسيين بما في ذلك الزعماء ، قلب كل خططاتهم ، ونقل بن بلا وآيت احمد وخيضر يوم ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) الى مستشفى غارشي ، ولم يخرجوا منه للعودة الى تركوان بل الى قصر اولنه قرب مولان . السهل واسع ، وقرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن مائة وخمسين نسمة ، مراقب مراقبة تامة من الشرطة ، ولم تعد قضية الهرب الجماعي ، ولا الاتفاق ، مطروحة . وقدم الحاد فرنسا التابع للجبهة ، سيارة امريكية ضخمة زرقاء اللون ، لأن ج ، التي تابعت زيارتها . وفي الصندوق الخلفي صنع مكان يكفي لاخفاء شخصين ، وتوضيح الاخراج ، يغطس بن بلا وأحد رفاقه في الصندوق (والشرطة بعيدة قرب الباب الخارجي) وتنتظر سيارتان عاديتان وتأخذان الهاربين وبدلا من التوجه نحو الشرق كما سيتوقع رجال الامن تتوجه نحو فيرزون .

واسر بن بلا لسفير المغرب ، بأن بعض الصناديق ضيقة مثل القبور ، توافق غريب : بعد ثلاثة ايام من ذلك ، كانت سيارات الزائرين تفتش بانتظام تفتيشا دقيقا في اللعاب والاياب ، وبما انه لم يعد هناك فرار تاريخي ، دبرت آن ج لأصحاب القصر ، مجموعة هامة من المسدسات والقنابل اليدوية ، كانت تحملها في كيس رياضة ، قال آيت احمد ضاحكا وبدون شعور (اذن لم يفتشوك فاسرعت الفتاة وقد انقلب لونها وابتعدت دون أن تجيب) .

ويقول دوني بيرجيه ، في الواقع ان احمد بن بلا لم يكن يرغب فعلا في الهرب . فان صورته كرجل دولة ، وصورته كمعطب شهيد قد تتشوه نتيجة ذلك . . .

هل يمكن للمرء ان يلتقي ، خلال هذه المدة بحملة حقائب سعداء ؟ . . . أبدا ، ربما يسيطر من (يحضرون عمليات) مثل دوني بيرجيه ، على أزمة الانتهاء التي وضعها آتين بولو من قبل . ولكن ، وبالرغم من هزيمة الجنرالات المتمردين ، كانت منظمة الجيش السري تبث الرعب . ولم يعد الناهضون للاستعمار البارزون يناموه في بيوتهم ، وكان الحركيون (وهم الجزائريون الذين خانوا امتهم ، ووضعوا انفسهم في خدمة السلطات البوليسية الفرنسية) ينشطون الحي الثالث عشر ، ويخطفون ويعذبون ، ولحقته الاحياء الاخرى بعد قليل . واشتهر قسم الامن في (غوت دور) شهرة (يستحقها) ، فصودرت صحيفة لومانتيه لانها تحدثت عما يجري فيه ، وعانت تيمولنياج كريتيان في الاسبوع نفسه من الأكشاك ، لانها تحدثت عن الحقيقة ، ومنع عدد نيسان (ابريل) من مجلة الازمنة الحديثة ، فقد اقترف كلود لانزمان (جرما) لشبه (الاسباني وكلابه) نعم ، كلابه ، وبدأت ما سماه بيير فيدال ناكيه (معركة باريس)[61] . ويبرر موريس بابون مدير الشرطة يوم (١٨) آذار (مارس) استخدام جهاز الجلادين الموازي (المؤلف من الحركيين)فقال

---

٦٠ ـ الجمعية العامة للعمال الجزائريين . .

٦١ ـ استخدم هذا التعبير في (الحقيقة ـ الحرية) واستخدمه بيير فيدال ناكيه في (الرعب في الجمهورية) ، وهو رد على تعبير (معركة الجزائر) التي قادها الجنرال ماسو .

(لقد كنت مفتشا عاما للادارة ، في مهمة فوق العادة في قسنطينه خلال الأعوام ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ ، وتعرفت على أركان الحرب الثورية المعادية ، وأحدها هو السرية ، ونظرا لعدم امكانية ذلك ، حيث يستحيل الالتزام بها كما يجب ، في بلد مثل بلدنا ، حيث ينتهي كل عمل امام القضاء ، فاعتبرت ان عليّ أن احيط عملنا بنوع من السرية) . في التاسع من ايار (مايو) حل روجيه فريه على زميله شالونيه في وزارة الداخلية ، وفي الواسع والعشرين من آب (اغسطس) خلف هنا إدمون ميشليه في وزارة العدل ، ولا بد وأن بابون قد طمأن رجاله (منذ الآن ، اعمالكم معطلة)"[12] .

ها هي (الحرب في فرنسا) تعود ، الا أن المهاجمين ليسوا انفسهم الذين هاجموا في عام ١٩٥٨ ، ولم تكن اهدافهم مخازن المحروقات ، او معامل الغاز ، بل تلك البنية المؤلفة من لحم ودم وعظام . فرد المستهدفون (الجزائريون) وهاجموا اقسام الشرطة . ومع ذلك كانت الأسلحة تنقصهم ، كما تنقص المعتقلون الجزائريين في سجن فرين ، الذين كانوا يأملون تعزيز فرقة الكوماندوس . فصنع جاك فيبيه المقيم في بلجيكا مقطورة سياحية بصندوق مخفي ، وكان احد المتعاطفين من لييج يملك مرآبا خاصا ذا حفرة . وكانت الأسلحة (من رشاشات وبنادق رشاشة) تأتي من المانيا ، وتنقل في سيارتي مرسيدس ، محملة بين المقاعد الخلفية والصندوق . وتحمل المقطورة في لييج . ويقودها بلجيكيان الى باريس ، او بالضبط الى مزرعة فنانة كوميدية من أصل سوفيتي في قرية أشير ، ويقوم ميشيل فيرك بتوزيعها . وتمت اربع رحلات ، نقل خلالها طنان من المعدات . اما اليسار (التقليدي) الذي يتابع بصعوبة ، منذ صدور بيان الـ (١٢١) الرأي العام الذي كان يخشى ان يسبقه ، فما زال يتردد وبقي كذلك حتى يوم التاسع من حزيران (يونيو) عندما اعتقل رجال بابون : بول تيبو وبيير فيدال ناكيه (اللذين أشبعا ضربا ولكما) وبول ريكور وجان بويون ، وجاك بانيجيل ، وحتى عندما قامت الشرطة بتفتيش مكاتب (فيرينه ، ليرنيه ، وتيموانياج كريتيان ولافراكوموننست ونشرة الأعلام المغربية التي كان يديرها غاستون غوسلان) وعلقت لوموند فقالت (عملية توازن) ، فردت مجلة (الحقيقة ـ الحرية) ان الأمر اخطر من ذلك ، فاذا كان الجنرالات قد فشلوا في ٢٢ نيسان (ابريل) ، فالفرع الفرنسي للمؤامرة لم يتراجع : (وكانت سلطات الامن قد خططت لاعتقال مائة وخمسين صحفيا ، وحققتا يساريا خلال شهر حزيران (يونيو) وارسالهم في اقامة جبرية الى معسكر تول ، ومن بين هؤلاء مارسيل بيجو ، وفيليب بيرنييه ، وجان دانيال ، وكلود كرييف ، والبير بول لانتان وروبير بارا وغيرهم . الا أن تسرب الانباء عن هذا المخطط وتجنبا لاستفزاز الرأي العام ، قامت مديرية الشرطة بحملة محدودة النطاق يوم ٩ حزيران (يونيو)"[13] .

كان اليمين المتطرف ، من وجهة نظره ، على حق ، فالأشخاص الخطرون في تلك الساعة هم المثقفون والمدرسون والطلاب والصحفيون والمحامون أيضا : الذين سيرون ما سوف يرون ، فقد صودر

---

١٢ ـ مصدر مذكور سابقا.

١٣ ـ (الحقيقة ـ الحرية) العدد ١٠ ، حزيران (يونيو) ١٩٦١ .

عند سال سانتين (شريك بابلو) بطاقة كتب عليها (المجموعة) ، فجرت ملاحقة عاملي الدفاع عن الجزائريين ، وحوكموا وبرئوا في الخريف[14] . ما عدا اوصديق الذي حكم عليه بالسجن ستة أشهر ، مع تأجيل التنفيذ لانه شوهد برفقة بلقائد (عميل الجبهة عند نقطة حدود هيرسون) .

ويعمم (الجيل الجزائري الجديد) ان عليه ان يعتمد على قواه الخاصة ، فاسس بعض الرافضين باسم اتحاد الطلبة الشيوعيين في جامعة السوربون (وأحيانا بعض التروتسكيين مثل آلان كريفين) جبهة مناهضة للفاشية ، تحت اسم (الاتحاد العام للطلبة الاحرار) وتوسعت الحركة بسرعة ، حتى بلغ عدد اعضائها في باريس والمحافظات ، عدة آلاف ، وأكد كريفين (اننا نسيطر على الحي اللاتيني) . وكانت التجربة ذات مغزى ، تجاه المتطرفين من جماعة (الأمة الفتاة) . وكان المسيحيون ، والمناصرون او الاعضاء في الحزب الاشتراكي الموحد ، وكوادر الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، والعديد من غير المنظمين ، يدعمون الشيوعيين المعارضين (بصورة شبه رسمية) . وتأسست لجان في أغلب المدن الجامعية ، مثل كان ومرسيليا وليون . وفي ليون ترك جان لوي هورست الجنوب الغربي ، وعاد اليها لسد الثغرة التي تركها سفر بوغلاد ، حيث كان هورست يقوم بحملة قوية للتحريك ، في الأوساط الطلابية بواسطة بنينو ، ومن هذه الخلطة برزت العناصر الاساسية لأحداث أيار (مايو) ١٩٦٨ .

وكان حملة الحقائب الشباب ، الذين قرفوا سلبية الكبار ، يحلمون بتنظيم انفسهم في نطاق وحدات مسلحة . وجرت بعض الدورات السرية جدا ، للتدريب على السلاح والمتفجرات ، وذلك بمساعدة بعض رجال المقاومة السابقين (فبعد ان شعر بعض القادة بالقلق ، احتموا بالشبكات الجديدة ، ومنهم جورج غانغوان الذي ساد على منطقة ليموزان حتى تحرير فرنسا ، ووعد بمساعدة مجموعة توركوان . الا أن هذا العمل لم يتعد ، مرحلة الفولكلور[15] . ويشهد على ذلك التقرير الذي نقل الى قيادة مجموعة نيزان والذي يتعلق بعملية (تخريب) القطار رقم ٥٣ ، بين باريس ومرسيليا يوم السابع والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦١ . وها هو يقول : تم اختيار الموقع الذي سيتوقف فيه القطار ، على بعد اربعة كيلو مترات تقريبا ، جنوب سان شاما ، وسبعة كيلو مترات شمال بير . أما الأسلوب الذي اختير لتعطيل الاشارات الضوئية ، فكان حسب التعليمات ، القيام بتقصير الدارة الكهربائية الواصلة اليها بواسطة حبل معدني مجدول يصل بين الخطين الحديديين ، يخبأ في العوارض . وهكذا فان عملة (التخريب) تخلق قطارا وهميا وسارت العملية على أحسن ما يرام ، ففي الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق ليلا ، وبعد ان وجد سائق القطار اشارة تخفيف السرعة ، لاحظ اشارة الوقوف ، الا انه انطلق بعد ذلك مخففا السرعة ،

---

١٤ - ٦ - ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦١ .

١٥ - شكل الحزب الاشتراكي الموحد بعض المجموعات المسلحة (مجموعة العمل والمقاومة) وقد غطيت جدران باريس ، ليلة الانقلاب ، بشعارات اعطت انطباعا بان ميليشيا شعبية حقيقية بدات العمل لا يستحق الامر الاهمال، الا ان الواقع الحقيقي كان أكثر هشاشة مما ظهر

واستطعت ان اميز عند مروره ، عبارة مكتوبة بأحرف كبيرة (اطلقوا سراح بونو . . المقاومة القناة)[16] . ومن الواقع ان عملية (بيش ميلبا مجموعة ٢) ليس لها من تشابه مع معركة السمك الا قليلا جدا .

نجحت النساء ونجح الرجال الذين لم يكونوا من حملة الحقائب اطلاقا ، بالقيام بعمليات تخرج عن النطاق العادي . وهكذا تجمعت حول اوليفيه شوفريون ، وهوبير بريغو ، لواء صغيرة من الاصدقاء المتأثرين (بنادي جان مولان) ، وتمكنت عن طريق معونات سرية ، وبصورة خاصة من كبار موظفي القصر الجمهوري ، من الحصول على قائمة باسماء عدد كبير من الضباط العاملين في الجزائر وأرقام صناديق بريدهم ، وأخذت توجه لكل هذه الكوادر العسكرية ، رسالة شهرية سرية جدا تضم أكبر ما يمكن من البراهين والتحليلات والمعلومات ، التي من شأنها ان توازن الدعاية التي يقوم بها المتطرفون ، الامر الذي ولد قلقا بالغا في أوساط الأمن العسكري"[17] . ومثال آخر : نقل موظف أمن كبير اصبح فيما بعد وزيرا الى ايدا بوردييه ، مذكرات البحث عن القادة والمحرضين الاساسيين من منظمة الجيش السري ، فاستخدم الحزب الاشتراكي هذه (الرشوحات) وتمكن من طبع أكداس من اعلانات كبيرة مصورة ، تحتوي على صور الاشخاص الذين قاموا بعمليات التصحيح ، وأرسل ملفات عامة ونافعة حول اخطار تعزيز بنيان المنظمة السرية واضرارها .

وتحمل المناضلون الناصحون ، من أعضاء الشبكات ، آلامهم بصبر ، وكانوا يأملون بأن يقود تيار شجب الفاشية وفضحها الى اندماجه بتيار المناهضة للاستعمار النشط . اما الشبيبة الفتية فكانت متأثرة جدا ، فهذا الشعب الفرنسي الذي يرتجف خوفا على حقوقه ، الا انه يسمح ان تدوس الاقدام حقوق الآخرين ، لم يعد شعبهم . اما عالمهم فهو عالم آخر ، عالم كاسترو الذي انتصر يوم ١٧ نيسان (ابريل) على حملة خليج الخنازير البائسة ، وعالم باتريس لومومبا الذي اغتيل في ١٣ شباط (فبراير) الا أن شبحه ما زال يخيم على افريقيا كلها ، وعالم فرانتز فانون[18] منظم الثورة الزراعية ومرتل (عفوية الجماهير المستغلة) ، وكذلك عالم ماو . وكانوا يرون ان نظرية العالم الثالث امل التفكير الثوري ، ليست اسلوبا غريبا ، بل ضرورة حيوية لمن يريد الخلاص في هذا العصر .

ونرى كل خيبة الامل هذه ، في رسالة وجهها روبير بونو الى مجلة (الحرية - الحقيقة) حيث يقول : (في اواخر الخريف الماضي وخلال الجو المتهيج الذي خلقته محاكمات شبكة جانسون وبيان الـ ١٢١ ، كان بعض الاصدقاء يعتقدون بأن الوقت قد حان ، لجمع كل المناضلين والناصرين للمناهضة العملية للاستعمار في حركة واحدة . وكانوا يأملون ان يصل عدد المنتمين الى هذه الحركة بسرعة الى خمسة عشر الفا . ولكن تبهم لحدنا . . .)

---

١٦ - مصدر خاص .

١٧ - نقلها الى المؤلفين هوبرت بريغو .

١٨ - توفي فرانس فانون في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦١ .

وهذا الطليعي الذي سبق الجميع ، او تقريبا سبقهم ، كمنظم فعال للشبكات ، الم يتحدث عن الآلاف الذين ساعدوا الجزائريين في كفاحهم ؟ ان في فرنسا اربعمائة الف جزائري ، ولكل جزائري صديق فرنسي على الأقل يقدم له الخدمات . اي نوع من الخدمات ؟ حسنا ، ان يذهب مثلا يشتري له علبة سجائر من البائع المجاور . . . فان كان ذلك صحيحا ام لا فالعبارة لذيذة : انها تسعر نفسها بنفسها .

سيتم في يوم من الايام حساب للاعترافات ، التي كانت مضحكة احيانا ، متهورة احيانا أخرى ، الا انها هزلية دائما . تطرح عادة بتجنب الذهاب الى ابعد من البائع المجاور . اننا لن ننسى هذه الشخصيات المثقلة بالأسرار الواثقة من نفسها واللامعة في التلميح . ان هؤلاء الشخصيات اسمى بكثير من علبة التبغ وحتى من الحقائب .

ان المقاومة الجديدة ربما كانت مملكة الخرافات اكثر من المقاومة نفسها (ضد النازية) تحيل وتترك الآخرين يستمعون : فالسرية تسمح بذلك والضمير السيء يدفع اليه .

لو عرفت ما يحمل الحزب لجبهة التحرير لاستغربت الامر . (والجبهة ايضا . . .) فماذا سيقول التاريخ المخلص النزيه عن هذا الزمن ؟ . . . سيقول بأن اليسار الفرنسي لم يرد أن يخاطر بحماية المناضلين الجزائريين من الشرطة الفرنسية ، وانه حذر ضد مبدأ هذه الحماية ، وانه ادان من قاموا بها ، وسيقول التاريخ ايضا ، بأنه وجد ، خلال سبع سنوات من الحرب ، بضع مئات من الفرنسيين كحد أقصى تحدوا هذا المنع . . . »[19]

وها هو فرنسوا ماسبيرو وجورج ماتيي في كوبا ويتبعهما جيرار شاليان في تموز (يوليو) وبارادتهم ومن تصميمهم ولدت مجلة (بارتيزان - الأنصار) ، التي وصلت مبيعاتها الى خمسة آلاف عدد . واحتوى العدد الاول على تصريح غير موقع ، وكان صاحبه ماتيي : الذي لخص بصورة افضل من كل تحليل وداع العالم القديم (اننا نعتقد بأنه من الخطأ التأكيد بأن الطبقة العاملة اكثر ثورية من قيادات الاحزاب المعبرة عنها . كما أننا نعتقد بأن هناك مراحل من تاريخ الحركة الثورية ، يتبلور ، خلالها حول المثقفين (ببنادق او بدونها) العمل الطليعي : عمل الانصار . وتنهي بهذه الصرخة (ان الجيل الجزائري) لا يعتقد بأنه الجيل الضائع[20]) .

ضائع ، ربما لا ، ولكن في نظر التوظيفات التي دفعت الثمن بحملات مزورة .

---

١٩ - ٣ تشرين الأول (اوكتوبر) ١٩٦١ .

٢٠ - الأنصار العدد ١ ، ايلول - تشرين الأول (سبتمبر اوكتوبر) ١٩٦١ .

٢٣

موت الآخرين

يجري المشهد في كنوك لوزوت ، بين ٢٣ و ٢٥ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٦١ : قرية هادئة مقفرة على شواطىء بحر الشمال . الموضوع : تأسيس (لجنة دعم للثورة الجزائرية) . الشخصيات : الجميع تقريباً .
لقد تحول فرانسيس جانسون خلال الأشهر الأخيرة . فكان في الربيع في ألمانيا ، وفي الصيف في أنفيرس ، وقفز الى إيطاليا (حيث كان الناشر الإيطالي فلبتر ينيلي سينشر كتابه عن الثورة الجزائرية) . وعندما كان مقيماً في بلجيكا ألقى قواعد تجمع يهدف الى تحويل حملة الحقائب ، وتضميد الجروح ، وتوجيه القوى المناضلة القانونية واللاقانونية ، التي تريد تكريس نفسها ، نحو بناء الاشتراكية الجزائرية . ووجهت الدعوات الى جميع القطاعات (المتورطة) في المعركة : ماتي وفيتيه ، المقاومة الفتاة طبعاً ، وكذلك (الأزمنة الحديثة) و (الطريق الشيوعي) ، و (الحقيقة ـ الحرية) والناشرين الطليعيين ، وشخصيات بارزة مثل دوما ، وماندوز ، وغيرهم ...

لم يأتوا كلهم ، إلا أنهم كانوا ممثلين . وكان جانسون أول المتحدثين ، فذكر المراحل التي مر بها الدعم ، وقدر الرهان (أن الرأسمالية الغربية ، لا تنقصها الديناميكية بالتأكيد . وأنها تشكل لو باختصار مزدهرة ، وها نحن نراها تناضل لتحقيق أهدافها في ضوء السوق الأوروبية الجديدة ، وتنقل مركز الاقتصاد الأوروبي نحو الشمال ، نحو المناطق الصناعية ، مما يقودها شيئاً فشيئاً الى أهمال القطاع الجنوبي من أوروبا ، هذا في الوقت الذي تجبرها المشاكل الاقتصادية الأفريقية على الشعور بأنها مسؤولة أكثر فأكثر عن الجنوب ، وهكذا فأن الرأسمالية ، تجد نفسها في تناقض ، والجزء الثاني من هذا التناقض ، لا يمكن أن يتجاهله أي بلد اوروبي يجب أن تتحمس الرأسمالية إن شاءت أم أبت لقضية التنمية في البلدان المتخلفة)[1] .

ويتابع جانسون (الذي كان يكنى تيري للمناسبة) : (إن الدعم لجبهة التحرير الوطني سيستمر ، طالما أستمر الكفاح المسلح ، إلا أن الوقت قد حان للتفكير (بما بعد الحرب) ، التفكير بمنصب الاشتراكية الجزائرية . وتطويع رجال ونساء مستعدين أن يضعوا أنفسهم في خدمة الثورة الجزائرية ، إن هي طلبت منهم ذلك في تعاون مخلص . إننا في الواقع الوحيدون الذين يمكنهم القيام بهذه المهمة في الاطار المناسب) وبعد المناقشة لم يلق المبدأ أية معارضة . وضعت صيغة لمجموعة من الأسئلة لتوزع على المتطوعين ، عن

---

١ ـ نص لم ينشر سابقاً .

طريق التيارات المختلفة ، والهيئات المشاركة في (لجنة دعم الثورة الجزائرية) . بحيث يتم تجميع كل طلبات تقديم الخدمات ، وهكذا يتم بناء قلم مجموعات يهل منه بناة الدولة المستقلة حسب حاجاتهم .

(لجنة . . .) اسم يبدو طويلاً بمحتواه ، ولكي نحدد فتحة الفرجار ، نقول بأن عدم تحديد الاتجاهات المشاركة في الاجتماع التأسيسي ، يدفع الى الأخذ بكلمة (جبهة) وتم الاتفاق ، وولدت (جبهة الدعم للثورة الجزائرية) ، إلا أن هذه الجبهة لن تعيش طويلاً ، بالرغم من حسن نية (الطريق الشيوعي) ، والاهتمام الحذر الذي أبداه فيكتور لوجوك ورفاقه . بالرغم من بعض المجالس البلدية التي تمت جنباً الى جنب تروتسكيين ، وطلبة «وطنيين» ، وأعضاء من الحزب الاشتراكي الموحد ، وهيئة تحرير لأزمنة الحديثة ، وموزعي (الأنصار) . وهناك اعتراف يفرض نفسه : ان فرنسا ، وان كانت فرنسا اليسارية ، لا تهتم بجزائر المستقبل .

لاتهتم ، أو لا تهتم إلا قليلاً ، بجزائر اليوم ، الجزائر الملاصقة ، لا الجزائر الواقعة خلف البحار ، بل الجزائر في فرنسا على بعد خطوات من كل فرنسي ، ولا تهتم بحظر التجول الذي (نصح به) الجزائريون بعد الساعة الثامنة مساء ، ولا بمطاردة الوجوه الغريبة ، حيث يكشف العربي كما كان يكشف اليهودي في الماضي من شكل أنفه . حتى السابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) . ومن يتذكر هذا التاريخ ؟ . . . لا أحد ، وشارون ؟ الجميع . . . أن نهاية الحرب تكمن في هذه الذكرى وفي هذا النسيان .

في ذلك اليوم ، اليوم الذي محي من تاريخ فرنسا ، يوم السابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) ، خرج ثلاثون ألف جزائري ، في مسيرات صامتة بدون سلاح ، في عشرين حياً من أحياء العاصمة باريس ، ثلاثون ألفاً ، أي ١٥ بالمئة من السكان الجزائريين في باريس وضواحيها ، رجال ، ونساء ، وأطفال . ويروي روني داري ، شاهد لا يخاف من ذكرياته : (كانت الساعة الثامنة وعشر دقائق مساء ، والمطر يهطل رذاذاً ، وكل شيء هادىء ، وتمركز أمام قيادة الشرطة مجموعة صغيرة من الحرس ، يصعب تمييزها في الظلام ، تراقب ، فاقترب مني رتل من الجزائريين ، بدون ضجة ، بدون أعلام ، بدون لافتات . كان أغلبهم من الشبان ، وكان بينهم شباب أيضاً ، وشيوخ ونساء يحملن أطفالهن ، لبسوا أجمل ما عندهم من ثياب ولكن كان بعضهم رث الثياب حقاً فاجتازوا رصيف مارشيه ـ نوف ، فتوقفت حركة المرور فصرخ أحد رجال الشرطة بالسائقين (الى الأمام) . . . أصدموا هذه الكومة . . . فتوقف الموكب ، وحدث تردد ، إلا أن الترقب لم يدم طويلاً . فمضى جزائري ، جزائري واحد فقط ، وتقدم نحو الصف القائم من الرجال الذين يرتدون البزة الرسمية ، محاولاً أن يشرح لهم لماذا يتظاهر هو وأخوانه ، (مبروك الكرامة أيها القذارة) ، فضرب على رأسه وأغمي عليه حالاً في مكانه ، وجرفت الهجمة شارع البالية ، فتراجع قسم من الموكب نحو المقهى (أوروسول) فضرب بالهراوات بدون رحمة ، وشنت هجمة أخرى مكثفة جديدة أمام مطعم (الاسورس) . وكان حانق منهم يلوح بعصا كبيرة بكلتا يديه ، لكي يكسر بصورة أفضل الأنوف والأسنان . وها هو آخر يطعن بقضيب خشبي محطم ، كأنه رأس قارورة محطمة ، الجزائريين في وجوههم . وتمركز ضابط على الرصيف وبيده هراوة طويلة يحركها بكلتا يديه ، ويضرب بها وكأنها فأس حربية ، فأصاب رجلاً عجوزاً ذا عمامة كان يركض منطوياً تحت وابل الضربات ، في عينه اليسرى . وصوت الكتلة من المستحيل بأن تكون

العين قد انفجرت. فوضع العجوز يده على عينيه ووقع ككتلة هامدة، فجر رجال الشرطة بسرعة، هذا الهيكل العظمي المشي إلى الساحة، حيث ألقي به فوق كومة من الآخرين، ثم عاد الضابط ليختار ضحية ثانية، فهرب جزائري وهو يصرخ وقد تخلخل فكه، وفمه مفتوح كأنه مغارة مظلمة، وانهار آخر على الرصيف، وأنفه في جدول الماء، وهو ينزف، وينزف بلا توقف. وحرث شرطي مر بالقرب منه، ظهره بمقدمة حذائه، إلا أن الجثة لم تتحرك فابتعد الشرطي بهدوء. وقالت الكنلزية وهي تخفي وجهها بيديها من هول ما ترى (أمر مقرف).

وخلال الليل، خلال تلك الليلة، أحصي رسمياً (١١٥٣٨) معتقلاً جزائرياً، وقدرت قيادة الشرطة عدد القتلى بمائة وأربعين قتيلاً. أما جبهة التحرير، فذكرت مائتي قتيل وأربعمائة مفقود. مفقودين في مياه نهر السين. حيث بقيت الجثث تطفو على مياه النهر حتى اليوم التالي مفقودين شنقوا وعلقوا بأغصان الأشجار، أو حنقوا أو غرقوا في الأقبية. (بوغروم، فناء) (*): تلك كلمة لم يكن من السهل ترجمتها بالفرنسية، ولكن بفضل مدير الشرطة بابون وفي ظل الجمهورية، سدت هذه الثغرة)[٢].

ولكن لنتحدث قليلاً عن السيد بابون: في يوم السابع والعشرين من تشرين الأول (أوكتوبر) وخلال اجتماع عام للمجلس البلدي لمدينة باريس، وبابون عضو في هذا المجلس، اتهم كلود بورديه مدير الشرطة، بأنه الشاهد الموافق على مجزرة، ذهب ضحيتها عشرات الجزائريين، وفي باحة مديرية الشرطة وقال (هل صحيح بأنه لم يكن بين صفوف الشرطة من أصيبوا بطلقات نارية؟ وهل صحيح بأن سيارة الإذاعة التابعة لجهاز الأمن، أعلنت في بدء المظاهرات، بياناً اتعطته بالتأكيد كافة الوحدات عن مقتل عشرة من رجال الشرطة، الأمر الذي يثير جميع رجال الأمن إلى أعلى الدرجات؟ وهل صحيح. أنه في (ساحة العزل) في منطقة السيتيه، مات خمسون جزائرياً اعتقلوا على ما يبدو في المناطق المجاورة لشارع سان ميشيل؟ وهل صحيح بأن العديد من الجثث انتشلت من نهر السين؟) فصمت بابون، ولم يتبع ذلك أي تكذيب لما قاله كلود بورديه. فقد كان صحفي فرانس أوبسرفاتور متأكداً من معلوماته: لقد حصل عليها من بعض رجال الشرطة الذين ذكروا ذلك بصورة عفوية مباشرة، ونقلت (الحقيقة ـ الحرية) شهادة رجل أمن حول العنف الذي ارتكب في ساحة مديرية الشرطة. كان رجال الشرطة مترصدين وثائرين (وخطر لبعضهم أن يمزحوا مزحة ثقيلة مع السيد بابون، ففتحوا للجزائريين الأبواب التي تقود إلى جناحه الخاص، فاعتقد بابون بأن هناك غزواً وتهديداً لشخصه، فاستدعى بالهاتف قوة لتعزيز الحراسة، وجرى ضرب مشين، حيث تضافر رجال الشرطة القادمون من الخارج، وأولئك الذين كانوا في أساس العملية، وضاعفوا ضرباتهم مستخدمين المقاعد لقتل الساجين، وكان لا بد من التقاط العديد من جثث الجزائريين لتحميلهم في السيارات).

---

٢ ـ ريبورتاج نشر في الملف الكرس للقتل في (الحقيقة ـ الحرية) العدد (١٣) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦١

٣ ـ الأزمنة الحديثة ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦١، عدد مصادر.

(*): Bogrom حركة قامت بها السلطات القيصرية لاستئصال اليهود.

ويؤكد العديد من الصحفيين ومن جميع الاتجاهات، بأن مبادرات العنف قد أتت من معسكر (قوى النظام) ويقول جاك دوروجي في الاكسبريس: (حدث الصدام الأول على جسر نويي، حيث كان الجزائريون ينتظرون موكباً كبيراً قادماً من نانتير وبوتو. فأطلق حركي النار من رشاشه، فقتل فتى في الخامسة عشرة من عمره، وتلى ذلك اطلاق نيران دام نصف ساعة، وكانت ارض شارع الجنرال ديغول، بعد المعركة، مغطاة ببقايا من كل نوع، عربات أطفال مقلوبة، وأحذية نساء، وغدران من الدم)[4]. سيقول البعض أنها مجلة الاكسبريس التي تدعي ذلك فليكن. لنتصفح الآن صحيفة فرانس سوار حيث يقدم جان لوي كيسن شهادته (كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً، وبالقرب من جسر دوشانو، قبض على ثلاثين جزائرياً، وبعد ان أشبعوا ضرباً قذفهم رجال الشرطة في مياه السين من أعلى الجسر، فغاص حوالي خمسة عشر منهم حالاً، وحاول آخرون العودة الى الشاطىء الا ان رجال الشرطة كانوا يطلقون النار عليهم)[5].

لم يحدث ذلك في فيل ديف، بل في حديقة المعارض، بورت دوفرساي، حيث يدفع الآف الرجال النساء الجزائريون الذين اعتقلوا كيفما كان، ويروي أحد المجندين بأن عشرين الى ثلاثين شرطياً اصطفوا على صفين خلف السيارات وهم مكلفون بتوجيه الجزائريين نحو المدخل. وكانت بين ايديهم قضبان من الخشب او المطاط او صفائح الخشب، أو سياط من عصب الثور، ومن يسقط من الارهاق كان له الحق بركلة في بطنه، او على وجهه، او على اعضائه التناسلية، ولكي يتخلص الجزائريون من ذلك كانوا يركضون، الا ان عرقلة بقدم توقفهم عن الجري، ومن بينهم من يسقط على الاسمنت دون ان ينهض، فيهملون ويسحبون جانباً. فقد رأينا جرحى مصابين اصابات خطيرة، يزحفون تحت وابل الضربات. وفتية تحطمت أصابعهم وأيديهم بينما يحمون رؤوسهم. وتحطم خشب العصي بدقة على ظهر جزائري، فانسحب الشرطي وقد أصيب بخيبة امل. وبعد ان يجتاز الجزائريون هذه الامتار يجري تفتيشهم من قبل الشرطة الباريسية، فتلقى النظارات والقداحات، والساعات، والاحزمة وبرارة الأظافر كيفما كان في زاوية من الزوايا، وغالباً ما تسرق الأموال دون ان ينتبه أحد، ولا يجري اي تسجيل لهذه الاغراض الفردية، التي تتجمع شيئاً فشيئاً، فيغطيها التراب، وتسحقها الأقدام، ولا تعود صالحة لأي شيء. فيأتي سارقون، لاستغلال المناسبة. ومن يستطيع منعهم)[6].

وفي يوم الثلاثين من تشرين الأول (اكتوبر) وبينما كانت الجمعية الوطنية تناقش ميزانية وزارة الداخلية، تحدث نائب (معتدل) هو كلوديوس بيتي، فذكر الوقائع وقرر (ان القرارات التي اتخذها مدير الشرطة، قد وضعت جميع رجال الأمن في ساحة القتال بين الأخوة، فلم يعد اي رجل يستطيع ان يتخذ قرارا الا على أساس لون البشرة ومظاهر اللباس والحي. سعيدون هم القبائليون الشقر، فبعد خجل التجمة

---

٤ ـ الاكسبريس، ١٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦١.
٥ ـ فرانس ـ سوار، ٢٧ أوكتوبر ١٩٦١.
٦ ـ الحقيقة ـ الحرية العدد ١٣.

الصفراء ، هل ستعرف قريبا على خجل الهلال الأصفر ؟ اننا نعيش ما لم نتفهمه في الماضي ، كيف يعيش الألمان بعد ما فعله هتلر)[7]. فأجاب السيد فريه وزير الداخلية بجفاء (حتى الآن لم أحصل على بداية أي ظل من الأثبات).

واليسار؟. أين هو اليسار ؟ يتعجب ويقول ، يقوله بحنق متزن. يحيط نفسه بالعلم الوطني. ولكن هل يوقف العمل في المعامل ؟ هل قام احد بتعزية العائلات المنكوبة ؟ . لا - لا شيء من ذلك - كان صوت يرتفع من وقت لآخر من خارج الغيتو ، ويحاول ان يمس المطمورين ، ولكن لا يحصل على صدى ودفاع عن الشرف ، وعشية الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) تلا اربعة من اساتذة الجامعة ، الفريد كاسلر ، ولوران شوارتز ، وجان دريش ، ورومبرويكات ، بيانا في مدرجات الجامعة : (إذا قبل الفرنسيون وجود العنصرية قانونياً فانهم سيحملون في المستقبل المسؤولية نفسها التي تحملها الألمان ، الذين لم يحركوا ساكنا تجاه الفضائح النازية) ولكن الحزب الاشتراكي الموحد من جهة ، ولجنة أودان ولجنة اليقظة الجامعية ، وجماعة (الحقيقة - الحرية) وتيموانياج كريتيان من جهة اخرى ، من اقامة مظاهرات قصيرة لانقاذ الشرف ايضا .

لقد كانا رهيبين هذان التحقيقان اللذان نشرهما جان كو في مجلة الاكسبريس ، حيث يفصل الواحد عن الآخر شهرا . الأول بعنوان رحلة (عند الجرذان) (اي العرب الجزائريين) ، في اعماق الأحياء المعدمة بعد المظاهرات مباشرة ، فها هي عائلة بكاملها تلبث لها الضربات ، الفت الأم نفسها فوق أصغر ابنائها ، عندما سمعت الطلقات ، إلا ان الفتى الذي يبلغ الرابعة عشرة من عمره اعتقل وعذب ، والابن البكر اعتقل ايضا : رأى اما تحمل طفلها على ظهرها (على الطريقة العربية) فنزع رجال الأمن الطفل عن ظهر امه ، ووقع الطفل على الأرض ، فصرخت الأم ، وكانت موجة تفصلها عن ابنها ، وتلتها موجة اخرى من رجال الشرطة ، وداست الطفل بأقدامها . وفي قسم الشرطة ضرب بصورة معقولة . وهناك سمع شرطي يدخل وينفخ والعرق يسيل منه ، ويقول لزملائه (فطس منهم ستة حتى الآن) . فيلاحظ جان كو ويكتب [نعم ايها الباريسيون ، هؤلاء العراة ممن هم دون البشر - الجرذان ، او المافر كما تسمونهم . الذين رأيتموهم يتظاهرون هم «منظمون» . اندهشوا ان شئتم ، نعم منظمون وافضل من أي حزب من أحزابكم المبجلة . وافضل من شرطتكم وافضل من جيشكم)[8] .

أما المقال الثاني الذي صدر بعد اربعة اسابيع سابقة فكان بعنوان (مرآة للفرنسيين) حيث اسر نقابي جزائري لجان كو ، بدون رهبة ودون خوف (لقد قدرنا تضامن العمال والشعب الفرنسي ، ونعرف ان هذا التضامن لا وجود له خارج البيانات ، والعرائض والنداءات . واننا نسجل ذلك ، والى اليسار السياسي وللنقابات وللأحزاب أقول : ليضعوا أنوفهم في عفونتهم ، وها هي جحافلهم : سائقوا الباصات الذين لا

---

٧ - مختار من (صحيفة المناقشات).
٨ - الاكسبريس ، ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦١ .

ينزلون من وراء مقاودهم عندما يتحول باصهم الى سيارة شرطة وهؤلاء القسهم الذين يعطون الشارات صوتية للشرطة في نوبي ، ليبينوا لهم وجود جزائري من بين ركابهم ، وعمال شركة رينو الذين يشهدون جثة في جزيرة سيغان ، جثة جزائري تنتشل من النهر فينظرون ويمضون لا مبالين) ، ويعترف الصحفي بقلقه . (كلا يا عزيزي كو ، انك الآن تغطس في كرسيك ، انك لا تحترق ، انك فرنسي ، وهؤلاء الرجال يحدثونك عن نفسك)[9] .

ومع ذلك ، وبعد نعاس اعتقد الجميع بانه أبدي ، ويقظة ظن الجميع بانها غير اكيدة ، تحرك اليسار (الكبير) ، اليسار (المحترم) ونهض . ولكن قبل ان يهب ، بعد ان اهتز وضرب على اجنحته كما حدث في مقال لفرانسوا ماسبيرو ، الذي بعث فيه كل قرفه في مجلة (الأنصار التي صودرت حالا) فقال (الواقع ان شجاعة العائلات الجزائرية في المنطقة الباريسية وبطولتها قد نحجت بان تفجر ، حتى في شوارع الأحياء البرجوازية ، الحقيقة الرهيبة والوجه الرهيب ، للكلابا التي ترتدي اللباس الرسمي . ان هذا الواقع وهذا النجاح ، يجب الا يمكن ابا كان ان يسمع لنفسه ، بان يلعب المسرحية الهزلية التي يتكرر فيها : نحن نشجب . انا لسنا من العالم نفسه . لقد فات الأوان)[10] .

ومرة اخرى تأتي الدفعة من هؤلاء الحاسمين والمثقفين الذين ينشطون ، في كل مرة كلما خاب الأمل بخطط اللغ المستوي لتلك الأجهزة الثقيلة . فقد عقد في يوم الرابع من كانون الاول (ديسمبر) في قاعة ديوسي ، مائة وخمسون منهم اجتماعا خطابيا ، واسسوا (رابطة العمل للتجمع المناهض للفاشية) . فهل نحن بحاجة ان نذكر بعض الاسماء ؟ ومن لا يعرفها ؟ . بلزا ، بورديه ، فيدال ناكيه ، دريش ، شوارتز ، فيجيه ، بيرك ، مادلين ريبيريو . وقررت الرابطة عقد (اجتماعات ـ مفاجئة سرية) ، وتشكيل مجموعات دفاع ذاتي ، ونشر كتاب ابيض حول القمع العنصري ، وكذلك القيام بمظاهرات وحدوية . ولم يكن البرنامج شيئا قليلا . ولكن المهم اكثر من ذلك ، هو ارادة العمل الشلالية (واكتفى المثقفون الشيوعيون لاسباب تكتيكية ، ولكي لا يبدو الأمر وكأنهم يتجاوزون قيادتهم بالتواجد في المكتب المؤقت دون أن يوقعوا النداء) .

وكان لا بد من الاسراع . صحيح ان يوم عمل ضد منظمة الجيش السري الهم يوم السابع من كانون الأول (ديسمبر) . الا ان هذه التظاهرات لم تضم سوى الحزب الشيوعي ، والحزب الاشتراكي الموحد ، ومنظمات الشبيبة التابعة لها ، والاتحاد العام للعمل . اما الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين ، واتحاد التربية الوطنية ، والاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، فلم يشاركوا فيها ، فقد ترددت هذه المنظمات لأن التظاهرة جاءت مبادرة من الشيوعيين ، ويعذرهم في هذا التصرف ، ان الواقع يثبت ذلك . فان موريس توريز الذي لم يتخل السوفييت عنه ، بعد أن ياهو كازانوفا ، لم يعط عن الحزب الا صورة متشنجة ، حذرة ، ومتحزبة في القمة . وبالمقابل ، فان الرابطة التي اسست تريد ان تكون لها بنية مرنة لكي لا تشعر اركان الرابطة بأنها منتهكة وقوية

---

٩ ـ الاكسبريس ، ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦١ .
١٠ ـ الانصار ، العدد (٢) ، تشرين الثاني ـ كانون الاول ١٩٦١ .

بما فيه الكفاية لكي تتحدى مرحلة العوائق».[11]

وحول هذه النقطة ـ تعرف المناضلون الشيوعيون الذين ساروا في تلك الطريق ، على الموقف بسرعة ، ووجهت صحيفة لومانيته لهم صفعة قوية بخشب أخضر ، فهاجت هذه المناورات التعبة وشجبت هؤلاء المثقفين الذين لم يفوضهم أحد بأية مهمة . وألقت عليهم الابتعاد عن المعركة التي يقوم بها المناهضون للفاشية (والموافقون على المشاركة فيها ولكنهم يختلفون حول قضايا أخرى) وبمعنى أوضح : ان المواطنين خائفون من الشرطة والجيش ، الا انهم يرفضون استقلال الجزائر .

كان هذا الانذار، الذي أثار الحنق في الاوساط الجامعية ، وأثار الغلة هو اعتراف بالخطأ وترديد القواعد المعمول بها في الحركة الشيوعية بأن يعنف كل من كانوا على حق قبلهم، وقبل أن يقلدوهم»[12].

وبالفعل اقيم يوم نشاط جديد في ١٩ كانون الأول (ديسمبر) . فاستقرت تسع وأربعون حركة من بينها الحزب الشيوعي ، الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين ، والاتحاد الوطني لطلبة فرنسا ، والطلقت الديناميكية ، وتسارعت بتأثير قوتين دافعتين ، الأولى استمرار عمليات منظمة الجيش السري ، والثانية الأزمة التي تمزق قوى الأمن نفسها حيث تفجرت قضية روف .

كان الوكيل فرانسوا روف، البالغ الخمسين من عمره ، يزاول للمرة الخامسة عشرة دورته على رأس (النقابة العامة للشرطة) وهي (النقابة التي تضم ثلاثة ارباع الافراد والضباط في الشرطة البارسية) ولم يكن روف يسارياً متطرفا أبدا، ولم يحتج على منع التجول الذي فرض على الجزائريين الا ان سير مظاهرة التاسع عشر ، والعنف الذي جرى خلالها، أثار حفيظته، فاحتج برسالة بعث بها الى رئيس الدولة والى وزير الداخلية ، وفي يوم الخميس ٢١ استدعي من قبل السيد لوغيه مدير عام الشرطة البلدية ، الذي اعلمه بأنه معاقب ، وكفت يده لمدة خمسة أيام دون راتب . فثارت ثورته ، وقبل التحدي والتصعيد . فأدلى بتصريح الى جاك دوروجي لصالح مجلة الأكسبريس، اتهم فيه رؤساءه ، وبصورة خاصة السيد لوغيه باظهار الليونة تجاه المتحرفين بصورة عامة ومنظمة الجيش السري بصورة خاصة . فصودر العدد وأقيل الشرطي ، الا ان عشرة آلاف من زملائه تظاهروا يوم الخامس من شباط (فبراير) ١٩٦٢ معربين عن تضامنهم نحوه .

بدأ عام ١٩٦٢ ، عام السلام ، بصوت القنابل ، واحصيت أكثر من ٢٨ عملية تفجير يوم ١/١٧ و١٣

---

١١ ـ بالنسبة لهذه الحقبة تعود الى مقال ماتايس وبريو وجان دريش ولجنة اودان التي نشرت في (هيرودوت) تموز ـ ايلول ـ (يوليو ـ سبتمبر) ١٩٧٨ .

١٢ ـ قال رولان ليروا (انفقد ـ ومن السهل العودة الى الماضي ـ انه كانت لدينا مقاطع قاسية تجاه اولئك الذي اطلقت عليهم تسمية حملة حقائب جبهة التحرير الوطني ، وقد كان أمرا لا يمكن تجنبه ، في ان نربح اولئك الذين كانوا يقولون العكس من ذلك بأنهم، ليسوا حاهزين لحمل الحقائب . ولكن كان يجب ان لا يقودنا ذلك الى تجاهل بساطة كل المثقفين الذين حاولوا التعامل مع جبهة التحرير من العناصر غير المسؤولة) .
دفاتر معهد موريس توريز، العدد ١٥/العام ١٩٧٦ .

عملية يوم ٢٤ . وكان أبطال هذا الكتائب في الخط الأول ، ونجا ابن جيروم ليفلتون بمعجزة من الموت عندما حدث الانفجار في بيته ، وبالرغم من ذلك ، فقد كان لمحاكمة روبير دافيزي التي بدأت يوم التاسع من شباط (فبراير) صدى واسع ، فوجه أراغون الى محامي الدفاع ، رسالة تنتهي بعبارات المديح (وأرجو منكم أن تنقلوا الى السيد الأب دافيزي ، الذي لم أحصل على شرف التعرف عليه ، كل أعتراف بالجميل لما قام به ، ولما هو عليه ، الأمر الذي يسجل شرفا لوطننا ، والذي قد ينسي يوما بأن هناك جلادين يدعون بأنهم فرنسيون) . ويصدر الكاردينالليناربس الأوسالية الفرنسية بياناً متسامحاً (ان أعمال الأب دافيزي ونياته لا يمكن أن تثمن خارج الأطار العام التي وردت فيه ، وأن النزاع في الجزائر قد خلق جواً مؤلماً جداً من العنف ، للعديد من الناس ، هذا الجو الذي شاركنا في خلقه كلنا ، بدرجة أو بأخرى) وبالرغم من ميزات المتهم والشهود (بكل معنى الكلمة) فقد حكم عليه بالسجن لثلاث سنوات . واعترض حماك فوفيه بأسلوب جديد بالنسبة لحملة الحقائب ، على الحكم (حكم مفاجئ ، لو لم يحط التاريخ الا قيمة نسبية للأحكام التي تصدرها العدالة العسكرية)[15] . . . .

إن هذه اللهجة المتسامحة الموالية ، تبين أن انفراجاً قد حدث لا في جوفرنسا فحسب بل في جو اليسار الفرنسي ، أكثر مما تدل على تغيير تجاه العون لجبهة التحرير الوطني ، وتعبر عن شعور بالبعث والعودة الى الحياة ، فاستعزت المظاهرة الكبرى ضد منظمة الجيش السري ، التي استدعيت الى ساحة الباستيل يوم الثامن من شباط (فبراير) بالرغم من منع الحكومة لها مع جميع منظمات المعارضة السياسية والنقابية (ما عدا القوى العاملة) . إن هذا التاريخ حفر في الذاكرة الجماعية للحركة العمالية في هذا البلد ، كما حفرت فيه أسماء الشهداء الثمانية (وأغلبهم من الشيوعيين) الذين ماتوا مختنقين تحت ضغط الكتائب السريعة التدخل ، التابعة لقوات البوليس عند محطة مترو شارون .

رافق خمسمائة ألف باريسي يوم الثالث عشر من الشهر ، توابيت ضحايا القمع . وفي المحافظة أيضاً ، سارت مواكب كبرى صامتة لم تشهد فرنسا مثلها منذ أكثر من خمسة عشر عاماً ، وحيث ذكرى القتل من المتظاهرين المناهضين للفاشية ، وبعث الكفاح المشترك .

لقد عزز شهداء الثامن من شباط (فبراير) ١٩٦٢ وحدة اليسار ، ودفنوا في الوقت نفسه الذكرى الرهيبة ليوم ١٧ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٦١ [16] . .

سارع الفرنسيون الى التصريح بين التاريخين . استعجلوا في تمويه المجزرة الكبرى ، التي تعرض لها الجزائريون المجهولون ، خلف قبور شهدائهم وحتى بعد الثامن من شباط (فبراير) كان العلم هو نصيب جبهة دعم الثورة الجزائرية ، التي انشأها جانسون . بل وربما اكثر من أي وقت مضى ، اذا نظرنا الى الواقع

---

١٣ ـ لوموند ١٤ ـ ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٢ .

١٤ ـ مات متظاهر تاسع فيما بعد .

١٥ ـ ان كلمة خطيب الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين وحدها هي التي نشرها بول فيتو ، واشار اليها .

جيدا . ان هذا الاندفاع المناهض للفاشية ، ان لم يستطع سوى تعجيل موعد السلام لصالح الجميع ، فانه يفرغ في الوقت نفسه ونهائيا مشكلة العلاقات بين اليسار الفرنسي والوطنية الجزائرية من محتواها . تضامن ام لا ؟ لقد أصبحت القضية الآن بلا هدف تسوى الحسابات بين فرنسيين وينتهي الامر . وباختصار تصفى هذه الحرب ، وكل ما حملته معها سياسيا على جميع المستويات .

لم يبق شيء من التضامن ومن الثورة ؟ . . . ان عقائد العالم الثالث مع كل ما تحمله من ايديولوجيات ، ليست على الاقل بالنسبة لحملة الحقائب سبيلا مجانيا . لقد دفعوا الثمن حالا وبأغلى الاسعار ، دفعوه سنوات في المنفى ، ولم يشمل العفو العديد منهم ، ولم يسمح لهم بالعودة الى فرنسا حتى عام ١٩٦٦ . دفعوه شهورا من السجن الذي بقي فيه العديد منهم وقتا طويلا بعد خروج الجزائريين ، وجها لوجه مع السجناء من منظمة الجيش السري[١٦] . دفعوه بعبودية بلا عظمة : فقط اضطر الفارون من الجندية بعد أن امضوا فترات في السجون ، الى بدء خدمتهم العسكرية من الصفر ، وتلك كانت ميزة[١٧] ، دفعوه بحياة مهنية محطمة فبهذا الثمن تدوم الآمال والاساطير .

فبينما كان محترفو الامية يعسكرون والسلاح تحت أرجلهم ، اعتقدت حفنة من الهواة بأنها مجبرة ان تسد عجزهم . فعملت نساء وعمال مثقفون وبورجوازيون صغار وقس وشيوعيون منشقون ومسيحيون يبحثون عن انفسهم مالم يعمله يانكور نفسه . فلتصب عليهم ماتشاء ، الاعزائهم ، لأنهم لم يريدوا تلك العزلة في يوم من الأيام ، ولم يحصلوا للوصول اليها . ولا تنعتهم بأنهم رموز سماوية . لقد تحركوا ، ان اسفا لذلك او سرورا به . وكان عملهم ملموسا وفعالا ، وكشفت مبادرتهم ، لكثيرين وبدون ان يشعروا ، بوادر الازمة الايديولوجية والاجتماعية والبنيوية ، التي لم نخرج منها بعد . لقد شوشوا أمتعتنا المخدرة ، حيث ما زالت الحرب في الجزائر امرا محرما . وما زالوا يشوشون .

في يوم الثامن من آذار (مارس) وقعت اتفاقيات ايفيان . وكان شاربي على الحدود الجزائرية ، حيث كان قد تبنى لتوه طفلا صغيرا ، انه ابنه ، شوهه الفرنسيون وأخذه جيش التحرير الوطني . وكانت ديدار فوزي ، وهيلين كوينا في تونس ، تكافحان الامية لدى العمال ، وتحضران الفتيان المهاجرين للاندماج في جزائر المستقبل الحرة .

وكانت جانين كان وميشلين بوتو في ميلانو ، وجانسون في بروكسل فقد أطلقت اشارة التشتت .

يقول روبير دافيزي (كنا مجتمعين في زنزانة موسى فابلي ، مصطفى فرنسيس ، وموسى ، وأنا ، وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر ، نستمع الى موجز الأخبار ، وكانت الزنزانة تطل الى الغرب ، وبدأ النور يتلاشى ، وأشعة الشمس تظهر في الغيوم . ووقع الخبر اخيرا . تم التوقيع على وقف النار . في ذلك اليوم فهمت بأن باستطاعة الانسان أن يصنع التاريخ انه هنا : بين يديه) .

---

١٦ ـ حدث وقف اطلاق النار بعد سنة بالضبط . وقد اعتقل تسعة اشخاص هم : فيرا هيرولد ، كلودي دوهاميل ، جان جاك وبكول بروشيه ، جيرار ميير وجان كلود بوبير ، وتم هذا بالرغم من الحملات والمؤتمرات الصحفية .

١٧ ـ طالبت جبهة التحرير ، خلال محادثات ايفيان ، بالعفو عن الفارين ومن حملة الحقائب وقد قبلت الحكومة الفرنسية اعادة الجنود المتمردين ، ولكن لم يحصل شيء من هذا .

« الملاحق »

الوثيقة الأولى

محضر اللقاء
الذي تم بين فرنسيس جانسون ولوران كازانوفا
٣٠ أيار (مايو) ١٩٥٨

غداة الثالث عشر من أيار (مايو) الذي قاد الجنرال ديغول إلى السلطة اجتمع سرا زعيم الشبكة الفرنسية ، مفوضا من جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، مع لوران كازانوفا عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي ، المفوض من حزبه ، وننقل فيما يلي الملاحظات المفصلة التي سجلها فرنسيس جانسون خلال اللقاء ، ونقلها إلى الجزائريين . ويذكر كازانوفا في النص بحرف (ل) (لوران) وجانسون بحرف (ف) فرانسيس . ان هذه الوثيقة ، التي تبدو قيمتها التاريخية واضحة ، تنشر لأول مرة .

١ - قام (ل) منذ البدء بتحليل واسع للوضع السياسي ، كما هو اليوم . حاولت البورجوازية الفرنسية ، تحت غطاء حكومة فليملان ، ان تحافظ لأطول فترة ممكنة على شيء من المظاهر الجمهورية . ولن تتجه نحو الفاشية الا مرغمة ، لأنها تخشى ردود الفعل لدى الشعب الفرنسي ، الا انها مع ذلك مجبرة على هذا حالما لم تعد تسيطر على زمام الدولة ، ولا على الشرطة ولا على الجيش . وهكذا اتخذت المنعطف الحاسم في هذا الاتجاه خلال خطاب فليملان الذي أراد تغيير الدستور (٢٤ أيار مايو) .

ان دور الاشتراكيين في هذه المسألة معقد جدا . فقد لعبوا دورهم الداعم للبورجوازية ، فرأينا امثال اوريول ورلينا القائل في موليه يشاركون بنشاط في الاتصالات الرامية إلى رفع ديغول إلى سدة الحكم ، ومع ذلك فان بعض الاشتراكيين يقفون انفسهم ، في هذه القضية ، إلى جانب الشيوعيين ، وهم مستعدون للدفاع عن الديمقراطية .

ليس هنالك شك بأننا لن نتجنب حكومة ديغولية ، الا انها لن تستطيع الاستمرار ، فعلى من ستستند ؟ على الجنرالات المتمردين ، على الظلاميين وعلى الجلادين . ولن تجد الدعم لدى الشعب ، فردود الفعل في البلاد اخذت تتضح ملامحها ، ليس في داخل الحزب فقط بل ولدى الجماهير ، وكانت المعلومات الموجودة عند (ل) تتجه كلها في هذا الاتجاه . ليس في باريس وحدها (يدعي ديغول بأنه يريد اقامة الوحدة الوطنية ، ولكن دون الاعتماد على الشعب) ، ويذكر (ل) انه في عام ١٩٤٠ كان المقاومة التي كانت تعتمد على البلد نفسه وعلى الثوار في الجبال ، وكان يناصر فكرة غزو فرنسا من قبل القوات المسلحة المتمركزة في الخارج .

٢ - وبعد ان شرح بتوسع ، هذه الطروحات ، وصل (ل) إلى موضوع اللقاء .

فشرح (ف) أولاً ما هي مواقف جبهة التحرير الوطني ، وعلى أي اسس تكلف بالاتصال بالحزب الشيوعي . مما لا شك فيه ان لدى الرفاق الجزائريين الكثير من النقد تجاه الموقف الماضي للحزب الشيوعي الفرنسي والطبقة العاملة الفرنسية ، التي اهملت كثيرا ، الا ان زمن النقد قد مضى ، وانه من الواضح اليوم ، اكثر من أي وقت مضى ، ان الشعب الفرنسي ، والشعب الجزائري

يجابهان العدو نفسه ، وان حكومة جمهورية معتمدة على الطبقة العاملة ، هي وحدها القادرة على اقامة السلام في الجزائر. وطلب (ف) بهذه المناسبة بأن يجمع الحزب الشيوعي الفرنسي بين شعاري: الكفاح ضد الفاشية، واستقلال الجزائر (لا السلام)، فوافق (ل) : كل هذا يقع في اطار الخط السياسي الحالي .

ف : ان للجزائريين حاليا في فرنسا مائتي الف رجل مدربين ، نظاميين ومستعدين . ان هؤلاء المناضلين يشكلون قوة ، قوة ضخمة ، وانه من المؤسف ، واللامنطقي ان تبقى هكذا بطاقاتها مفرقة في المعركة ، الا ان هؤلاء المناضلين سيكونون موضع الاستفزاز المتصاعد يوما بعد يوم ، واذا راودتهم فكرة التحول في العاصمة دون اعتبار، فهم قادرون على القيام بأعمال كبيرة . فان بقوا لوحدهم ، فان هذه الاعمال ستبقى سلبية دون جدوى . اما اذا كان على هذه القوة ان تتدخل وان تكون فعالة حقا وايجابية ، فيجب ان يكون نشاطها متسقا مع نشاطات الشعب الفرنسي . اننا لم نصل بعد الى مرحلة الكفاح العنيف ، ولكن تحضيرا لهذا الكفاح ، يجب الاجتهاد منذ الآن على هذه القوة ، والعمل على تنسيق نشاطها مع نشاطات الطبقة العاملة الفرنسية .

(ل) : انه من الصواب البحث عن تنسيق النشاطين الفرنسي والجزائري ، ولكن هناك مع ذلك بعض التحفظات تجاه الجبهة يجب الحديث عنها قبل التقدم الى الأمام :

١ ـ ان جبهة التحرير الوطني لم تتخذ الشيء الكافي على موقفها تجاه المظاهرات التي قام بها المتطرفون في مدينة الجزائر ، ولم تشجبهم وتفضحهم صراحة امام الشعب الجزائري (ولا نقول تجاه الشعب الفرنسي ، فهذا ليس من عملها في الواقع) .

٢ ـ تركت الجبهة نوعا من الغموض ، بما يخص مواقفها تجاه ديغول واحتمال قيام حكومة فاشية . فلم يصدر نص يبين بوضوح مواقف الجبهة ، والى جانب ذلك ارتكبت بعض الاخطاء حول هذا الموضوع (وخصوصا التصريحات الاخيرة التي ادلى بها فرحات عباس) التي خلقت الاضطراب في فرنسا في تلك اللحظات الخطيرة ، وهذا امر يصعب حقا تلافيه .

ويرى (ل) بأن اساليب الجبهة والحزب الشيوعي الفرنسي مختلفة جدا فالجبهة تعمل حسب اسلوب الحرب الثورية والكفاح السري ، ولا تشرح سياستها ومواقفها علنا ، بينما يهتم الحزب بأن يجعل الاشياء علنية امام الشعب .

ف : ١ ـ هذا النقد لا معنى له ، فيجب الملاحظة بأن الجبهة لا تعمل في اطار الظروف نفسها التي يعمل فيها الحزب الشيوعي ، فهي في حالة حرب ، وليس لديها وسائل الاعلام نفسها التي تمكنها من جعل الشيء علنا .

٢ ـ بأن الجبهة لن تتأخر في توضيح مواقفها حول هذه النقاط بشكل موسع ، وقد بدأ بتوضيح ذلك في بيان الجبهة الذي نشرته لوموانيته وفي التصريح الذي ادلى به عباس للاوبسرفاتور .

٣ ـ ان المرحلة ليست مرحلة تبادل الانتقادات ، فالجزائريون يعتبرون ان الطبقة العاملة الفرنسية هي على ما هي عليه ، ولكن كما هي ، تبقى الحليف الطبيعي للجزائريين ، وفي هذا الاتجاه وعلى هذا الاساس ، فوض الرفاق الجزائريون (ف) لتقديم بعض المقترحات .

وقبل كل شيء ، هناك امل بأن يكون هذا اللقاء متبوعا بلقاءات اخرى ، وان تجري اتصالات مباشرة بين المسؤولين الجزائريين ، ومسؤولين من الحزب الشيوعي ، ويتم خلال تلك اللقاءات التحديد الدقيق للمبادىء التي يجب ان يقوم عليها النشاط الموحد للحزب الشيوعي وجبهة التحرير .

(ل) : موافق

(ف) : نعم ، هناك امل ، بأن نبين بدقة ونشرح مواقف الجبهة للطبقة العاملة الفرنسية ، في النصوص التي ينشرها الحزب

الشيوعي كمرحلة تحضيرية ، وأخيرا ، أن الجزائريين على استعداد لقبول دعم مادي من الفاعلين الشيوعيين ، دعم مادي يسمح لهم بالاستمرار في هذا الإطار الذي يزداد صعوبة وقساوة ، وسط الاستفزازات التي سيكونون حتما عرضة لها .

(ل): هذا الاقتراح الأخير يبقى احتمالا يمكن القيام به ، إلا أنه يبدو غير قابل للتحقيق في الظروف الراهنة .

النتيجة :

أن الأسلوب العملي للقاء القادم قد حدد وكان اللقاء إيجابيا ، إذ أنه :

- تم الاتفاق على مبدأ عمل موحد ، وإن بقيت كيفيته قيد التحضير .

- أنه من المفيد الإكثار من اللقاءات من هذا النوع : فالحزب ما زال ، على ما يبدو ، لا يمتلك المعلومات الكافية حول المشاكل التي يعانيها الجزائريون ، وظروف كفاحهم . « انظر التعليقات (ل) حول غياب « الديمقراطية » لدى الجبهة » ومع ذلك فإن (الحذر) الشديد الذي يبديه قادة الحزب الشيوعي ، والصعوبات الحقيقية التي يلاقيها الحزب حاليا (وإن كان مسؤولا عنها نوعا ما) تحدد بدقة حدود هذا اللقاء ، ولا بد من عمل كبير قبل الوصول إلى عمل موحد حقيقي .

الوثيقة الثانية

تصريحات فرانسيس جانسون
خلال المؤتمر الصحفي السري الذي عقده في ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٦٠

تمكن فرانسيس جانسون في ربيع ١٩٦٠ ، في الوقت الذي كانت شرطة فرنسا كلها تبحث عنه ، من جمع الصحفيين في قلب باريس ليشرح لهم عمله . وهاهو نص مقدمة تصريحه الذي لم ينشر من قبل .

في الرابع عشر من شباط (فبراير) ، وضعت سلطات أمن الدولة بين يدي قاضي التحقيق عشرة فرنسيين ، رجالا ونساء ، كانت قد اعتقلتهم قبل عدة أيام وأعلنت للصحافة بأنها اكتشفت شبكة كبرى أوربية لدعم جبهة التحرير الوطني .

وأثارت القضية التشاهر . إنها ليست المرة الأولى التي يعتقل فيها فرنسيون لتقديمهم الدعم المادي لهذا العضو أو ذاك من أعضاء جبهة التحرير الوطني ، إلا أنها المرة الأولى التي يذكر فيها وجود تنظيم فرنسي حقيقي يعمل على هذا الأساس (أي كمنظمة) إلى جانب جبهة التحرير .

كانت ردود الفعل في الصحافة ، عبر مجموعات من المعلومات ، بعضها صحيح والبعض أقل صحة . ردود ذات مغزى عميق ، وفيما عدا بعض الاستثناءات لم تظهر أي روح عدائية تجاه هؤلاء الفرنسيين ، الذين ، كما قالت طروحات سياستنا الرسمية ، يفترض فيهم أن يظهروا بكل بساطة (كخونة) .

ومع ذلك فإن الأسباب الحقيقية لالتزامهم لم تذكر . كما أن الأساليب الفعلية لعملهم ، والنتائج الحتمية لها ، غابت عن جميع المعلقين تقريبا . ولهذا فإني سأحاول دفعة واحدة أن أشرح الأسباب والكيفيات .

خيانة غي موليه :

قال غي موليه في عام ١٩٥٥ ، إن الحرب التي نقوم بها ضد الجزائريين (هي حرب غبية ، لا مخرج لها) . فلما كان غي موليه قد قالها فذلك يعني أنه ليس الوحيد الذي يفكر بهذا الشكل . وقد حمله الناخبون إلى السلطة في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٦ على أساس برنامجه (الجبهة الجمهورية) :

السلام عن طريق المفاوضات ، وكان ذلك العهد الذي كان فيه الشباب المدعوون للاحتياط [illegible] . وبعد شهر من ذلك ، انكشف غي موليه تحت وابل البندورة (الطماطم) الجزائرية الفرنسية ، إن الجزائر يجب أن تبقى فرنسية ، وأنه لا بد من متابعة هذه الحرب . أما الحزب الشيوعي فقد صوت على السلطات الخاصة ، وغاب زميله مانديس فرانس في الظل دام ثلاثة أشهر ليعرف فيما إذا كان عليه أن يعتبر أن (العقد) الموقع بينه وبين الناخبين قد فسخ أم لا . أما الناخبون فكانت في رؤوسهم هموم

الحرب : كانوا يحضرون براءة لمظالمهم العسكرية .

وخلال ذلك كان الشباب الفرنسيون يموتون بلا جدوى ، كما تستمر يوما بعد يوم محاولة إبادة الشعب الجزائري ، في اعتقالات اعتباطية ، واغتيالات جماعية وتعذيب وغير .

اليسار والرأي العام :

ان لا مبالاة الغالبية هي واقع . الا ان الواقع ليس الا واحدا من معطيات . يمكن القيام بشيء ما استنادا اليه . وكان ذلك هو دور اليسار ، فعندما سجل هذا الواقع كان عليه ان يتجاوزه . ولكن للاسف خلط مختلف قادة اليسار ، الذين تنقصهم الواقعية ، دون شك نتائج الاستفتاء ، بين العمل السياسي وسبر الرأي العام . وفي منتصف عام ١٩٥٦ ، ترك مئات من الشباب الشجعان الواعين ، يجابهون القدر وحدهم (وأرسل العديد منهم ، اعتباطا ، الى الموت ، من قبل ضباطهم ، خلال وصولهم الى الجزائر تقريبا) .

وفي تلك الاثناء بالذات ، اخترع اليسار الفرنسي ، اسطورة الرأي العام : الرأي العام لم ينضج بعد ، هناك حقائق لم يستعد لسماعها فيجب اذن اخفاؤها عنه ، لتجنيب الصدمات التي ستكون لها انعكاسية على صحته . ويخشى علمي ان الرأي العام يقف على الدرجة (ن) . فموقف اليسار يجب ان تكون على الدرجة الأدنى (ن - ١) ، فمن الضروري تجنب عدم تجاوز الدرجة (ن) ، دون الانتباه الى ذلك .

ما العمل ؟ :

تلك هي نتائج حرب قطعية لا نهاية لها ، حكومات متتالية غير قادرة على وضع حد لها ، ويستمر فقد الروح القتالية ، وحتى في اعماق وسائله الاساسية (اعلام والتكوين الرمزي) . فماذا بقي علينا ان نفعل ؟ ان نبكي على وحدتنا ؟ ام أن نكتب من وقت لآخر مقالات متتالية وتافهة ، حيث نشرح بجدية ان السلام افضل بكثير من متابعة الحرب . ام نلصق الاعلانات في الشوارع لنلخص فيها الافكار العميقة نفسها ؟ وان نرضي ضميرنا بانتقاد السياسة الرسمية في كل محادثاتنا اليومية ؟

الحجج :

الواقع . . . ان اليسار يخادع ، ويبحث عن مبررات (فها هنا حجة الرأي العام ، كانت هناك حجة العمالية) ، ولم يكن له من هم ، سوى أن يجنب نفسه مزعجات معركة حقيقية . وبما ان اليسار (مناهض للاستعمار) فانه يعني كل وقته في انتقاد تصرفات شعب هب ضد الاستعمار . وبما ان اليسار (ثوري) فانه لم يقبل ان يكون الا ثوريا بصورة الحرب الا وراءه . فكان على الجزائريين ان ينتظروا ، حتى يتسلم اليسار السلطة ، وهكذا لن يكون عليهم حتى الكفاح ، من أجل الحصول على استقلالهم .

أهدافنا :

فرض عدمات تفسيها علينا :

- فمن جهة اولى أصبح عاجلا ، كلما ازدادت الهوة بين الجزائريين والفرنسيين ان نحافظ على امكانية الابقاء على مستقبل علاقات الصداقة بين الشعبين ، وذلك باثبات ان فرنسا الرسمية ليست فرنسا كلها .

ومن جهة أخرى ، الأخذ بالمعطيات الراهنة ، والوضع السياسي المسدود ، أو بالأحرى ان المخرج الوحيد الذي يمكن تخيله هو الفوضى عاجلا أم آجلا ، من قبل حكومة تابعة ، بضغط من الرأسمالية (التي بدأت تقلق من أثر تلك الحرب) : على الصعيد الانساني اذن لانه يضع حدا للمعارك ، الا انه يشكل من ناحية أخرى خطرا محتما على الطبقة وعلى اليسار بأجمعه ، خطر بقدر ما لم يستطع اليسار ان يبين بوضوح مقدرته على المشاركة فيه . ويشعر الآخرون بثقله ، وبتضاءل الروح الكفاحية اكثر فأكثر : عشر سنوات من الاساطير الاجتهادية ، والحماس ، والسلام ازاء ... كانت عميقة في هذه الفرضية ، فأصبح انهاض اليسار وبعثه وتحريضه على العمل أمرا عاجلا .

الأسلوب الوحيد الممكن :

لم يعد أي خطاب او أي مقال يكفي بمحاولة التقدم غير الملحوظ لرحمت بتراجع ملحوظ ، ولم يبق الا اللجوء الى المعالجة بالصدمة . ولا بد اذن من ان توضع موضع التطبيق ، هنا وهناك ، ولو بدونه بصفة افراد ، المبادىء الاساسية التي طالما أعلن عنها هذا اليسار الناهض للاستعمار . وبصورة خاصة تبدأ من التضامن مع الشعوب المستعمرة التي تكافح من أجل استقلالها . وكان لا بد من ان تحطم في نقطة ما هذه الحلقة من الظلم وكان لا بد من القاء شرف فرنسا ، في نقطة ما مهما كانت متواضعة ، بأن يلتحق عشرة ملايين جزائري ويحشروا عن طريق وسيط بينها الحيف الذي يريد ان يقبل حسه وأربعون مليون فرنسي .

خياناتنا :

يريد البعض اعادتنا الى (تصرفات شرعية) و (للواجب العام) ، الا ان الشرعية قد ماتت ، بقدر ما لم يعد هناك مجتمع وطني فرنسي ، ذلك ان المجتمع الفرنسي ، يجب ان يعاد بناؤه على أسس جديدة ، ومبادىء جديدة وتبعا لأهداف جديدة . ان مكانها لا مسؤولون . يهانون باستمرار من قبل سلطاتهم النيابية . انهم لا يفكرون ، انهم لا يفكرون . مثلهم مثل اسلافهم الذين طالما عرفوا منهم . انهم لا يفكرون الا في كسب الوقت ، وتجنب المشاكل . يقولون اي شيء ، حسبما تقتضيه الظروف ، وحسب الشخصية التي يتحدثون اليها ، وهكذا يناقضون انفسهم دائما . انهم يدعون الانتماء الى الوطن ، الا انهم لا يدرون اي حساب لواقعه . لمن تخونون اذن ؟ المجتمع المدفع والتعذيب ومعسكرات الاعتقال ؟ المجتمع ... ؟ المجتمع الملازم ... الذي يطلب ... ، والمجتمع من ... الوسام ؟ . نعم هذا المجتمع نحن نخونه ، ويجوز ان نحس بأي خجل . ولكن قد يقال بأننا عندما نتصرف هكذا فاننا نطعن الجنود الفرنسيين في ظهورهم . لو كان الامر صحيحا ، لكان بالتأكيد خطرا . ولكن لاتعتقد ذلك ، يجب على المرء الا يحسب أي حساب للعناصر الاساسية للموقف . فان كنا وان لم نكن ، وان قدمنا ام لم نقدم للجزائريين الدعم الذي نستطيعه ، فان ذلك لن يؤثر على الطاقة القتالية الا قليلا جدا . ان كل ذلك لن يغير من تصميمهم على الكفاح حتى النصر ، وبكل بساطة ، ان وجودنا ربما يساعد على صرفهم عن الحلول المتطرفة . ولم يكن عبثا صدفة ، بأن أي ارهاب ضد الفرنسيين لم يبدأ في فرنسا نفسها (ما عدا بعض الاعمال التي جرت في شهر آب و أيلول ٥٨ و ٥٩ والتي كانت تهدف الى اهداف مادية فقط) ولكن يجب ان نقلب المشكلة . ويجب ان نفكر ، ما كان سيكون عليه اليوم موقف لو اننا تركنا منذ ثلاث سنوات ، او بالاصح ان الامور ثلاث سنوات ، وقلنا لانفسنا ان الامور ستحل بلا تأمر . او ان اي شيء لم يتحرك منذ ثلاث سنوات ، ... في معسكرات الاعتقال حيث يموت وسطيا (حسب ما زالت تتضور منذ ثلاث سنوات ، ان ١٥ بالمئة من الجزائريين محشورون في معسكرات الاعتقال ... الف وخمسمائة طفل يوميا ، حوالي التقارير الرسمية) طفل كل يوم ، في مجموعة تضم الف نسمة . وهذا ما يؤدي تقريبا الى موت الف وخمسمائة طفل يوميا ، هل يجب ان نحزي انفسنا بأن نلاحظ بأنه لا يوجد في هذه المعتقلات لا غرف غاز ولا افران لحرق البشر ؟ ان مئات الالوف من الجزائريين يقتاتون بالعشب على الحدود التونسية وعلى الحدود المغربية ، ولم يبق في الجزائر عائلة واحدة ، لم يذهب منها ابن الى الجبال ، أو

علية الفرنسيون او قتلوه . ان نصف السكان الجزائريين تقل اعمارهم عن عشرين سنة ولم يروا من فرنسا الا الحرب التي تقوم بها في بلدهم .

اني أرجوكم بألم كل هذه الاتهامات ضد بلدي : وذلك لأنني بأن الوقت قد حان . لكي نحاول ان نعمل شيئا من أجل هذا الوطن . لقد عملنا ما استطعنا وعملنا ذلك بالوسائل المتوفرة لدينا ، وقد نقصنا الرجال لوقت طويل . فنحن لا نستطيع طبعاً أن نعلن في الصحافة عن ذلك : الا ان السلطات العامة وفرت علينا ذلك واستنت لنا خلال شباط (فبراير) الماضي ، دعاية كبرى لم نكن لنعملها وكانت فعالة .

ان في فرنسا موارد ضخمة ، موارد في العمق ، في القاعدة ، وكل المشكلة تكمن في الكشف عنها والوصول اليها ، وتهيئة المناسبة لها لكي تظهر . ان قيادات الاحزاب اليسارية تعثر عليها يوما بعد يوم موجات مناضليها . وان فكرة مقاومة الحرب تكاد تصبح فكرة عامة . وقد أحصت السلطات المسؤولة حتى الآن ثلاثة آلاف فار من الجندية . وفي كل مكان يحصل مواطنون فرنسيون ، لعدوا من الخدمة العسكرية ، على تنظيم الصفوف ، للتقديم رفض كلي للسياسة التيهولية ، التي لا تختلف اطلاقا عن سياسات الحكومات التي سبقتها . الا انها تهيء كل يوم اكثر فاكثر لأزمة داخلية في فرنسا . لقد قال طلبة فرنسا الذين عقدوا مؤتمرهم خلال هذه الايام (واهتمامهم ليس سياسيا) كل ما يمكن ان يقال حول خطورة الوضع . ان ذلك مؤشر ايجابي : انهم قالوا ذلك ، فذلك يعني انهم سيكافحون لمعالجته .

ان عددنا سيزداد ، ولكن الامر سيصبح اكثر صعوبة . ستنقصنا ، كل يوم اكثر فاكثر ، وسائل التعبير الطبيعية ، ويجب ان تساعدونا دائما بدون توقف ، وذلك بنشر كل الاخبار التي يمكنكم الحصول عليها عن الكفاح في الجزائر ، وعن الكفاح في فرنسا ، وعن التدابير الاحتياطية التي تميل الى التوسع والانتشار (اعتقالات تعسفية ، قانون جديد للصحافة . . .) . يجب ان تساعدونا بفضح الأسرار في بلادنا ، الفوضى التي قد لا تبقى دون تأثير على بلادكم

ان الجزائريين لن يستسلموا ، والخيار لم يعد سوى خيار بين الحرب الأهلية في فرنسا والصداقة معهم . ان هذا الخيار مطروح على الفرنسيين ، ولكنه يمكنكم ايضا مساعدتنا للوصول اليه والوصول بسرعة .

الوثيقة الثالثة

بيان حول حق رفض الخدمة العسكرية
في حرب الجزائر
(المسمى بيان الـ ١٢١ ايلول ١٩٦٠)

ان حركة كبرى تتوسع في فرنسا ، وانه من الضروري ان يعلم بها جيدا الرأي العام الفرنسي والدولي ، في الوقت الذي يجب ان يجعلنا المنعطف الجديد للحرب في الجزائر ان نرى ، لا ان ننسى ، عمق الأزمة التي بدأت منذ ستة اعوام .

ان اعداد الفرنسيين الذين يلاحقون ويسجنون ويدانون ، لانهم رفضوا المشاركة في هذه الحرب ، او لانهم ساعدوا المناضلين الجزائريين ، يزداد يوما بعد يوم . ان مبررات هؤلاء الذين يشوه حقيقتهم اعداؤهم ويخفف من قيمتهم اولئك الذين يجب عليهم أن يدافعوا عنهم ، تبقى بصورة عامة غير مفهومة . الا انه لا يكفي القول بأن هذه المقاومة للسلطات العامة غير محترمة . انها احتجاج اناس طعنوا في شرفهم وفي الفكرة الصحيحة التي تصوروها عن الحقيقة . ان لهذا الاحتجاج مغزى يتعدى الظروف التي تأكد من خلالها ، وانه من المهم أن يفهم ذلك ، ايا كانت نهاية الاحداث .

ان الكفاح المستمر ، سواء بالاساليب العسكرية ، ام بالاساليب الدبلوماسية ، لا يحتوي بالنسبة للجزائريين على أي ابهام . انها حرب استقلال وطني . اما بالنسبة للفرنسيين فان هذه الحرب ، ايا كانت طبيعتها ، ليست حربا خارجية . فلم تهدد الأرض الفرنسية يوما ، والاكثر من ذلك . انها تقام ضد الذين تتظاهر الدولة باعتبارهم فرنسيين ، الا انهم يكافحون ، بالضبط ، لكي لا يكونوا فرنسيين .

ولا يكفي بأن يقال عنها انها حرب غزو ، او حرب امبريالية مرفقة بالعنصرية فكل هذه الأمور موجودة في كل الحروب ، ويستمر الابهام . اما الواقع : فان الدولة استنفرت ، بقرار يعتبر تجاوزا اساسيا ، دفعات كاملة من المواطنين الاحتياطيين ، لهدف واحد ، هو القيام بما سمته الحكومة نفسها بأنه من أعمال الشرطة ، ضد شعب مضطهد ، شعب لم يتمرد الا لاهتمامه بالكرامة الاساسية ، باعتباره يطالب بأن يعترف به كمجتمع مستقل .

فحرب الجزائر ليست حرب غزو ، ولا حربا للدفاع عن الوطن ، ولا حرباً أهلية ، الا انها تحولت يوما بعد يوم الى عمل خاص للجيش ، ولقطاع يرفض التنازل امام ثورة بدت السلطات المدنية ، التي فهمت الانهيار التام لكل الامبراطوريات الاستعمارية ، وكأنها مستعدة لفهم معناها .

ان ارادة الجيش وحدها ، هي التي تريد اليوم استمرار هذه المعركة الاجرامية الحمقاء ، وهذا الجيش ، يتحرك ، بفضل الدور السياسي الذي يريده له العديد من كبار قادته ، احيانا بالعنف وخارج نطاق الشرعية والقانون ، ويخون بذلك الاهداف التي

امة البلد كله عليها ، ويلوث ، وربما يفسد الامة نفسها ، عندما تجبر مواطنين تحت سلطته ، ان يصبحوا عملاء، وشركاء في عمل ازدري او مهين . فهل يجب علينا ان نذكر بأن السكرتاريا الفرنسية ، بعد خمسة عشر عاما من القضاء على النظام الهتلري ، ونتيجة لمتطلبات حرب اخرى ، توصلت الى اللجوء الى التعذيب ، لتجعل منه نظاما في اوروبا؟

وفي هذه الظروف ، توصل الكثير من الفرنسيين الى الشك بمعنى القيم ، والالتزامات التقليدية ، فما هو معنى النظام اذا اصبح في بعض الاحيان رضوخا مخجلا ؟ الا يوجد حالات يكون فيها رفض الخدمة واجبا مقدسا ويكون (الخيانة) معنى الاحترام الشجاع للحقيقة ؟ وهلا يأخذ التمرد ضد الجيش معنى جديدا ، عندما يبين الجيش بأنه في حالة تمرد مفتوح او شبه مفتوح ، ضد النظام الديمقراطي ، بارادة من يستخدمونه كأداة للسيطرة العنصرية او الايديولوجية ؟

لقد طرحت أزمة الضمير نفسها منذ بدء الحرب ، وبما ان هذه الحرب قد طالت ، فمن الطبيعي ان تكون هذه الازمة قد وجدت لنفسها حلا واقعيا بحدوث العديد من حالات الرفض والفرار ، وبحماية المناضلين الجزائريين وتقديم الدعم لهم . لقد اتت العديد من الحركات بمعزل عن جميع الاحزاب الرسمية ، وبدون مساعدتها ، وبالتالي بالرغم من عدم موافقتها . ومرة اخرى نقول ان مقاومة قد ولدت خارج اطار الشعارات المسبقة ، وولدت نتيجة الوعي الضميري العفوي ، فأفرزت وبحثت عن اشكال من العمل ووسائل الكفاح مرتبطة بالوضع الجديد . هذا الوضع الذي اغفلت الزمر السياسية والصحف ، سواء بمجموعها ام بخطها الفكري ، لافكار مسبقة وطنية او اخلاقية ، على الاعتراف بمغزاه ومطالبه الحقيقية .

ان الموقعين ادناه ، يعتبرون ان على كل فرد ان يدلي برأيه ، حول افعال يستحيل اعتبارها منذ اليوم ، كالاحداث عادية لمغامرات فردية . ويعتبرون انه ، نظرا لمكانتهم وحسب امكانياتهم ، من واجبهم ان يتدخلوا ، لا ليسدوا النصح للرجال الذين اتخذوا قرارا شخصيا امام مشاكل بهذه الخطورة ، بل ليطلبوا من هؤلاء الذين يحكمون عليهم بالا يؤخذوا بابهام الكلمة والقيم ، ويعلنون :

- اننا نحترم تصرفات الفرنسيين الذين اعتبروا ان من واجبهم ان يقدموا الدعم والحماية للجزائريين المضطهدين باسم الشعب الفرنسي ونعتبر تصرفاتهم مبررا .

- اننا نحترم قرار رفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري ونعتبره مبررا

- ان قضية الشعب الجزائري التي تساهم بشكل حاسم وفعال في القضاء على النظام الاستعماري هي قضية جميع الاحرار .

ويليها (١٢١) توقيعا

الوثيقة الرابعة

بيان الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار
(مقتطفات)

عرفت الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، التي يديرها هنري كوريال ، والتي انعقد مؤتمرها التأسيسي في سويسرا في أواخر تموز (يوليو) ١٩٦٠ بنفسها ، في بيان صدر في كانون الأول (ديسمبر) من العام نفسه .

تمثل الكفاح المناهض للاستعمار في البدء بالدعم المقدم على الصعيد الفردي لهذا العربي او ذاك من المناضلين الجزائريين ، ثم تحول الى شكل مجموعات صغيرة للتعاون ، منشقة في مختلف انحاء البلاد ، عملت بالاتصال مع تشكيلات المناضلين الجزائريين المحلية ، وبعد ذلك نظمت مجموعة مركزية من الفرنسيين نفسها لمساعدة المقاومة الجزائرية ، باعتبارها مقاومة .

لقد قاد فشل التظاهرات الشجاعة التي قام بها المجندون في ١٩٥٥ و١٩٥٦ ، التي كبح جماحها زعماء اليسار ، الى اشكال من المعارضة الفردية ، كرفض الطاعة ، ورفض حمل السلاح ، مواقف ادت بمئات الشباب الى السجن ، وقاد رفض الجندية والفرار من الجندية ، الآلاف منهم ، الى اللجوء الى البلاد الاجنبية . ان حركة (المقاومة الفتاة) قد تأسست لتنظيم هذا الرفض الفردي في مقاومة جماعية شبيهة ضد حرب الجزائر ، فنشرت افكار الثورة وجمعت حولها الفارين من الجندية وعبرت عن القوة السياسية التي يمثلونها .

ان بطولات المقاتلين الجزائريين ، الموحدين في اطار جبهة التحرير الوطني ، في مقاومة القوات العسكرية ، التي هي اقوى من كل ما عرفه التاريخ من قوات ، جعلتها الجدال في بلد مستعمر ، ودفعت بالعديد من الفرنسيين ، لتفهم الطبيعة الحقيقية لهذه الحرب ، وساهم انتقال الفرنسيين المتحمسين الى مختلف الأوساط الاجتماعية والاتجاهات السياسية في ايقاظ هذا الوعي .

وطرحت منذ تموز (يوليو) ١٩٦٠ قواعد (الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار) .

وتسارعت اليقظة فجأة نتيجة لمحاكمات شبكة جانسون وبيان الـ (١٢١) ورسالة جان بول سارتر ، ومظاهرات الدعم المتعددة التي تلت الاحكام والعقوبات .

ان هذا التذكير المختصر ، يبين بما فيه الكفاية ، ان الحركة المناهضة للاستعمار ، اوسع بكثير مما يتصوره اغلب الفرنسيين ، ومن بينهم المشاركين في هذه الحركة انفسهم ، وتثبت ايضا ، بأن ما سمي عجز اليسار ، ليس في الحقيقة الا عجزا لدى القادة ، وكلما تفهم المناضلون بأن الكفاح المناهض للاستعمار ليس عاقرا ، كلما ابدوا رغبة متصاعدة للالتزام به بتصميم اكبر .

وبهذا ، امام هذا الوضع الجديد ، ان من العاجل القيام بتنظيم عام لكل القوى المناهضة للاستعمار ، واتجاه انطلاق المشترك لجميع الفرنسيين المصممين على تصعيد الحركة للخلاص من الحرب ، والنظام الاستعماري ، واقامة تعاون بين الشعب العربي

وجميع الشعوب المحررة من السيطرة الاستعمارية .

وهذا هو مبرر وجود الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، التي اقامها رجال ونساء لهم خبرة سابقة وفعلية في النضال المناهض للاستعمار ، وآخرون قرروا ان يوحدوا بين المبادىء والأعمال .

ولكي تكون الحركة مميزة ، عن المناهضة للاستعمار ، الناجمة عن مناهضة الاستعمار كلاميا ، فان اعضاءها هم ممن شاركوا في مرحلة ما ، او المصممون على المشاركة في نشاطات مناهضة للاستعمار والذين يقبلون مخاطر الخروج على القانون ، ولوازم العمل السري .

ان الحركة المناهضة للاستعمار حركة سرية لأن عملها خارج على القانون .

وليس ذلك عن هوى ، او عن مبدأ بل لانه ضرورة . فليس من الممكن القيام بنضال مناهض للاستعمار بشكل فعال والبقاء في اطار (الشرعية) الديغولية ، التي تحد يوما بعد يوم الحريات الفردية والعامة . ولهذا السبب ، ولأن الأحزاب اليسارية لم ترد الخروج عن هذا الأطار ، فانها محكومة عمليا بعدم الفعالية .

وهكذا فان سرية التنظيم ، هي الضمان الأمني الوحيد لاعضاء حركة مثل الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، تريد القيام بالدعاية والعمل المناهضين للاستعمار دون ان تتراجع امام أي شكل من اشكال الكفاح ، التي يمكن ان تتلقى الضربات من قبل السلطات الديغولية ، او بصورة عامة من الدولة الاستعمارية ، ان السرية ضمانة لفعالية العمل والاخلاص للمبادىء .

ان الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، وان استند مبدأها الاساسي على التضامن الكفاحي للشعب الفرنسي مع القوى المناضلة للشعب الجزائري ، هي منظمة فرنسية ، تحدد توجيهاتها وعملها بشكل مستقل تماما .

ان الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، تقوم بهذا الكفاح التضامني ، من اجل اقامة الديمقراطية الثابتة في فرنسا وتطويرها . ان الحركة ليست حزبا سياسيا ولا تريد ان تحل محل الاحزاب ، وهي تطلب الى كافة اعضائها المناضلين في احزاب او منظمات يسارية ، ان يتابعوا عملهم ويوسعوه ، في اتجاه النضال العملي ضد الحرب الاستعمارية .

ان المنظمة لا تنوي ان تحل محل مجموعات الدعم العملي ، ولا محل المقاومة الفتاة ، او اية منظمات أخرى ، يمكن ان تنشأ ، ان ما تأمله هو ان تقدم لها المنطلق المشترك ، وتسهيل تنسيق متزايد لاعمالها .

وترى الحركة ، بأن الدعاية لرفض الخدمة العسكرية هي وسيلة اوضح من غيرها ، في الوقت الراهن ، للاجابة على المشاكل المطروحة على الشبيبة ، الا انها لا ترفض الاشكال الأخرى للرفض الجماعي الذي يمكن ان يقرره الشباب ، او أي شكل آخر من أشكال معارضة الحرب .

ان الحركة ، لا تدعي بأنها تحتكر النشاط المناهض للاستعمار الا انها بقيامها بالنضال طبقا لمبادىء التضامن النشيط والفعال مع كفاح الشعب الجزائري ، هي مولد العمل الجماهيري ، وضمان بأن هذا العمل سيستمر دون وهن حتى النصر المشترك للشعبين .

وهكذا فان الحركة ستعمل على دعم النضال الجماهيري وتكثيفه الذي قد تقرره الاحزاب والنقابات والفئات والمجموعات ايا كانت ضد الحرب في الجزائر ، وان تحرضهم على ذلك كلما سنحت لها الفرصة .

ان الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، ستدعم كل حركة مصممة على الكفاح ضد الاضطهاد السياسي او العسكري او

الاقتصادي الذي تقع ضحية له البلدان المتخلفة .

وستنشر الحركة جميع منظماتها وشعاراتها ، والمعلومات عن الثورة الجزائرية ، والنضال ضد الحرب في الجزائر ، وكذلك مبادىء الأمن وقواعد العمل السري في نشرة دورية .

أيها العمال، أيها الموظفون ، أيها المثقفون أيها الطلاب ، شكلوا خلايا علنية للحركة المناهضة للاستعمار في كل مكان ، ويجب ألا يبقى معمل او كلية او ثانوية ، او مؤسسة ، او وحدة او ثكنة دون خلية للنضال المناهض للاستعمار .

ان الرفض ليس عملا جبانا ، بل انه اسمى درجات الشجاعة ، ان عملكم يمكن ان يكون حاسما ، فبدونكم لا يستطيع الاستعمار القيام بأي شيء .

أيها الطالبات والطلاب الفرنسيون تابعوا بحسم نشاطكم الطليعي الذي بدأتموه ، باعادة الروابط مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين .

أيها الفلاحون ، ساعدوا الشباب في كفاحهم ضد القمع ، كما فعلتم في زمن المقاومة .

يا نساء فرنسا ، انهضن ضد مغادرة ابنائكم ، وعاون عائلات العمال الجزائريين ضحايا القمع ، وايتام المقاومة الجزائرية .

أيها الفرنسيون والفرنسيات ،

من اليوم فصاعدا ، لن نقدم رجلا او قرشا واحدا للاستعمار ولا نقل في العشرين من عمرهم الحرب ضد الحرب الاستعمارية .

عاش التضامن الكفاحي بين الشعب الفرنسي والشعب الجزائري من اجل السلام والاستقلال والحرية .

الحركة المناهضة للاستعمار . . . . .

M. A. F

« مؤشرات تاريخية »

مؤشرات تاريخية

الشهر	اليوم	الحدث
	١٩٥٤	
حزيران (يونيو)	١٧	بيير مانديس فرانس رئيساً للوزارة
تشرين الثاني (نوفمبر)	١	الانفجارات في الجزائر وتأسيس جبهة التحرير الوطني
	٥	حل الحركة من أجل انتصار الحرية والديمقراطية
	١٩٥٥	
كانون الثاني (يناير)	١٣	مقال كلود بورديه (فرانس أوبسرفاتور) ومقال فرانسوا مورياك (الأكسبريس) في شجب عمليات التعذيب في الجزائر
شباط (فبراير)	١	جاك سوستيل حاكماً عاماً للجزائر
	٦	سقوط حكومة مانديس فرانس
	٢٣	إدغار فور رئيساً للوزارة الفرنسية
آذار (مارس)	٢	تقرير فيوم حول التعذيب يسلم إلى جاك سوستيل
	٢٠	تقرير ميرق حول تصرفات الشرطة في الجزائر
	٣١	البرلمان يصوت على قانون يعرض حالة الطوارىء في الجزائر
نيسان (ابريل)		بدء دعم جان جاك روسيه للجبهة
تموز (يوليو)		إتصالات بين الأممية الرابعة وجبهة التحرير جاك أورفوا ، قس عامل ، يقدم الدعم للجزائريين
آب (أغسطس)	٢٠	التمرد في منطقة قسنطينة
	٢٤ و٢٨	مراسيم دعوة الاحتياط لخدمة العلم
أيلول (سبتمبر)	٦	مصادرة فرانس أوبسرفاتور لنشرها مقالاً لكلود بورديه بعنوان (لا تلقوا المجندين في الحرب)
	١١	مظاهرات الاحتياطيين في محطة ليون (باريس)
	١٣	قرار منع الحزب الشيوعي الجزائري
	١٥	تحقيق روبير بارا في فرانس أوبسرفاتور (عن الثوار)
	٢٩	صلاة ضد الحرب في كنيسة سان سيفران في باريس من أجل (٣٠٠) احتياطي .
	٣٠	مناقشة القضية الجزائرية في الأمم المتحدة .

الشهر	اليوم	الحدث
تشرين الأول (أوكتوبر)	٧	مظاهرات الاحتياطيين في روان وصدامات عنيفة
		إنشاء اللجنة لمعارضة إرسال المجندين إلى شمال إفريقيا
تشرين الثاني (نوفمبر)		إنشاء لجنة العمل للمثقفين ضد متابعة الحرب في افريقيا الشمالية
كانون الأول (ديسمبر)	٢	حل الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان).
	١٣	التقرير الثاني لمرتي
		صدور كتاب (الجزائر الخارجة على القانون)
	١٩٥٦	
كانون الثاني (يناير)	٢	الانتخابات التشريعية ونجاح الجبهة الجمهورية.
	٢٧	اللقاء السري بين صلوزا مفوضاً من الجبهة ومانديس فرانس.
	٣١	تشكيل حكومة غي موليه وتعيين كاترو وزيراً مقيماً في الجزائر.
شباط (فبراير)	٥	اليوم الوطني للعمل ضد الحرب في الجزائر في موتروي
	٦	مظاهرات في مدينة الجزائر ضد غي موليه واستقالة كاترو.
	٩	روبير لاكوست وزيراً مقيماً في الجزائر
آذار (مارس)	١٢	التصويت على قانون السلطات الخاصة
	٣١	إعتقال كلود بوردية بتهمة المساس بمعنويات الجيش
نيسان (ابريل)	٥	فرار الرقيب مايو
	١٠	تفتيش بيت هنري مارو الذي نشر في عدد يوم (٥) مقالاً تحت عنوان (فرنسا يا وطني)
	١٢	مرسوم حول استدعاء دفعة لخدمة العلم.
أيار (مايو)	٣	مظاهرات ضد مغادرة الاحتياطيين في ليون
	١٨	مظاهرات عنيفة في غرونوبل
		ودورية من الاحتياطيين تقع في كمين في باليسترو (١٨) قتيلاً
	٢٣	إستقالة مانديس فرانس من الحكومة
	٥	ذهاب حالك برفقته إلى سويسرا لإقامة شبكة لاستقبال الفارين من الجندية.
حزيران (يونيو)	٢	وفاة الرقيب مايو
	٤	صحيفة لوموند تنشر تقرير خروتشيف والحزب الشيوعي الفرنسي يمتنع عن التصويت بالثقة على حكومة غي موليه.
	١٩	أول إعدامات في الجزائر من أعضاء الجبهة
تموز (يوليو)	٢	البيان لمثقفي المناضل الشيوعي، يرفض الذهاب إلى الجزائر
	١٨	افتتاح المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي في هافر
آب (أغسطس)	١٩	الرقيب الطالب لوبل دترولية يفر من الجندية
	٢٠	بدء مؤتمر جبهة التحرير الوطني في وادي الصومام وإنشاء اللجنة الوطنية للتنسيق والتنفيذ.

فرنسيس جانسون يبدأ بتقديم الدعم لجبهة التحرير

أيلول (سبتمبر) ١ لقاء في روما بين بير كومان وخيضر ويزيد

إعتقال جان جاك روسيه

فرار لوي أوزان الشيوعي ، من العسكرية

بدء العون المقدم للجبهة في ليون ومرسيليا

تشرين الأول (أوكتوبر) ٢٢ خطف الطائرة التي كانت تقل بن بلا وأربعة من قادة الثورة الجزائرية .

٢٣ التمرد في بودابست

٣١ بدء التدخل الفرنسي البريطاني في السويس

تشرين الثاني (نوفمبر) ٤ الدبابات السوفيتية تدخل بودابست .

٩ توقيف أندريه ماندوز وسيسيل فيرفوران وآن ماري شوليه

كانون الأول (ديسمبر) ١٩ إطلاق سراح ماندوز وسيسيل فيردوران وآن ماري شوليه

١٩٥٧

كانون الثاني (يناير) ٢ التقرير الثالث لهري حول (التهدئة)

٧ الجنرال ماسو يكلف بمهام الشرطة في في مدينة الجزائر

شباط (فبراير) ٢٦ إعتقال قادة الجبهة في فرنسا (في باريس)

• نشر ملف مولير في مجلة (كايير دي تيموانياج كريتيان)

آذار (مارس) ٢٣ (إنتحار) علي بومنجل

٢٨ الجنرال بولارديير يطلب إعفاءه من الخدمة

• نشر كتيب: «الاحتياطيون يدلون بشهاداتهم»

• نشر كتاب: «ضد التعذيب» لبيير هنري سيمون

• تأسيس لجنة للدفاع عن الحريات ومن أجل السلام في الجزائر بمبادرة من المدرسين .

نيسان (أبريل) ٥ تأسيس لجنة الدفاع عن الحريات والحقوق الشخصية .

• نشر مقال روبير بوفو في مجلة (اسبري): السلام في النيتشه

أيار (مايو) ٢١ سقوط حكومة غي موليه

٢٨ مجزرة ميلوزة

حزيران (يونيو) ١١ إعتقال موريس أودان

١٢ إعتقال هنري اليغ

١٧ موريس بورجيس مونوري رئيساً للوزارة

٢١ موت موريس أودان

تموز (يوليو) ١١ - ١٥ عملية حيلة بوحيرة

الشهر	اليوم	الحدث
	•	مقال جورج متّي (أيام قاتلة) في الأزمنة الحديثة .
: أغسطس)	١٣	لوي مارتان شوفيه ينشر في الفيغارو تقرير لجنة التحقيق الدولية
ـ (سبتمبر)	١٢	استقالة بول تيتجان
	٣٠	سقوط حكومة بورجيس مونوري
	٥	تنظيم شبكة يديرها جانسون
ن الأول (أوكتوبر)	•	إنشاء مركز للإعلام والتنسيق من أجل الدفاع عن الحريات ومن أجل السلام (روبير بارا ، وموريس بافا) .
ين الثاني (نوفمبر)	٦	فيليكس غايار رئيساً للوزارة .
	•	صدور كتاب جاك فيرجيس وجورج ارنو (من أجل جميلة بوحيرد)
	•	تأسيس لجنة موريس أوداك .
ن الأول (ديسمبر)	٢	تقديم أطروحة موريس أوداك (بغيابه)
	٨	تأسيس إتحاد اليسار الاشتراكي
	١٤	صحيفة لوموند تنشر تقريراً ملخصاً من لجنة الدفاع
	١٩٥٨	
نون الثاني (يناير)	٨	حل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين
	•	صدور العدد الأول من (شهادات ووثائق)
	•	صدور العدد الأول من (الطريق الشيوعي)
باط (فبراير)	٨	قصف ساقية سيدي يوسف في تونس
	•	الانفصال بين (الطريق الشيوعي) والجبهة الجزائرية .
آذار (مارس)	٢٧	مصادرة كتاب (المسألة)
نيسان (ابريل)	١٥	سقوط حكومة غايار
أيار (مايو)	١٢	نشر كتاب (قضية أوداك)
	١٣	مظاهرات تستولي على مقر الحاكم في مدينة الجزائر والجنرال ماسو يرأس السلام العام وفلي[illegible] يحصل على الثقة .
	٢٨	مظاهرات اليسار في ساحة (ريبوبليك) واستقالة فليملان .
	٣٠	لقاء سري بين فرنسيس جانسون وكازانوفا
حزيران (يونيو)	١	الجنرال ديغول يحصل على الثقة في البرلمان
	٥	لقاء جانسون وفالديك روشيه
آب (أغسطس)	٢	اعتقال سيسيل دوكوجي بتهمة تقديم العون للجبهة الجزائرية .
	١٣	إعادة تشكيل لجنة الدفاع برئاسة موريس باتان

	٢٥	الجبهة الجزائرية تهاجم أهدافاً صناعية في فرنسا
أيلول (سبتمبر)	١٥	محاولة فاشلة لاغتيال سوستيل
	٠	تأسيس الحزب الاشتراكي المستقل
	١٩	تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية
	٢٠	صدور العدد الأول من (الحقيقة . . .)
	٢٨	إستفتاء وإقامة الجمهورية الخامسة بأغلبية ٧٩ بالمئة من الأصوات .
		فرار جان لوي هورست وجيرار مايير من الجيش
تشرين الأول (أكتوبر)	١٣	إعتقال الأب بودروسك
	١٧	ثلاثة قسس في مركز برادو في ليون يتهمون بإدارة أموال الجبهة
	٢٣	الجنرال ديغول يعرض (صلح الشجعان)
كانون الأول (ديسمبر)	٣ - ٥	اعتقال عدد من الناشطين الجزائريين وتعذيبهم في مقر أمن الدولة .
	٢١	الجنرال ديغول ينتخب رئيساً للجمهورية
	١٩٥٩	
كانون الثاني (يناير)	٨	الجنرال ديغول يتسلم منصبه وميشيل دوبريه يصبح رئيساً للوزارة .
شباط (فبراير)	٢ - ٦	محاكمة المجموعة التي حاولت اغتيال سوستيل
آذار (مارس)	٧	بن بللا ينقل إلى جزيرة إكس
نيسان (أبريل)	١٨	لوموند تنشر تقرير روكار حول معسكرات التجميع
أيار (مايو)	٢	(الحقيقة . . .) تنشر تصريحاً لفيركور .
	٠	تأسيس حركة (المقاومة الفتاة)
حزيران (يونيو)	٢	(الحقيقة . . .) تنشر تصريحاً لجان بول سارتر
	١٦	صدور كتاب الغرغرينة
	١٩	مصادرة كتاب الغرغرينة
تموز (يوليو)	٠	اعتقال شبكة ليون
أيلول (سبتمبر)	١٦	خطاب ديغول حول تقرير المصير
	٣٠	اعتقال جيرار سبيتزر وجيرار لورن المسؤولين عن (الطريق الشيوعي) .
تشرين الأول (أكتوبر)	١٥	محاولة اغتيال فرانسوا ميتيران
تشرين الثاني (نوفمبر)	٥	اعتقال انيت روجيه من شبكة مرسيليا
كانون الأول (ديسمبر)	٢	الكشف عن موت موريس أودان

		١٩٦٠
كانون الثاني (يناير)	٥	صحيفة لوموند تنشر تقرير الصليب الأحمر حول التعذيب في الجزائر
	٢٤	بدء أسبوع إقامة الحواجز في الجزائر العاصمة
شباط (فبراير)	٢٠	الاعتقالات الأولى لشبكة جانسون
آذار (مارس)	٨	إعتقال ديغو ماسون وإلان كورق الخاص واكتشاف شعار (المقاومة الفتاة)
	١٣	البدء بمحاكمة سيسل كوجي
	٠	كتيب (ج . ر) (المقاومة الفتاة) يوزع
نيسان (أبريل)	٣	تأسيس الحزب الاشتراكي الموحد
	١١ ـ ١٣	مؤتمر الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا في دجون وانتخاب بيير غودينه رئيسا للاتحاد
	١٥	المؤتمر الصحفي السري لفرنسيس جانسون في باريس .
	٢٣	اعتقال جورج أرنو
	٠	صدور كتاب (الفار) لموريين و (الرفض) لموريس ماشينو
أيار (مايو)	١٠	اعتقال لوراس ناتاي
	٣٠	البدء بمحاكمة جيرار سبيترر
	٠	صدور العدد الأول من (الحقيقة والحرية)
حزيران (يونيو)	٦	اللقاء في لوزان بين ممثلين عن الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين .
	٩	اعتقال دانيال ماكو
	١٠	اعتقال بول زيب وماري مادلين فرنوا
	١٠	اعتقال ميشيل رابتيس في هولندا
	١٧	افتتاح محاكمة جورج أرنو
	٢٥ ـ ٢٩	مفاوضات مولان
	٢٩	مصادرة كتاب جانسون (حربنا)
	٢٩	الحكم على جورج أرنو بالسجن سنتين
	٠	قضية جميلة بوباشا تتفجر بمبادرة من سيمون دو بوفوار
تموز (يوليو)	٢٠	تأسيس الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار في سويسرا
	٢٩	المؤتمر الأول (للمقاومة الفتاة)

أيلول (سبتمبر)
٥ خطاب ديغول ـ الجزائر الجزائرية تسير .
٥ البدء بمحاكمات شبكة جانسون
٦ بيان الـ ١٢١
١٧ شهادة بول تيتجان في محاكمات جانسون
٢٠ قراءة رسالة جان بول سارتر في الجلسة .
تشرين الأول (اوكتوبر)
قرار المحكمة في قضية جانسون

٦ بيان الـ ٣٠٠ مثقف من أجل الجزائر الفرنسية
٢٠ اعتقال هنري كوريبل وديدار فوزي
٢٧ اجتماع خطابي بدعوة من الاتحاد الوطني لطلاب فرنسا والاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين واتحاد التربية الوطنية من اجل السلام .

تشرين الثاني (نوفمبر)
٤ الجنرال ديغول يلمح لـ (الجمهورية الجزائرية)
٢٣ ـ ٢٤ اعتقالات شبكة ليون
٠ نشر بيان الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار

كانون الأول (ديسمبر)
١٨ اعتقال ايف بولو

كانون الثاني (يناير)
٨ الاستفتاء على مبدأ تقرير المصير يفوز بـ ٧٥ ٪ من الأصوات .
١٢ اعتقال قيادة (المقاومة الفتاة)
٢٩ اعتقال روبير دافيزي
٠ صدور العدد الأول من (حقائق مناهضة الاستعمار)

شباط (فبراير)
٢٤ اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي تدين مجموعة سيرفان ـ كازانوفا
٢٤ هرب ست فتيات من سجن بتيت روكيت

نيسان (ابريل)
٦ افتتاح محاكمة شبكة ليون
٧ ظهور المنشور الأول لمنظمة الجيش السري
٢٢ تمرد الجزائر (محاولة الانقلاب) وتأسيس جبهة جامعة مناهضة للفاشية

أيار (مايو)
٢٠ بدء مفاوضات ايفيان ونقل بن بيلا إلى قصر توركوال .

حزيران (يونيو)
٩ اعتقالات وتفتيش في الأوساط اليسارية
٢١ بدء محاكمة راتيس في امستردام
٢٦ اعتقال روبير بونو في مرسيليا

آب (أغسطس)	١٧	بن خده يحل محل فرحات عباس على رأس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .
أيلول (سبتمبر)	٢٣ ـ ٢٥	الاجتماع التأسيسي للجنة الدعم للثورة الجزائرية التي اصبحت جبهة الدعم للثورة الجزائرية صدور العدد الأول من « الأنصار »
تشرين الأول (اوكتوبر)	١٧	مظاهرة جزائرية كبرى في باريس اثنا عشر الف معتقل ومئات القتلى .
تشرين الثاني (نوفمبر)	٢٤	افتتاح محاكمة هنــل ـ بلومنتال ، أوداك
كانون الأول (ديسمبر)	٤	تأسيس رابطة العمل ضد الفاشية
	٦	مظاهرة مناهضة لمنظمة الجيش السري بمبادرة من الحزب الشيوعي الفرنسي والاتحاد العام للعمل
	٠	افتتاح الدعوى المقامة على دار النشر ميبوري لاصدارها كتاب (القذر)
	١٩	مظاهرة نقابية ضد منظمة الجيش السري شارك فيها ٤٥ منظمة
	١٩٦٢	
كانون الثاني (يناير)	٩	افتتاح محاكمة روبير دافيزي
	٢٦	تأسيس اللجنة الوطنية للعمل ضد منظمة الجيش السري ومن اجل السلام التفاوضي عليه .
شباط (فبراير)	٨	مظاهرة وحدوية ضد منظمة الجيش السري تسعة قتلى في مترو شارون
آذار (مارس)	١٨ ـ ١٩	التوقيع على اتفاقات ايفيان ووقف النار .

« بعض الشخصيات »

ان هذه القائمة ليست (دليلا لحملة الحقائب) ولم يؤثر اطلاقا أي تسلسل هرمي في (أهمية) المهام التي قاموا بها على هذا الاختيار . بل الاسهام بأن يتمكن القارىء من التعرف على الشخصيات التي تظهر وتختفي طوال هذا الكتاب .

جاك بيرتليه :

طالب كهنوت ، عضو مجموعة (تعاون) لعب دورا نشيطا في اللجنة المناوئة لارسال المجندين الى افريقيا الشمالية (١٩٥٥) ، استقر في سويسرا ، في أيار (مايو) ١٩٥٦ ، ونظم هناك شبكة لاستقبال الفارين من العسكرية ، شارك في تأسيس المقاومة الفتاة ، ابعد من سويسرا في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ عارض بشدة تأسيس الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار .

جان ماري بوغلان :

صحفي في (لوتيون دي رامس) (غطى صحفيا) مظاهرات الاحتياطيين في عام ١٩٥٦ . سكرتير مسرح السينيه في فيورمان في عام ١٩٥٨ ، وأعاد تنظيم شبكة ليون في أواسط عام ١٩٥٩ . غادر فرنسا بعد اعتقالات تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠ في ليون ، وذهب الى المغرب ، استقر في الجزائر بعد الاستقلال ، حكم عليه غيابيا في نيسان (ابريل) ١٩٦٠ بعشر سنوات . صدر العفو عنه في عام ١٩٦٦

دوني بيرجيه :

مناضل تروتسكي ، انشأ في عام ١٩٥٦ (منبر المناقشات) وشارك في تأسيس (الطريق الشيوعي) ، القى عليه امن الدولة القبض في ٥/ ١٢/ ١٩٥٨ ، وأطلق سراحه بعد عشرة ايام . تخصص في تحضير الفرار وبقي نشطا حتى الهدنة .

ايتيان بولو :

استاذ في الفلسفة ، عضو في الحزب الشيوعي الفرنسي . شارك في النواة الاولى لشبكة جانسون في عام ١٩٥٦ ، غادر فرنسا في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٥٨ وعاش في المغرب . عاد الى فرنسا في اذار (مارس) ١٩٦٠ وعمل مع كوربيل ، القي القبض عليه في ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠ ولم يحاكم ، أطلق سراحه بعد الهدنة .

روبير بونو :

اجازة عليا (اقريغاسيون) في التاريخ ، شيوعي ، استدعي للخدمة الاحتياطية عام ١٩٥٦ ، شارك في المظاهرات ، وبعد ان ارسل الى قطاعات القتال ، عاد يحمل شهادة (سلام الباشا) التي نشرت في مجلة اسبري في نيسان (ابريل) ١٩٥٧ ، أصبح عضوا في اتحاد اليسار الاشتراكي ، انضم في عام ١٩٥٩ الى شبكة مرسيليا التي يقودها لوسيان جوبلان ، وطورها ، ألقي القبض عليه في حزيران يونيو ١٩٦١ ، لم يحاكم ابدا ، اطلق سراحه في حزيران (يونيو) ١٩٦٢ ، وصدر العفو عنه في عام ١٩٦٦ .

سيمون بلومنتال :

شيوعي ، سكرتير فرع مونتروي ، اقصي عن منصبه بسبب عدم توافقه مع السياسة الجزائرية للحزب الشيوعي الفرنسي ، ثم طرد من الحزب في عام ١٩٥٩ ، مندوب (الطريق الشيوعي) في قيادة المقاومة الفتاة ، القي القبض عليه في كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ ، وبرىء في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه .

جاك شاربي :

ممثل كوميدي ، عضو في اتحاد اليسار الاشتراكي ، انضم الى شبكة جانسون عام ١٩٥٨ ، حصل على الحرية لاسباب صحية ، وهرب ولجأ الى تونس ، حيث عمل لحساب الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية حكم بالسجن غيابيا عشر سنوات استقر في الجزائر بعد الاستقلال واستفاد من قانون العفو عام ١٩٦٦ .

هيلين كوينا :

مدرسة الأدب الفرنسي ، شيوعية ، انضمت الى شبكة جانسون في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٥٧ ، القي القبض عليها في شباط (فبراير) ١٩٦٠ ، وحكم عليها في (اكتوبر) بالسجن عشر سنوات ، هربت من سجن بتيت روكيت في شباط (فبراير) ١٩٦١ واستقرت في الجزائر بعد الاستقلال .

هنري كورييل :

مصري ، مؤسس الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حدتو) طرد من مصر عام ١٩٥١ ، استقر في فرنسا ، عمل مع جانسون منذ عام ١٩٥٧ ، وخلفه في عام ١٩٦٠ بمجموعته الخاصة ، أسس الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار ، في تموز (يوليو) ١٩٦٠ ، اعتقل في تشرين الاول (اوكتوبر) من العام نفسه ، اطلق سراحه بعد الهدنة ، اغتيل في باريس في ايار (مايو) ١٩٧٨ .

دومينيك داربوا :

مقاومة فرنسية ضد النازية ، وكشافة ومصورة ، عضو في شبكة جانسون منذ عام ١٩٥٨ ، تمت ملاحقتها بعد اعتقالات شباط (فبراير) ١٩٦٠ ، تابعت نشاطاتها حتى نهاية الحرب ، حكم عليها غيابيا

بعشر سنوات سجن شملها العفو عام ١٩٦٦ .

روبير دافيزي :

قس من الارسالية الفرنسية ، فيزيائي ، عمل مع شبكة جانسون اعتبارا من تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٥٧ ، اضطر الى الهرب من فرنسا في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٥٨ واصل نشاطاته في سويسرا والمانيا ، القي القبض عليه في كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ حكم عليه بالسجن في عام ١٩٦٢ لمدة ثلاث سنوات ، اطلق سراحه بعد وقف اطلاق النار

ديدار فوزي :

شيوعية مصرية ، عملت مع هنري كوريل ، اعتقلت في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٦٠ هربت من سجن بتيت روكيت في شباط (فبراير) ١٩٦١ .

جان لوي هورست :

معلم شيوعي ، فر من الجندية في ايلول (سبتمبر) ١٩٥٨ عمل في سويسرا مع شبكة جانسون وهو احد مؤسسي حركة (المقاومة الفتاة) مسؤول اقليمي عن جنوب غرب فرنسا ، ثم عن منطقة ليون ، لم يعتقل ابدا

فرنسيس جانسون :

فيلسوف ، مدير مجلة الازمنة الحديثة ، كتب هو وزوجته كوليت (الجزائر الخارجة على القانون) (١٩٥٥) بدأ يقدم الخدمات لجبهة التحرير في عام ١٩٥٦ ، نظم شبكة في عام ١٩٥٧ ، لاحقته الشرطة بالحاح منذ عام ١٩٦٠ ، اصدر كتاب (حربنا) وأسس جبهة الدعم للثورة الجزائرية في عام ١٩٦١ ، حكم عليه في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٦٠ بالسجن عشر سنوات غيابيا وشمله عفو عام ١٩٦٦ .

سيسيل ماريون :

ممثلة كوميدية ، انضمت الى شبكة جانسون عام ١٩٥٨ لاحقتها الشرطة منذ شباط (فبراير) ١٩٦٠ تابعت نشاطتها حتى نهاية الحرب ، لم تعتقل ابدا ، حكم عليها غيابيا بالسجن لمدة عشر سنوات في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٦٠ استقرت في الجزائر بعد الاستقلال .

جورج ماتيي :

استدعي للخدمة الاحتياطية في عام ١٩٦١ ، شارك في التظاهرات ، ونشر بعد عودته من الجزائر (ايام قاتلة) في الازمنة الحديثة (تموز يوليو ١٩٥٧) أسس بالاشتراك مع جان جاك سيرفان شرايبر اتحاد المحاربين القدماء في الجزائر ، واستقال منه بعد ان ادلى بشهادته في قضية سوستيل (شباط فراير ١٩٥٩)

عمل مع جانسون ثم أصبح من مساعدي كوريل ١٩٦٠ ، لم يعتقل أبداً بقي نشيطاً حتى نهاية الحرب .

لوي أوران :

عامل شيوعي ، فار من الجندية (أيلول سبتمبر ١٩٥٦) مؤسس حركة المقاومة الفتاة ، التي أصبح أمينها العام ، ألقي القبض عليه في كانون الثاني (يناير ١٩٦١) حكم عليه بالسجن ١٨ شهراً بتهمة الفرار من الجندية .

جان كلود بوبير :

استدعي للخدمة الاحتياطية في عام ١٩٥٦ ، ناضل بعد عودته ضد الحرب في الجزائر ، انضم إلى شبكة جانسون في عام ١٩٥٩ ، وقام بدور ضابط الاتصال . اعتقل في شباط (فبراير) ١٩٦٠ وحكم عليه في تشرين الأول (أوكتوبر) بالسجن عشر سنوات أطلق سراحه في الوقت نفسه مع جيرار ماليير في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ .

جان جاك بورشيه :

من أتباع مانديس فرانس ، ومن قادة اللجنة الطلابية المناهضة للاستعمار ، انضم للحزب الاشتراكي الموحد ، ونظم في عام ١٩٦٠ مجموعة سرية مستقلة مؤلفة من الطلبة وتلاميذ المدارس الثانوية . أحدث اسم مجموعة (نيزان) تورط في قضية ماكو . أقام في السجن خلال صيف ١٩٦٠ أطلق سراحه في تموز (يوليو) تابع نشاطاته حتى وقف إطلاق النار .

روجيه ريه :

ضابط محترف ، طرد من الجيش في عام ١٩٥٢ ، مسؤول عن النشاط السري في (الطريق الشيوعي) أجرى اتصالات بين الطريق الشيوعي وجبهة التحرير اختص بالتهريب لم يعتقل أبداً .

ميشيل رابتيس :

الملقب بابلو : من قادة الأممية الرابعة ، ارتبط بجبهة التحرير الوطني منذ عام ١٩٥٥ ، استقر في هولندا بعد ١٣ أيار (مايو) ١٩٥٨ ، اهتم بإقامة معامل أسلحة سرية في المغرب ، اعتقل في حزيران (يونيو) ١٩٦٠ في أمستردام حكم في حزيران (يونيو) ١٩٦١ بالسجن لمدة (١٥) شهراً مارس تأثيراً هاماً على بن بلا بعد الاستقلال .

جيرار سبيتزر :

مقاوم شيوعي ، شارك في عام ١٩٥٦ بتأسيس مجلة (الشرارة) التي يديرها فيكتور لودوك ، طرد من الحزب الشيوعي ، وأسس (الطريق الشيوعي) اعتقل في أيلول ١٩٥٩ ، وحكم عليه بالسجن

ثمانية عشر شهرا في حزيران (يونيو) ١٩٩٠ وأتمها كاملة .

جاك فينيه :

صحفي ، شارك في شبكة جانسون في عام ١٩٥٧ وأصبح مسؤولا عن شبكات العبور ، لوحق منذ عام ١٩٦٠ ، تابع نشاطاته من بروكسيل ، حتى وقف اطلاق النار .

« المصادر »

الأشخاص الذين تم سؤالهم :

نيلس اندرسون ، جورج أرنو ، لورانس بانتي ، ميشيل بوفلار ، محمد بن عتيق تومي بيرجيه ، جورج بيرجيه ، جاك بيرتليه ، كلارا بونوا ، هنري بونوا ، سيمون بلومنتال ، جان ماري بوغلان ، ايتيين بولو ، روبير بوتو ، برنار بوفروسك ، كلود بورديه ، جيرار شاليان ، جاك شاربي ، جاك شاتانييه ، بول كيروشيه ، هيلين كوبينا ، هنري كوربيل ، جاك فاليال ، روسير دافيزي ، مونيك ديزاكور ، جان دوفاتجان ، روجيه دومي ، رولان دوما ، ديفار فوزي ، بيير فرانك ، بيير غودييه ، كلود غليمان ، غاستون غوسلان ، حمادة حداد ، جان لوي هورست ، كولين جانسون ، فرنسيس جانسون ، جاك جوليار ، جان لاكوتور ، فيكتور بوفولك ، الين بول لاتان ، جيروم ليندون ، اندريه ماندوز ، ميشيل ماريون ، جيلبير ماركي ، جيل مارتينيه ، جورج ماتي ، جيرار مليير ، بيير مايير ، مراد أوصديق ، هيلين بارميلان ، مارسيل بيجو ، كريستيان فيليب ، اندريه جيرار ، جان جاك بورشيه ، هوبير بريمو ، جان برونتو ، ميشيل رابتيس ، مادلين ريبيريو ، روجيه ريه ، جاك رينالد ، فيليب روبريو ، جان بول سارتر ، كاترين سوفاج ، لطف الله سليمان ، فاني سيتزر ، جيرار سيتور ، اندريه توران ، اوليفييه تود ، جاك تريبوتا ، ميشيل ميرودوراك ، بيير فيدال ناكيه ، جان بيير فيجيه ، جاك فيبه ، كريستيان روبير .

وكل من فضلوا الاحتفاظ بسرية اسمائهم والذين تفضلوا بالثقة بالمؤلفين وقدموا لهما شهاداتهم

مصادر مكتوبة :

الكتب والمؤلفات :

اطلع المؤلفان بصورة خاصة ، بالاضافة الى المؤلفات التي ورد ذكرها ، على جميع ما صدر وصودر ، عن دار النشر مينوي وعن دار النشر فرانسوا ماسبيرو ، وعن دار النشر لاسيتيه .

الصحافة :

وهكذا نقب المؤلفان مجموعة صحف لوموند ، لوماتييه ، لوفيغارو ، فرانس سوار ، وباري بريس ، والمجلات الاسبوعية : فرانس اوبسرفاتور ، اكسبريس ، تيموانياج كريتيان ، فرانس نوفيل ، لوكانار انشينيه ، والمجلات الدورية ، الازمنة الحديثة ، اسبري ، بارتيزان .

وأولها الصحافة الموازية (السرية) اهمها خاصة : شهادات ووثائق الحقيقة والحرية ، لوبولشال ، لاكالوس ، لاأبير ، لاهوا لوموست ، هواوغيل ، ليناسيل ، تريبون دوكوميسم ، تريبون سوسياليست ، لافريبه دي ترافيور ، لاكاتريم انترناسيونال ، والعديد من المنشورات.

الأرشيف

تمكن المؤلفان من الوصول إلى الأرشيف الخاص لفرانسيس جانسون (الحقيقة) والمراسلات ، ومخطوطات المقالات ، ومحاضر اللقاءات ، وبصورة خاصة مع قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي ، وأوراق الاختزال لاجتماعات المقاومة الفتاة ، والملاحظات التي سجلت عند تأسيس جبهة دعم الثورة الجزائرية ، ومحاضر الاجتماعات التأسيسية لها ، والدراسات الخاصة بفرنسيس جانسون حول الثورة الجزائرية . وكذلك على ارشيف (مجموعة بيزان) وقادة المقاومة الفتاة (من تقارير نشاط ومراسلات لم تنشر قط وبيانات ومنشورات)، وكذلك على الأرشيف الشخصي لروبير دافيزي (وبصورة خاصة الرسائل التي تلقاها ولم تنشر من اراغون وتوريز ، وكارالوفا وسارتر) وكذلك على ارشيف كلود بورديه ، وبصورة خاصة الوثائق حول قمع المظاهرات الجزائرية في تشرين الأول (اوكتوبر) ١٩٦١ والنشاطات المناهضة لنظمة الجيش السري واخيرا ارشيف رولان دوما (مراسلاته مع المعتقلين ، ومحاضر الاستجواب والتحقيق ، والنصوص المختزلة لمحاكمات شبكة جانسون) ومن ناحية اخرى سلمهم بعض مناضلي الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار من اصدقاء هنري كورييل بعض الوثائق ومن بينها بيان الحركة ومجموعة نشرة الحقائق المناهضة للاستعمار.

ذكريات :

تفضل كل من ايتيين بولو ، وهيلين كوينا ، وجاك ريسباك ، بأن عهدوا بوثائق خطية لم تنشر ابدا ، كالتي كانوا قد كتبوها وهم في السجن ، او بعد أن أطلق سراحهم .

المحتويات

القسم الثالث

على الصفحات الأولى

١٩٦٠

القسم الرابع

مسافرون بلا حقائب

١٩٦١ ـ ١٩٦٢

ملاحق

مؤشرات تاريخية

حملة الحقائب

في شباط (فبراير) ١٩٦٠، وحرب الجزائر في عامها السادس، انفجرت قضية هزت فرنسا في ذلك الوقت.. قضية الفرنسيين المتهمين بمساندة جبهة التحرير الوطني الجزائرية (F.L.N) وكانت التهمة صحيحة: فهؤلاء الفرنسيون الشرفاء ينتظمون، منذ ثلاث سنوات، في شبكة سرية يديرها الفيلسوف فرانسيس جانسون، وهنري كورييل، مهمتها تقديم العون السياسي والمساعدات العملية لجبهة التحرير الجزائرية: توفير المساكن الآمنة لمناضلي الجبهة في فرنسا، وتأمين المسالك الآمنة لاجتياز الحدود لتهريب الأشخاص والأموال والمطابع السرية.

في هذا التحقيق المثير، عشرات من المقابلات الشخصية، وأكثر من أربعمائة ساعة تسجيل، وأكداس من الوثائق والمحفوظات الخاصة، مكنت المؤلفين من إعادة تركيب الصورة الحقيقية لفرنسا خلال حرب الجزائر، في مرحلة من أهم وأخطر مراحل الثورة الجزائرية.

غير ان هذا الكتاب ليس كتاب مغامرات فقط. ذلك ان استحضار هؤلاء المناضلين الذين اختاروا اسلوب العمل السري ليخوضوا «الحرب ضد الحرب الاستعمارية» يكشف عن عمق الازمة الايديولوجية والسياسية، التي كان يعاني منها اليسار الفرنسي بجميع فصائله، حيال الثورة الجزائرية: انعتاق العالم الثالث، العنف والارهاب، العدالة والحرية، تمرد الشباب، مشاركة النساء... والجدل ما يزال قائماً.

«حملة الحقائب» شيوعيون وكاثوليك، تروتسكيون وفوضويون، رجال ونساء... مناضلون يسعون لاقامة «يسار جديد» بقدر ما يحملون هم الحاضر أيضاً.

والكتاب، بهذا المعنى، يقدم تجربة غنية ونابضة، نحن اليوم أحوج ما نكون الى الاطلاع عليها والتأمل في عبرها.. ذلك انها تجربة مارستها، منذ زمن غير بعيد، ثورة عربية و.. نجحت.

الثمن ٣٤ ل.ل أو ما يعادلها

دار الطليعة الناشر
تلفون ٣٧٤٠٠٣، ص.ب ٥٢٨٨ / ١٣ - بيروت لبنان